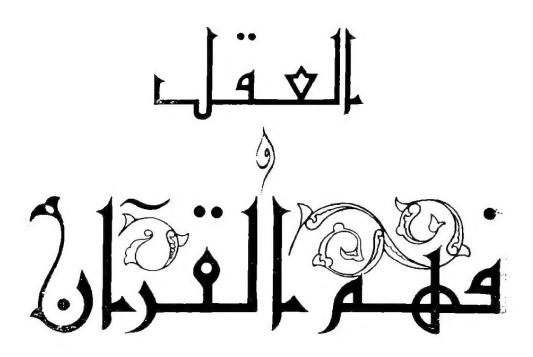
الغيال المنظم المناسلة المناسل

الجارث بن اسِل لمحاسِبي

قئة لهُ وَحَقَّق نصُوصه ر.حبِ الفوثيلي





المجارث بن اسِل کماسِبی (۱۲۵ - ۱۲۵)

قَ لَهُ ، وَحَقَّق نصُوصَ الله مَ وَحَقَّق نصُوصَ الله مَ الله وَ الله وَالله وَ الله وَالله وَاللّه وَالله وَ



الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م

الاهستراء

الی صَاحِب إِلمَّا حَسَةِ مَعْتِی الْجَمْهُورَتِ اللّبْنانَيْهُ الشَّیْ اللّمِهُورِتِ اللّبْنانَیْهُ الشَیْخ حت ن عالد حَفظ اللّه ورعت ه ، تحقید یَفًا لوعب ، وسیرًا علی درسب ، واسمه ما ما متواضعت مبنی سید فعزیز رست الذالاب لام البتی بیجنب ایما حت بواه کافی البنان ، بجل ما و تی من رخب لاص لیّه ، و تنجب رّدِعَن الهُوی و محب بنی ابث رمن و محب بنی ابت رسی و معرب بنی ابت رمن و محب بنی ابت رمن و معرب بنی ابت معرب بنی و معرب بنی و معرب بنی ابت رمن و معرب بنی و م

حب الفوت بي

بسير الخالح الحمر الحكيم

مُقْرِينِهِمُ

لم يكن يخطر يوما ببالي أن أعهد دراسة عن الحارث بن أسد المحاسي. لأسباب كثيرة – أولها انعدام صلتي بآثاره أو بما كتب عنه وثانيها – انقطاعي لفترة طويلة عن البحث الفلسفي بعد تخرجي في جامعة القاهرة عام ١٩٥٥ على الرغم من أنني قضيت هذه الفترة بتدريس الفلسفة في الجامعة اللبنانية – ولى بعض الثانويات في بيروت . فإلى مهنة تدريس الفلسفة في الأساس ، والتي لم يبق لي منها بحكم عملي الحالي، إلا بضع ساعات في الأسبوع أدر سها في الجامعة اللبنانية ، يعود الفضل في إعداد مثل هذه الدراسة .

ولقد كان الاتجاه عندي منصباً على الفلسفة الحديثة في الغرب وكنت أعتقد بأنني سأكتب فيها بحثاً عندما تتيح لي زحمة المسؤوليات الإدارية والمشاغل الاجتاعية فرصة لنيل درجة علمية أعلى وغير أن هدفه الساعات القليلة التي ما زلت ملتزماً خلالها بتدريس الفلسفة في الجامعة اللبنانية وأتاحت لي فرصة وسوف تبقى في نفسي حاملة أطيب الأثر وأجمل التقدير نتيجة لاتصالي المباشر بهذا الجو العلمي البحت واقصالي الدومي ببعض الأساتذة الذين أكن لهم كل احترام وتقدير وأولهم الأستاذ الدكتور أحمد

مكي عميد كلية الآداب الأسبق، واستاذ تطور الفكر فيها، الذي كان له الفضل في عودتي إلى هذا الجو العلمي الصافي عندما اقترح اسمي لأكون من بين أفراد هيئة التدريس في كلية الآداب، في الجامعة اللبنانية، منذ سبع سنوات. وثانيهم حضرة الأب الدكتور فريد جبر الذي سررت بزمالته الفلسفية بالقدر الذي سررت بتفضيله لي البحث « في الفكر العربي » على حد تعبيره - على البحث في الفلسفة الحديثة كا كنت أرى لنفسي . ولقد سرني أكثر أن إشراف الدكتور جبر على هذه الرسالة كان يتسم بالروح العلمي الحق ، بما يتميز به من موضوعية، ودقة، وطول أناة . وثالثهم الأستاذ الدكتور كال الحاج عميد كلية الآداب السابق، ورئيس قسم الفلسفة فيها الذي كان يشجعني على الاستزادة ومتابعة التحصيل .

وهكذا فلقد اقترح على الدكتور فريد جبر أن أحقق مخطوطاً للحارث بن أسد المحاسبي هو مخطوط « العقل » الذي ذكره صديقه — وصديقي فيا بعد — الأستاذ الدكتور جوزف فان إس أستاذ اللغية والتاريخ العربي في جامعة توبنغن في المانيا في كتابه الخاص عن «المحاسبي» وهو باللغة الألمانيية واسمه « العالم الفكري للحارث المحاسبي — بون — ١٩٦١ » . ولقد علم الدكتور جبر أن الأستاذ فان إس كان قد صور مخطوطات كثيرة للحارث فكتب إليه عن طريق معهد الاستشراق الألماني في بيروت يتمنى عليه إرسال صورة عن المخطوط ، فأرسل إليه بمخطوط العقل كا أرسل إليه مخطوطات أخرى للحارث ، بعضها نشر وبعضها لم ينشر ، ومن بينها كان المخطوط القيم « فهم القرآن » .

وأرى لزاماً علي هنا أن أنوه بالمساعدة المشكورة التي كنت ألقاها في زياراتي المتكررة لمعهد الاستشراق الألماني في بيروت ، حيث كنت أجـــد الاندفاع العلمي الخالص لوجه العلم من جميع العاملين في هذا المركز الناشط وعلى رأسهم الدكتوراسطفان فيلد؛ ولقد تسنى لي خلال بعض هذه الزيارات أن

أقابل الأستاذ فان إس فأفيد منه في كثير من وجود البحث الذي كنت بصدد إعداده .

وكان الرأي أن اكتفي بتحقيق كتاب العقل (١) إلا انني بعد مطالعتي للخطوط « فهم القرآن » وجدت ارتباطاً وثيقاً بين المخطوطين مما جعليني أفضل تحقيقها ونشر هما معاً .

أما مخطوط العقل فهو من موجودات مكتبة جار الله في اسطنبول صمن مجموعة تحت رقم ١١٠١ ويقع المخطوط في عشرين صفحة مع صفحتي البداية والنهايه بقياسي ١٣٠٥×٥٠٥ سم، وفي الصفحة عشرون سطراً وهي مكتوبة بالخط النسخي العادي . وأعتقد بأن هذه النسخة هي النسحة الوحيدة .

وأما مخطوط « منهم القرآن » فهو من موجودات المكتبة السليمية في أدرنة بتركيا وتحمل الرقم ٩٥١ ويقع في زهاء مئة صفحة بقياس ١٣×٨ وفي الصفحة ثلاثة وعشرون سطراً وهي أيضاً مكتوبة بالخط النسخي العادي . وهذه النسخة أيضاً هي النسخة الوحيدة الباقية كا ذكر لي الأستاذ فان إس .

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة الموجزة إلا أن أنوه بالمساعدة القيمة التي لقيتها من المجموعة الخيرة من العلماء الشباب الذين وجدت نفسي عامللا في وسطهم في المديرية العامة لشؤون الإفتاء ، فيا كنت أطلب مرجعاً إلا وجدته ولا رأياً فقهياً إلا حظيت به ، ولا بد لي من أن أخص بالذكر منهم الأستاذ رضوان السيد سكرتير تحرير مجلة الفكر الإسلامي الصادرة عن دار الفتوى الذي أضاف إلى جهوده التي ذكر "ت" ، جهده أيضاً في دفع هذه الدراسة إلى المطبعة وفي تصحيحها وإخراجها ووضع فهارسها بالشكل الذي هي عليه . بيروت في ١٩ صفر ١٩٩١ هـ١٩٧١/٤/١٥ م

⁽١) خلال الفترة التي كنت منكباً فيها على إعداد هذه الدراسة نشر الأستاذ أحمد عطا في القاهرة كتاب العقل للحارث ولكنه تضمن كثيراً من السهو والخطأ والاجتهادات الشخصية في تغيير النص مما لم أوافقه عليها، ويستطيع القارىء اكتشاف ذلك كله بالمقارنة بين هذه الدراسة وبسين تحقيقه الذي جاء بعنوان « المسائل في أعمال القلوب والجوارح والعقل » .

الفصي لالأول

. الحارث المحاسي

حياته و مذهبه العقلي

العصر والتيارات الفكرية :

في عام ١٣٢ للهجرة سقطت الخلافة الأموية على نهر الزاب تحت ضربات الشعوبية الزاحفة من خراسان . وكانت هذه الشعوبية مدفوعة بعوامـــل عدة ، أهمها :

عصبية الأمويين للعرب ، واحتقارهم للموالي ، وذهــــاب الفرس مذهب التشييع وقولهم بالحق الالهي لآل البيت في الخلافة .

غير أن الانتفاضة الحضارية الفارسية كانت من أهم الأسباب التي عمقت شقة العصبية ، وزادت من حدة الصراع ، فقد حاولت هذه الانتفاضة الحضارية الوقوف في وجه الحضارة الجديدة التي حملها الفاتحون ، فجاءت تحمل مما لدى الفرس من عقائد دينية وتقاليد سياسية ، وعادت اجتماعية ، فكان ذلك كله ثوباً جديداً خلعته حضارة الفرس على حضارة العرب ، مع حرص كلي على الا يكون في هذا الثوب الجديد خروج سافر على المضامين حرص كلي على الا يكون في هذا الثوب الجديد خروج سافر على المضامين

العقيدية والسياسية والاجتماعية التي عرفها هؤلاء .

ولقد كان من الطبيعي أن تساعد على ذلك حركات فكرية ومذهبية نشأت لدى هؤلاء المتذمرين، وكان من بينها حركة تمكنت، مما لم تتمكن منه حركات عنيفة من قبل فأسقطت الدولة الأموية ، بعد أن عجز عن إسقاطها الشيعة العرب ، بزعامة الحسين أيام يزيد بن معاوية (٦١ – ٦٥ هـ) ، ثم بزعامة زيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى أيام هشام بن عبد الملك بزعامة زيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ) .

واذا كانت ثورة الشيعة قد انطفأت على هذا الشكل أيام الأمويين هؤلاء، فان ثورة القراء أيام عبد الملك بن مروان (٨٠ هـ) وثورات الخوارج المتتالية أيام عبد الملك وابنه الوليد، ومروان بن محمد، قد لقيت على أيدي الأمويين أيضاً ذلك المصير نفسه.

من هنا يتضح لنا أن الحكم الأموي كان يخوض صراعات مذهبية وفكرية على جبهات عدة ، ففي الوقت الذي بدأ فيه الشيعة يركزون دعائم مذهبهم في العقيدة والتشريع ، كان معبد الجهني وابن يسار ، تلميذا الحسن البصري، يدعوان الى حرية الارادة ، ويقولان باختيار الانسان لافعاله ، ثم يثوران مع من ثار من القراء على الأمويين الذين دعوا الى مذهب الجبر . ويحتدم الصراع بين المذهبين ، مذهب حرية الارادة ، ومذهب الجبر فيتطرف أصحاب هذا وذاك غاية التطرف ، فيقول أصحاب المذهب الأول بأنه « لا قدر والأمر أنف » (١) .

ويقول أصحاب المذهب الثاني بالجبر في كل شيء . ونحن نرى على رأس هؤلاء الجهم بن صفران يذهب هذا المذهب ، بل هو تجاوز ذلك الى التأويل

⁽١) أي ان الله لا يقدر حدوث الأفعال ، وهو لا يعلمها إلا بعد حدوثها .

العقلي المتطرف لآي القرآن وظاهر السنة ، كا فعل استاذه الجعد بن درهم في سبيل تدعيم مذهب الجبر وتثبيت أركانه .

وفي خضم هذا الصراع بين الفرق المتعاركة وقف فريقان : فريق سلبي آثر السلامة فانسحب تاركا الأمر في الفصل بين المتخاصمين الى الله في يوم الدين ، وهو فريق المرجئة .

وفريق آخر آثر تحديد موقف ايجابي معتدل من هذا الصراع ، وهو فريق أهل السنة والجماعة ، فحمل لواء الدعوة بزعامة الحسن البصري الى طريق وسط بين الفريقين .

وجاء القرن الثاني الهجري كان الصراع العقيدي والاجتماعي والاقتصادي وقد تمخض عن ولادة فرقة جديدة انطلقت من مدرسة الحسن البصري عُرفت فيما بعد بفرقة المعتزلة التي تزعمها واصل بن عطاء (– ١٣١ هـ) وعمرو بن عبيد (–١٤٤ هـ) ولقد حاولت هذه الفرقة أن تذهب مذهباً وسطاً بالفعل، كمن على أسس غير تلك التي اتخذتها لنفسها جماعات أهل السنة. فقد أخذت فرقة المعتزلة عن الجهمية مبدأ التأويل العقلي، كما أخذت عن القدرية الأوائل القول بالاختيار، فمثلت روح الحضارة الجديدة التي قامت على أساسها الدولة العباسية، وسيطرت على القرن الأول من حكمها.

وبينا كانت دعائم الاعتزال تتركز ، كان الاتجاه السني ، بعيداً عن هؤلاء ، يستمر في حفر قناته ، ويعمقها ، في العقيدة والتشريع ، كا ظهر ذلك في مذاهب الفقهاء الثلاثة:أبي حنيفة (-١٥٠ هـ) ومالك (-١٧٩ هـ) والشافعي (-٢٠٤ هـ) ومذاهب رجال الحديث المعتدلين ثم طوائف الزهاد والعباد الذين انطلقوا من مدرسة الحسن البصري وساروا على خطاه .

واذا كانت مدرسة الحسن البصري في الزهد والعبادة تقوم على عنصر

التوجه الى الله خوفاً من ناره وطمعاً في جنته ، واذا كانت رابعة قد توجهت الى الله محبة له وعشقاً لذاته ، فان اتجاهات الزهد والعبادة تطورت فيا بعد، مع نمو حركة التصوف ، الى طرائق في السلوك والاتجاهات ، السي جاءت متأثرة من غير شك ، بدرجة متفاوتة الشدة عند أصحاب هذا المذهب، ببعض السديانات والحضارات الأخرى كالنصرانية والمجوسية والهندوكية والافلوطينية .

المحاسبي نشأته ودراسته :

في هذا الجو من الصراع العنيف في الآراء الثلاث ولد الحارث بن أسد. المحاسبي ونشأ وتلقى العهل . ورغم الصراع المذهبي العنيف الذي كانت تشهده مدن الامصار بين الصوفية والمعتزلة ورجال الفقه والحديث فقد خيم على القرن الأول من تاريخ الدولة العباسية (١٣٢ – ١٣٧ هـ) عهد من الهدوء والاستقرار والازدهار لم يقطعه إلا فتنة الخلافة بين الأمين والمأمون (١٩٥ – ١٩٨ هـ) ثم استمر مرة أخرى حتى مقتل المتوكل على يد الأتراك (٢٤٧ هـ) .

وكان مولد الحارث في جو المنازعات الفكرية الأول، في البصرة ، حوالي. (١٦٥ هـ) ، فمن البصرة خرجت المعتزلة ، وفي البصرة كانت بيئات. كثيرة من المحدثين والفقهاء تشكل حلقات للدراسة ورواية الأحاديث .

ومما يدل على ذلك أن المؤرخين للحارث يروون ان أباه أسداً العنزي (١٠٠٠ كان قدرياً (٢) بينما كانت أمه عدوة للقدرية .

⁽١) ربما كان عربياً أصيلًا من قبيلة عنزة .

⁽٢) الرسالة ج ١ / ٧٢ .

يدل على ذلك ما روادالخطيب البغدادي عن بعضهم قال: رأيت أبا عبد الله الحارث بن أسد بباب الطاق في وسط الطريق متعلقاً بأبيه والناس قد اجتمعوا عليه وهو يقول له طلق امي ، فانك على دين وهي على غيره (۱) . . ويدل ذلك على ان أباه كان على شيء من الثقافة ، إذ كان القدرية في مجموعهم من المثقفين ، ولا شك أنه يقصد بالقدرية هنا جهاعة المعتزلة ، ومع أنهم نفاة للقدر، فقد أطلق عليهم هذا الاسم لشبههم في هذه الناحية بمعبد ومدرسته! (ون) . ولفقر المعجم العقيدي عند المسلمين في تلك الآونة المبكرة ، كا أوضح نالينو (۲) .

ونشأ الحارث في مجبوحة من العيش ، في تلك البيئة المثقفة ، ويظهر الله كان عيل إلى أمه أكثر من أبيه ، إذ انه من المعروف ان المعتزلة كانوا يكرهون المحدثين ، فلم يكن منتظراً والحالة هذه ، أن ينصرف الحارث إلى حلقاتهم . ومع ذلك فان هناك إشارات في مخطوطة « فهم القرآن » تدل على انه أقبل في وقت مبكر من حياته ، ينهل العلم عن رجال الإسناد هؤلاء . فهو يروي عن هشيم بن بشير (٣) ، وبلفظ « حدثنا » وهي تفيد الرواية المباشرة ، وتدلنا روايته هذه على أنه قد قصد بغداد في وقت مبكر من حياته ،

⁽۱) الخطيب: تاريخ بغداد ج ۸ / ۲۱٪ .

⁽٢) بحوث في المعتزلة ١٧٣ ـ ٢١٠ .

⁽٣) هشيم (١٠٤ - ١٨٣ ه): هو ابو معاوية هشيم بن بشير بنالقاسم الواسطي، الحافظ، أحد الأعلام، سمع ابن عمر والزهري أيام الحج، كما أخذ عن حصين بن عبدالرحمن، والحكم بنعيينة، ومنصور بن زاذان، والعوام بن حوشب، وعمرو بن دينار، وأيوب السخيتاني، والأعمش. وروى عنه مالك بن أنس، والثوري، وشعبة، وابنالمبارك، والقطان، وابن مهدي، وغندر، ووكيع، ويزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، وأبو خثيمة زهير بن حرب، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويعقوب الدورقي، وكان ثقة، كثير الحديث، ثبتاً ، الا أنه اتهم بالتدليس. ترجمته في : طبقات ابن سعد ج ٧ / ٢١ ، تاريخ واسط ١٥٢ - ثبتاً ، الفهرست ٢٢٨ ، مشاهير علماء الأمصار ٧٧١ ، تاريخ بغداد ج ١٤ / ٥٨ - ٤٠ ، ميزان الاعتدال ج ٢ / ٢٠ ، مشاهير علماء الأمصار ١٧٧ ، تاريخ بغداد ج ٢ / ١٨ ، البلقيني على ميزان الاعتدال ج ٢ / ٢٠ ، ح ٠ ، تهذيب التهذيب ج ١ / ١٨ / ٥٩ - ٤٠ ، البلقيني على الأم ج ١ / ٧٠ .

فنشأ وتعلم بها ، إذ أن هشيماً « كان قد انتقل عن واسط قديماً إلى بغداد ك فسكنها ، إلى أن مات فيها » (١) .

ويروي عن مروان بن شجاع (۲) .

وعن وكيعبن الجراح (٣٠. وربما زار المحاسبي الكوفة ، لأن وكيعاً كان بالكوفة ، ولم يخرج منها إلا الى الحج ، فمات في حجته تلك .

ويروي المحاسبي ، رواية واحدة عن كل من عبَّادبن العوَّام (٤) وعليبن عاصم (٥).

⁽١) تاريخ بغداد ج ١٤ / ٨٠٠

⁽۲) مروان بن شجاع (- ۱۸۶ ه) أبو عموو الجزري ، ويعوف بالخصيفي ، لملازمته لخصيف بن عبدالرحمن ، روى عنه سعيد بن سليان الواسطي ، وأحمد بن حنيل، ويحيى بن معين ، وشريح بن يونس . وهو من حران ، نزل بغداد ، فدرس أولاد المهدي . رضيه الأكثرون . وقال ابن حبان : يروي المقلوبات عن الثقات ، لا يعجبني الاحتجاج بخبره اذا انفرد . ترجمته طبقات ابن سعد ج٧ / ٧٧ ، تاريخ بغداد ج ٧ / ٧٤ ، ميزان الاعتدال ج ٤/ ٧١ .

⁽٣) وكيع بن الجراح (١٣٠ - ١٩٧ه) بن مليح الرؤاسي؛ روى عن أبيه وعن الأعمس. وابن جريج، ومالك ، والأوزاعي ، والشوري ، وشعبة ، وابن أبي ذئب ، وابن أبي ليلى ؛ وهشام الدستوائي ، وحاد بن سلمة . وروى عنه شيخه الثوري ، وأولاده ، وابن مهدي ، وأحمد واسحاق ، وأبناء أبي شيبة ، ومسدد . وكان ثقة ، مأمونا ، عالما ، رفيعا ، كثير الحديث ، حجة . ترجمته في :طبقات ابن سعد ج ٢/٥٧ ، ميزان الاعتدال ج ٤/٥٣٣ ، تهذيب التهذيب ج ١ / ٢٣٨ ، والبداية والنهاية ج ١٠ / ٢٣٩ ، تاريخ الخيس ج ٢ / ٢٣٣ ،

⁽٤) عباد بن العوام (- ١٨٥ هـ) الواسطي ، أبو سهل ، من متقني الواسطيين ، وكان. يتشيع ، أقام ببغداد ، وسمع منه البغداديون ، وكان ثقة ، وكان ينزل بالكرخ على نهر البزازين. ترجمته في : طبقات ابن سعد ج٧٣/٧ ، تاريخ واسط ١٧٧ ، مشاهير علماء الأمصار ٥٥٠.

⁽٥) على بن عاصم (١٠٧ ـ ٢٠١ ه) ابو الحسن ، الواسطي ، روى عنه على بن عطاء ، وحصين بن عبد الرحمن ، والعوام بن حوشب ، وغيرهم ، ضعفه الفلاس، ويزيد بن هارون ، والنسائي ، والبخاري . ترجمتة في : طبقات ابن سعد ج ٧ / ٣١ تاريخ واسط ١٦١ ، ميزان الاعتدال ج ١/٥٦١ ، البداية والنهاية ج ١٠ / ٢٤٨ .

وسليمان بن داود الطيالسي ^(۱) ، وأبي نعيم الفضل بن د'كين ^(۲) وأبي بكر ابن أبي شيبة ^(۳) .

ثم تزداد روایاته فیروی روایتین فأکثر عن کثیرین ، أشهرهم : یحیی ین بُکیر (۱) ، وعبدالله بن بکر (۱) ، وحجین بن المثنی (۱) .

- (۲) أبو نعيم الفضل بن دكين (۱۳۰ ۲۱۹ هـ) الكوفي ، درس على الاعمش ، ومسعر بن كدام ، والثوري ، وشعبة ، وشريك ، وأبي عوانة ، والحادين ، وابن عيينة ، وروى عنه ابن المبارك ، وأحمد ، وأبناء أبي شيبة ، وابن راهويه ، وأبو خيثمة ، ومحمد بن سعد ، والبخاري ، وأبو زرعة ، وهو كوفي ، أتى بغداد مراراً ، وكان ثقة مأمونا ، جليل القدر ، لم يجب الى القول بخلق القرآن . ترجمته في : طبقات ابن سعد ج ٦ / ٢٧٩ ، مشاهير علماء الامصار ١٧٤ ، الفهرست ٢٢٧ ، تاريخ بغداد ج ٢ / ٢٤١ ، ميزان الاعتدال ج ٣ / ٥٠٠ البداية والنهاية ج ٥ / ٢٨٧ .
- (٣) ابن أبي شيبة (٣٠٥ه) هو أبو بكر عبد الرحمن بن عبدالملك المدني ، روى عن هشيم ، والوليد بن مسلم ، وخلق ... ، وروى عنه البخاري ، وعبدالله بن شبيب ، وأبو زرعة : ترجمته في : ميزان الاعتدال ج٧٨/٥ ، البداية والنهاية ج ١٠ / ٥١٥ ، تهذيب التهذيب ج ٢/٦ : يقول ان اسمه عبدالله بن محمد أبي رشيبة .
- (٤) يحيى بن بكير (٢٠٩ ه) كوفي الأصل ، سكن بغداد ، وولي قضاء كومات . وحدث عن شعبة وابن طهان ، والحسن بن صالح ، وشريك بن عبدالله ، وعنه حفيده عبدالله وجماعة ، منهم البخاري . ترجمته في : تاريخ بغداد ج ١٩٠/٥ ه ، تهذيب التهذيب ٢٠/٠ ١٩٠/ و منه منه (٥) عبد الله بن بكر (٢٠٨ ه) بصري ، من باهلة ، نزل بغداد ، فسمع منه البغداديون ، وكان ثقة صدوقاً ، ترجمته في : طبقات ابن سعد ج ٧٦/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ١٦٢ ، البداية والنهاية ج ، ٢٦٢/١ ، تاريخ الخيس ج٢/٢٧ .
- (٦) حجين بن المثنى (....) أصله من اليامــة ، نزل بغداد ، وحدث بها عن مــالك بن أنس، وابن الماجشون ، والليث بن سعد ، وعنه : أحمد بن حنبل ، وجهاعة ، منهم المحاسبي وابن معين . وأخطأ محققو طبقــات ابن سعد ، فكتبوا اسمه « حجير » . توفي ببغداد . ترجمته في طبقات ابن سعد ج ٧٨/٧ ، تاريخ بغداد ج ٢٨٢/٨ .

⁽۱) سليان بن داود (۱۱۱ – ۲۰۳ هـ) الطيالسي ، روى خن شعبة والثور ، وأبي عوانة .. وروى عنه جرير بن عبد الحميد ، وأحمد ، وابن المديني ، وابناء أبي شير ، ومحمد ابن سعد ، وجاعـة سواهم .. كان ثقـة ، لكنه يخطىء في الحديث ، ترجمته في : طبقات ابن سعد ج ۱/۷ ه ، تاريخ بغداد ج ۱/۵ ۲ ، ميزان الاعتدال ج ۲/۳ ، البداية والنهاية ج ۱/۵ و ۲ ، تاريخ الحميس ج۲/۵ ..

بيد أن أكثر رواياته (۱) في « فهم القرآن » عن أبي عبيد القاسم بن سلام (۲) والحجاج بن حمَّاد بن سلمة ، (۳) وأبي الفضل (ن) وسنيد بن داود (٥) وشريح بن يونس (٢) ويزيد بن هارون (٧) ، ويقول من ترجموا له ، إنه أكبر أساتذته .

⁽۱) روى أيضاً عن عمر بن طلحة ، واسحاق بن عيسى ، والحسن بن محمد ، وعثات بن محمد ، وعثات بن محمد ، ويوسف (كذا) بن محمد ، ومحمد بن جعفر ، والقثم بن القثم ، وجرير بن خزيمة بن حسازم ، ويوسف (كذا) وعبدالغفار بن داود ، و (معاذ؟) وابن أبي مريم (نصوح؟) ويونس بن محمد ، ومبشر ، وأبو سفيان ؟ وخلف بن هشام .

⁽۲) أبو عبيد القاسم بن سلام (۱۵۷ – ۲۲۶ ه) ولد بهراه ، طلب الحديث واللغة ، فأخذ الحديث عن هشيم ، وابن عبينة ، ويزيد بن هارون ، واسماعيل بن علية ، والقطان ، وابن مهدي ، وأخذ اللغة عن أبي زيد ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، واليزيدي ، وابن الأعرابي ، وابي عرو الشيباني ، والكسائي ، سكن بغداد ، ثم ولي قضاء طرسوس ، وجاور في سنوات عمره الأخيرة بمكة. أشهر كتبه غريب الحديث ، والأمرال ، وثقة الجميع ، ولم يتكلم فيه أحد. ترجمته في:طبقات ابن سعد ج ۱/۳۰ ، تاريخ بغداد ج ۲/۲ ، ، ميزان الاعتدال ج ۱/۳۷ ، وفيات الأعيان ج ۲ / ۲ ، ، البداية والنهاية ج ، ۱ / ۲۹۱ .

⁽٣) ابن المحدث المشهور حماد بن سلمة ، قرين حماد بن زيد في مشيخة الحديث بالبصرة .

⁽٤) ربحا كان المحدث المدني المعروف سالم بن أبي أمية ، وهو مولى لعمر بن عبدالله بن معمر التيمي القرشي ، ومن متقني أهل المدينة وعقلائهم : مشاهير علماء الأمصار ١٣٣ . لكننا لا فعلم أن المحاسبي زار المدينة ، فأخذ عن علمائها ، فالأقرب الى الصواب ، أن يكون المروي عنه « أبو نصيرة » الواسطي ، واسمه مسلم بن عبيد ، روى عنه هشيم بن بشير ، ويزيد بن هارون استاذا المحاسبي فربما روى عنه المحاسبي بطريقها ؟ الميزان ج٤/٤٠٠ ، ولسان الميزان ج٧/٨٤ .

(٥) سنيد بن داود (– ٢٣٦ ه) المصيصي المحتسب ، واسمه الحسين ، روى عن حاد بن زيد ، وهشيم ، حافظ ؛ له تفسير ؛ وله ما ينكر ، روى عنه أبو زرعة ؛ والأثرم ؛ وجماعة . وثقة أبو حاتم ؛ وضعفة أبو داود والنسائي . ترجمته في : ميزان الاعتدال ج ٢/٢٣٢ ؛ البداية والنهاية ج ٢٠ ١٠٤٠ .

⁽٦) شريح بن يونس (- ٥ ٣٣ هـ) هو شريح - وضبطه الخطيب وابن النديم : سريج - ابن يونس ؛ أبو الحارث المروروزي ، سكن بغداد ؛ وحدث بها عن سفيان بن عيينة ؛ وهشيم ؛ ومروان بن شجاع ؛ وعنه : مسلم ؛ وأبو زرعـة ؛ والبغوي ؛ وأبو حاتم . وثقه أبو حاتم ؛ وأثنى عليه أحمد. ترجمته في : طبقات ابن سعد ج ٧/٤ ٩ ؛ تاريخ بغداد ج٩/٩ ٢ ؛ البداية والنهاية ج ١/٥/١ ؛ الفهرست ٢٣١ .

⁽٧) يزيد بن هارون (١١٨ - ٢٠٦ ه)بن زاذي بن ثابت الواسطي ؛ حدث ببغداد؛ ثم=

و يقول عنه المسعودي في مروج الذهب «عمدة أهل الحديث في علمهم ، وعظيم من عظهام، » أما في كتاب « العقل » فهو يروي عن عفان البصري (١١) .

ويدلنا هذا على ان أساتذته البارزين في الحديث هم هشيم ، وشريح . بن يونس ، ويزيد بن هارون ، وأبو النضر ، وحجاج ، و، نيد بن داود .

ونستنتج من نوعية رواياته الأولى في الحديث آنه كان ميتم بالمسائل التقهية فرواياته الثلاث عن « هشيم » ، تبحث في العدة ، وتوبة الزاني ، ومعادير الزكاة ، والصدقات .

ثم انه تتلمذ على « الشافعي » (١٥٠ – ٢٠٤ هـ) في رحلته الثانية الى بغداد (١٩٥ هـ) ^(٢) .

وأخذ علوم اللغة والقرآن عن علمها الأول في ذلك العصر ، أبي عبيد القاسم بن سلام ،صاحب الكتابين المشهورين (غريب الحديث) و (الأموال). ومما له دلالته ان رواياته عن أبي عبيد تدور كلها حول مسائل قرآنية لها صلة باللغة ، كمفهوم العام والخاص ، والناسخ وللنسوخ (٣)، وكأن الحارث قد

⁼ عاد الى موطنه ؛ سمع من مشايخ واسط؛ وبغداد والشام؛ وهو أكبر تلامـذة حياد بن سلمة ؛ روى عنه أحمد ؛ وابن المديني ؛ وأبو خيثمة ؛ وابن أبي شيبة ؛ وخلق . كان ثقة ؛ حافظاً ؛ متقناً ؛ إماماً . ترجمته في : تاريخ واسط ١٥٨ ؛ طبقات ابن سعد ج ١٧/٧ ؛ مشاهير علياء الأمصار ١٨٧ ؛ تاريخ بغداد ج ٤ /٧٣٠ ؛ البداية والنهاية ج ١/٩٥٠ تهذيب التهذيب ١٦/٢ ؛ تاريخ الخيس ج ٢/٥٣٣ .

⁽۱) عفان بن مسلم (۱۳۶ ـ ۲۲۰ ه) الصفار ؛ البصري ؛ وكان ثقـة ؛ ثبتًا ؛ كثير الحديث؛ حجة ؛ أبى أن يقول بخلق القرآن ؛ وثبت على معتقده رغم قطع أعطياته . وثفة ابن معين وأحمد وغيرهما. له ترجمة في : طبقات ابن سعد ج ۱/۷ ه ؛ ۷۸ ؛ البداية ج ۱/۳ ۸ ميزان الاعتدال ج ۱/۳ م.

⁽٢) البغدادي : أصول الدين ٣٠٨ . وقد شكمك ابن الصلاح في صحبة المحاسبي للشافعي : تهذيب التهذيب ج٦/٣ .

⁽٣) الخاص: كل لفظ موضوع لمعنى معلوم على الانفراد؛ وكل اسم لمسمى معلوم على الانفراد. والعام: كل لفيظ ينتظم جمعاً من الأسماء؛ لفظاً أو معنى .. أصول السرخسي ج٢/٢٠ النسخ: ورود دليل شرعي متراخياً عن دليل مقتضياً خلاف حكمه: التلويح على التوضيح ٢/٢٣

أدرك منذ وقت مبكر ان مدار النزاع حسول القرآن مركز على المسائل اللغوية ، وكيفيسة فهم كلام العرب ، وحول هذا الموضوع تدور روايته الوحيدة عن الطيالسي ، وأكثر مروياته عن يزيد بن هارون ، وكل مروياته عن شريح بن يونس .

ونحن لا نعرف الشيء الكثير عن وقائع حياته الأولى إلا خروجه من البصرة الى بغداد في صغره .. وربما كانت تلك ، رحلته الأولى ، وقد خرج فيها مع أهله جميعاً لأننا نفهم من واقعته مع والده انها كانت في (باب الطاق) وهي محلة بغدادية . كما اننا نستطيع أن نخمن من رواياته عن هذه الكثرة من المحدثين انه قضى شبابه في بيئات المحدثين والفقهاء ، مما سيكون له أثره العميق في اتجاهه بعد ذلك . وقد تجاوز هذا الأثر الاتجاه العام الى طريقته في التأليف ، وهي تشبه من بعض الوجوه طريقة أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابيه في (غريب الحديث) و (الأموال) .

وربما كان الرجل قد تزوج في هذه الفترة الهادئة نسبياً من فترات حياته، لأننا نعلم ان كل من ترجموا له يقولون انه (ابو عبدالله) وإن كنا لا نعرف شيئاً عن أولاده .

أما من الناحية المالية ، فتفيد الروايات ان أباه ترك له مبلغاً كبيراً يبلغ سبعين ألف درهم كما يقول القشيري (١) أو ثلاثين الف دينار كما يقول الكلاباذي (٢) لكنه لم يأخذ شيئاً من هذا المبلغ الكبير.

قال تلميذه محمد بن مسروق « وخلـتف أبوه ضياعا وعقارا فلم يأخذ منها شيئًا "" . أما الكلاباذي فيعلل ذلك بأن أباه كان يقول بالقدر (؟) .

١) الرسالة ج١/٢٠.

⁽٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ١١٣.

⁽⁺⁾ الرسالة ج١/١٠ . ٧٢/١ .

ويقول تلميذه إبن مسروق انه فعل ذلك بدوافع ورع وخشية لأن الرواية صحت عن النبي عليه إنه قال (لا يتوارث أهل ملتين شيئًا)(١) . لكن السبكي يقول انه زهد في مال أبيه لأن أباه كان رافضيًا لا قدريًا(٢).

وأياً كان مذهب والده فإن في مسلكه هذا ، بالانافة إلى موقفه من والده في باب الطاق، وطلبه إليه أن يطلق أمه فيه، أقول: ان في عسلك هذا من التطرف ما لا يستساغ. وربما لم تكن هذه الرواية صحيحة عنه لا في حقيقتها بل في دوافعها ، فقد يعرض عن مال والده، بدافع الورع لا بدافع التكفير ، إذ ان الحارث لا يكفير المعتزلة (الراجح هنا أن معنى أنه كان قدريا أي معتزلياً) . كا أنه لا يكفر الرافضة ، بل يكتفي بتبديعهم فقط ، فيقول في كتابه « فهم القرآن »: « ادعى علينا بعض أهل البدع من المعتزلة » . ويقول: « وقد أدعى بعض أهل الضلال فزعموا أن الله عز وجل المعتزلة » . ويقول: « وقد أدعى بعض أهل الضلال فزعموا أن الله عز وجل في كل مكان بنفسه » وهو يتحدث بالنغمة نفسها عن الرافضة في باب « الناسخ والمنسوخ » ، لكنه لا يصر ح بتكفيرهم .

وعلى أي حال فإن الروايات التي رواها المؤرخون لحياة الحارث تفيد أنه كان فقيراً جداً ، بل كان محتاجاً إلى دانق كا يقول تلميذه ابن مسروق (٣) . وفي رواية أخرى أنه كان جائماً وأنه أثر الجوع بدا عليه حتى لاحظ تلميذه الجنيد ذلك في وجهه (١). هذا ولما كان الحارث وحيد أبويه فإنه عندما رفض أن يأخذ من مال أبيه شيئا آل كله إلى بيت المال. كما ينص على ذلك مذهب الشافعي (٥) .

وقد اعتدلت آراؤه بعد ذلك فيا يتصل بهذا الأمر، إذ نراه في كتبه المتأخرة يروي وبشكل محايد، آراء العلماء في أخذ المال الذي خالطه الحرام، فيستهجن رأي

[.] $v\tau/1 = 1$ | $v\tau/1 = 1$ | $v\tau/1 = 1$ | $v\tau/1 = 1$

⁽٥) العطار: تذكرة الأولياء ٢٢٥ - ٢٢٩.

من قال أنه يحل له أن يأخذه كله إن كان إرثاً ، والإثم على من كسبه ، ويصف المحاسبي هؤلاء العلماء بأنهم (متفقهة) ، كما يرى في رأي الذين يقولون باجتناب هذا الإرث كله بداءي الورع غلواً لا مبرراً له. والحق أن النظرة المتأنية عند المحاسبي تقضي بأن يؤدي الوارث إلى من ظلمه مورثه ما ظلمه فيه ، ويبقى له هو الحلال الزكي (۱).

أما تلقيب الحارث « بالمحاسبي » فقد يكون عائداً إلى هـذه الفترة من حياته لما اشتهر عنه بعد هذه الحادثة ، من قسوة على نفسه ، وتورع عن أكل مال الشبهات .

يقول المناوي: « سمي المحاسبي لكثرة محاسبته نفسه أو لأنه كان له حصى يعدها ويحسبها وقت الذكر »(٢).

ويروي القشيري عنه أنه كان لا يأكل من طعام فيه شبهـة ، فكان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال (٣). وفي ذلك يقول الحارث: «إن بيني وبين الله سبحانه علامة أن لا يسو غني طعاماً فيه شبهة ، فلم يمكني ابتلاعه »(٤).

وسواء كانت العلامة بينه وبين ربه عرقا في يده، أو امتناعاً في بلعومه، فإن هذا — إذا صح — يدل على مبلغ ورعه، وشدة محاسبته لنفسه. وسنرى فيما بعد أنَّ هذه المحاسبة كانت ركناً من أركان مذهبه الصوفيّ.

منعطف الطريق:

قال المحاسبي: « مضت على ثلاثون سنة لم أسمع فيها شيئًا إلا من رأسي، ثم دارت على ثلاثون أخرى لم أسمع فيها شيئًا إلا من الله »(٥).

⁽١) المسائل في أعمال القلوب والجوارح ٢١٢ .

⁽٢) الكواكب الدرية ج١/ ٢١٨ . (٣) الرسالة ج١/ ٧٠٠ .

⁽٤) الرسالة ج١/٧٠.

وهذه الكلمة هامة جداً في تحديد الفترة التي بدأ فيها تحول الحـارث عن. علوم الفقهاء والمحدثين ورجال علم الكلام ، إلى مذَهبه المتميز عن مـذاهب هؤلاء جميعاً. فإذا تذكرنا أنه وُلد حوالي (١٦٥ ه) ، فإننا نستطيع أن. نقول إن تحوّله بدأ قبيل العقد الأول من القرن الثالث الهجري .

ومما يدعم هذا الرأي إنعام النظر في نوعية الأحاديث التي كان يرويها عن . شيوخه ويُعنى بها عناية خاصة أبان تلك الفـــترة • فهو يروي • كل من الطيالسي (٣٠٠ هـ) ويزيد بن هارون (٣٠٠ هـ) . ونحن نرى أن هذه الأحاديث تدور كلها حول كيفية فهم القرآن . كما نلاحظ أنه إلى تلك الفترة تقريباً ، يعود اهتامه بأقوال من يسميهم ، الحكماء وبعض رجال السلف كوهب بن منبه اليهودي الذي أسلم ، ومجاهـــد صاحب الأقوال الغريبة في التفسير ، والحسن البصري ، الذي أخذ الحارث بكثير من أقواله في كتابه الرعاية » .

وإذا كان هذا هو الجو الشخصي الذي عاشه الحارث بن أسد والذي كان يتسم بكثير من التقى والورع، فإن الجو الإجتاعي كان على نقيض ذلك تاما . ذلك أننا إذا رجعنا قليلا إلى الوراء نجد أن التحفظ الذي انتهجه السفاح (١٣٢-١٣٨ ه) والمنصور (١٣٦-١٥٨ ه) قد تلاشى أيام المهدي (١٥٨-١٣٦ ه) ليتعاظم الترف وتكثر الأموال المبذولة في شراء الجواري والمغنين، ولتنتشر في أجواء مختلف الطبقات عادات الحضارة الجديدة، فيطرحون وراءهم الكثير من دعوات الورع والصيانة، وتزداد الأموال تدفقاً على خزائن الدولة بسبب الاستقرار الذي عم أقطارها، فيسرف هارون الرشيد (١٧٠-١٩٥ ه) في الإنفاق. ويجهر الخليفة وعلية خاصته بشرب الخر، وسماع القيان، ويكثر البذل والعطاء للشعراء الذين يتبارون في امتداح الخليفة ووزرائك البرامكة، (١٨٧ ه) الذين يسرفون في العطاء، حتى لئتروى في شأن علما علما الأساطير. ويبدو أن الترف قد بلغ في ذلك الزمن منتهاه، ومعذلك علما أمروب جديدة

من الترف لم تكن معهودة قبله فتصبح مدينة المنصور مدينة للملاهي، ومكاناً لطرح التحفظ ، والجري وراء اللذة السانحة .

م ويختل التوازن الذي أقامه المنصور في طبقات السلطة ، ويتفشى سلطان الفرس في إدارات الدولة ، فيفتك بهم الرشيد فتكته المشهورة ، فينتقمون منه في شخص خليفته وولده الأمين . وتنشب معارك طاحنة بين الأمين الخليفة ، وشقيقه المأمون ولي عهده ، الذي يريد الاحتفاظ بمنصبه أمام إصرار الأمين على نزعه عنه ، وفي مدة لا تتجاوز الشهور ، ينقلب كل شيء رأساً على عقب ، فتقفر مرابع بغداد ومغانيها ، وينشر الخراب والموت شبحها المرعب فوق العاصمة ، التي حوصر فيها الأمين من قبل طاهر بن الحسين ، القائد الفارسي لجيوش المأمون ، وينتهي الأمر بمقتل الأمين، ودخول طاهر بن الحسين بغداد .

عندما كانت الأحداث تتسارع على مسرح المدينة ، كان المعتزلة يوطدون مراكزهم ويكسبون الكثير من الأنصار ..

وكان خصومهم من المحدثين يردرن عليهم ويقذفونهم بتهم البدعة والفسق والكفر ...

وكان الصوفية من جهة أخرى يزدادون بعداً عن الحياة العامة ، وانطواءً على أنفسهم ، واستغراقًا في ذواتهم ، وهياماً في أرجـاء الصحراء العراقية المترامية الأطراف ، بعيداً عن صخب الحياة الاجتاعية والسياسية .

وما أن دخل المأمون بغداد حتى سارع المعتزلة إلى الانضواء تحت لوائه وحضور مجالسه ، وكانت لهم دالة عليه ، لأرن استاذه اليزيدي كان منهــــم .

ثم كانوا هم وحدهم الذين يستطيعون أن 'يرضوا الترف العقلي الذي كان الخليفة من عشاقه .

ولم يمض إلا القليل حتى كان ابن أبي دؤاد (- ٢٣٩ هـ) يتصدر مجالس المأمون مع بشر المريسي (- ٢١٩ هـ) عدو المحدثين الأول ، وثمامة ابن أشرس ،

الذي أفضى به تطرفه في مذهبه العقلي إلى ألوان من المجون أثارت عليه سخط الكثيرين ، ثم أبو الهذيل العلاّف (-٢٢٧ه) . وكانت تلك المجالس ندوات سياسية وعلمية ، تقام للجدل في مختلف المواضيع .

وهكذا وقع المأمون تحت تأثير جماعتين : الفرس وميولهم شيعية وبوحي منهم أقام ولياً للعهد من سلالة على ، هو على بن موسى الرضا . والمعتزلة : وبتأثير منهم بدأ يقرّب إلى مواقع السلطة رجال التأويل ، وحلم دلام ، ومترجمي اليونانية والسريانية .

وبدأ أتجاه المأمون إلى الإعتزال بداية معتدلة. ففي «المروج» أن المأمون هجا ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة عمد ، وكان يظهر التسنن ، كما كان المأمون يظهر التشييع (١). ثم ازداد ضغط ابن أبي دؤاد عليه فتقدم خطوة أخرى في طريق فرض مذهب المعتزلة .

ففي سنة (٢١٢ ه) نادى منادي المأمون : برئت الذمة من أحــد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله وتكلم في أشياء من التلاوة وقال انها مخلوقة (٢). بل أراد ايضاً أن يلعن معاويــة على المنابر فأضطربت لذلك العامة فتراجع (٣).

ثم كانت خطوته الثالثة أن حاول فرض المذهب على العلماء والعامة (٢١٧ و ٢١٨ ه) ابان خروجه لغزو الروم ، فأمر صاحب شرطته اسحق بن ابراهيم باستدعاء محدثي بغداد ، وفقائها ، ودعاهم إلى القول بخلق القرآن فأجاب إلى ذلك أكثرهم بعد لأي ، ما عدا ابن حنبل وابن نوح فحملا إلى المأمون بالرقة ، فبلغهم نعيه في الطريق ، فقفلا عائدين ، فهات ابن نوح ، وأطلق سراح ان حنبل مؤقتاً .

⁽١) مروج الذهب ج ٢/٧١٠ .

⁽٢) مروج الذهب ج٢/٨٤ . وتتمة المختصر لابن الوردي ٢١٨ .

⁽٣) مروج الذهب ج٢/٢٤٣.

وخلف المعتصم المأمون (٢١٨ – ٢٢٧ ه) ولم يكن على عـلم بمذاهب المعتزلة ، لكنه كان عظيم الإكبار لأخيه المأمون ، فنفذ وصيته في اتخاذ ابن أبي دؤاد مشيراً عنـده ، وحمـل الناس على القول بخلق القرآن . وفي سنة (٢١٩ ه) ضرب المعتصم احمد بن محمد بن حنبل زهـاء بضع وثلاثين سوطاً ليقول بخلق القرآن فأبى . وانتشرت الفتنة ، وعمت المحنـة كل الأوساط ولهجت بها ألسن العامة . ولم تنقض المحنة بموت المعتصم (٢٢٧ ه) .

ذلك أن الواثق سلك مسلك أبيه وعمـه في القول بالعدل ، فقتل في سنة (٢٣١ ه) أحمد بن نصر الخزاعي المحدث ، في محنة القرآن (١) .

وفي سنة (٢٣١ ه) أيضاً ، ورد كتاب الواثق على أمير البصرة بامتحان الأئمة بخلق القرآن ، وكان قد تبع أباه في امتحان الناس (٢) .

وفي الوقت نفسه ، أمر أحمـــد بن حنبل أن يتوارى في منزله ومُنع من الخروج والتحديث (٣) .

واستمر الحال على هذا المنوال حتى وفاة الواثق (٢٣٢ ه) .

في تلك الفترة الواقعة بين (١٩٥ و٢١٢ ه) كان الحارث المحــاسبي يمر عبر حلة تحول في أفـكاره وسلوكه ، فقد رأى الترف يشيع في الأوساطفيفسد عليها حياءها ، كما رأى العقل يطغى لدى المعتزلة حتى ليحاولون ، وهم دعاة الحرية ، أن يفرضوها على الناس بالسيف والسوط .

ورأى مقدار هوان النفس المحرمة المصونة عند الله ، في الفتنة الضارية بين الأمين والمأمون ، وأدرك أن حملة المحدثين الحاقدة على العقل ورجاله عزلتهم هم ايضاً عن مراكز التأثير مما لم يعد يفيد الموقف في شيء ، فأخذ يعيد النظر

⁽١) المروج للمسمودي ج ٢ / ٥٥٦ – ٣٦٣ .

⁽٢) الذهبي : المبر في خبر من غبر ج ١ / ٢٠٠ .

⁽٣) المروج/الصفحات نفسها .

في كل ما كان قد تعلمه، وحرص عليه، واتخذه لنفسه سيرة حياة. ولا شك أنه واطلع على أقوال المعتزلة وفهمها ، بدليل أنه رد عليها بقوة وفهم في « فهم القرآن » . كما الطع على مذاهب المحدثين أثناء دراسات الطويلة عليهم . وعرف فقه الرأي من الأحناف الذين كانوا قضاة بغداد والأقاليم فهو يروي في « الرعاية » عن أبي يوسف أكبر تلامذة الأمام الأعظم أبي حنيفة . كما درس على الشافعي مذهبه ومذهب أستاذه الإمام مدلك . ولم يقمير في الاطلاع على مذاهب الصوفة من أمث ال الحسن البصري (١١٠ ه) وإبراه م بن أدهم مذاهب الصوفة من أمث الطائي (١٦٦ ه) والفضيل بن عياض (١٨٧ ه) .

وعلى آراءمعاصريه أمثال شقيق البلخي (١٩٥ه) ومعروف الكرخى (٣٠٠ه) وبشر الحافي (٢٢٧ه) وذي النون المصري (٢٤٥ه) والسري السقطي (٢٥١ه) ويدل على اطلاعه على أقوالهم تأثره بهم ومشابهة أقواله لأقوالهم ، في كثير من النواحي ، ثم عرضه المفصل والدقيق لآراء هؤلاء جميعاً في كل المسائل الدينية التي بحثها خصوصاً في « المكاسب » و « المسائل » و « المسائل » و « المسائل »

هذا الاطلاع الواسع على آراء كبار رجال عصره جعل الحارث يقف من هذه الآراء موقف الناقد الذي يأبى أن يقبل شيئًا إلا إذا ظهرت حجته بعد أن أدرك أن المحدثين الذين عاش في بيئاتهم كل شبابه لا يستطيعون أن يرضوا فيه نزعته المتطلعة إلى المزيد من الحقيقة ، والمزيد من النور .

وربما كانت كتبه : الخلوة ، والوصايا ، وآداب النفوس ، من نتاج هذه الفترة .

وقد كان في تركه لبيئات المحدثين والمتكلمين والفقهاء متطرفاً بعض الشيء ، حتى كاد يقف في الجبهة المقابلة لهؤلاء جميعاً . ثم بدأت حواسه النقدية تتنبه من جديد بعد أن اجتاز أزمته الروحية التي يرجح أنها بدأت بسعد خلافه مع والده حول رأيه في القدر .

ولتحديد موقف الحارث من هذه الفرق والاتجاهات جميعاً ، لا بد لنا

من الرجوع إلى ما يذكره الحارث نفسه في مقدمة «الوصايا» من أنه نظر إلى العصر بمنظار حديثي الرسول: «ستفترق أمتي اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ». و « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كيا بدأ ، فطوبى للغرباء ». وهكذا بدأ يبحث عن الفرقة الناجية الغريبة بين الفرق المتكاثرة المتطاحنة ، « فلم أزل برهة من عمري أنظر اختلاف الأمة ، والتمس المنهاج الواضح ، والسبيل القاصد ، وأطلب من العلم والعمل ، واستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء ، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء ، وتدبرت أحوال الأمة ، ونظرت في مذاهبها وأقاويلها ، فعقلت من ذلك ما قدر لي ، ورأيت اختلافهم بحراً عمقاً غرق فيه ناس كثير ، وسلم فيه عصابة قليلة »(١) .

هذا الاطلاع الواسع لم يضعف ملكته النقدية، وبعد الغربلة لم ير فيغرباله إلا أقل القليل .

انه لا ينسى أن يطلعنا في هذا المجال على حقيقة هامة هي أنه كان ما يزال في أوساط الفقهاء والمحدثين يقدم رجلًا ويؤخر أخرى .

أما رأيه في عصره فيبدو في فقرته التالية « إني تدبرت أحوالنا في دهرنا هذا ، فأطلت فيه التفكر ، فرأيت زمانا مستصعباً ، قد تبدلت فيه شرائع الإيمان ، وانتقضت فيه عرى الإسلام ، وتغيرت فيه معالم الدين ، واندرست فيه الحدود ، وذهب الحق وباد أهله ، وعلا الباطل وكثر أتباعه ، ورأيت فتنا متراكمة يحار فيها اللبيب ، ورأيت هوى غالباً ، وعدوا مستكلباً ، وأنفساً والهة عن التفكير ، محجوبة قد جللها الرياء ، فعميت عن الآخرة ، فالضائر والأحوال في دهرنا بخلاف أحوال السلف وضمائرهم)(٢).

⁽١) النصائح ، أو الوصايا : ٢٧ ط : عطا .

⁽٢) النصائح أو الوصايا : ٣٣ ط : عطا .

وباختصار فقد رأى الحارث أن زمنه هـــذا هو الذي قصده الرسول بقوله إن « الإسلام سيعود غريباً » .

والراجح أنه يشير في المقطع الأخير من كلامه إلى الفتنة بين الأمين والمأمون على مثله الأعلى والمأمون ألى المعتزال، ويطلعنا في هذا الصدر على مثله الأعلى الذي اخذه عن المحدثين وهو (أحوال السلف وضمائرهم).

والفقرة التي تأتي بعد ذلك تجعلنا نكاد نجزم بأنها تدور حول سيطرة المعتزلة منذ بدء خلافة المأمون على الجو الفكري تماماً ، ولنقرأ فكر . . . « وبلغنا عن رسول الله على انه قال: يأتي على الناس زمان المستمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر ، وقوله الحق على الله أجلس به أجر مئة شهيد . . وإنه بلغنا – والله أعلم – أن الرجل ليسلب إيمانه وهو لا يشعر ، وأن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع وما معه من دينه شيء . .

على أن الله لم يخل دنياه من غرباء على عصرهم ينتمون إلى فرقـة الرسول الناجية ... فقيض لي الرؤوف بعباده ، قوماً وجدت فيهم دلائل التقوى ، وأعلام الورع وإيثار الآخرة على الدنيا » .

ثم يصف أولئك القوم وصفاً مفصلاً ، نفهم منه بيقين أنهم الصوفية ، وبطريقة تذكرنا بطريقة الغزالي المشهورة في مقدمة منقذه : « فهم أئمة الهدى . . يرضون بالصبر على البأساء والضراء ، والرضى بالقضاء والصبر على النعاء ، فقهاء في دين الله ، ورعين عن البدع والأهواء ، . . تاركين للتعمق والإغلاء . . ، مبغضين للجدال والمراء . . ، متورعين عن الاغتياب والظلم ، خالفين لأهوائهم ، محاسبين لأنفسهم ، ورعين في مطاعمهم وملابسهم وجميع أحوالهم ، مجانبين للشبهات ، مجتزئين بالبلغة من الأقوات ، متقللين من المباح ، وجلين من المعاد ، . . علماء بأمر الاخرة وأقاويل القيامة ، . وذلك أورثهم الحزن الدائم والهم المقيم ، فشنعلوا عن سرور الدنيا ونعيمها » .

إن قراءة هذه الفقرة ترينا أن المحاسبي في حياته الواقعة ، حاول تحقيق

المثل الاعلى الذي تحدث عنه في مقدمة وصاياه، فهو يذكر أن من سمات هؤلاء الورعين « المحاسبة لانفسهم، والورع في مطاعمهم، والبعد عن مواطن الشبهة، وارتداء خشن الملبس » .

وكلها أمور عُرفت عن المحاسبي واشتهر بها .

ويتابع المحاسبي - استاذ الغزالي - الحديث عن أحواله النفسية فيخبرنا أنه عندما اطلع منهم على كل هذا:

«أصبح راغباً في مذاهبهم ، مقتبساً من فوائدهم ، قـابلاً لآدابهم ، محباً لطاعتهم ، لا يعدل بهم سبباً ولا يؤثر عليهم أحداً ... ففتح الله علي ، علماً اتضح لي برهانه ، وأنار لي فضله ، ورجوت النجاة لمن اقتربه ، أو انتحله وألفيت الفوز لمن عمل به ، ورأيت الاعوجاج فيمن خالفه .. فاعتقدته في سريرتي ، وانطويت عليه بضميري ، وجعلته أساس ديني ، وبنيت عليه أعمالي ، .. وسألت الله عز وحل أن يوزعني شكر ما أنعم به علي (١)».

سلوك للطريق ، فمجاهدة ، فوصول ، هـذه هي الحياة لدى الصوفية ، وهو ما كان من المحاسبي ، فقد التزم ورعهم وتقواهم ، ففتح الله عليه ، وكشف عن بصيرته. وبغير تأثير من أحد، إلا ملكته الناقدة ونفسه الكبيرة، صار الحارث صوفياً.

الصوفي المتميز :

لا شك أن طبيعة الحارث الرقيقة ذات الاتجاه الفريد ، بالإضافة إلى تأثير المحدثين والفقهاء ، جعلاه ، يبتعد عن المعتزلة ، وإن أعجبته أساليبهم في الحبجاج ومقارعة الخصوم أول الأمر ، ونحن لا نستطيع أن نقول عن الحارث كما نقول عن الكثيرين من المثقفين انه أدرك ، وبعمق ، حدة المشاكل التي تعترض المفكر ، فهرب منها واندفع في تصوفه .

⁽١) الرصايا أو النصائح ٣٢-٣١ .

ذلك أن الحارث بتركه لأوساط المحدثين والفقهاء ، كان يعلن وبصراحة ، أن جمود هؤلاء عند النصوص ، وشدتهم في الأخذ بظواهرها ، إنما يحجب عن أعينهم آفاقاً رحبة من الفهم ، كان من الممكن الوصول إليها لو اطرحوا تحفظهم الذي لا مبرر له . ومخالفة الحارث لهؤلاء في اسلوبه الذي في كتبه ، قدل على أنه حاول أن يوفق بين أمرين : أسالب رجال الإسناد ، وحجاج رجال علم الكلام ، لأنه رأى في أسلوبرجال علم الكلام بحالاً أو سم الاقناع وإن كانت حججهم في مضمونها باطلة ، كما اعتقد .

وإذا لم يستسغ الحارث تطرف تلك الحجج العقلية ، فهل انتهت مشاكله بالانضهام إلى الصوفية ؟!

لا . لم تنته .

لأن أجواء الصوفية في ذلك العصركانت متطرفة في تجاهلكل من المحدثين والمتكلمين على حد سواء ، فلم يكن للعقل في أوساطهم مجال . ويكاد المرء يظن أنه لم يكن للنقل ايضاً لديهم كبير مجال ، لأنهم كانوا يبدأون من النقل الكنهم كانوا ينتهون نهايات ليست نقلية ولا عقلية .

وشهد ذلك العصر ظهور طائفة فكرية جديدة عاداها رجال العصر جميعاً بمختلف نزعاتهم . درست تلك الطائفة على رجال الإسناد، كما درس الحارث، وعرفت مذاهب المعتزلة معرفة عميقة كما عرفت مذاهب الصوفية ، وحاولت أن تخرج بشيء جديد من هذا كله. رأت أن السيطرة المعتزلية قد استشرت، وستظل كذلك لا لحق فيها بل لضعف في مناهج خصومها وأساليبهم في مقاومتها ...

كما رأت أن الصوفية يصيبون في أسلوبهم الحياتي ، لكنهم يخطئون في تجاهل المعتزلة والمحدثين وهم رجال العصر ، إذ يعتصمون وراء هـالة من الأسرار والهواجس التي تثير عليهم كل هؤلاء . على انها لم تتُغفل حقيقة هامة هي : أنه وإن تطرف المعتزلة في اعتبار العقل ، فإن من يريد أن يقف في

وجههم لا يجوز له أن يتجاهل العقل ، لا لشيء إلا لأن خصومه يحترمونه .

الحق إذن عند هذه الطائفة الفكرية الجديدة هو في « نقـل » المحدثين المفهوم في ضوء العقل ، وهو في سلوك الصوفية الذي يغص بأعلام سَمَوا عن الدنيا وشهواتها ولاذوا بجناب الله ورتعوا في رحاب رضاه .

ولقد كان العصر يفرض على هذه الطائفة أن تظهر ، وتعلن عن مذهبها ، قبل فوات الأوان ، وقبل تضاؤل الأمـــل في إمكان الصراع مع الفلاسفة والمعتزلة . وقد كان كل ذلك .

و ُقد ّر لهذه الطائفة الفكرية الجديدة أن تأخذ مكانها على مسرح الصراع و ُقد ّر لهذه الكلابية بزعامة عبدالله بن سعيد ابن كـُـلا ّب ، وزميليه الحارث بن أسد المحاسبي ، وأبي العباس القلانسي .

أما فيما خص الحارث فيقول الخطيب: «ان الحارث كان ينظر في الكلام ويصنف فيه»(١). ويقول ابن حجر نقلًا عن الخطيب البغدادي « إلى الحارث يُنسَبُ أكثر متكلمي الصفاتية »(٢) . ويقول المناوي نقلًا عن ابن الأثير انه « أول من أثبت الصفات »(٣) .

لقد كان للحارث إذن مذهب كلامي بل كان يتزعم طائفة من المتكلمين هي طائفة الصفاتية . وسنعود إلى هذا فيما بعد .

والمهم الآن أن نعرف أن معاصريه ، صوفية كانوا أو رافضة أو معتزلة أو فقهاء أو حنابلة كانوا ينظرون إليه بتوجس وعداوة .

وقد هاجم في مواطن من وصاياه الجهمية، والمرجئة، والحرورية، كما فعل

۲۱٤/۸ تاریخ بغداد ج ۱۱٤/۸

⁽٢) تهذيب التهذيب ج ٢/٨١٠ . (٣) الكواكب الدرية ج ١٨/١٠.

ذلك في الرعاية والمسائل(١). ولا شك أن مصنفه (فهم القرآن) يعود إلى مذه الآونة .

مع المعاتزلة :

أما معاداة المعتزلة له فمفهومة ، فهو يتحدث عن شيء من ذلك في كتابه « فهم القرآن » عندما يتهم المعتزلة بأنهم من أهل البدع أو أهـل الضلال . بل يتجاوز هذا الاتهام المجرد ، إلى استعمال النصوص النقلية المطعمة بالفهم العقلي ، في ضرب المعتزلة المسيطرين على الجو الثقافي حتى ذلك الوقت .

ونحن نرى المحاسبي لا يكتفي بالرد عليهم من ناحية موضوعاتهم بل هو يتجاوز ذلك إلى تخطئتهم في مناهجهم ، مع ان في منهجه شبها بها فيقول عن المعتزلة: « إنها فرقة ضالله لا تفطن لضلالتها لاتساعها في الحجج ، ومعرفتها بدقائق مذاهب الكلام وحسن العبارة ، بالرد على من خالفها ، فهم عند أنفسهم من القائلين بالحق والرادين لكل ضلالة ، لا أحد أعلم منهم بالله . ولا أولى به منهم ، وكل الأمم ضالة سواهم ، وأن الله عز وجل لا يعذب مثلهم ، بل لا ينجو أحد في زمانهم غيرهم . وغيرهم من المغترين يدعي ذلك وينتحله ويشهد عليهم بالإكفار فهم فرق كثيرة "يكفتر بعضهم بعضا ، وكل فرقة منها مغترة لا ترى أن أحداً يقول الحق غيرها (٢١)». وهو في هذه الفقرة يتهم المعتزلة بتجاهل كتاب الله ، والاغترار بدقائق الكلام ، ثم يشير إلى الحديث الذي وضعه المعتزلة لتأييد مذهبهم « تفترق أمتي بضعاً وسبعين فرقة كلها في النار إلا الفرقة المعتزلة » . ثم يشير إلى تطرف المعتزلة في الأخذ بالحرية واحترام الرأي الفردي حتى لقد أسس كل شخص منهم مذهبا رأى أنه أسه واحترام الرأي الفردي حتى لقد أسس كل شخص منهم مذهبا رأى أنه أنه الحق واحترام الرأي الفردي حتى لقد أسس كل شخص منهم مذهبا رأى أنه الحق واحترام الرأي الفردي حتى لقد أسس كل شخص منهم مذهبا رأى أنها الحق وعباد وعباد وكفير زملاءه في الفرقة ، كاكان من أمر النظام مع العلاق وعباد وعباد الحق المعراق المعالدة وعباد الحق المعراق المع العلاق وعباد الحق وعباد الحق ، وكفير زملاءه في الفرقة ، كاكان من أمر النظام مع العلاق وعباد الحق الحق المعراق الملاق وعباد المعراق المعراق

⁽١) الوصايا ، أو النصائح ٧٤ – ٧٥ . والمسائل ٣٢ ، والرعاية ٨١ .

⁽٢) الرعاية ٢٩٩ . ط: القامرة .

مع الشيعة :

وموقف الشيعة المعاديله مفهوم أيضاً فقد كانوا يتهمون كل من يرد عليهم بالنصب ، أي كراهية الإمام على كرم الله وجهه . وهو وإن لم يهتم بالرد عليهم اهتمامه بالرد على المعتزلة ، إلا أنه يبدو شديد الكراهية لهم بل يكاد يتهمهم بالكفر وهو ما لم يتهم بسه المعتزلة ، فيقول في معرض رده عليهم في مسألة النسخ في القرآن : « وقد جو "ز فريق" من الروافض في أخبار الله جل شأنه التناسخ ، وهذا الكفر . لا يجوز أن ينسخ الله خبره »(١) وربما يشير في هذه الفقرة إلى غلاة الشيعة كالسبئية والكيسانية وغيرهما .

مع الفقهاء:

والمعروف أنه تتلمذ عليهم قبل أن يصبح صوفياً متكلماً. فنحن نعلم بيقين أنه أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام كما أخذ عن الشافعي وأبي يوسف. ويدل على سعة علمه بمذاهبهم روايته لها بالتفصيل في كتبه في المرحلة الأخيرة من قطوره الفكري(٢).

لذا فإن نقده للفقهاء لا ينبع من اتهامه لهم بضعف الإيمان أو الضراوة الجدلية بل ينبعث من وجهة نظر صوفية تشتد على أهل الرسوم لإغفالهم علوم القلب ، وقصر حياتهم على الجدل والبحث في المعاملات ، وهي حجب ترين على القلب وتبعده عن الله .

وكل من أرّخ للمحاسبي يذكر أنه كان فقيها في علوم الظاهر كما كان إماماً

⁽١) أنظر مخطوطة « فهم القرآن » .

⁽٢) المكاسب والمسائل من ٢٠١ - ٢٣١ . والرعاية ٧٦ وما بعدها .

في علم المعاملة . يقول التميمي : « هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث وعلم الكلام» لذا فإن النقد الذي تحدثنا عنه كان أقرب إلى التحذير من الكبر والرياء ، وبعض المعاني القلبية التي يتذوقها الصوفية كا قدمنا . قال « يغتر أحدهم بالفقه في العلم بالحلام والحرام ، وبالبصر بالفئيا والقضاء ، حتى لا يرى أن أحداً أعلم بالله عز وجل منه لأنه قد علم الحدال والحرام والفتيا والقضاء ، فهو القائم للأمة بدينها ومفزعها إليه ، ولولا مثاء بضاع الار وما عرف حلالاً من حرام ، واستصغر أهل الرواية والحفظ إذ لم يفقهوا الحلل والحرام ، ويعلموا الحكم والقضاء فيغتر بذلك فيقل حذره من الله عز وجل ورهمته إلمه » .

أما كيف ينجو من هـذه الغيرة فإن المحاسبي يرشده إلى ذلك فيقول: « بمعرفته أن الفقه عن الله عز وجل فيما عظيم من نفسه ، وأخبر منحلاله ، وهيبته ونفاذ قدرته ، وما وعد من ثوابه وتوّعد به من عقابه ، أعظم الفقه وأشرفه ، وإنه لن ينفع الفقه في الحرام والحلال إلا بالفقه في ذلك »(١).

وهـذا الذي يقصه الحارث عن الفقهاء من الاغترار بعلمهم واحتقار أهل العلوم الأخرى كان معروفاً في عصره.

وينبغي الإشارة منا إلى صدق حدس الحارث في إشارته إلى النزاع بين الفقهاء والمحدثين ، لكنه لم ينصف في قوله أن الفقهاء هم البادئون إذ المعروف عن المحدثين ضيق صدورهم بكل من يخرج ، ولو قليلا ، على أسانيدهم ، وقد أدى سوء الفهم هذا إلى وقائع وخطوب بين الحنابلة المحدثين ، والشافعية في بغداد فيا بعد .

مع الصوفية :

قد يبدو غريبًا أن يكون للحارث تحفظات على الصوفية وهو منهم • كما

⁽١) الرعاية ٣٨٨.

يبدو غريبًا لأول وهلة أن يتحفظ الصوفية المعاصرون في تأييد الحـــارث ، وقد نصرهم نصراً بيِّناً حين ترك بيئات المحدّثين والفقهاء والمتكلمين المسيطرين وأوى إليهم . لكن إعادة النظر في نصوص الصوفية ترينا سبب هـــذا التحفظ .

قال السري للجنيد في معرض نقده للحارث: «عليك بأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام». فإذا تحفظ الصوفية تجاه الحارث فلأنه تعاطى شيئاً من علم الكلام (٢). بل تزعم فرقة من المتكلمين استطاعت فيا بعد أن تقف في وجه المعتزلة بكل قوة ، أيام أبي الحسن الأشعري (٢٦٠ – ٣٢٤ ه) . ولا يعني ذلك أن الصوفية قاطعوا الحارت ، لكنهم كانوا يودون لو (لم يدنس نفسه) بشيء من الكلام (٣) .

وقد استطاع الحارث رغم تحفظات الصوفية أن ينشىء مدرسة كلامية في أوساطهم اندمجت مع الأشاعرة فيا بعد كما سنوضح في موضعه .

أما موقف الحارث من زملائه المتصوفين فقد كان يحكمه عاملان: أولها انه لم ينس النص ، وثانيهما انه لم ينس العقل. وهما أمران تجاهلهما الصوفية في تطورهم ، واعتماد الحارث على النص المعقول حماه من الارتماء في أحضان الحلول والاتحاد وغيرهما من الدعاوى الغريبة . ولعلنا نستطيع أن ندرك صعوبة إقامة توازن بين الحياة الصوفية والحياة النصية المعقولة ، إذا عرفنا أن مدرسته الصوفية عجزت عن متابعة طريقه تماماً ، فوقعت في بعضالشطحات والدعاوى ، وقد بدا ذلك أول ما بدا في بعض عبارات الجنيد والشبلي وإن

⁽١) الأحياء ج١ / ٧٧.

⁽٢) أبو طالب المكي : قوت القلوب ج١ / ١٥٨ ، ط : سميث .

⁽٣) يشبه موقف الصوفية من علم الكلام موقف الحنابلة . واجع : الذهبي : العلو للعلي الغفار ١١ ، ٢١٥ ، ٢١٥ . في مواقف الفضيل والحافي ومحمد بن مصعب ، من المتكلمين .

احتفظا بالكثير من توجيهات زعيم المدرسة . يقول السراج: « بلغني عن حمزة أنه دخل دار حارث المحاسبي وكان للحارث دار حسن وثياب نظاف وفي داره شاه مرغ فصاح الشاه مرغياً فشهق أبو حمزة شهقة وقيال : لبيّك يا سيدي قال : فغضب الحارث وعمد إلى سكين فقال : إن لم تتب عن هذا الذي أنت فيه أذ مجك »(١) .

ومن هذه الحادثة يتضح لنا أن أبا حمزة كانحلولياً. أما الحارث عنه . رفض الحلول ، كما رفض كل الدعاوى التي تصادم النص والعقل . لهذا السبب كره غلو عبدالله بن يزيد وعبدك الصوفيين وقال « إنها أفسدا وحرما الكسب وأبت الأمة إلا خلاف مقالِهما (٢) » .

أما من الناحية المنهجية فقد حدّر الحارث الصوفية كما حـذر الفقهاء من الاغترار مجالهم في صدق المعاملة وحسن الإخلاص ، فقال : « ومنهم فرقة علمت العلم ، وعملت بمعانيه في حقوق الله عز وجل التي تحق لله عز وجل على عباده ، من حقه وحبه وخوفه ورجائه ، وحسن التوكل ، والرضاء بقد ر ومعاني ما ذ م الله ونهى عنه من الأخلاق المذمومة عنده ، كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء المظن ، وأشباه ذلك من أعمال القاوب ، ومن الكذب والغيبة . فحسنت عبارتهم بذلك . وكذلك الحياء من الله عز وجل وجميع الأخلاق الكريمة . وكذلك ما يصف من تضييع حقوق الله عز وجل . على أن هذا الرجل قد يقول بما لا يعمل ويأخذ قوله هذا عن عمل ، دون أن يحس في فؤاده حرارة الإخلاص ودون أن يعمل بما علمه . . . فقد يصف الحب لله عز وجل وهو عامة ليله ونهاره ناس له عند اعتراض محبته ، وإن أراد بغضا على الخلوة والأنس استوحش ذلك وثقل عليه ؛ فإن خلا لم يجد للخلوة بغناجاة ربه عز وجل نوراً في قلبه ولا حلاوة لذكره ، وإن عرض بالأنس للمخلوقين استراح إلى ذلك وملء قلبه حلاوته . . ويصف التوكل عليه إن

⁽١) اللمع ٩٥٤.

واتته الدنيا وأعطته ما يحب ، فإن خولف هواه بضيق العيش ، أو عرضله خوف مخلوق ، أو طمع لما في يديه اضطرب قلبه فخاف غير الله وطمع بما في أيدي العباد .. وكذلك يصف الإخلاص ، فإذا عرض العمل هاج الرياء وافتقد الإخلاص . وإنما أطلت الوصف في هذه الفرقة لأنها عظيمة غرتها ، قد غلب ذلك على كثير ممن يتعبد ويرى أنه من النساك العاملين لله عز وجل ، ويضرب الحارث مثلا لغرة هؤلاء في مناهجهم مجملته ثانية على أهل الخلول فهو ينعى عليهم نظرتهم إلى النساء والغلمان المرد بحجة ذكر الجمال الإلهي أو حور الجنان (١) . ونستطيع أن ندرك من هذه العبارة الأخيرة كبر عقل الحارث إذ فرق بين المبدأ ورجاله ، فأقبل على اعتناق المبدأ مع علمه بأن الحارث إذ فرق بين المبدأ ورجاله ، فأقبل على اعتناق المبدأ مع علمه بأن أهله عظيمة غرتهم كثير رياؤهم . وربما لم يكن الفساد في الصوفية قد استشرى إلى هذا الحد في ذلك الوقت المبكر ، وإنما قسا الحارث عليهم بعض الشيء المنهم يريد الكمال والكمال فقط .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحيــاناً على من يرحم

مع محدّثي الحنابلة:

قد يبدو غريباً أن يظل الحارث في بغداد بين (٢٠٧-٢٣٣ ه) تلك الفترة التي سيطر المعتزلة فيها على بغداد ، وكان الحارث أكبر أعدائهم لبصره بمواطن الضعف فيهم كما رأينا سابقا ، ولانتهاجه أساليبهم نفسها في الرد عليهم . مع ذلك ظل في بغداد حتى إذا كانت بدايات خلافة المتوكل (٢٣٢ صليهم . مع ذلك ظل في بغداد إلى الكوفه لفترة يبدو أنه كان مرغما عليها ، إذ سرعان ما عاد إلى بغداد عندما سنحت الظروف فتوفي فيها . ولفهم هذا كله ينبغي النظر في التطورات السياسية والاجتماعية التي طرأت على الموقف بعد وفاة الواثق .

⁽١) المسائل ١٦٣، والرعاية ١٩٣ ـ ٢٩٦.

لا شك ان محنة خلق القرآن قد أحرجت الكثير من الصدور ، خصوصاً صدور العامة التي كانت تجل المحدثين، وتكره حذلقة المعتزلة، وتقعرهم العقلي، وقد أحس الخليفة الواثق في أواخر عهده قوة هـنا التيار الشعبي الجارف الذي يتهدد المعتزلة، ومؤيديهم من رجال الدولة وعلى رأسهم الخليفة، فحاول أن يقضي على السخط في مهده ، بتلك القتله الشنيعة لأحمد بن نصر الخزاعي المحدث (٢٣١ ه) وقتلة أبي يعقوب ابن يوسف بن يحيى البريع صاحب الشافعي في الوقت نفسه (١١). وكان هذان قد شجعها ما رأياه من ثورة الرأي العام ، فكادا يعلنان التمرد على الواثق ، الذي سارع إلى القضاء عليها . ولم يكن سخط العامة على الخلفاء المعتزلة نابعاً من اعتزالهم فقط ، بـل لتشيعهم أيضاً ، في حين قامت الخلافة العباسية كلمـا منذ أيام المنصور على معاداة التشيعه التشيع .

فإذا أضفنا إلى ذلك عاملاً ثالثاً هو الجند الأتراك الذين سيطروا على الدولة منذ أيام المعتصم وهم مسلمون جدد ، متحمسون للسلف وآثارهم ، وقد عُرف عنهم ذلك في كل العصور ، وقد كانت لهم قرابة بأحمد بن حنبل من جهة أمه التركية. إذا عرفنا ذلك كله أدركنا سبب تحول المتوكل عن المذهب المعتزلي إلى مذهب المحدثين من أهل السنة ، مدفوعاً بالعوامل السابقة وبميل في طبعه إلى السهولة واللهو وكل ما لا يكلف مشقة أو تبعة .

ولعـــل الجـدول الزمني الذي ذكره المسعودي والذهـبي وابن الوردي للأحداث منذ بدء خلافة المتوكل يلقي ضوءاً أكثر على الأمر:

١ – ٢٣٢ ه : أفضت الخلافة إلى المتوكل فأمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد ، وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة (٢) .

⁽١) ابن الوردي ٢٢٣ ، البداية والنهاية ج ١٠ / ٣٠٦ – ٣٠٨ .

⁽٢) الروج ج ٢ / ٢٦٩ .

ولما كان منه أنب أظهر السنة ورفع المحنة ، وأمر بنشر أحاديث الرؤية والصفات (١).

٢ – ٢٣٥ ه : مات أبو الهـــذيل العلا ًف (٢) . ويرى المسعودي وابن الوردي أنه مات ٢٢٧ ه (٣) . قال الجاحظ : 'ذكرت لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده فلمسا رآني استشبع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني (١). ولا شك أن الأمر يتجاوز قبح المنظر إلى شهرته بالاعتزال .

٣ - ٢٣٦ ه: منع المتوكل القول بخلق القرآن بناتاً وراح يجالس من الشتهر ببغض علي (٥) . ومنع الشيعة من زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الأمر بذلك من المتوكل (٦) .

إ - ٢٣٩ ه : غضب المتوكل على ابن أبي دؤاد وابنه ، فعزل الأخير عن القضاء ، وقر"ب إليه ولد يحيى بن أكتم .

ه - قرب المتوكل اليه علياً بن الجهم الشاعر وكان منحرفاً عن علي بن أبي طالب مظهراً التسنن (٧) كما التف حوله رجال من مبغضي الشيعة والمعتزلة، أمثال سعيد بن حميد الذي ولي ديوان الرسائل أيام المستعين فيما بعد (٢٤٨ هـ) وكان يتنصب ويظهر التسنن (٨).

٦ - سيطر ابن حنبل على البيئات العلمية في بغـــداد وعاد زملاؤه من المحدثين أمثال خُشيش بن أصرم وعبد العزيز المكي ومسدد بن مسرهد وابن راهويه إلى التحديث .

⁽٣) تتمة المختصر ٢٢٢ . (٤) المروج ج ٢ / ٣٧٨ .

 ⁽٥) تتمة المختصر ٥٧٥.
 (٦) المروج ج ٢ / ٢٠٤.

ولكي نعلم ما وصل إليه الحنابلة والمحدثون من سطوة ، لا بد من إلقاء بعض الضوء على سيرة الإمام أحمد (١٦٤ – ٢٤١ ه) فقد أخذ الإمام أحمد الحديث عن كثيرين من الأعلام ودرس الفقه على الشافعي وكان بطبيعته نصيا يكره الجدد والحجاج ، ويسلك طرق السلف في زهدهم وحبهم للعزلة . وزاده تصلباً في موقفه ما لقيه من غطرسة المعتزلة أيام المأمون المعتصم والواثق الذين ساقوه مقيداً ومنعوه من الخروج والتحديث أيام الواتى ، بل تجاوزوا ذلك إلى ضربه بالسياط .

وقد أحس كثيرون من العلماء بمثل ما أحس به أحمد بن حنبل من سخط على المعتزلة، ومؤيديهم من رجال الخليفة، لكنهم لم يكونوا يملكون من الشجاعة الأدبية ما كان يملك ، فبدا وحيداً في موقفه من المأمون والمعتصم والواثق ، وكان ذلك سبباً لإكبار جميع العلماء له، حتى خصومه من المعتزلة، كما اكتسب، نتيجة لذلك ، تأييداً شعبياً جارفاً ظل يقدس ذكراه في بغداد حتى بعد وفاته بمئات السنين ، كما ظل هذا التأييد ممتداً إلى أتباعه ، متوسماً فيهم الخير حتى بعد سقوطهم في مهاوي الحشو والتجسيم ،

وكان ابن حنبل أميناً لمذهبه فلم يتطرف في الجهة المقابلة بل اقتصر على تحريم علم الكلام ، وذم أهله وتبديعهم ورفض أن يمضي مع المتطرفين في الجهة المقابلة لأن السلف لم يقولوا بشيء من ذلك بل اقتصر على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق . ولأن أمسه تركية ، ولأن الأتراك المسيطرين سنيون ، ولأن الشعب كله كان يحبه ويحترمسه ، فها كاد المتوكل يعلن رفع الفتنة حتى أقبل على دروسه ودروس زملائه من علمساء الحديث وحفاظه عشرات الألوف بعد أن انتظروا طويلا ، فلما توفي أحمد سنة (٢٤١ ه) خرجت بغداد بل خرج العراق كله لتشييعه وقرنوا موقفه بموقف رسول الله في الهجرة وموقف أبي بكر في الردة .

يقول المسعودي : -- وهو المؤرخ الشيعي -- في وصف جنــازة الإمـام أحمد : وصلى عليه ابن طاهر وحضر جنازته خلق من الناس لم 'يرَ مثـــل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة من سلف قبله: وكان للعامة فيه كلام كثير.. وكان عظيم من عظهائهم ومقد م فيهم يقف موقفاً بعد موقف أمــام الجنازة ويُنادي بأعلى صوته:

وأظلَمَتِ الدُّنيا الهُقَدْ محمَّد وأظلَمَت الدُّنيا الهُقَدْ ابن حَنْبَل ِ

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه وأنها أظلمت عند موت أحمد بن حنبل كظلمتها عند موت رسول الله (١).

ولم يكن الإمام أحمد وحيداً في موقفه من علم الكلام كما أسلفنا بل. شايعه كل المحدثين فان هشيما ، أستاذ الحارث ، كان يرى ضرب عنق من يقول بخلق القرآن (٢).

ونوح ابن أبي مريم أستاذ الحارث أيضاً كان يقول ان الله في السياء ومن لم يقل بذلك فليس مؤمناً (٣).

وعباد بن العوام أستاذه أيضاً كان يقول: « كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السهاء شيء. أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا (٤) ».

وعلي بن عاصم الواسطي رأيناه يرفض الاجتماع ببشر المريسي وهو أستاذ للحارث أيضاً (٥).

ويزيد بن هارون الواسطي وهو أكبر أساتذة الحارث في الحديث وعلوم الفرآن يرى أن المعتزلة جهمية لأنهم ينفون الاستواء (٦).

⁽١) مروج الذهب ج ٢ / ٣٨٠ . (٢) العلو للعلى الغفار ١٨٦ .

⁽٣) العلو ١٨٧ .

⁽٥) العلو ١٩٦.

ووكيع بن الجراح وهو أستاذ للحارث أيضًا يثبت الاستواء إثباتاً يُوشِكُ أن يصل إلى التجسيم (١).

وعفان البصري الذي يروي عنه الحارث في كتاب « العقل » نراه قد استعاذ بالله عندما طلب اليه اسحق بن ابراهيم صاحب شرطة المأمون أن يقول بخلق القرآن حتى لا يقطع رزقه (٢).

وسنيد بن داود وهو من أكبر أساتذه الحارث يقول إنه تما على عرشه بائن عن خلقه (۳) .

وأبو عبيد أستاذ الحارث يشدد في رواية أحاديث الرؤية والعرشية (٤) . أما الإمام أحمد نفسه: فقد تواتر عنه تكفير من قال بخلق القرآن العظيم جل منزله ، كما تواتر عنه إثبات الرؤية والصفات والعساو والقدر ، وتقديم الشيخين وأن الإيمان بريد وينقص (٥) .

لعلنا نلاحظ أن المحدثين كثيراً ما يسيئون فهم مواقف المعتزلة فلم يكن منتظراً أن يفرقوا بين من مارس علم الكلام للرد على المعتزلة ، ومن مارسه كواحد منهم ، ما داموا يصرون على أن علم الكلام والجدل محرم بتاتا لأن الرسول عليه وأصحابه لم يمارسوا شيئاً منه ، بل أثر عن الرسول التشديد في النهى عن الحديث في القدر .

أما موقف الحنابلة من الصوفية فقد كان معروفاً مشهوراً فهم يهاجمونهم في مناهجهم كما يهاجمونهم في موضوعات كلامهم . ويكاد (تلبيس إبليس) لابن الجوزي ان يكون مؤلفاً مفرداً في الهجوم على المتصوفة ، وابن الجوزي من أكبر أعلام الحنابلة . وفي الموضوع نفسه ألف ابن تيمية رسائل عدة ، كما فعل في الرسائل والمسائل ، ورسالة في الحرقة . ثم فعل الشيء نفسه محمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث .

⁽١) العلو ١٩٦ . (٢) العاو للعلمي الغفار ٢٠٦ .

⁽٣) العلو للعلي الغفار ١٢٤ . ﴿ ﴿ } العلو ٢١٧ .

⁽ه) العلر ٢٣١.

ومما يدل على اختلاف مناهج المحدثين الحنابلة عن مناهج الصوفية ذلك الحذر والتوجس الذي كان يسود العلاقة بين أحمد بن حنبل وتلاميذه من جهة والصوفية من جهة أخرى . فإن الإمام أحمد، على حذره منهم ، لم يستطع إلا أن يحمد لكل من المحاسبي وبشر الحافي ورعها وحرصها على البعد عن الشبهات (۱۱) كما قال أحمد عندما ذكر عنده الصوفي المعروف السرى السقطي ذلك الشيخ المشهور بطيب المطعم (۲). وقد أخذ أحمد عن أبي تراب النخشبي الصوفي المعروف (۲۶۵ ه) كما كان من تلاميذ أحمد الصوفي المعروف أيضاً إسماعيل بن نجيد (۲۲۵ ه) . إلا أن مدح أحمد كان مقصوراً على الأشخاص ولم يتجاوز ذلك إلى المبادىء الصوفية التي كان يذمها وينكرها .

أما الصوفية فقد تراوح موقفهم من أحمد ؛ بين تقدير كبير لموقفه في محنة خلق القرآن وتصويره وكأنه واحد منهم ، وبين الغمز منه في بعض المواطن.

فنحن نراهم يصورونه وهو يعرف الزهد تعريف صوفياً بأنه «قصر الأمل » (٣) وأنه على ثلاثة أوجه : ترك الحرام وهو زهد العوام . وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص . وترك ما يشغل العبد عن انة وهو زهد العارفين (٤) . ثم يحدثوننا عن فلسفة الخوف عند أحمد وهي فلسفة صوفية محضة : « يحكى عن أحمد رحمه الله تعالى أنه قال : سألت ربي عز وجل أن يفتح على بابا من الخوف . . ففتح على عقلي . . فقلت يا رب أعطني على قدر ما أطيق فسكن ذلك عني (٥) » . فنرى تصوير الصوفية لأحمد يبدأ من القول بأنه من الصديقين (١) ثم ينعطف شيئاً فشيئاً المناقول بأنه من الصديقين (١) ثم ينعطف شيئاً فشيئاً إلى القول بأنه لا يستطيع أن يحتمل الخوف كا يحتمله الصوفيون . ثم إذا بهم

⁽١) الرسالة ج ١ / ٢٨٦ . (٢) تلبيس ابليس ١٨٠ .

⁽٣) الرسالة القشيرية ج ١ / ٢٩٤ - ٢٩٧ ،

^(:) الرسالة القشيرية ج 1/3 ٢٩٧ – ٢٩٤ .

مرة واحدة ينسون أنفسهم فيتهمون أحمد بأنه لا يفهم الصوفية مع الغمز من تمسكه بالظاهر ، ولا شك أن في همندا الاتهام الكثير من الصحة . فهذا « أحمد بن حنبل كان عند الشافعي رضي الله عنها ، فجاء شيبان الراعي فقال أحمد: أريديا أبا عبدالله أن أنبه هذا على نقصان عمله ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال الشافعي : لا تفعل . فلم يقنع أحمد فقال لشيبان : مساتقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري بي صلاة نسيها ؟ ما الواجب عليه يا شيبان ؟ فقال شيبان : يا أحمد هذا قلب عفل عن الله تعالى ، فالواجب أن يؤد ب حتى لا يغفل عن مولاه بعد !! فغشي عن الله تعالى ، فالواجب أن يؤد ب حتى لا يغفل عن مولاه بعد !! فغشي على أحمد . . فلما أفاق قال له الإمام الشافعي رحمه الله : ألم أقل لك لا تحرك هذا ؟! وشيبان الراعي كان أمياً منهم (من الصوفية) فإذا كان حال الأمي منهم هكذا ، فها الظن بأغتهم (١) » .

على ضوء هـــذا كله نستطيع أن نفهم موقف الإمـام أحمد وتلامذتــه وزملائه من الحارث المحاسبي .

يقول ابن حجر: « إن الإمام أحمد هجر الحارث المحاسبي مع أنه كان صديقاً له (٢) » . وفي رواية أخرى لابن حجر أنه نهى أصحابه عن صحبة الحارث مع أنه قال: ما سمعت في الحقائق مثل كلام هذا الرجل .

ويقول ابن الأثير: ان الإمام احمد هجر الحارث بن أسد المحاسبي (٣). ويقول الذهبي في الميزان: ان احمد بن حنبل هجره فاختفى (٤). ويقول الخطيب: ان الإمام احمد كان يصد الناس عنه (٥).

⁽١) المصدر السابق ج ٢ / ٧٣٣ . (٢) تهذيب التهذيب ج ٢ / ١٣٥ .

⁽ه) تاریخ بغداد ج ۸ / ۲۱۶.

أحضرته منزلك وأجلستني في مكان أسمع كلامه. ففعلت ، وحضر الحارث وأصحابة فأكلوا وصلوا العتمة ، ثم قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل ثم ابتدأ رجل منهم ، وأصعد الحارث ، فأخذ في الكلام وكأن على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي؛ ومنهم من يخر ، ومنهم من يزعق ، وهو في كلام ، فصعدت الفرفة فوجدت احمد قد بكى حتى غشي عليه إلى أن قال : فلما تفرقوا قال احمد ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا وعلى هذا ، فلا أرى لك صحبتهم (١) » . وهذه الروايات كلها تجمع على أن احمد هجر الحارث وأمر تلامذته بتركه .

أما مؤرخو الصوفية فصوروا الأمر بصورة أخرى ، نعني أنهم راحوا يفسرون أمر ابن حنبل تلاميذه بترك الحارث ، بأن هؤلاء لا يستطيعون فهم ما يقوله المحاسبي ، كأنما أرادوا بذلك أن يرضوا عواطف العامة المشايعة لأحمد ، وفي الوقت نفسه يدافعون عن اتجاه الحارث فلا تنصرف القلوب عنه ، وهو زعيم مدرسة صوفية كبيرة . ولا شك أن ذلك التغير يسيء إلى التصوف وأهله .

من ذلك أننا نجد مثلاً في الطبقات الكبرى للشعراني ؛ ان احمد راقب الحارث وأصحابه حتى الصباح فرآهم لم يخرجوا عن السنة في أقوالهم وأفعالهم فاعترف بفضله وقال : « كنت أسمع عن الصوفية خلاف هذا استغفر الله العظيم (٢) » .

وواضح ان هذه الرواية للشعراني الصوفي لا تصور الحقيقة تماماً ، كما اننا لا نستطيع أن نقول مع ابن الجوزي إن الإمام أحمـــد أوشك أن يكفتر الحارث أو فستَقه . والأقرب إلى الحقيقة القول ان الامام أحمد اجتنبه وهو ما تقول به أكثر الروايات . أما سبب هجره له واجتنابه إياه فاختلف فيه

⁽١) ميزان الاعتدال ج ١ / ١٩٩.

⁽٢) طبقات الصوفية الكبرى ج ١ / ٠ ٢ .

الرواة ومن مقارنة الروايات بعضها ببعض نستطيع أن نرجيع ذلك إلى الأسماب التالمة :

(١) لأنه تكلم في شيء من الكلام وصنف فيه وهو رأي أبي زرعة الرازي الذي سئل عن الحارث المحاسي وكتبه فقال للسائل: « إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فانك تجد فيه ما يغنيك فقيل له: في هذه الكتب عبرة. فقال: من لم يكن له في كتاب الله برة فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم ان سفيان ومالكا والاوزاعي صنفوا هذه الكتب عبرة ، بلغكم ان سفيان ومالكا والاوزاعي صنفوا هذه الكتب ، وعلى هذا قول الذهبي (١) وابن الأثير (٢) والخطيب (٣) وابن المؤير وي عن ابن حنبل اتهام الحارث بأنه جهمي .

(٢) لانه صوفي والإمام أحمد موقف عام من مناهج الصوفية وآرائهم .
 يقول صاحب الرسالة :

«ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فان لم يكن له استاذ لا يفلح أبداً».

قال أبو يزيد: من لم يكن له استاذ فإمامه « الشيطان » (°). وهو رأي لابن خلدون في سبب هجر الامام أحمد للحارث يقول: « أصل قصة المحاسبي مع ابن حنبل هو اعتقاد ابن حنبل بأنه لا يجوز أن يكون لدارس الشريعة شيح يسلمه أمره: الأخذ ينبغي أن يكون من الكتاب والسنة » (٦). فهو يرفض التصوف باعتباره طرقاً وشيوخاً.

(٣) لكلامه في الوساوس والخطرات ، وربما أيدته قصة ابن حنبل مع

⁽١) ميزان الاعتدال ج ١٩٩/١.

 ⁽٢) الكامل في التاريخ ج ٧/٧ « وكان قد هجره الإمام أحمد لأجل الكلام » .

⁽٣) تاريخ بغداد ج ٢١٤/٢ . (٤) تلبيس إبليس ١٩٨ .

 ⁽٥) الرسالة ج ٢/٥ ٣٢ .

⁽٦) ابن خلدون : شفاء السائل ٦٤ . تحقيق اغناطيوس الدسوعي .

الحارث حينا حضر مجلسه فقد تأثر لكلامه ، لكنه لم يغير موقفه القائل بعدم تجاوز النص ، وآثار السلف . وليس في آثار السلف هذا الحديث عن المحاسبة والمراقبة والرياء والحطرات والوساوس والإسراف في ذلك بما نقرؤه في الوصايا وآداب النفوس والرعاية . ويقرب من هذا موقف السبكي الذي حاول التوفيق بين الحارث وابن حنبل في كتابته عنها لانها من تلاميا الشافعي ، فقال (۱) : « إنه إنما نهى تلاميذه عن الاستاع للحارث لانه ليس كل أحد يستطيع أن يصل إلى رتبته أو يفهم كلامه » . وربما لم يفهم الإمام أحمد نفسه كلام الحارث .

وفى الرسالة:

« اجتاز أبو العباس ابن سريح الفقيه بمجلس الجنيد رحمهمها الله فسمع كلامه فقيل له : ما تقول في هذا الكلام؟ فقال : لا أدري مسايقول ... ولكني أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل » (٢) ثم حاول السبكي تضييق شقة الخلاف بسين أحمد والمحاسبي ، بالقول ان ما كان بينها هو ما يكون عادة بين المتعاصرين ، وعلماء الحرج والتعديل يقولون « المعاصرة محجاب » وبذلك صار الخلاف شخصياً لا عقيدياً . وما ارتآه السبكي ، مصار هو المعتمد عند المتأخرين ، فيقول اللكنوي « الجير من إدا صدر من تعصب أوعداوة أو منافرة أو نحو ذلك ، فهو جرح مردود .. ولهذا لم يقبل قول الإمام مالك في محمد بن إسحاق ، صاحب المغازي ، انه دجال من الدجاجلة .. ولم ينقبل قدح النسائي في أحمد بن صالح المصري ، وقدح الثوري في أبي حنيفة ، وقدح ابن معين في الشافعي ، وقدح أحمد في الحارث المحاسبي » وقد أو بين أحمد والحارث المحاسبي » (٣) .

⁽١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٢/٣ ٣ - ٠ ٤ .

⁽٢) الرسالة القشيرية ج ٧٣٢/١ .

⁽٣) عبد الحي اللَّكنوي : الرفع والتَّكميل ٥٩ ٢/٢٦ ٢/٢٧١/٢ ٧٠/ .

أما صدى هجهات الإمام أحمد وأتباعه عليه فلا تبدو في كتبه بوضوح ، وربما خاف إن عرض لهم بشيء إن تشتد ورتهم عليه. أو يُساء فهم موقفه وآرائه في هذا الشأن. وقد نعى في بعض كتبه على أولئك الذين يغترون بكثرة الرواية وحسن الحفظ ، مع تضييع حق الله وتخييل أحد هم نفسك انه لا يعذ ب لأنه من العلماء واغة العباد والحنفاظ الخافظين على المسلمين دينهم ، كما هاجم أولئك الذين يتخذون آراء سفيان الثوري دينا (۱).

وتابع دفاعه عن موقفه في كتبه ففرس بين الجدل الذي يراد به وجهد الله ، وذلك الذي يراد به الشهرة في الدنيا وقهر الخصوم ، فمدح النوع الأول وذم الثاني (٢) . وكأنما أشار إلى أن جدله كان لله ورسوله وهو على هذا مدوح مأجور .

رأى الحارث أن الجو العام في بغداد لم يعد ملاغًا له فقد استتر بتصوفه أيام سطوة المعتزلة فلم يهتم المعتزلة لأمره لإستخفافهم بالمتصوفة ، فلما سيطر الحنابلة على بغداد وراحوا يهاجمون المتصوفة وعلماء الكلام جميعًا، غير مفرقين بين من ينتصر بكلامه للسنة ومن ينصر البدعة ، ضاق صدره ، بل ربما ناله شيء من الأذى. ثم بلغه غضب ابن حنبل عليه فاكتفى بالقول بصدر رحب : «أنا أتوب مما أغضب أبا عبدالله !!» ثم رأى أن يخرج من بغداد حتى تهدأ الثائرة ، فلما فرغ الحنابلة من تحطيم المعتزلة ببغداد ، وهددأت ملاحقتهم لمتكلميهم عاد الحارث إليها .

ولا نستطيع هنا أن نجزم كما جزم ماسينيون بأن 'خروجَه' من بغدادكان سنة (٢٣٦ هـ) إذ ان إجراءات المتوكل ضد المتكلمين بدأت سنة (٢٣٦ هـ) بداية جادة ، وكان الأولى بالحارث أن يصر على إظهار السنة ، والعودة إلى

⁽١) المسائل: ٢١٢ – والرعاية ٥٨١/٤٣٠.

⁽٢) المسائل: ١٤١-١٤٠.

حلقات المحدثين لأنه منهم تقريباً ، وهو على ما نعهده فيه من الحب لبغداد والحرص على البقاء فيها ، لذا نستطيع أن نقول انه لم يخرج منها إلا " بعد أن لم يسعه من المقام . وربما لم يعد إلا بعد وفاة الإمام أحمد (٢٤١ه) .

على ان تلامذة الإمام أحمد كانوا أشد تعصباً وأقل علماً ، فاستمر الحارث في الاختفاء حتى إذا توفي لم 'يصلِّ عليه إلا أربعة ' نفر (٣٤٣هـ)(١) . وفي تاريخ بغداد « وكان أحمد بن حنبل يكره لحارث نظره في الكلام وتصنيفه فيه الكتب ويصد الناس عنه ، فلما تكلم في شيء منه هجره أحمد فاختفى في داره ببغداد ومات فيها ولم يصلِّ عليه إلاَّ أربعة ' نفر (٢) .

ولم تمض على موت الحارث سنون ، حتى كانت فتنة غلام الخليل المحد "ث الفقيه الحنبلي ، وهو أحمد بن محمد بن غالب (٢٦٢ ه) . وكان مشهوراً بالورع والتقوى ، ولكنه كان ينكر على الصوفية كلامهم في الحب الإلهدي والاتصال بالله وما إلى ذلك من المقالات التي انتشرت في القرن الثالث الهجري، اتهم غلام الخليل هذا – وكان قريباً من الخليفة – زهاء سبعين من الصوفية بالزندقة من بينهم شيخ الطائفة ببغداد الجنيد وحركم عليهم بالإعدام ثم أفرج عنهم ".

لقد كان ابن حنبل يمقت الصوفية لكن أتباعه كانوا أشد مقتاً لهم وتنكيلاً بهم . وقد اتسمت ملاحقاتهم لمخالفيهم في الرأي من العلماء بالتطرف والقسوة ، فتجاوزوا الصوفية إلى كل من لا يذهب مذهب أحمد ابن حنبل ، فكادوا يقتلون الإمام الطبري (٢٢٥-٣١٠ ه) . لأنه قال في كتابه في « اختلاف الفقهاء » إن احمد محد ث وليس فقيها ، ودفنت جثة الطبري سراً خوفاً من أن يثور الحنابلة على الجئة نفسها ، مع ان السبكي الشافعي الدقيق كان يقول عنه : « إنه فقيه العالم (٤١) » .

⁽۱) تاریخ بغداد ج (۲) . (۲) تاریخ بغداد ج (۲) . (۲)

⁽٣) د. أبو العلا عفيفي: التصوف : الثورة الروحية في الإسلام ١١٣ – ١١٤.

⁽٤) راجع ما كتبه عنه الخطيب في تاريخ بغداد ج٢/٢٦ ، رغم تعصبه للمحدثين .

مكانته:

١ – قال القشيري : عديم النظير في زمانـــه علماً وورعاً ومعاملة
 وحالا ... (١)

٢ – قال التميمي : هو إمام المسلمين في الفقه والتسوف والحديث .
 والكلام (٢) ,

٣ ــ قال الغزالي: المحاسبي حبر الأمة في المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال (٣).

على ابن خفيف: إقتدوا بخمسة من شيوخنـــا والباقون ساموا لهم حالهم: الحارث بن أسد المحاسبي ، والجنيد بن محمد، وأبو أحمد رويم ، وأبو العباس بن عطاء ، وعمرو بن عثان المكي لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق (٤) .

تال الخطيب البغدادي : المحاسبي أحد من اجتمعله الزهد والمعرفة -بعلم الظاهر والباطن (٥) .

٦ - قال أبو عبد الرحمن السلمي : من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر٬
 وعلوم المعاملات ٬ والاشارات ٬ وهو استاذ أكثر البغداديين (٦) .

واستاذ السائرين ، الجامع علم العارفين في زمانه ، واستاذ السائرين ، الجامع بين علمي الظاهر والباطن (٧) .

٨ - قال ابن النديم : المحاسبي البغدادي من الزهاد المتكلمين على العبادة والزهد في الدنيا، والمواعظ كان فقيها، متكلماً ،مقدماً، كتب الحديث، وعرف

المعتمل م ـ :

⁽١) الرسالة القشيرية ج١/٢٧ .

⁽٣) المصدر السابق ج ٧٣/١ وتعلميق المحقق كما ورد ذكر ذلك ايضاً في الكواكب للمناوي.

 ⁽٣) الرسالة القشيرية ج ٧٣/١ .

[.] $71 ilde{\epsilon}/\Lambda$ بالمصدر نفسه ، نفس الصفحة . (a) تاريخ بغداد ج

 ⁽٦) طبقات الصوفية ٦٥ – ٦٠ .
 (٧) طبقات الثافعية الكبرى ج ٢/٢٧ .

مذاهب النساك (١).

١٠ – قال أبو نعيم : كان في علم الأصول راسخًا وراجعًا (٣) .

١١ – وصفه ابن العماد بأنه الزاهد الناطق بالحكمة (٤) .

١٢ – قال ابن خلدون : جمع فقه الباطن وفقه الظاهر وفقه الورع وعلم.
 الآخرة (٥) .

١٣ – قال الكلاباذي: هو بمن صنف في المعاملات ، بمن جمـــع الفقه والكلام ، واللغة ، وعلم القرآن (٦) .

علمُ الظاهر والباطن ، له تصانيف في السلوك والمواعظ والأصول وهو أحدُ علمُ الظاهر والباطن ، له تصانيف في السلوك والمواعظ والأصول وهو أحدُ شيوخ الجنيد . وهو من الخسة الشيوخ الجامعين بين علم الظاهر والباطن في عصر واحد وهم هو ... والجنيد ورويم وابن عطاء وعمرو بن عثان (٧) .

10 — قسال فريد الدين العطار: كان المحاسبي من علماء المشايخ ، مرجع أولياء زمانه في المعاملات والاشارات ، وكان العلماء في عصره يرجعون إليه في كل فن . اشتهر بفراسة حاذقة بسلا نظير ، وبأنه شيخ مشايخ بغداد ، مختص بالتجريد ، والتوحيد ، والمجاهدة ، والمشاهدة (^^) .

١٦ – المناوي : هو علم، استاذ ، صوفي ، برع في عدة فنون ، واعظ ،

⁽١) الفهرست ٢٦١ . (٢) طمقات الصوفمة الكبرى ج ١٠/١ .

⁽٣) حلية الأولياء ج ٧٤/١٠ . (٤) شذرات الذهب ج ٧٠٠/٠ .

⁽ه) ابن خلدون – شفاء السائل ۲۷ . (٦) التمرف – نشرة آربري – ١٢ .

 ⁽٧) مرآة الجنان ج ٢/٢ ٤ .

⁽٨) التذكرة – للعطار – نشرة نيكاسون ٢٧٥ – ٢٧٩.

مؤثر له تصانيف كثيرة في علم الأصول (أصول الدين). وهو كما قال عنه التميمي: إمام المسلمين في الفقه ، والتصوف ، والحديث ، والكلام (١).

وقد أشار القشيري ، والتميمي ، وابن خفيف ، والسلمي ، والخطيب ، والسبكي ، والشعراني ، واليافعي ، والكلاباذي ، والمناوي ، إلى أنه جمع بين التصوف والفقه والحديث والتفسير .

أما في التفسير فقد و ُجدت له قطعة لم تشتهر ، وربما تجاهلها هر خوفاً: من الحنابلة والصوفية بسبب نزعته الكلامية فيها ، ويظن بعض الباحثين أنه. بسبب هذه القطعة التفسيرية كان خلافه مع ابن حنبل .

ومما يدل على تقدمه في الفقه ما رواه الخطيب عن ابن شاذان : ان الحارث ألتف كتاباً في الدماء التي جرت بين الصحابة وعليه عَوَّلَ أصحابنا ولقد أثار كتابه هذا رضى الكثيرين وسخط الكثيرين فهاسينيون يقول ان الحافظ العراقي (٨٠٦ ه) (٢) ردً على كتاب الحارث في الدماء ، بكتاب الحامشة : (البعث على الخلاص من حوادث القصاص) .

وهو يورد في تضاعيف مؤلفاته آراء رجال السلف ، والفقهاء المعاصرين في مختلف المسائل الفقهية ، مما يدل على سعة علمه . هذا إلى أنه أخذ عن الشافعي الذي درس على الإمام مالك ، والإمام محدد بن الحسن . ثم خرج بمذهبه الخاص .

أما كونه محدّثاً فأمر لا شك فيه. فقد قضى صدر شبابه يسمع المحدثين وأخـذ عن حوالي الثلاثين منهم ، بينهم كبار محدثي العصر كأبي عبيد الذي قال فيه أحمد « انه يزداد عندنا كل يوم خيراً ». وقال فيه الداراني : « انه جبل نـُفخ فيه الروح ». وقال فيه بعض المحدثين « انه أعلم من ابن راهويه

⁽١) الكواكب للمناوي ج ٢ / ٢١٨ .

Massignon - Essai p. 241 - 251. (7)

بوابن حنبل (١) » . ومن هؤلاء الكثيرين الذيم أخذ الحارث الحديث عنهم: وكيع بن الجراح رجـــل الحديث الأول في الكوفــة ، واستاذ احمد ابن حنبل .

وهشيم بن بشير أحد من روى عنهم البخاري ومسلم .

وابن أبي شيبة : وكان من علية أصحاب الحديث .

يزيد بن هارون عمدة أهل الحديث في علمهم ، وعظيم من عظها به من عظها به هارون عمدة أهل الحديث في علمهم ، وعظيم من

وسنيد بن داود الحافظ السلفي ، والمفسر بالأثر (٣) .

وشُريح بن يونس أحد كبار المحدثين .

وقد قيم الذهبي الحارث كمحدث فقال عنه: - مع ما عُرف من تحامله على الصوفية -: «صدوق ». وهذا حكم عادل صحيح ، وإنما لم يصفه بالثقة أو الضبط أو غير ذلك من صفات الحفاظ المدققين ، لأن الحارث كان يروي عن الضعفاء أحيانا كعثمان بن محمد، والحسن بن محمد، وابن أبي مريم وغيرهم من الذين ذكرناهم في ثبت شيوخه . ثم لأن المحاسبي عندما ترك بيئات المحدثين والفقهاء ، وانغمس في بيئات الصوفية لم يعسد يهتم كثيراً لاسناد الحديث ، ويلاحظ ذلك في كتابه (الرعاية) الذي يمثل قمة تطوره الفكري ، بينا نراه في كتابه (فهم القرآن) يحرص دائماً على ايراد الحديث بسنده . وتسامحه هسندا في روايه الحديث في مرحلته الأخيرة أدى به إلى رواية كثير من الأحاديث الضعيفة ، فقد ورد عنه الاحتجاج بحديث : «القدرية مجوس هذه

⁽١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ٢٢٥ – ٢٢٧ .

⁽٢) المروج للمسعودي ج ٢ / ٣٣٦.

⁽٣) العلو للذهبي ١١٤ .

الأمة » وهو حديث شديد الضعف، واعتمد في كتابه « التوهم » على حديث طويل منسوب للرسول في وصف الجنة وأهلها وهو من موضوعات بعض القُصّاص ، ويضيف الذهبي إلى قوله عن الحارث أنه صدوق ، كلمة قد تعلل سبب ضعف الحارث في الحديث على كثرة حفظه : « وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه » . كا قال أبو ررعة تلميد الإمام أحمد عن كتبه « انها كتب بدع وضلالات » .

إن الطريق الذي اختاره الحارث لنفسه - اعني طريق التصوف - ثم الناحية التي كاد يختص بها منه، وهي حديثه في الوساوس والخطرات،اقتضاه أن يؤيد هذا الاتجاه وهذا الاختصاص بآثار عن الرسول، ورجال السلف. وكان الجال أمامه ضيقاً فكان أن أكثر من الاستشهاد بضعاف الأحاديث وأقوال ان منبه والحسن ومجاهد . وقد أفادته نزعته الكلامية العقليــة في هذا الجـــال بعض الشيء ، فلم يقع في رواية أحاديث التشبيه والتجسيم التي وقع غيره من الصوفية قليلي العلم فيها . لكنه لم ينج من آثار الغنوص ، ولم يكن ضعف الحارث في الحديث أو رتبته الوسطى فيه ، بدعاً بين الصوفية ، إذ اشتهر عنهم عدم الاهتمام بالحديث ، حتى قال خصومهم إنهم يجيزون وضع الحديث لنصرة مذاهبهم في علم الباطن . ويبدو ذلك واضحاً في « حليــة الأولياء » ، وواضحاً أيضاً في « طبقات السلمي » الذي يتهمه خصومه بوضع كثير من الأحاديث . ثم يستشري هذا الداء في كتاب « الإحياء » للامام الغزالي الذي نجد فيه كثيراً من الأحاديث الموضوعة بغير ما تعمد، والإحياء هو المنهل الذي ما زال الصوفية إلى اليوم ينهلون منه . وقد بلـغ هجوم الحنابلة على الغزالي لروايته الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، مبلغًا عظيمًا ، أحاديث الإحياء على طريقة ِ المحدِّثين ليبرأ منها كتاب الغزالي العظيم ..

يقول « السلمي »: هو استاذ أكثر البغداديين (١) . ويقول عنه «العطار » في « التذكرة » : هو شيخ مشايخ بغداد ومرجع أولياء زمانه كان العلماء في عصره يرجمون إليه في كل فن (٢) . ويدل على تقدم رتبته في التصوف انه خامس الأربعة الذين يقول الصوفية انهم جمعوا بين علم الظاهر والباطن في عصر واحد ، بل كان استاذاً لهم . إذ أخذ عنه أو صحبه كل من معروف الكرخي (- ٢٠٠ هـ) وابن عطاء (- ٢٠٩ هـ) والسري السقطي (- ٢٥١ هـ) وعمرو بن عثمان المكري (- ٢٩١ هـ) والجنيد (- ٢٩٧ هـ) .

وابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ازدهر التصوف، وكثر هشايخ الصوفية وانتشرت حلقاتهم في مختلف بقاع العالم الإسلامي . وبالرغم من أن أصولهم وغاياتهم كانت متشابهة لكن كانت للبيئات التي نشأوا فيها آثارها الواضحة على تصوفهم ، فبالاضافة إلى الثقافة السلفية في علوم القرآن والحديث ، والتي تختلف من قطر إلى قطر في العمق والنظرة ، فقد كانت هناك التقاليد الثقافية القديمة في الأقطار ذات الحضارة العريقة قبل فتح المسلمين لها . ثم المزاج الشخصي لشيخ الحلقة . وقد كان طلابه ومريدوه شديدي الارتباط بشخصة وبآرائه لأن "من لا إمام له فإمامه الشيطان"». حتى لقد طلب الكرخي إلى تلاميذه « ان يُقنسموا على الله به » . كا طلب حتى لقد طلب الكرخي إلى تلاميذه « ان يُقنسموا على الله به » . كا طلب اليهم أبو زيد البسطامي في عبارة غريبة « ان يدعوه هو ولا يدعوا الله » .

لهذه الموامل كلما بدأ التميز بين الصوفية في مختلف الأقطار. فقد تميزت هذه الحلقة في نيسابور عن تلك التي في البصرة، أو بغداد، أو الشام، أو مصور. ولقرب الكوفة من مراكز الثقافة القديمة فقد نشأت مدارس التصوف

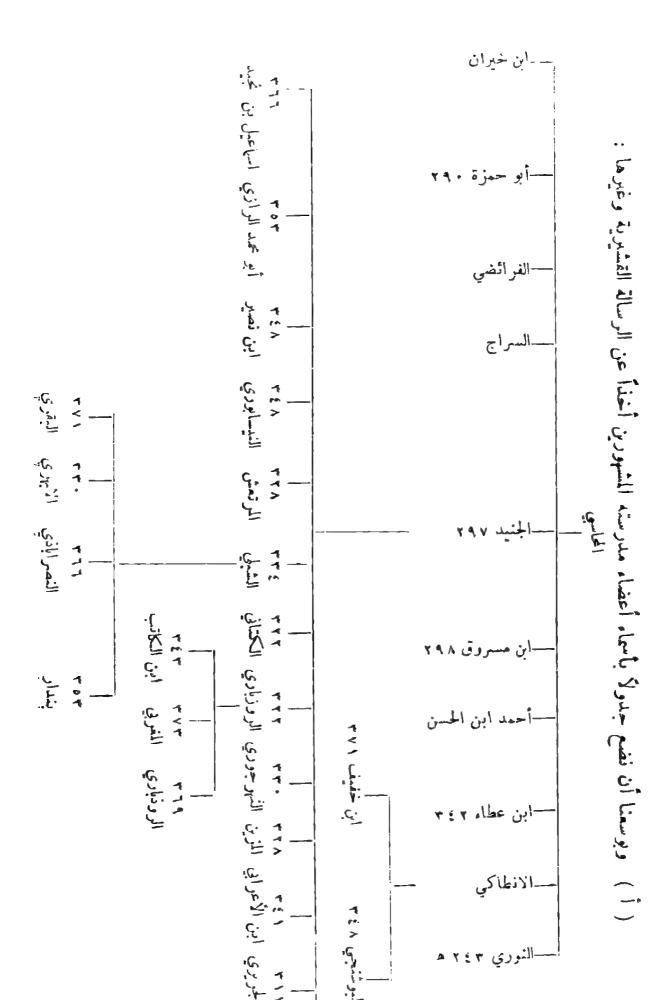
⁽١) طبقات الصوفية ٥٦ . (٧) تذكرة الأولياء ٥٧٠.

فيها وفي غيرها من أقطار فارس متأثرة بتلك الثقافة آراميهــــا ومزدكيها ومانويها وهندوكيها .

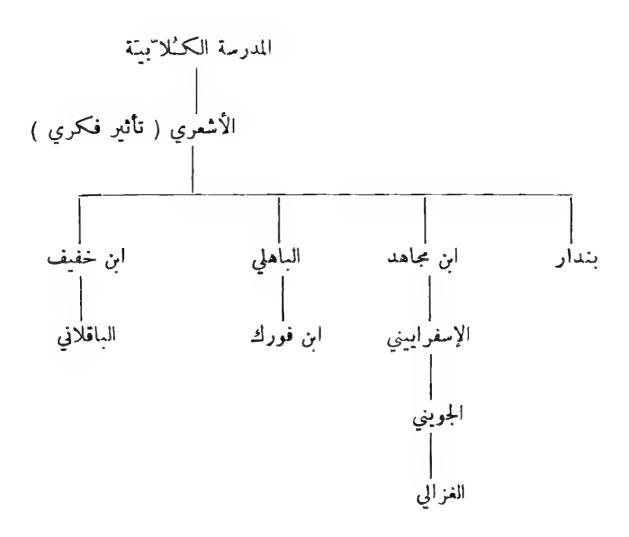
ولما أصبحت بغداد مركز الإسلام السياسي والإقتصادي وضعف شأن التصوف في البصرة ، ذلك التصوف – الذي كان سلفياً بتأثير مدرسة الحسن البصري وذا نزعة كلامية – ورثت بغداد التصوق البصري والمدني معا ، فوضعت له أساساً وقواعد . ولذلك وجدنا في مدرسة بغداد الصوفية زهد أهل البصرة الذي كان متأثراً بنظريات المعتزلة الكلامية ، وزهد أهل المدينة الذي كان متأثراً بنظريات المعتزلة الكلامية ، وزهد أهل المدينة الذي كان متأثراً بالحديث . ومن أبرز من ظهر فيهم الأثر الأول الحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣ ه.)(١)

وقد نقلنا سابقاً عن المؤرخين للحارث أنه كان شيخاً لمدرسة بغداد وقد أخذ عنه أو عمن أخذ عنه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كل من ينتمي إلى هذه المدرسة ، وبرزت فيهم ميزات فلسفة الحارث وخطوطها الرئيسية في التصوف وعلم الكلام ، وقد ذكر له المؤرخون عدداً من تلامذته كأبي العباس ابن مسروق الطوسي ، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، والجنيد بن عبد الرحمن ، وأحمد بن نصر الفرائضي ، واسماعيل بن إسحتى الثقفي السراج، وأبو على ابن خيران الفقيه .

⁽١) التصوف : الثورة الروحية في الإسلام : ١٨



(ب) جدول أثره في الأشاعرة



والجنيد: تلميذ الحارث « سيد هذه الطائفة وإمامهم » كما يقول القشيري: كان فقيها على مذهب أبي ثور ، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة . صحب خاله السري ، والحارث المحاسبي ، ومحمد بن على القصاب (۱۱ . وكان النورى كبير الشأن حسن المعاملة واللسان وصحب السري والمحاسبي (۲۱ . أما ابن عطاء فهو من كبار مشايخ الصوفية وعلما لهم (۳) . أما أبو حمزة فكان عالما بالقراآت وفقيها (٤) . أما الشبلي فكان شيخ وقته حالاً وظرفا وعلما (٥) .

والمرتعش كان كبير الشأن (٦) . أما الروذباري فكان أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة (٧) . وابن الكاتب كان كبيراً في حاله (١٠) . أما ابن خفيف فهو شيخ الشيوخ وواحد وقته (٩) . أما بندار بن الحسين (١٠) فكان عالما « بالأصول » كبيراً في الحال . والمقصود بالأصول هنا علم الكلام .

طابع المدرسة:

١ - السلفية :

ولقد حافظت المدرسة على طابع الورع الذي ورثته عن شيخها الأول « المحاسبي » وكان أعضاؤها علماء في القرآن والفقه والحديث فلم تنتشر فيها الدعاوى ، ولا افضت بها الهواجس إلى الحلول أو الإتحاد أو غير ذلك من المذاهب الغريبة التي بدأت تسيطر على الأوساط الصوفية منذ أواخر القرن الثاني الهجري. من الشريعة بدأوا وإلى الشريعة انتهوا فلم يضيعوها في أقوالهم ولا في أعمالهم ، روى الروذباري عن الجنيد أنه أجاب رجلا سأله قائلا : « أهل المعرفة يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله عز

⁽١) الرسالة ج ١/٥٠١ . (٢) الرسالة ج ١/١٠١ .

⁽٣) الرسالة ج ١/١٣٥ . (٤) الرسالة ج ١/١٠٩ .

⁽٥) الرسالة ج ١/١٤٠١ . (٦) الرسالة ج ١/٠٤١ .

⁽v) الرسالة ج ١/١٥١. (A) الرسالة ج ١٥٨/١.

⁽١) الرسالة ج ١٧٣/١ . ١٠٠) الرسالة ج١/٥٠١ .

وجل ؟ فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم ، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرر ذررة ، إلا أن "يجال بي دونها » (١) .

وقال : «كُلُّ الطرق مسدودة ُ على الخَـَلقِ إِلَا مَنِ قَتَفَى أَوْ رَسُولُ اللهِ » .

وقال: « من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث َ لا يُقتدى به في هـذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنــة (٢) » .

وقال ابن مسروق : « من راقب الله في خطرات قلبـــه عصمه الله في حركات جوارحه »(٤) .

وقال الجريري: « رؤية الأصول باستعمال الفروع ، وتصحيح الفروع عظم الله عظم الله الله الله الله عظم الله من الوسائط والفروع (٥) ».

وقال إبن عطاء: « من أَلزَ م نفسه ُ آدابَ الشريعة نوّرَ اللهُ قلبه بنور المعرفة. ولا مقام أشرف من مقام متابعة للحديث الرسول الله في أو امره وأفعاله وأخلاقه (٢٠) ». وقد اشتهر الجنيد بأنه صاحب «مذهب الصحو » في التصوف خلافاً لكثير من المتصوفة ذوي الشطحات من معاصريه .

⁽١) الرسالة ج ١٠٦/١ (٢) الرسالة ج/١ ١٠٠٧ .

 ⁽⁻⁾ الرسالة ج ١/١١

⁽ه) الرسالة ج ١/١٣٤ (٦) الرسالة ج ١/١٣٥١.

٢ – النزعة الكلامية:

هذه النزعة التي تختلط أشد الاختلاط بالتصوف في مدرسة المحاسبي خصوصاً عند الجنيد والنوري والشبلي فيا يتصل بمسائل المعرفة بالله والمحبة الإلهية والفناء في الله والبقاء به . ولا شك أن هذه النزعة هي سبب لقائهم مع الأشاعرة وهي ايضاً ميزة من ميزات تصوف المحاسبي المولود في البصرة ، بيئة المتكلمين الاولى(١) .

٣ – البحث في أحوال النفس:

والبحث في آفاتها من الأحوال والمقامات الصوفية : كالوجه والشوق، والقرب والانس والغيبة والحضور والايثار والذكر والتوبة ورؤية الله(٢). وقد اشتهرت كتب المحاسبي عند خصومه بأنها كتب وساوس وخطرات ولا يخلو كتاب منها من كلام طويل عن الرياء والكبر والعجب وتفقد السرائر وغير ذلك من دقائق النفس.

كتبه :

يقول « السبكي » في ترجمته « المحاسبي » عن كتبه : روى عن بعضهم. أنها تبلغ مئتي مصنف في الزهد والسلوك والتصوف وأصول الدين والرد على. المعتزلة والرافضة والقدرية وغيرهم من المخالفين وبعضها في الفقه والأحكام (٣).

ويقول ابن النديم: له من الكتب كتاب التفكر والاعتبار (٤).

ويقول الخطيب : للحارث كتب كثيرة في الزهــــــــــ وفي أصول الديانات

⁽١) التصوف : الثورة الروحية في الاسلام ٩٤ .

⁽٣) التصوف : الثورة الروحية في الاسلام ٥٠ .

⁽٣) مقدمة رسالة المسترشدين : ابو غدة ١١ .

⁽٤) الفهرست ۲۶۱ .

والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وغيرهما . وكتبه كثيرة الفوائد جمة المنافع (١١) .

ذكر أبو على ابن شاذان يوماً كتاب الحارث في الدماء فقال: « على هذا الكتاب عو"ل أصحابنا في أمر الدماء التي جرت بين الصحابة » .

ويتحدث الخطيب عن كتاب له في المعرفة وكذا الشعر اني (٢).

ويقول ابن العهاد: له مصنفات نفيسه في الأصول والسلوك (٣).

ويتحدث ابن حجر عن كتب الحارث التي رأى فيها الحـــافظ أبو زرعة كتب بدعة وضلالة (١٠) .

ويذكر ابن خلدون ان كتاب الطريقة الأولى بين معاصريــه كان كتاب المرعاية للامام المحاسبي^(٥).

ويذكر صاحب « مرآة الجنان » أن للحـــارث تصانيف في السلوك والمواعظ والأصول ومن كتبه النفيسة المشهورة كتاب الرعاية (٦).

ويقول د. عفيفي : انه أعظم مؤلف صوفي في القرن الثالث الهجري (٧٠.

من أقــوال هؤلاء جميعاً نخرج بفكرة على شيء من الوضوح عن فكر الحارث. فهذه الكثرة من الكتب التي يبلغ بها الخطيب المئتين عداً وهو ثقة في هذا لأنه بغدادي ، والحارث بغدادي ولأنه ليس متأخراً عنه كثيراً ، ولأنه واسع الاطلاع على الكتب – لا تثير استغرابنا ، إذ ان أكثرها رسائل صغيرة ، كالرسائل التي وصلتنا في الزهد والمكاسب والعقل وآداب النفوس.

⁽١) تاريخ بغداد ج١١/٢ . (٢) الطبقات الكبرى ج١/٠٠ .

⁽٣) شذرات الذهب ج٢/٢٣ . (٤) تهذيب التهذيب ج٢/٢٣ .

⁽٥) شفاء السائل ٢٧ . ٢٥ (٦) مرآة الجنان: ج٢/٢٠.

[¿]٧) التصوف : الثورة الروحية ٢١٢.

ونفهم بالنظر في حجم هذه الرسائل ومنهجها أنها كانت فعلا تؤلف كا رُوي عنه جواباً على أسئلة كانت 'توَجَّهُ إليه حــول المواضيع الملحة التي تشغل الأذهان وقت السؤال والجواب في بيئات المحدثين والصوفية والمتكلمين وإن كُتبت جميعها ، في ما عــدا العقل ، بروح صوفية واضحة . والكتب التي وصلتنا من تلك الكثرة السالفة الذكر تتناول مختلف الموضوعات التي كانت مثاراً للجدل وموطناً للحجاج بين العلماء . فهي وان انصبت في أكثرها على الموضوعات الصوفية تتعرض لأمور في علم الكلام والحديث والفقه والتفسير .

في الحلية وتاريخ بغداد: قال الجنيد: «كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول أخرج معي نصحر ، فأقول له تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات. فيقول: أخرج معي ولا خوف عليك فأخر ب معه ، فكأن الطريق فارغ من كل شيء لا نرى شيئانكرهه ، فإذا حصلت في المكان الذي يجلس فيه ، قال لي : سلني ، فأقول له ميا عندي سؤال أسألك ، فيقول لي سلني عما يقع في نفسك ، فتنثال علي السؤالات ، فأسأله ، فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتمالات ، فأسأله ، فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها

ومنهج الحارث هذا منهج فريد في التأليف فهو لا يكتب إلا ما كان في النفس حاجة إليه ، ولا يلتمس مناسبات القول الهاسا ، وإنما كان يتفحص النفوس ليعلم ما تتطلب وما ينقصها من المعارف وما يشكل عليها فهمه من الحق فيدو نه كتبا . ونهجه هذا نهج تجريبي كبير الجدوى على المجتمع ، جم الفائدة ، يعفي من الثرثرة بكثير لا حاجة لنا به من فنون الكلام ، واللغو بالقول (٢).

⁽١) الحلية ج٠١/٨١ . وتاريخ بغداد ج٨/١١ .

⁽٢) مقدمة المسائل للحارث: _ تحقيق عبدالقادر عطا _ :١٠

ولأمانة الحارث في نقل أفكار عصره نستطيع أن نقول وبغير تردد أن الموضوعات التي كانت شغل العلماء الشاغل في المنصف الأول من القرن الثالث. ونهج الحارث هذا في التأليف يعلل لنا أمراً آخر بدا في مؤلفاته هو قصر ُها وإيجاز ُها في الغالب.

فلأن المحاسبي يكره اللغو والفضول والتشدق بالكلام ، ولأن الجواب ينبغي أن يكون على قدر السؤال ، كانت أكثر مؤلفاته مختصرة يقع الواجد منها في بضع عشرة ورقة تفي بالمراد و'تفهم المريد ما يريد له أن يفهم .

ولا يعني ذلك أن المحاسبي ترك مؤلفاته في صورة حوار مرتجل بلنظمها بشكل متسق ومنطقي بعض الشيء تبعاً لنمو نزعته العقلية ونضج تفكيره. وسنحاول أن نقسم مؤلفات الحارث تقسيماً زمنياً. ونرى أن تقسيم د. عبد الحليم محمود لها إلى ثلاث فترات تأليفية له ما يبرره ، لكن بما أنه لم تصل إلينا من مرحلة تفكيره الأولى أشياء يمكن الاعتماد عليها تماماً فإننا نؤثر أن نقسمها إلى فترتين زمنيتين تحدد نهاية أولاهما وبداية الثانية أزمته الروحيةالتي انتهت بانضامه إلى جماعات الصوفية في بغدداد وهذا التقسيم يعتمد على أمرين :

أولها الإشارات التاريخية في مؤلفات الحسارث ، ومؤلفات من كتبوا عنب.

وثانيهها روح النص المكتوب ، والنقد الداخلي له .

مؤلفات فترة التحول : (١٩٥-٢٠٧ ه.)

وهــذا التاريخ الأخير هو الوقت الذي استقر الأمر فيه تقريباً للمأمون .

النصائح أو الوصايا

يتحدث في أوله عن أزمته الروحية وحيرته بين الفرق الكثيرة التي شغلت

مسرح العصر ،ويشكو إلى الله شيوع النرف والتحلل ويتحدث عنهوان النفس على رجال الشهوات حديثًا نفهم منه أن تأليفه لهذا الكتاب كان في غمـــار الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون على الخلافة .

ويتفق هذا التاريخ مع ما رواه صاحب « التذكرة » عنه من أنه أخـذ عن نفسه ثلاثين سنة وعن الله ثلاثين سنة أخرى. فإذا كان مولده (١٦٥ هـ) تكون أزمته الروحية قد بدأت (١٩٥هـ-٢٠٠) وهي الفترة التي تعاظمت فيها قلاقل السلطة بين الأمين والمأمون حتى إذا قتل الأمين (١٩٨ هـ) وانصرف قائد المأمون طاهر بن الحسين عن بغداد ، ظهر إبراهيم بن المهدي ودعا إلى نفسه ونشبت ثورة شيعية في العراق بزعامة ابن طباطبا العلوي وأبي السرايا.

ويبدو أسى الحارث في ذروته عندما يتحدث بيأس عن ندرة العلماء السكانجين لهواهم ، المعتزلين الفتن ، ويرى أن سبب الفساد المستشري هو المال وحب الدنيا (۱) . فيعقد فصلا طويلا يتحدث فيه عن موقف الرسول والتابعين من المال وزخارف الدنيا ويكاد يدعو إلى ترك الحلال كله فيقول : « ان ترك جمع المال الحلال لإنفاقه في وجوه البر أولى من جمعه ، وان من يقول بأولوية جمع المال الإنفاقه قصداً إلى البر يتهم الله تعالى لعدم معرفة الحق إذ حذر الله من المال ومن جمعه » .

ثم ينهى عن النظر في خلاف سلف الأمة ويبدو خائفاً أن يقارن الناس بين أحوال الخلف والسلف مشيراً في ذلك إلى ما وقع بين علي ومعاوية وما كإن يقع يومها بين الأمين والمأمون .

وتظهر نزعة الحارث العقلية دونما تطرف حينا يعقد فصلاً يتحدث فيه عن فضل العقل في طاعة الله جل وعلا . وتدور باقي أبواب الكتاب تحت عنوان كبير يمكن وضعه لها هو : المحاسبة ، أو اجتناب الرياء وهو موضوع محبب

⁽١) الوصايا أو النصائح للحارث : تحقيق عبدالقادر عطا - اللقاهرة ص ٢٠٠.

إلى الحارث المحاسبي ويدين له بلقبه ، بل هو أحد أركان مذهبه الصوفي كما سنرى في الحديث عن هذا المذهب .

كتاب الخلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين

موضوعاته هي موضوعات «الوصايا» وإن لم يذكر في مقدمته شئاً عن أزمته الروحية التي مربها ، أما الروح المتسلط على هذا الكتاب فهو ايأس مما في أيدي الخلائق واللواذ بجناب الخالق مع تركيز ملحوظ على الدعوة إلى العزلة عن الفتن وشدة التفتيش على الأهواء ووأدها قبل أن تسيطر على صاحبها .

ومما يدعو إلى العجب أن المحاسبي – وقد كان لسنوات خلت تلميداً المحدثين – يبتعدعن نزعته التحديثية التي كان ينبغي أن تظهر في كتبه هذه ويعتمد على أحاديث للرسول تختلف درجاتها في الصحة مع إغفال الإسناد الذي يغرم به المحدثون عادة . وربما أمكن تعليل ذلك بأن الشك الذي داخله حسول سلامة طريقته في الحياة ربما شمل أسانيده ، عن المحدثين ، باعتبارها مظهراً من مظاهر الرياء والتفاخر بإظهار العلم وكثرة الحفظ وقد أنحى هو عسلى المحدثين باللائمة في هذه النقطة في بعض كتبه المتأخرة .

آداب النفوس

ويسيطر عليه الروح الذي سيطر على الكتابين السابقين فيتحدث فيه عن كيفية إخلاص القلب لله،وظهور ذلك على الجوارح مع التركيز عـــلى أمرين أساسيين : العلم والعقل . فهو يرى أن العلم باعث لأداء فرائض الله.والعقل ، داعية لمحاربة أهواء النفس ، ومن عرف الشرحق المعرفة وقع في الخـير ،

وتجنب بفطنته دقائق الأهواء وآفات الباطن وعرف نفسه وعدوه فانصرف إلى طاعة الله بعلمه(١).

رسالة المسترشدين:

ويسيطر عليه الروح الذي سيطر على آداب النفوس ويبدو فيه احترام العقل مختلطاً بل متلازماً مع مزيد من الاتجاه نحو التوكل الصوفي . « حاسب نفسك في كل خطرة وراقب الله في كل نفس واستعمل لله عقلك بترك التدبير واستعن بالله على صرف المقادير »(٢).

وتظهر في الكتاب لأول مرة ميزة اللوبية هامة استمرت في كل كتب المحاسبي. المتأخرة هي عبارته (العقل عن الله) وقد بدأت في «آداب النفوس» في كلام. عن العقل أصله في «الوصايا»، ثم اتضحت تماماً في «رسالة المسترشدين»، هذه التي تكاد تكون نهاية مرحلة أزمته الروحية بما يدل على أن الذي استقر عليه بعد التفكير ومحاسبة النفس مظهره الصوفي الكلامي الذي بدا في «فهم القرآن» و «العقل».

التوهم :

تظهر فيه النزعة العقلية التي ظهرت في الكتابين السابقين ويبدو من اسمه دعوته إلى سياحة عقلية محايدة أو كما يقول هو: « توهم ذلك بعقل فارغ» (٣). ويردد هذه العبارة مراراً ، بل يدعو أيضاً إلى التوبة وإقالة العثرات بطريق التأمل العقلي (٤).

ويدور الكتاب حول فكرة جريئة ، انها رحلة إلى الآخرة بالوهم ، أو

⁽١) آداب النفوس (مخطوط) ٦٥ .

⁽٢) رسالة المسترشدين ٣٥ -- ٣٩ .

⁽٣) التوهم : ٣٣ نشرة . آربري .

⁽٤) التوهم : ٢٣ .

هي رحلة وهمية إلى الآخرة ، دار الثواب والعقاب ، يرينا فيه المحاسبي. وبصورة حسية ما أعد الله فيه المحسنين من ثواب والمذنبين من أهوال العقاب ، ويصف ألوان نعيم أهل الجنة بخيال حسي حار (۱) . وكان قد عرض لهذا الموضوع سابقاً في إلمامة قصيرة وبشكل عام في كتاب « آداب النفوس » بدأها بقوله : « توهم نفسك وقت الحشر » ثم تابع الحديث عما يحصل في الآخرة من سؤال عن الأعمال و كيفية قضاء العمر ، م ان من أين اكتسبه صاحبه وأين وضعه . وقال أخييراً ، « فإنك يا أخي إن شغلت قلبك بذلك وأسكنته إياه وكان فيك مع ذلك شيء من صحة تركيب العقل ، فإنه سيكل منك السانك ، ولا يعدمك الخوف اللازم مع الحزن الدائم والشغل المحبط بقلبك » . (۲)

وكنا نريد أن نجعل كتاب التوهم بعد آداب النفوس مباشرة لولا ملاحظة مو نزعته العقلية التي استحالت مذهباً على شكل مثلث قمته كتاب الله وسنة رسوله وجانبا قاعدته العقل والعلم . وقد بدت هذه النزعة في كتابه «التوهم» أوضح منها في « رسالة المسترشدين » لكن حال دون ذلك الطابع الخاص لهذه الرسالة الذي يجعلها تبدو كأنما هي مقدمة لفترة التدريس ، إذ الواضح انها محاولة تعليمية .

ومع أن الحارث يحاول أن يفهمنا أنه لا يفعل شيئاً سوى أن يفسر النصوس القرآنية التي تدور حول نعيم أهل الجنة افتصويره إذن تفسير للتصوير القرآن لليوم الآخر . إلا أن الواضح أنه يتجاوز القرآن والحديث بتفاصيله الطريفة والمثيرة التي لا نرى فائدة من التوقف عندها . وقد يكون سبب وضع كتابه هذا محاولة لاجتذاب مريد مبتدى ، في الطريقة ، ويصعب أن نرجعه إلى ترف عقلي أو شيء من هذا القبيل ، لما 'عرف عن المحاسبي من ورع وشدة رقابة للنفس وإبعاد لها عن الفضول .

⁽١) التوهم : ٣٤ .

⁽٢) آداب النفوس (مخطوط) ٦٣ .

وكتبه السابقة ، ما عدا الوصايا ، تبدو بشكل أسئلة وإجابات عنهـــا و بصيغة المفرد ، وربما كان السائل هو أحمد بن عاصم الإنطاكي الذي صحب الحارث في تلك الفترة زمناً طويلاً .

٣ – مولفات فترة التدريس : (٢٠٧–٢٣٦ ه)

تغلب في أوائلها النزعة الكلامية المختلطة بالتصوف مع ميل إلى التحديث المدعم بالأسانيد. وكأنما شعر المحاسبي وهو السني السلفي أن كثيرين سيعيبون عليه كلامه في أصول الدين فعو ل على الحديث حتى لا يجدوا حجة للإنكار عليه ، وإن كنا نعرف أن تحفظه هذا لم يجده شيئاً لأنه فيا بعد لقي ملامة وتفنيداً من الصوفية والحنابلة على السواء .

وهناك سبب آخر جعله يعتمد على الحديث المسند في كتبه هذه إذ انه كان متكلماً سنياً يواجه المعتزلة وهم نفاة للسنة في الغالب فكان لا بد أن يقف إلى جانبها راوياً ومؤيِّداً ومصحيِّحاً .

هذا إلى أنه كان يجد في الحديث تأييداً كبيراً لآرائه ، لأن القرآن عام وموجز في الأصول ، والسنة شارحة ومفصلة وفيها إلزامات كثيرة للمعتزلة والرافضة والمرجئة ، والخوارج ، ثم الثنوية ، والدهرية ، وغيرها من الفرق التى رد عليها المحاسبي .

وتبدأ نزعته الكلامية تخفت في كتبه المتأخرة شيئًا فشيئًا حتى لتكاد تختفي في كتابيه « المكاسب » و « الرعاية » وهو أمر فطن له د. عبد الحليم محمود فعمد إلى تقسيم كتبه إلى ثلاثة أقسام – ومع أن هذا التقسيم لهما يبرره كا قلنا – إلا أننا نلاحظ أنه وإن خفتت النزعة الكلامية في الكتب المتأخرة فقد ظل الأسلوب الجدلي واضحاً لدى الحارث وكذا الدقة المنطقية والتركيز على المسائل الفقهية الممزوجة بالتفسير الصوفي .

وتتضح في مؤلفات الحارث لهذه الفترة خصائصه الأسلوبية تماماً ، وتبدو كتبه أكثر منطقية في ترتيب فصولها وأكثر اتساقاً في مضمون عباراتها ، بل يسمو اسلوبه أحياناً إلى مستوى رفيع ونحن نلحظ أن وراء ذلك كله ثقة بالنفس واعتداداً كبيراً بالعقل المؤمن . ولا شك أن ما وصلنا للحارث في علم الكلام قليل بالنسبة إلى ما حدثنا المترجمون له عنه وربما كان سبب ضياع مؤلفاته في علم الكلام إتلاف الحنابلة لها إبان سبطرتهم على بغداد .

مانية العقل ومعناه :

وإنما وضعناه على رأس مؤلفات هذه الفترة لسببين :

١ - النمو المنطقي للنزعة العقلية التي بدأت منذ الوصايا حتى بلغت فيه قمتها .

٣ — انه يبدو كمنهج وضعه الحارث ليسير عليه في كتبه المقبلة بعد أن استقرت آراؤه ، وعول على التصدي لخصوم مذهبه . والحق يقال إنه ظل أميناً لمنهجه هذا حتى بعد غلبة ميوله الصوفية عليه في أواخر عهده بالتدريس . وسنعرض لفكر الحارث في هذا الكتاب عندما نشرح مخطوطته وندرسها .

وألف بعده « فهم القرآن » الذي سنعرض له عند الكلام على مخطوطته التي ننشرها أيضاً مع الشرح والدراسة .

كتاب العظمة وكتاب احكام التوبة :

وربما عاد المحاسبي فيهما إلى الفترة التي ألف فيها كتابه في فهم القرآن. لأنهما يشبهانه من حيث الموضوعات والمشاكل المطروحة والحلول المعروضة لها، مع ظهور النزعة الكلامية ، وإن كان عنوان الكتاب الثاني يشعر لأول وهلة بأن الحارث كتبه في فترة كتابته للوصايا . وهو في كتاب العظمة يرد على الثنوية الذين كانوا قد بدأوا يفدون على بغداد وينشرون في أوساطها جواً من الزندقة والتشكمك .

: في الدماء :

وواضح أن الكتاب يتصل بما وقع من الدماء بين الصحابة ، وقد عول عليه الصوفية كما ذكر أبو علي ابن شاذان .

والراجح انتأليفه له يعود إلى هذه الفترة تقريباً عندما بدأت نزعته الفقهية الصوفية تظهر . وقد تحدث الحارث عن موضوع النزاع بين الصحابة أول ما تحدث في الوصايا . وكان حديثه ورعاً لم يتعرض فيه لشيء من الحجج لتأييد كلامه ، بل كان في صيغة تحذير للاخوان المريدين من الوقوع في مزالق الحكم على هذا أو ذاك بالمسؤولية . ولم تكن حالته النفسية ولا نهجه التأليفي في تلك الفترة يسمحان له بتأليف كتاب فقهي متزن يستحق الرد عليه من معارضيه، بعد ما يزيد على الخسة قرون إذ رد عليه الحافظ العراقي في كتابه (البعث على الخلاص من حوادث القصاص) كما ذكرنا سابقاً .

وقد عاد إلى الموضوع نفسه وبشكل موجز في كتاب المكاسب.

أما الحقبة التي ألف الحارث فيها هذا الكتاب ، فهي الحقبة الوسطى من حياته الفكرية ، ذلك أنه كانت المعتزلة والرافضة آنذاك آراء معروفة في مسائل الحلاف بين الصحابة فكان لا بد للمحاسبي في تلك الحقبة من اشتغاله بعلم الكلام من الرد على هاتين الفرقتين ، أضف إلى ذلك أن المأمون كما قدمنا كان قد أظهر نزعة شيعية في مسألة الخلافة بين الصحابة ابان ذلك الوقت .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن ما يدعونا إلى ترجيح إعادة كتاب «المكاسب» «الدماء» إلى الحقبة الفكرية الوسطى عند الحارثهو أن كتاب «المكاسب» يمثل مرحلة متأخرة من تطوره الفكري بعض الشيء حيث تبدو فيها نزعته الفقهية مختلطة بالتصوف ومتوجهة بالدرجة الأولى إلى المتصوف. الذين لم يكونوا عميقي الثقافة في العلوم الإسلامية ، فوقعوا في الكثير من الأخطاء.

ومع ان الكتاب لم يصل إلينا فإننا نستطيع أن نعرف رأي المحاسبي في هذه المسألة التاريخية الهامة، وإن كان في كلا الكتابين، الوصايا والمكاسب، قد أورد آراءه عرضاً ودونما تفصيل وفي صيغة تحذير، ونهي عن الخوض في هذا الموضوع الشائك.

يبدأ المحاسبي في الوصايا بتحذير (إخوانه) من الخوض في الاختراف بين متقدمي الأمة ، ويقول ان سبب الإختلاف بين من جاء بعد عصر الصحابة هو نظرهم وتعمقهم في الخلاف بين الصحابة ، ثم الأخذ والاحتجاج بتشاب القرآن دون محكه . ويورد أمثلة توضح من يقصد بالفرق الضالة فيشمل بتضليله : القدرية ، ويقصد أتباع معبد وغيلان ، ثم أتباع واصل بن عطاء ، والمرجئة والرافضة والجهمية والحرورية . أما سبب ضلالهم فهو أنهم حاربوا بعضهم بعضاً وتعادوا وتضاربوا وشهد بعضهم على بعض : بالكفر والضلال واستحلوا دماء المخالفين لأهوائهم ..

وقد كانوا من قبل ذلك إخواناً فلما بُلـُوا بالبحث والتعمق صاروا أصنافاً واحتج كل قوم بمتشابه القرآن وبالآثار التي توافق هواهم فضلوا وأضلوا في ذلك كثيراً (١).

والأسلم ترك التعمق في مثل هذه المسائل العقدية والتماريخية إذ اننا لن نصل إلى حل يرضي جميع الأطراف^(٢).

وطريق النجاة .. التمسك بكل مجمع عليه لم تختلف الأمة فيه من الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه وحدوده وفرائضه وشرائع دينه وجميع ما أجمع عليه السلف ففيه الرشد والحق (٣) .

⁽١) الوصايا ٧٤. (٢) الوصايا ٥٧-٧٠.

⁽٣) الوصايا ه ٧ .

مذهب أهل السنة من القول بأن عثمان قتل مظاوماً ، وأن علياً قتل مظاوماً ايضاً وأن الحق في جانبه وأما عائشة وطلحة والزبير ومن معها ومعاوية ومن معه فمجتهدون مخطئون.

يقول المحاسبي: « وقد تقدم في صدر هذه الأمة من الفتن والاختلاف والتفرق وفتنة الجمل وصفين وابن الزبير والعراق والجماجم في البصرة والكوفة ونواحي الأطراف وقد 'قتل أمير المؤمنين عثمان ظلماً وعدواناً »(١).

المكامني :

ويرجع تأليفه إلى النصف الثاني من العقه الثاني للقرن الثالث الهجري (٣١٥-٣١٠ هـ) لأنه يتحدث عن فتنة الأمين والمأمون ومها تبعها من حروب يذكر أنها استمرت ثمانية عشر سنة على فترات متقطعة وفي مختلف بقاع الدولة ، منها أربع سنوات متوالية في العراق ، وهذا صحيح من الناحية التاريخية . فإذا علمنا أن الفتنة بدأت سنة (١٩٥ هـ) تكون قد انتهت حوالي (٢١٣ هـ) .

وفي هذا الكتاب تبدأ نزعتاه في علم الكلام والحديث بالاختفاء ، لتبرز نزعته الفقهية التي يستخدمها لتأييد مذاهب التصوف . وتبدو سعة علمه في الفقه من إيراده آراء العلماء في كل المواضيع التي يعرض لها بالبحث بشكل واضح وجلي .

ان كتابه هذا و'ضع خصيصاً للصوفية حيث نبههم فيه إلى أغساليطهم ومخالفاتهم للسلف.ومع ان النزعتين الكلامية والحديثية كانتا قد اختفتا أو كادتا في كتابه هذا فقد بقي الأسلوب الجدلي والتشقيق المنطقي مستمرين ، بل ان الدقة في تلمس أهواء النفس وخطراتها تتعاظم وتستشري إلى جانب النزعة الفقهة .

⁽١) المسكاب ٢١٢.

وكان الحارث في تلك الفترة قد بدأ عهد شيخوخة ، وفيه تسكن الهمة المتحفزة ، وتتجه النفس إلى المزيد من الذهاب نحو الله خصوصاً إذا كانت حساسة كنفس الحارث .

وربما كان من أسباب خفوت النزعة الكلامية ما لقيه من عنت وارهاق من زملائه المحدثين الحنابلة ، ورفاقه في الطريق من العسوفية ثم إر ما عمد اليه كل من المعتصم والواثق من حمل الناس على مذاهب الاعتزال واضطهادهم من قاومه .

وقد عادت أفكار الحارث الصوفية التي عرضها لأول مرة إلى ألظهور ، لكن بصورة أدنى الى الاعتدال ، فبعد أن كان قد فضل في الوضايا ترك الحدلال ، عاد فعدل عن رأيه المتشدد إلى رأي أخف فقال : « ان الله لم ينفل في الزهد في حلاله ، وإنما نفل في حبسه عن وجوهه » ثم قال : « فإذا كان العبد عقد ، الإمضاء في الحقوق وليس يمنعه من الإمضاء ان نفسه بالإمضاء لا تصدق ، فهذا خازن من خزان الله عز وجدل ، ليس حبسه للاموال ضنا بها وحرصا عليها فهذا زاهد وان كثر عنده المتاع » .

وقد نقلوا عن الحارث في لهذه المرحلة من حياته انه كانت له دار حسنة وفيها شياه وذلك في قصته مع أبي حمزة حول رأي الأخير في الحلول.

والواقع ان الحارث كان قد أُصيب بأزمة روحية في أول عهده بالسلوك، وقد فصل بنفسه ما كان يعانيه في مقدمة كتابه «الوصايا» إذ كان يائساً من وجود مرشد صادق يستهديه الطريق ولم يجد هذا المرشد في حلقات العلماء ولا عند الفقهاء، وإنما وجده في النهاية عند الاتقياء الزاهدين العابدين المعنيين بتهذيب أنفسهم، والمرابطين في ميادين الحق والعدل.

ويبدو لنا انه كتب وصاياه وهو في بداية تصوفه متأثراً بالتشدد الذي

يلازم الصادقين في بدء حياتهم السلوكية إلى الحق ، ثم كتب ما كتبه في المكاسب والمسائل بعد ان هدأت نفسه واستبان لها الطريق بوضوح ونصاعة (١٠).

المسائل في الزهد وغيره : والمسائل في أعمال القلوب والجوارح :

وهما يرجعان إلى الفترة نفسها التي يرجع اليها تأليف المكاسب لما يبدو من تشابه الموضوعات وتشابه حلول المشاكل مع النزعة الفقهية الممزوجة بدقائق التصوفوالحديث حول آفات النفس وآراء السلف من الصحابة والتابعين في ذلك.

وربما كان الدليل الأقوى على هذه الدعوى ، هو الأسلوب الواحد الذي يسود الكتب الثلاثة ففي هذه الكتب حديث يكاد يكون واحداً عن وساوس الشيطان، وعن الهوى والاعجاب بالرأي، وعن التوكل والتفويض، وعن الحركة في الكسب ويعني هذا أن الكتب الثلاثة ترجع إلى مرحلة زمنية واحدة ، وربما كانت جواباً عن أسئلة وجهت إليه .

الرعاية لحقوق الله :

يمثل هذا الكتاب قمة تطور المحاسبي الفكري ، ففيه ترك علم الكلام وراءه ، بل ترك الفقه أيضا ، وقلما استشهد بالحديث ، فركز تماماً على الموضوعات الصوفية التي كانت تشغل جميع البيئات وفي مختلف بقاع العالم الإسلامي في ذلك الوقت . وبدا أكثر دقة وأعمق خوضاً في دقائق التصوف وإشاراته مع التركيز على موضوعه المحبب إليه دائما ، وهو آداب النفس وأهواؤها وآفاتها وعلاجها ومحاسبتها ، أليس هو المحاسبي ؟

وكما كان كتابه هذا قمة صوفية فكرية ، فقد كان كذلك قمة أسلوبية . وليس ذلك بدعاً بعد هذا العهد الطويل في الكتابة ، ثم هذا الموضوع المحبب إليه دائماً ، ثم هذا الإخلاص الذي تضطرم به جوانحه .

⁽١) مقدمة المائل: عبد القادر عطا ١٥ - ١٦.

ولأنه عودنا دائماً الاتيان بجديد فقد عرض في هذا الكتاب لبيان زغل العلم والطلب ، فقد نقد مناهج علماء مختلف العلوم لدى المتكلمين والفقهاء والمحدثين والمتصوفين ، ورأى ان أكبر عيوب علماء زمانه إنما ترجم إلى أسباب نفسية تتصل بروح العصر التي تحب الظهور والبهرجة والزينة .

وثابت أن هذا الكتاب ينتمي إلى مرحلة تأليفية متأحرة ، إذ أنه يذكر فيه القضاء على ثورة بابك الخرمي الذي هزمه الافشين - يدر بن كا: _ قائد المعتصم (٢٢٣ هـ) ثم أتى به إلى بغداد حيث قــُتل وصُلب .

لقد جود المحاسبي في هذا الكتاب ما شاء لنفسه التجويد . حتى ليذكر ابن « خلدون » ان علماء الصوفية في زمنه كان على كتاب الرعاية اعتمادهم .

كما نوه به خاصة عدد ممن ترجم له فذكره من بين مؤلفاته النفيسة . ورغم روحه الصوفية الغالبة فإن النزعة العقلية لم تختف فيه كلياً ، وظلت عبارة (عقل عن الله) تتردد فيه كما ترددت في مؤلفاته السابقة . ورجيا عاد إلى هذه الفترة نفسها كتابه المعروف : « بدء من أناب إلى الله » وهو يشبه في كثير من النواحي كتاب الرعاية ، وإلى هذه الفترة نفسها أيضاً يمكن إرجاع كتاب (الصبر والرضا) .

* * *

وخليق بنا هذا أن ندقق في روايات تلاميذ الحارث عنه ، لنستطيع الوقوف على بعض الحقائق المتعلقة بكتبه . فرواة كتبه الأخيرة تلاميذه : الجنيد (– ۲۹۷ هـ) وابن مسروق (– ۲۹۸ هـ) وابن ميمون الخواص . وقد جمع روايات الجنيد وابن مسروق المؤرخ الصوفي الكبير جعفر الخلدي (– ۳۲۸ هـ) الذي يروي عن المحاسبي بطريق أبي عثان البلدي أيضاً (۱) . وربما وضعها الخلدي في صورة ترجمة لحياة الصوفية ، وعنه أخذها أبو نعيم صاحب الحلية (– ٤٣٠ هـ) على أن أبا نعيم نقل في الحلية أيضاً شيئاً عن

⁽١) الرسالة ج ١/٣٧.

المحاسبي بطريق رجل اسمه أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي (– ٣٧٨ هـ) عن الخواص عن المحاسبي. وكان هذا الرجل قد جمع روايات لمتصوفة آخرين. وإلى هذا الأخير ترجع الرعاية والتوهم والمسائل في الزهد والقطعة من كتاب الحب الذي ضاع (١).

أما الجنيد فينقل عن المحاسبي في الحب ، في حين ينقل ابن مسروق أجزاء من كتاب المحاسبي « المسائل في أعمال القلوب والجوارح » . ويشك بعض الباحثين فيا ورد في « الحلية » لأبي نعيم عن المحاسبي في الحب بطريق الجنيد ، إذ تروى أيضاً لأبي على أحمد بن عاصم الانطاكي صاحب الجنيد القديم وربما كانت للانطاكي فعلا لسببين :

١ - انه اشتهر كالحاسبي ، وهو من أقرانه ، بالبحث في أمــور القلب
 حتى لقد كان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته (٢).

٢ – ان هذه الشذرات الواردة في الحب مصبوغة بصبغة فلسفية وتوشك أن تخالف في روحها مذهب المحاسبي البعيد عن الشطح والدعاوى .

وربما كان من الغرابة بمكان أن يكون صاحب كتاب العقل هو صاحب هذه الرسالة الضائعة التي نقل الجنيد مقاطع منها. إلا أن المؤيدين لكون هذه الرسالة من تأليف المحاسبي يقولون: إن مثلها في ذلك مشل كتاب الحارث « التوهم » فلو لم يوضع اسم الحارث عليه ، ولو لم يتواتر أنه له ، لما ذهب أحسد إلى ذلك لغرابته بعض الشيء على روح مسذهب المحاسبي العسام .

٧ – اسلوبه:

اسلوب المحاسبي هو اسلوب العصر الذي بدأه عبد الحميد ثم جـاء ابن

⁽١) التصوف : الثورة الروحية ٢١٢ . ﴿ ٢) الرسالة ج١٠٠/٠ .

المقفع فتابع الطريق ثم سهل بن هارون فالجاحظ الذي تستَّم عرش البيان في القرن الثالث الهجري .

ولم يكن المحاسبي غريباً على العصر فقد درس اللغة على أبي عبيدوغيره ، وهو يروي في كتاب العقل وغيره من كتبه كالمسائل والرعاية أبياتاً شعرية بويستشهد بأقوال كثير من بلغاء العرب وخطبائهم كخاله بن صفوان وشبيب الن شيبه وغيرهما .

ومن مقارنة أساليب كتاب العصر المشهورين منذ عبد الحميد حتى الجاحظ فلاحظ أن عبد الحميد اهتم بالترادف الصوتي (١). في حسبين امتاز اسلوب ابن المقفع بأنه أسلوب فكري متأثر بالصيغ الفارسية مع الترصيع بالأمثال (٢).

اما أساوب سهل بن هارون فتميَّز بالتقطيع اللفظي والتكرار الصوتي والتشقيق الجدلي. مع ميل شديد عند الجاحظ إلى الاستطراد وتخدير الألفاظ والعبارات ونشر الفكاهات وسريان روح السخرية والتشديد على المعاني الحسية مذات النزعة الواقعية (٣).

ويبدو المحاسبي شديد التأثر بسهل بن هارون والجاحظ في نزعته الحسية في كتاب «التوهم» الذي ينتمي إلى مرحلة فكرية مبكرة نوعاً ما كما يبدو متأثراً به أيضاً وبمتكلمي المعتزلة الآخرين وبابن المقفع في أسلوبه الفكري في مرحلته الوسطى التي ألف فيها كتابي العقل وفهم القرآن و تبدو كتبه الأولى «كالوصايا» وكأنما و آداب النفوس » مهملة في تأليفها وترتيب فصولها وتخير ألفاظها ، وكأنما اطسرح المحاسبي ذلك كله في أزمته الروحية التي اضطرمت بها جوانب نفسه المان ذلك الحين .

⁽١) د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ٤٠ – ١٤ ط: أولى : دار النهضــة «المصرية .

⁽٣) المصدر انسابق ١٥ – ٢ه . ورئيف خوري : التعريف في الأدب العربي ٢٥٧ .

⁽٣) الفن ومذاهبه ه ه – ٦٢ ، التعريف ٤٠٣ – ٣٠٥ .

وتظهر شخصيته ضئيلة شاحبة تحذر من الدنيا ومن الآخرة ومن كل شيء دونما أمل ورجاء وأسلوبه المهمل هذا عادي سهل وليس منالبلاغة في شيء . « إخواني وبعد فها أتاكم عن الله عز وجل والرسول عليه السلام من رخص فخذوه ، فإنه بلغنا أن الله عز وجل يحبأن تؤخذ رخصه ، كما يحب أن يؤخذ بعزاعه ، فارغبوا فيما أبيح لكم من كل سهل يسير ، فقد بلغنا أن رسول الله كان يرغب كثيراً في السهل اليسير من الأمور ، فلد تعدلوا عن العافية في الأمور كلها ، ولا تتعرضوا للبلوى ، فلسنا من أهلها .

وبعد، فإن ابتُليتم بشيء من المكاره والمصائب فعند ذلك بجب أن تجاهدوا أنفسكم على الصبر في الضراء ، فإن ذلك من نظر الله لعبده ، فاتقوا الشكوى في الضراء ، فإن ذلك نظر من الله لعبده (۱)».

على أن هذا الإهال الإسلوبي يبدأ منذ « رسالة المسترشدين » بالاختفاء مع عودة شخصية المحاسبي إلى الظهور بشكل أوضح وتركيز على الجوانب الحسية والعقلية دون القلبية.

وهو يصف عذاب أهل النار فيقول: «ثم يـدفعون إلى جهنم فتحرق البدن ويتساقط اللحم وتبقى العظام ويأكل الإنسان النار وينتقل بـين الحم والنار لعل الواحد يكون أبرد من الآخر ولكن عبثاً »(٢).

ويصف الجنة ونعيمها: « وثارت أراييح الجنة العبقة الطيبة ، وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونع وكافورها الأصفر وعنب برها الأشهب وأرياح طيب ثمارها ، ونظرت بعينيك إلى حسن قصورها وتأسيس بنيانها من طرائق الجندل الأخضر ، من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره ويهاؤه وصفاؤه »(٣)

⁽١) الوصايا ٢٦.

⁽٣) التوهم ٧٧ .

ثم يمعن بعد ذلك في وصف الحور العين وإقبالهم على الصالحين من ساكني الجنان كما بالغ قبلًا في وصف هول عذاب النار وشدته وذلك كله من باب الترغيب والترهيب .

وتستمر النزعة العقلية والمنطقية في النمو في أساوب المحاسبي وفكره حتى تظهر تماماً في « مائية العقل » و « فهم القرآن » مع تركييز أشد على الألفاظ وتقسيم منطقي للعبارات ، وجري على أسلوب، المتكلمين الذي تصحبه نزعة فقهية ظاهرة ، واحتجاج لكل ما يؤيده أو يرده مجديث بل عاديث مسندة أخذنا منها أسماء شيوخه الأوائل في الحديث .

ولأول مرة تظهر شخصية المحاسبي بوضوح وثقة بالنفس تكاد تذكرنا بنعيه على المتكبرين وذوي الثقة الشديدة بأنفسهم .

« وآخرون لهم عقول الغرائز، لا يعقلون البيان ولا المبين عنه بالفهم له، الله أنهم يسمعون بلغة يفهمونها كلاماً لا يعقلون معانيه بالفهم له، كمشركي العرب فقال « إنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا »، فلم يعقلوا : ما قال عز وجل لإعجابهم برأيهم ولتقليدهم آباءهم وكبراءهم، وقد كانت لهم عقول غرائز يعقلون بها أمر دنياهم، ولو تركوا الإعجاب بالرأي وتقليد الكبراء ثم تدبروا ، لعقلوا ما قال الله ، ولكن أعجبوا بآرائهم وقلدوا كبراءهم فقال عز وجل : « ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً » . وقال « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً » .

وقال الحارث: «حدثني عفان قال حدثنا صقر بن جويرية (١) ... أما أولئك الذين عقلوا عن ربهم أوامره ونواهيه ، فإنهم ابتغوا منه الشفاء والهدى والرحمة ، فداووا به قسوة قلوبهم ، وغسلوا بسه درن ذنوبهم ، ووضعوا دواءه على أدواء قلوبهم ، ونفوا به سوء النيات عن ضمائرهم ،

⁽١) مائية العقل – المخطوط – .

وأزالوا به وحر صدورهم ، فاهتدوا بهدي القرآن وجعلوه لهم إماماً(١) ...

« .. فأماتوا عنده كل شهوة وانبعثوا بتأمله إلى كل رغبة ، وحنوا بتشويقه إلى جوار المولى الكريم ، وصبروا لأحكامه في كل عسر ويسر ، وتأدبوا بأدبه في كل أقوالهم ، وتزينوا بأخلاقه في كل أمورهم فصار للقيام به وللمتعبدين أعلاماً » (٢).

ونحن إذا تجاوزنا المرحلة العقلية في فكر الحارث إلى «المكاسب والمسائل» نجد النزعة الفقهية وأساليب الفقهاء مع دقة في التقسيم والتنظيم والتفريسع معروفة عنه قد سيطرت عليه .. « جميع ما تطوع به العباد من النوافل التي لم تفرض عليهم ست خصال ..

إحداها ... تكفير الذنوب وتكميل الفرائض وكذا جاء عن النبي عليه و رواه عنه أبو هربرة وتميم الداري ...

وأمــا الخصلة الثانية : فشكر النعم ليرضى بذلك المنعم ولا يزيلها عنك ...

أما الخصلة الثالثة ... فتجريد القلوب وحياتها وعمارتها ليرجع ذلك إلى قلوبهم ، قال الله تعالى « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم »

الخصلة الرابعة : يزعم من خسران العمر أن تمضي منه ساعة بغير طاعة وكذلك يروى في تفسير قوله عز وجل « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ...

الخصله الخامسة : وهي أعظم الخصال وهي التي تهيج من قلوب أهـــل الاشتغال بالله المحية له ...

وأما الخصلة السادسة : فلخفة الحساب ، وقلة الحبس ، ولقربه من الله

⁽١) فهم القرآن (مخطوط) .

⁽٢) فهم القرآن (مخطوط) .

تعالى في الارتفاع في الدرجات لأنهم إنما يدخلون الجنة بعد الرحمة بالتقوى (١) » .

إن النزعة الكلامية التي صبغت كلامه في المرحلة السابقة قد حلت محلها النزعة الفقهية المختلطة بالصوفية كما رأينا . وفي النص السابق أتى بأربعة خصال للنوافيل من الشريعة ، ثم أتى من مقام الحقيقة الصوفية بخصلتين اثنتين .

وفي الكواكب الدرية عن المحاسبي أنه قال: « عملت كتاباً في المعرفة وأعجبت به فبينا أنا أنظره مستحسناً إذ دخــل شاب وسلتم وقال: يا أبا عبدالله هل المعرفة حق الحق على الخلق؟ قلت حق الحق على الخلق. قال: هو أولى أن يكشفها لمستحقيها. قلت: بل حق المخلق على الحق، قال هو أعدل من أن يظلمهم. ثم سلم وخرج. فغسلته وقلت: لا اتكلم بالمعرفة بعدها أبداً »(٢). فواضح في هذا النص النزعـة الكلامية المختلطة بالتصوف الذي يرى علم الكلام عبثاً لا يؤدي في النهاية للوصول إلى الحقيقة. وهو يعالج هنا موضوعاً هاماً يتصل بمسائل الجــدل الذي كان قائماً حول التحسين والتقبيح وهل يستطيع الإنسان معرفة الله قبل التكليف ونزول الشرائع أم لا ؟ وهل هذه المعرفة واجبة بالشرع أم بالعقل ؟

⁽١) المسائل في أعمال القلوب والجوارح ٢٢ – ١٢٤ .

⁽٢) الكواكب الدرية ج ١٩/١ .

« المكاسب » وكتاب « المسائل » لتحل محلها نزعة فقهية فتسيطر على اسلوبه أساليب الفقهاء في البحث والتفريع كما تسيطر على اسلوبه اصطلاحاتهم .

في « المكاسب » يقول الحارث : « سألت أبا جعفر عن الورع فقال فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : ترك ماحاك في الصدور من جميع الحكايات والأقوال.

الثاني : الوقوف عند كل شبهة إذا لم يتبين فيها الحلال من الحرام .

القول الثالث: ما رواه عطية السعدي عن النبي عليه قوله: لا تكونوا حقيقة من المتقين حتى تدع ما لا بأس به مخافة ما به البأس. وهذه الثلاثة الأقاويل قد قصد إليها وإلى معانيها أصناف من العلماء وأهل الحديث والقراء والمتصوفة.

يقول الحارث « فأما ترك ما حاك في الصدور فهو مــنهب أبي عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري وإبراهيم بن أدهم ووهيب بن الورد ومحمد بن يوسف ... والقول الثاني يذهب إليه جهاعة من أهل الحديث وناس صلحاء ممن سكن الثغر، منهم مخلد بن الحسين، وعلي بن بكار وقد رواه عن الأوزاعي. والقول الثالث قد ذكر عن طاووس ومحمد بن سيرين وأبوب بن عون ويونس ابن عبيد وواصل مولى ابن عيينة وهو مذهب عمرو بن مره ... واختارت طائفة من القراء والمتصوفة التقلل من كد اليد وعرق الجبين والسعي في طلب الأسباب واجتهدوا في طلب ذلك مع أهل الثغور »(١)...

وقد نستطيع تعليل هذه النزعة الفقهية التي ظهرت في كتب المحاسبي. الأخيرة كلها بفهمنا لتصوفه السلفي السني الذي وقف به في وجه أمثال. « عبدك » و « أبي حمزة » . والفقه هو علم الحلال والحرام .

⁽١) المكاسب ٥٠٠-٢٠٦ .

وغلبة التصوف على المحاسبي تماماً في مرحلة حياته الأخيرة جعلته يتمسك بالفقه لأنه ملاذ من يريد أن يسلم له دينه ، مع تطعيم هذا الفقه بأذواق الصوفية حتى لا يجمد على شكليته البحتة ، كما اتضح لنا من النصين السابقين. وفكره. في هذه المرحلة هو الذي يجدد لنا أسلوبه . فقد اختار المحاسبي نهائياً التنظم المحكم والتقسيم المنطقي الدقيق مع زيادة عنايه باختيار الألفاظ ، وإن بقيت للفكرة عنده المنزلة الأولى . أما في كتابيه « الرعاية »؛ و « بدء من أن إلى الله ، ، فتبلغ هذه الخصائص الذروة وتتضح دقته وسيطرته على موضوعه من خلال تلك الدقائق التي يتجدث عنها ، والتي يوشك أن يكون رائـــداً في ميدانها ، ويلاحظ القارىء المدقق أنه يعاني بعض العسر في تطويع اللغة لمــا يريد التعبير عنه من أذواق الصوفية لتفريقهم الدقيق بين أهواء النفسوميولها، فهو يفرق بين الكبر والعجب والافتخار ، وهو يفرق بين الرياء والخطرات، ثم يقسم الرياء ويقسم الخطرات ، ويعتمد في ذلك على ما للألفاظ من جرس صوتي وأصل لغوي ، ويمكننا أن نجمل خصائص كتاباته الأسلوبية فيما يلي :

١ – الحرص على إشعار القارى، دائماً بأن الكتاب نــدوة علمية حول موضوع أو مواضيع معينة يتداولها أستاذ وتلميذ يسأل الثاني فيجيب الأول، لكنه قد ينسى نفسه فيستطرد أحياناً دونما انتباه إلى إيهامنا بأن السائل ما زال يستمع إلى الجواب. وربما كان هذا الإيهام حقيقة وكانت كتبه كلها خلاصات للدروس التي كان يلقيها على طلابه ومريديه في فترة تدريسه لهم تلك التي استمرت طويلاً حتى حال بينه وبين متابعتها تعصب الحنابلة.

٢ - ترديد الخصيصة الأسلوبية اللفظية : (العقل عن الله) و (الفهم عن الله) و (عقل عن ربه) و لا يشك أن ذلك أثر من آثار نزعته الكلامية التي بدت بوضوح في كتابيه « العقل » و « فهم القرآن » و هما أوضح موطنين لهذه الظاهرة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل أوضح موطنين لهذه الظاهرة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل أوضح موطنين لهذه الظاهرة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل أوضح موطنين لهذه الظاهرة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل أوضح موطنين لهذه النفاهرة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل في مؤلفاته قبل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و نهم المناهدة ، و إن و 'جدت ، بشكل أقل المناهدة ، و إن و نهم المناهدة ، و ا

وبعد ذلك (١). وهو يحرص دائماً على ترصيع كلامـــه بالاقتباس من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وخصوصاً الحسن ومجـــاهد وابن منبه والثورى وغيرهم .

س – ضرب الأمثال لمزيد من الوضوح وتقريب المعنى إلى الأفهام: وسأضرب لكم مثلاً للمتراخي بالمدحة فإنما مثله كمثل رجل يهزأ به "(٢) .. ومثل ضرب المثل للسهو والساهي (٣) وضرب المثل بقصة آدم (٤) وللوساوس والخطرات (٥) والاستعداد للموت (١) والحذر من العدو إبليس (٧) والغلط في ذكر أو ما يهيج على معرفة كراهية (٩) الموت ومثل أبي بكر في ذكر الموت (١٠).

إ - التركيز على الفروق اللغوية بين الالفاط: وانعكاسها على المعاني كا النفسية الدقيقة (١١) وقد لاقى المحاسبي عسراً في تطويع الألفاظ للمعاني كا ذكرنا سابقاً وكان من أوائل من استعاروا لغة العشاق للتعبير عن هواجسهم النفسية ، وقلقهم في الوصول إلى الكمال.

o - الميل إلى المنطق والتحليل والتحسين والتقسيم والتوليد . يقول : « أساس العبادة الورع ، وأساس الورع التقوى ، وأساس التقوى محاسبة النفس الخوف والرجاء ، وهما يرجعان إلى العلم بالوعد والوعيد ، وفهم الوعد يرجع إلى تذكر الجزاء ، وتذكر الجزاء يرجع

⁽١) الفهم (مخطوط) رسالة المسترشدين ٣١ – الرعاية سميث ٣٨٨ – الحلية ج٠١/٥ ٩.

⁽٢) الوصايا ١٢٥ ط. عبدالقادر عطا . (٣) المسائل في الزهد .

⁽٤) الرعاية ٧٩.

⁽٦) الرعاية ١١٦. (٧) الرعاية ١٦٦.

⁽٨) الرعاية ١٦٩.

⁽١٠) الرعاية ١٢٤-١٢٥.

⁽١١) الرعاية ٧٨ ، ٨١ ، ١١٢ ، ١٦٩ ، ١٦٩ . المسائل في الزهد ٨١ .

إلى الفكر والاعتبار (١) » ومن أقواله: « لكـل شيء جوهر ، وجوهر الإنسان عقله ، وجوهر العقل التوفيق . وكل زاهد زهده على قدر معرفته ، ومعرفته على قدر عقله ، وعقله على قدر قوة إيمانه » .

ولنقارن بين هذين النصين والنص الآتي لعبد الحميد : « اعلم ان للحكمة مسالك تفضي مضايق أوائلها بمن أمها سالكاً ، وركب اخطارها قاصداً إلى سعة عاقبتها ، وأمن سراحها ، وشرف عزها ، وانها لا تعار بسخف الحفة ، ولا تنشأ بتفريط الغفلة » . ثم بهذا النص للجاحظ : « وعبت الكتاب وهو نعم الذخر والعقدة ، ونعم الجليس والعدة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة » .

نلحظ من هذه النصوص تأثر المحاسبي بأسلوب التحسين والتوليد عند عبد الحميد الذي تطور على يد سهل بن هارون حتى وصل إلى الجاحظ وان بدا أوضح عند المحاسبي بتأثير نزعته الصوفية المدققة. كما لاحظنا سابقاً تأثره بابن المقفع من حيث الشكل بضرب الأمثال ومن حيث المعنى بتقديم الفكرة على اللفظ.

لكننا نستطيع أن نقول ان أسلوب المحاسبي في الرعاية والبدء إنما هو أسلوب ذاتي مستقل بشكل ظاهر تبدو شخصية المحاسبي من خلاله واضحة مطمئنة في غير هذر ولا اسراف ، كا يبدو فيه مالكا لناصية الموضوع قابضاً على زمامه ، وأسلوبه الأخير ، أسلوب فريد تحرر من عنعنة المحدثين الطويلة ، وأقوال الفقهاء واصطلاحاتهم التي لا تنتهي ، ولجاجة المتكلمين وغرابة حججهم ، وبقيت فيه تلك الصيابة الحلوة من الإخلاص والحاس الواثق مع الحرص على التجديد في كل ما يكتبه : « إني أحذرك ونفسي مقاماً عنت فيه الوجوه ، وخشعت فيه الأصوات ، وذل فيه الجبارون ، وتضعضع فيه المتكبرون

⁽١) تذكرة الأولياء ج ١٠٦/١٠ .

واستسلم فيه الأولون والآخرون ، بالذل والمسكنة والخضوع لرب العالمين ، وقد جمعهم الواحد القهار الذي لا ثاني له في إلهيئته، ولا مشارك في حكمهم، بعد طول البلى ، للفصل والقضاء في يوم آلى فيه على نفسه أن لا يترك في عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسائله عن عمله في سره وعلانيته .

فانظر بأي بدن تقف بين يديه وأعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً ، فإنه لا يصدق إلا الصادقين ولا يكذب إلا الكاذبين (١) » .

(A) اثر المحاسبي في تطور الفكر الاسلامي :

ينبغي التنبه إلى الأثر الكبير الذي توكه المحاسبي في مدرسته التي أفشأها في التصوف ، وآرائه في علم الكلام التي كانت أساساً احتذاه جماعة الصوفية والصفاتية سلف المدرسة الاشعرية . وقد خدمت مدرسته الصوفية العالم الإسلامي خدمة جلى حين حرصت على رعاية تعاليم الإسلام والتمسك بسنة النبي (عليه وسيرة رجال السلف . وقد أدى اعتدالها هذا إلى قبول الرأي العام لتصوفها ، ثم إلى إقبال رجال الأشاعرة عليها رعاية "لقدر شيخها الأول، وللتقارب في الآراء بين المدرستين، فكان ان امتزجت المدرستان في فكر الإمام الغزالي الذي سيطر كتابه « الاحياء » على العالم الإسلامي في أكثر أقطاره ، وما زال ، رغم هجات التيميين عليه .

ثم لا بد من الاهتمام بالأثر العام الذي تركه المحاسبي بكتب في سائر الفرق الصوفية باعتباره رائداً في كثير من الموضوعات والاصطلاحات الصوفية خصوصاً في دقائق آثار النفس ومخاطر الرياء وآفات أعمال القلوب والجوارح.

وكانوا يلقبون زميله وتلميذه أحمد بن عاصم الانطاكي بجاسوس القلوب لحدة فراسته كما في « الرسالة » .

⁽١) الرعاية ٢٧.

وقد يكون مفيداً في إدراك مدى الأثر العام الذي تركته كتب الحارث في بيئات الصوفية وضع معجم للالفاط والعبارات والاصطلاحات الجديدة التي قيدها المحاسبي ثم انتشرت في بيئات الصوفية بعده كالبحث في ماهية التقوى (١) ومحاسبة النفس (٢) ووصف ثقل الفكرة على الفلب (٣) وكيفية رد الخطرات وتقسيمها ، ومنازل التوبة ، وماهية الرياء ، و قسامه و اعيه ومنازله وأوقاته ، وماهية النية والتحذير من هوى النفس وسوء عملها من والفرق بين العجب ، والكبر ، والتفاخر ، وغيرها من الموضوعات الستي عالجها في « الرعاية » و « البدء » وقبل ذلك – لكن بشكل أقل دقة – في المسائل والمكاسب .

على ان الطرافة والتجديد لدى الحارث لا يكمنان في الناحية الصوفية كالاصطلاحات والألفاظ بل يكمنان أيضاً في الموضوعات .

فهو أول من عالج بتوسع مسألة الدماء بين الصحابة وبروح سلفية ، فرأى أن الحق مع الإمام عليوأن خصومه مخطئون مجتهدون . وقد ترك كتابه في هذا الصدد آثاراً واسعة فيمن أتوا بعده ففي حين اعتمدت عليه مدرست الصوفية كحل نهائي للموضوع هاجمه خصومه وردوا عليه . وهذا الأثر الذي تركه كتاب بعينه تركته كتب أخرى أيضاً في مختلف طوائف العلماء . فكتابه الرعاية الذي كان عمدة الصوفية أيام « ابن خسلدون » إلى جانب « الأحياء » كان قد ترك آثاراً مباشرة وقوية على مدرسة بغداد الصوفية كها يتجلى ذلك بوضوح من آراء رجال المدرسة التي تتبعها القشيري بدقة في رسالته ، كها ترك آثاراً ضخمة في المدرسة السالمية التي تزعمها أبو طالب المكي (— ٣٨٠ هـ) بعد وفاة شيخها « ابن سالم » .

⁽١) الرعاية ٢٥ ـ ٣١ . (٢) الرعاية ٤٤ .

⁽٣) الرعاية ٤٥.

⁽٤) الرعاية ٨١، ١٠٧، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٨٩، ١٥٩، ١٧٢، ١٩٦، ٢٧٦.

ويقول محمود عرنوس: « ان الغزالي كاد ينقل قوت القلوب لأبي طالب المكي بنصه في كتابه الإحياء (١) » وقد رأيت ان أقارن بين المكي والغزالي في أورده كل منها عن الشكر فاتضح لي أن الغزالي تبع المكي فعلل في كل شيء .

يقول هنري كوربان: « سنقتصر هنا على التذكير بالدور العظميم الذي قامت به المدرسة السالمية التي تزعمها أبو طالب المكي وأسسها سهل التستري (– ٢٨٣ هـ) ثم خلفه شيخها ابن سالم تلميذه الذي استلم زمام الزعامة منه أبو طالب المكي .. ولقد كان لإنتاج أكبر رجال هذه المدرسة وهو أبو طالب المذكور أثر عظم في الغزالي (٥٠٥ هـ) . (٢)

وقد ثبت بالدليل القاطع من أبواب ونصوص « قوت القلوب » المكبي. تأثره الشديد الذي يكاد يكون نصيباً لآراء واصطلاحات المحاسبي ليس فقط في « الرعاية » بل وفي كتاب «المسائل في أعمال القلوب والجوارح(٣)».

وصحيح أن الغزالي أخذ أكثر كتابه عن «قوت القلوب» وليس له في كثير من المواطن الا البسط والمزيد من التنظيم والتقسيم إلا أنه عرف لا شك كتب المحاسبي الصوفية معرفة مباشرة ونقل عنها أيضا كما نقل عن قوت القلوب المكي ، يدل على ذلك قوله في منقذه انه قرأ (كتب الحارث المحاسبي) كما نقل عن قوت القلوب. ومن « باب العقل » في كتاب « الإحياء » يتضح لنا تأثره الشديد بكتاب «العقل» الصغير المحاسبي وقد كان كتاب «الرعاية»

⁽١) حاشية الاكتساب للامام محمد ١ ؛ .

⁽٢) السهروردي المقتول ١١٦ . ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ـ ضمن شخصيات قلقة في. الاسلام .

⁽٣) المسائل في أعمال القلوب والجوارح ١٣١.

مشهوراً أيام الغزالي وكذا المسائل ، ولا شك انه نقل عن غير كتاب العقل من كتب المحاسبي كما يبدو في احيائه أيضاً (١).

وما دامت كتب المحاسبي بهذه الشهرة حتى لقد أدرك ابن تيمية ان كتابه في « رعاية حقوق الله » هو مصدر من مصادر كتاب « الإحياء » فنحن نميل إلى القول بأن الغزالي تأثر أيضاً بالحارث في آرائه الالمية وردوده على رجال الفرق خصوصاً إذا علمنا أن المحاسبي كان أول من كتب في الرد على الرافضة ، وقد عرف عن الغزالي اهمامه بهذا الموضوع وتأليفه فيه بالاضافة إلى اتفاق الاثنين في المنزع الصوفي، وفي آرائها الكلامية الأقرب إلى النزعة السلفية ، مما يجعل الغزالي مطمئناً إلى آراء المحاسبي في هذا الشأن أكثر من اطمئنانه إلى آراء غيره من رجال علم الكلام.

ومن الموضوعات الجديدة التي ابتكرها الحارث وأثرت فيمن بعده: الترجمة لنفسه وذكر بعض حالاته النفسية كما فعل في مقدمة الوصايا أو النصائح وهو يدور في مقدمته كما أسلفنا حول الأزمة الروحية التي مر بها الحارث في طريق تحوله عن طريقة المحدثين والفقهاء ومعتزلة المتكلمين إلى طريقته الصوفية التي رأى انها الفرقة الناجية من بين الفرق جميعاً ، وقد تأثر به في ذلك كل من الغزالي وابن حزم وابن خلدون فقد ترجم (ابن حزم) لبعض أحواله النفسية في (طوق الحمامة في الألفة والألاف) كما ترجم (ابن خلدون) لنفسه في رحلته شرقاً وغرباً . أما أوضح آثار الوصايا فيمن بعد الحارث فقد بدت في فكر الإمام الغزالي وفي كتابه « المنقذ من الضلال » بعد الحارث فقد بدت في فكر الإمام الغزالي وفي كتابه « المنقذ من الضلال » بالذات . وإذا كان تأثير الحارث في الغزالي في مؤلفاته الأخرى ينصب على الروح العام لا على موضوعات بعينها ، فإنه في هذا الكتاب بالذات ، قد تأثر الروح العام لا على موضوعات بعينها ، فإنه في هذا الكتاب بالذات ، قد تأثر الروح العام لا يكاد يكون لفظياً .

⁽١) يذكر الغزالي انه قرأ كتب الحارث المحاسبي ، لكنه لا يذكر أسماء الكتب التي قرأها. المنقذ ٥٥ .

فهو يذكر في منقذه ، كالحارث تماماً ، انه تلفت فيما حوله من الفرق ودرس مذاهبها وعرف آراءها .

يقول المحاسبي (فلم أزل ، برهة من عمري أنظر اختلاف الأمة ، وألتمس المنهاج الواضح والسبيل القاصد وأطلب من العلم والعمل واستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء ، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء ، وتدبرت أحوال الأمة ونظرت في مذاهبها وأقاويلها ، فعقلت من ذلك ما قدر لي ، ورأيت اختلافهم بحراً عميقاً غرق فيه ناس كثير وسلم منه عصابة قلملة »(١).

ويقول الغزالي: « ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن ، وقد أناف السن على الحسين . أقتحم لجنة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل مظامة ، وأتهجم على كل مشكلة ، واقتحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محتى ومبطل ومتسنن ومبتدع »(٢) .

ومن يتابع النصوص في كل من كتاب الوصايا للحارث ، وكتاب المنقــذ للغزالي يجد الشبه العجيب بين كل من هذين الكتابين ، مما يؤكد مــدى اعتماد الغزالي على الحارث في كثير من جوانب المنهج وموضوعات البحث .

ولعل هذه المقارنة العابرة بين الكتابين إلى جانب قول الغزالي أنه قرأ كتب الحارث المحاسبي ، توضح مدى تأثير الحارث في فكر الغزالي . فإذا أضفنا إلى ذلك الأثر الكبير الذي تركه المحاسبي في مدرسته هو وتأثيره في فكر المكي والمدرسة السالمية أمكننا أن نكو "ن فكرة واضحة بعض الشيء عن آثاره الكبيرة في كل البيئات الصوفية .

⁽١) الوصايا ٧٧.

⁽٢) المنقذ من الضلال ه .

أما أثره الكلامي فسنعرض له في مجال آخر .

أما كتاب المحاسبي « التوهم » فقد كان أساساً لكل رحلات الخيال في الآخرة عند المسلمين وغيرهم ، فقد أخذ عنه أبو العلاء في « رسالة الغفران» ، كما استقى منه « ابن شهيد » في « التوابع والزوابع » ، وإذا كان أثره على « ابن شهيد » لم يتعد الفكرة نفسها ، فقد أنر في تفاصيل رحلة أبي العلاء بعد أن كان الباعث الأساسي على الفكرة .

ونلحظ أيضاً أوجه شبه قوية بين كتاب « التوهم » وأساطـــير المعراج الشعبي التي شاعت في العصور الوسطى ، ثم انتقلت إلى أوروبا .

ومن الموضوعات التي عرض لها المحاسبي في كتبه وكانت لها آثار بالغة فيمن بعده موضوع « الغرة » الذي عقد له كتاباً في رعايته بعنوان (كتاب الغره) (۱) نقد فيه مسالك عوام المسلمين وعصاتهم ومسالك النساك والمحدثين والفقهاء المتصوفين والمتكلمين وبين ما يدخل على حملة العلوم جميعاً من خطأ وضلال في فهم رسالتهم ، وصلة ذلك كله بعقائدهم ، وموقف الأسلاف من ذلك . وهو موضوع طريف كان المحاسبي أول من عرض له وقد تأثره في ذلك كثيرون أشهرهم عدو اه اللاودان : ابن الجوزي والذهبي . إذ ألتف ابن الجوزي – ۷۹۵ ه كتابه الكبير (تلبيس إبليس) الذي عالج فيه الموضوع نفسه الذي عالج المحاسبي ، لكنه تجاوز الفرق الإسلامية إلى سائر الملل والنحل ، وخص الفلاسفة بفصل من فصوله اللاذعة ، وركز أكبر تركيز في الهجوم على الصوفية مع انه أخذ عن شيخهم فكرته في تأليف كتابه .

كما ألف الذهبي (– ٧٤٨ ه) جزءاً صغيراً بعنوان (بيان زغل العلم والطلب) فقد فيه القراء والمحدثين واتباع المذاهب الأربعة والنحويين والمفسرين والمتكلمين والمناطقة ورجال الفلسفة .

⁽١) الرعاية ٧٠٠ - ١١٤ .

فكره

١ - مذهبه السياسي:

لم تعرف عن الحارث واقعة مع خليفة أو وال ، فقد نأى الرجل عن هؤلاء بدنياه كا نأى عنهم بدينه . بيد أنه كان من كبار مفكري المسلمين ومؤسس مدرسة صوفية ، وصاحب مذهب كلامي ، فلا بد أن يكون له فكر سياسي لشدة امتزاج مسائل الحكم بغيرها من أمور العقيدة والتشريع في الإسلام . ثم إنه عرض لموضوع الدماء بين الصحابة ، وذلك يتصل بمسألة الإمامة وعرفت عنه معارضته الشديدة لآراء الرافضة وردوده عليهم كاكان متكلماً وفقيهاً . وعلماء هذين العلمين ، الفقه والكلام ، هم الذين يعرضون لموضوعات الإمامة .

لذلك كله كان لا بد أن يكون له فكر سياسي إلا أنه لم تصلنا إلاشذرات قليلة في تضاعيف موضوعات أخرى كان الحارث يبحثها فوردت عرضاً.

فهو يورد في الرعاية وتحت عنوان : « هل يجوز ترك العمل من أجـــل الرياء » ؟

طائفة من الآراء والأحاديث تؤكد أن من ولي الخلافة أو الأمــــارة أو القضاء أو قام بالدعاء إلى الله عز وجل والفتيا فسلم أن ذلك أفضل من جميع الناس.

من ذلك قوله على « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً » . وقال النبي على « أول من يدخل الجنة ثلاثة : الإمام المقسط أحدهم » . وروى أبو هريرة عن النبي على أنه قال: « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل أحدهم » .

وقال : « أقرب الناس مني مجلساً يوم القيامة إمام عادل » رواه أبوسعيد الخدري (١١) .

ويقول في المكاسب: « وأجمع أهل العلم على الكف عن أمراء المسلمان والسمع والطاعة في العسر واليسر ، وألا ينازع الأمر أهله .. وهذا إجماع لا خلاف فيه . وقد أجمعوا جميعاً أن الإمام المسلم الذي لا بدعة فيه إذا صلى المقبلة فقد حل لك الصلاة خلفه » .

وقال الفضيل ابن عياض: « ان لي دعوة مستجابة مـــا جعلتها إلا في إمام ، وصدق فضيل لأن صلاح الإمـــام عبادة للرعية وطيب في المطعم والمشرب والمجلس وعدل السلطان بحر في الرعية وقوة على الخوارج واللصوص وأمن في الدين وعز » (٢).

هذا كله في الإمام العادل الصالح لكنما هو الحال إذا بدل الإمام وغير؟ هنا يستذي المحاسبي فيقول: « الا في معصية الله تعالى ورسوله فلا طاعة لهم في ذلك . وقال أبو بكر: لا تسبوا السلطان. وقال ابن عمر: لو لم تسبوهم لسلط الله عليهم ناراً من السهاء ولكن قولوا اللهم آذهم كا آذوونا. وقال عمران ابن حصين الحكيم بن عمرو الغفاري انه يذكر يوما أن رسول الله (عبليه) قال: لا طاعة لمخلوق في معصية الحالق ، قال نعم اما انك حفظت فالزم. ويروى عن ابن عمر عن النبي (عبليه في لا طاعة لمخلوق في معصية الحالق . وهذا إجماع لا خلاف فيه انه لا طاعة لأحد في معصية الله جل وعز ؟ في وهذا إجماع لا خلاف فيه انه لا طاعة لأحد في معصية الله جل وعز ؟ في ارتكاب الفواحش وشرب الحر وفي السجود للوثن وفي قتل النفس ظلماً »(٣).

وفي هذه الحالة ؟ هل نثور عليه ؟ يرفض المحاسبي الثورة ويقول : « ان الإمام المسلم الذي لا بدعة فيه إذا صلى للقبلة فقد حل لك الصلاة خلفه وان

⁽١) الرعاية ٢٣٨ ـ ٢٣٩ . (٢) المكاسب ٢٣٢ .

⁽٣) المكارب ٢٣٢.

فسق وفجر وحرام عليك سبه ». ويرد على (طائفة غالطة) كما يقول «قالت: إذا لم يعدل الإمام في الرعية ، ويقسم بالسوية ، ويعطي العطاء ، ويسوى بين الناس في الأرزاق ، ويكفي الفاقة ، ويفدي الأسير ، ويجاهد العدو ، ويقيم لهم الحج ، ولا يستأثر دونهم بالفيء ، كان عاصياً وكل من رضي بامامته كان عاصياً » (١) .

وإذا لم تجز لنا الثورة عليه فهل نعاونه في إثمه وعدوانه ؟!

يرى المحاسبي انه في مثل هذه الحالة ينبغي أن نكون سلبيين فلا نعمل المظلمة ، دون أن نثور عليهم ما دمنا لم نر منهم كفراً بواحاً ، عندنا من الله فيه برهان ، كما قال النبي (عليه إلى) . وهو يذكر أقوال العلماء في ذلك ثم يرجح بعضها على بعض : « وقد تنازعت طوائف من العلماء في تأويل قوله تعالى : (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (٢) فقال بعضهم : سقي المساء للعاصي ، وقالت طائفة : المعونة على حرام بعينه ، وقالت أخرى : (بيم السكين من السلطان والحشبة ليصلب عليها رجل مسلم ، والسوط من الجلاد هذا كله حرام . وذهبت طائفة إلى أن ذلك مباح والاثم على الفاعل وهذه الطائفة مخالفة في التأويل، لان النبي (عليه ألى ألى أله عن في الخر عشرة : عاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وشاربها ، وآكل ثمنها ، وحاضر مجلسها . وقد أحرق سعد كرمه وقال : بئس الشيخ أنا إن بعت الخر .

وقالت فرقة : المعونة لهم حرام في كل مكان لهم فيه منفعة ، وهو مذهب طائفة من المتصوفة معهم جهل كبير وغلظة ، وقالت طائفة : بيع السلاح والكراع منهم معصية ، وما سوى ذلك ، فترك المعونة لهم وترك متابعتهم أفضل، وهم طوائف من النساك والقراء بمن ينتحلون مذهب الثوري،

⁽١) المكاسب ٢٣٤ . (١) المائدة آية ه .

وابن عياض ، ووكيع بن الجراح وأبي اسحق الفزاري وابن أبي ذئب وأحمد بن حنبل وبشر الحافي . وساعدهم على ذلك طوائف من المتصوفة بمكه واليمن وسواحل الشام وعبادان » (١) .

وواضح أن المحاسبي اختار الرأي الأخير القائل باجتنابهم ، والامتناع عن تنفيذ أوامرهم فيما هو حرام ، والتعاون معهم فيما عد! ذلك ، وقد أرجع ذلك إلى أصلين :

١ - لا بد من امارة برة أو فاجرة ، والدار لا تصلح إلا بإمام يُصلتَ خلفه ، وتنرفع اليه الأحكام ، وتنصلح الطرق ، وتنعبَّد الجسور ، وتعمر المساجد العظام ، وتبنى المنائر في الحراس بالثغور ، وتعقد الألوية على الطوائف وغيرهم ، ويقيم الحجدة ، ويعطي الفيء ، ويقسم الغنائم ويجبي الخراج، ويفرض الأعطية ، ويدون الدواوين، ويعول الفقراء ، ويعطي الغارمين.

٢ - جمهور السلف : على انه إذا أحسن كان صلاحاً للرعية ، وإذا أساء وفجر كان فساد ، ووراً في الرعية ، والصبر على الإقامة معه وترك مفارقة الجماعة في الخروج من امامته والمعاملة في البيع والشراء والتجارة والصنائع في دولته جائز ، ويكون بينك وبينه ستر حتى إذا رأيت حليتهم على أحد اجتنبته بعينه . قال عمر : ان ضربت أو ظامت ، فاصبر ، وقال حذيفة : ليس من السنة أن تشهر السلاح في وجه السلطان . وقال النبي (عيله) قال : هم تأمرنا به بعد يا رسول الله ؟ قال : أعطوا الحق الذي عليكم وسلوا الله الذي اكم . وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام ، (٢) .

ومذهبه هذا هو مذهب المحدِّثين من أهل السنة وإليه عيل الصوفيــة المعتدلون لأنه يتفق وفلسفتهم الخاصة بالبعد عن الدنيا وما فيها ، حتى لا

٠ ٢٠٨ - ٢٠٧ بسلاما (٢) المكاسب ٢٠٦ .

يشغل ذلك قلوبهم عن الله ، بالإضافة إلى كراهية الحارث الشديدة للخصام والفرق وميله بطبعه إلى المسالمة ، لدرجة انه لم يحاول الرد على الإمام أحمـــد دفاعاً عن نفسه !!

مذهبه الصوفي :

عُرِف الحارث كزعم لمدرسة صوفية ذات مبادى، محددة ظهرت فيها تعالم شيخها الأول ظهوراً بيناً. بيد أن تصوفة المعتدل اختلط تماماً بمذهبه في علم الكلام ، بحيث يصعب التفريق بينها ، وسنحاول أن نقوم بشيء من هذا القبيل لتتضح لنا ميزات تصوفه الخاص ، ولا بأس في إيراد نص له يظهر مكانة العقل في تصوفه بالنسبة لكتاب الله . يقول : « لكل شيء جوهر ، وجوهر الانسان عقله ، وجوهر عقله توفيق الله » .

« والعقل في ظل القرآن » : يمكن أن يكون العنوان الرئيسي لمذهبه الصوفي والكلامي . يقول : « كل زاهد زهده على قدر معرفته ، ومعرفته على قدر عقل على قدر عقله على قدر قوة إيمانه » . قوة الإيمان : إذن هي التي تحكم العقل وتوجهه . يقول في «فهم القرآن» في معرض حديثه عن القرآن : « الذي جعله الله للناس إماماً ، ورضي به بينهم حاكماً » ، ثم يحاول تعليل ذلك فيا بعد فيقول : « لانه النور الذي استضاء به الموقنون ، والغاية الستي يتسابق إليها المتسابقون ، والمنهج الذي لا يصل السالك إلا باتباع دلائله ، ولا يعلم له طريق النجاة إلا مع الاستضاءة بنوره ، ولا يصاب الحق إلا في عكم آياته » . ويمكننا بعد هذا أن نحصر خصائص تصوفه فيا يلى :

السنية:

باتــ باتــ الكتاب والسنة ، ورجال السلف الصالح ، والتمسك بظـــاهر الشرع كله، فهو منذ بداية تصوفه بحث عن سبيل النجاة فوجدها في «التمسك بتقوى الله وأداء فرائضه ، والورع في حلاله وحرامـــه وجميع حدوده ،

والاخلاص لله تعالى بطاءته والتأسي برسوله (۱) على وهو حتى إبتان الكشف الصوفي والوصول، برى ان الطريق الوحيد لذلك هو التمسك بالشرع: « فمن شرح صدره ، ووصل التصديق إلى قلبه ، ورغب بالوسيلة إليه ، لزم منهاج ذوي الالباب ، برعاية حدود الشريعة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه على إلى أب برعاية عدود الشريعة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه على أب أله المهتدون من الائمة » (۱) . ويرى أن من اراد أن يخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن عذاب السك إلى روح اليقين ، بغي له أن يأخذ من كتاب الله : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور . وإنما يميز ذلك ويرغب فيه ، أهل العقل عن الله ، الذين عملوا في أحكام الظاهر ، وتنزهوا عن الشبه ، قال رسول الله على الله بين المدين والحرام بيتن وبين ذلك أمور مشتبهات (۱) . فاستعمل لله عقلك بترك التدبير ، واستعن بالله على صرف المقادير » (١٠) .

وقد أنكر الحارث على عبدكوابن يزيد اللذين تطرفا في اتجاهاتها الزهدية المخالفة للشرع ، كما هدد أبا حمزة بالذبح لأنه يقول بالحلول . وهو يرى ان من أمارات الباطن السلم ، تزين الظاهر بالمجاهدة واتباع السنة (٥) . لهـذا ألتف كتبه : المكاسب ، والمسائل ، والرعاية .

فهو في المكاسب يبحث ، من وجهة نظر فقهية ممزوجة بدقائق صوفية ، موقف رجال الله من المجتمع من حولهم ، نسائه ورجاله وحكامه ، كما يبحث كيفية التوفيق بين النشاط الاجتماعي وشروط الورع الشرعي .

وهو في « المسائل في أعمال القلوب والجوارح » يفرق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح ويرى ان السريرة كالميزان ، بينا يرى ان الظاهر من القول والعمل هو الموزون .

⁽١) الوصايا ٢٩ ـ ٣٠ . (٢) رسالة المسترشدن ٣٠ .

⁽٣) رسالة المسترشدين ٣١ . (٤) رسالة المسترشدين ٣٩ .

⁽ه) الرسالة القشيرية ج ١/٧٧.

وهو في كتاب «المسائل في الزهد» يبحث في الموضوع نفسه مع التركيز ٬ على مشكلة المال ٬ من خلال النظرة الفقهية التي يضل بها الكثيرون .

وهو في « الرعاية » يبحث في آفات أعمال القلوب في الغالب ، ويجمل الشرع رقيباً على الباطن ، مع اتهام للنفس في كل آونة .

وكل هذه المواضيع مواطن للانزلاق والخطر في حياة الصوفية التي ترى في وهو في هذا الصدد استاذ الجنيد صاحب فلسفة الصحو الصوفية التي ترى فيه الغيبوبة والفناء عن الحواس وما يصدر عن العبد أثناء ذلك ، ترى فيه كله حالاً عارضة والأصل هو الصحو ، وهو الأسمى بما فيه من رعاية لضوابط الشرع وزواجر العقل . هذا الاتجاه الذي سيطرت فيه على تصوف المحاسي نزعته السنية المحافظة المعتدلة ، وشدة الضبط للسلوك الباطني والخارجي في الطريق الصوفي ، هو الذي جعل ، الذين قيسموا تصوفه من القدامي ويشددون على انه جمع إلى الحال العلم . فهو فقيه ومتصوف ، وبعبارة أخرى أن تصوفه تصوف فقهي وهو واحد من خمسة هذه حالهم ، هم : الجنيد ورويم وابن عطاء وعمرو المكبي. ومما له دلالته ان هؤلاء الذين عرف عنهم الاعتدال المعمم إلى المعاملة العلم ، هم تلامذته وأصحابه وكانت شخصيته الكبيرة الورعة قد تركت فيهم هذه الآثار البليغة . وقد قال ماسنيون عن تصوفه :

« في تعاليمه امتزجت لأول مرة وبقدرة نادرة وخشوع كلي ، واحترام المتقاليد الخالصة ، البحث المستمر عن الكهال الحلقي الداخلي والاهمام الجاد بالتعاريف الفلسفية الدقيقة (١) » . إنه إذن صاحب فلسفة : لا ينبغي للعبد أن يطلب الورع بتضييع الواجب (٢) . وأستاذ ذلك الذي قيل له ان فلانا كف عن الصلاة والصوم لأن اليقين أناه تحقيقاً لقوله تعالى « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » . فقال « نعم لقد أناه اليقين انه في سقر » .

Massignon - Essat Page 241 - 255.

⁽r) الحلية ج ١/٢٧.

لهذا كله كان من الغرابة بمكان أن يقول الأستاذ أحمد أمين: « في أواسط القرن الثالث الهجري تفلسف التصوف واستمد من الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية فظهر في العراق الحارث المحاسبي وهو بصري الأصل وأستاذ أكثر البغداديين ومفلسف التصوف (١) » .

أما ان التصوف تفلسف ابتداء من الترن الثالث الهجري فقد يكون صحيحاً واما انه استمد من الفلسفة اليونانية والهندية فصحيع .يضاً . أما ان الحارث هو الذي فلسفه فغير صحيح على الإطلاق . لقد تمسك الحسارث المحاسبي بالسلف أقوالاً وأفعالاً ، فكان سلفياً في سلوكه ، كما كان سلفياً في باطنه ، وقد أثبتنا ذلك بالادلة القاطعة . وقد يكون الاستاذ أحمد أمين معذوراً في ذلك إذ لم تكن كتب الحارث قسد طبعت عندما قال ما قال خصوصاً انه قرأ كما قرأ غيره ، ما كتبه المؤرخون عن الحارث ، من انسه كان متكلماً وصوفياً ومحدثاً وفقيها ، وانه ألف زهاء مئتي مؤلف في مختلف العلوم المعاصرة له ، فظن ان رجلاً هذا شأنه وهذه ثقافته لا بد أن يكون قد تكلم في فلسفة التصوف والحق ان كل ما عمله الحارث هو جمع ما كان منتشراً وتنظم ما كان منتثراً ومزج ذلك كله ، بالفقه ليكون ميزاناً إسلامياً ، وبالعقل ليكون ميزاناً إنسانياً للتصوف في تطوره ذاك .

المحاسبة:

ولأنها ركن من أركان فلسفته الصوفية لقب بالمحاسبي على الأرجح لا لأنه كان في يده عرق أو شيء من هذا القبيل يدل لذلك ما عابه عليه الحنابلة من كلام في الخواطر والوساوس مما لم يسبق للسلف أن تكلموا به (٢). وفي المكاسب: « قلت: رحمك الله ما الورع؟ قال: المجانبة لكل ما كره

⁽١) ضحى الاسلام ج ١/٢٢٧.

⁽٢) أحمد أمين: ظهر الاسلام ج ١٣٢/١.

الله عز وجل ، من مقال أو فعل بقلب أو جارحة ، والحذر من تضييع ما فرض الله عز وجل عليه ، في قلب أو جارحة . قلت : وبماذا يُنال ؟ قال : بالمحاسبة . قلت : وما المحاسبة ؟ قال : التثبت في جميع الأحوال قبل الفعل ، والترك من العقد بالضمير أو الفعل بالجارحة ، حتى يتبين له ما يترك وما يفعل . فان تبين له ما كره الله عز وجل جانبه ، بعقد ضمير قلبه ، وكف جوارحه عما كره عز وجل ، ومنسع نفسه من الإمساك عن ترك الفرائض ، وسارع إلى أدائها » .

المحاسبة إذن هي فرع السلفية أو قل انها ميزان السلفية .

ويدل على ذلك ما قاله بعد النص السابق . « قلت : وما يترك ومـــا يجانب ؟ قال : أربعة أشياء : شيئان واجب تركها .

فأحدهما ما نهى الله عز وجل عنه من العقد بالقلب على الضلال ، والبدع، والغلو في القول عليه بغير الحق ولا يعتقد إلا الصواب.

والآخر ما نهى الله عنه من الأخذ والترك من الحرام بالضمير والجوارح.

وأما أحد الشيئين الآخرين: فترك الشبهات خوف مواقعة الحرام وهو الا يعلم استبراء لذمته ، لمام الورع كما قال النبي (عَلَيْكُم): من ترك الشبهات استبراء لذمته ودينه وعرضه ومن واقع الشبهات فكأنما واقع الحرام » (١).

وهو يكرر هذا التعريف السابق في الرعاية فيقول: « المحاسبة: النظر والتثبت بالتمييز لما كره الله عز وجل مما أحب، ثم هي على وجهين:

أحدهما في مستقبل الأعمال والآخر في مستدبرها .

فأما المحاسبة في مستقبل الأعمال فقد دل عليها الكتاب والسنة واجمع عليها علماء الأمة (٢) ... وبعد أن يورد آيات وأحاديث تشهد لرأيه هـذا

⁽١) المكاسب ٢٠٠٠ . ٢٠١ . (٢) الرعاية ٢٦ ـ ٢٧.

يتابع: « والآي في ذلك كثير فوصف الله جل وعز محاسبته لأنفسهم في أعمال جوارحهم بالإخلاص له .. أما في أعمال القلوب فالمحاسبة والموازنة تكون في أربعة مواطن ... فيا بين الإيمان والكفر ، وفيا بين الصدق والكذب ، وبين التوحيد والشرك ، وبين الإخلاص والرياء » (۱) . فالخوف والرجاء هما أصل محاسبة النفس كما ان أصل الخوف والرجاء ، معرفة الوعد والوعيد ، وأصل دنك محرفة الوعد والعبرة (۲) .

ومها قيل من أن محاسبة المحاسبي لنفسه إنما تحولت إلى ضرب من الوسواس ، فإن المحاسبي يرد على كل ذلك بقوله: « ان محاسبة النفس تكون بقيام العقل على حراسة جنايتها ، فيتفقد زيادتها من نقصانها » فهي محاسبة عاقلة ، لا محاسبة هواجس ووساوس .

وهي في أعمال الجوارح ، «الاتيان بما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه». أما فائدتها الباطنة فهي انها : « تورث الزيادة في البصيرة ، والكيس في الفطنة ، والسرعة إلى اثبات الحجة واتساع المعرفة ، وكل ذلك على قيد لزوم القلب للتفتيش (٣) ». إذن كان الحارث مقتنعاً بامكان تحول الانسان تحولاً داخلياً عن طريق حياتية ليست قاسية ، لكنها ورعة ، وينبغي ان توضع موضع الرعاية والمراقبة باستمرار . هذه القاعدة هي التي بها نخضع أعمالنا الفردية وعلاقتنا الإجتاعية مها كان نوعها لواجب واحد علينا أن نعرفه تمام المعرفة ، الا وهو طاعة الله وحسده وخدمته . ان هذه القاعدة الحياتية سوف تؤدي إلى شيئين : التمييز ، بين العقل والعمل من ناحية ، ذلك الني معرفة نظرية لا تصبح معقولة إلا من حيث هي عملية .. ثم التفرقة

⁽١) طبقات الصوفية ٥٦ . ٧٦/١٠ .

۱۸۸/۱۰ > آخلیة ج ۱۸۸/۱۰

بين الإيمان ، والمعرفة من ناحية أخرى غير ان الإيمان الذي يفترض العمل ليس كل فعل من أفعاله مقبولاً عند الله .

غير ان نزعته السنية هذه ترى داغًا: ان الطاعة تعني مراعاة الأحكام ، وان وضع هذه القاعدة موضع التطبيق سوف يستتبع في النفس تتابع الأحوال الداخلية ، وترابطها فترى ان الفضائل ترتبط بعضها ببعض تبعا لنظام خاص هو أشبه بنظام التولد ، كا يتولد الصدق من المعرفة ، والرضا من الاخلاص . ان العقل ليس له عند الحارت أن يقوم حكمًا بين الخسير والشر ، وليس له أن يوازن بين فكرة شيطانية ، وفكرة إلهية ، بل هو القدرة التي ينبغي بها أن تكشف عما يفضله الله بين أمرين من أوامره فنختار من بينها الأقسى ونلتزم به (۱) .

الزهد:

ويترتب على هذه المحاسبة العقلية التي تختار الأقسى ، نزعة الزهد في تصوف المحاسبي ، وهو زاهد بحكم مزاجه المدقق ، فقد تورع عن أن يرث عن والده شيئًا، وتورع عن أن يأكل شيئًا من عند الجنيد لانه لم يتحقق من مصدره . ومات وهو محتاج إلى درهم . وبلغ من تطرف واختياره للأقسى ، في أول عهده للتصوف ، ان آثر عدم كسب الحلال . ثم اعتدلت آراؤه واتزنت وان بقيت نزعته الأصلية المتقلة أصيلة في فكره وسلوكه، وقد مات وهو محتاج إلى دانق .

وكتاب الحارث « المسائل في الزهد وغيره » محاولة لبسط فلسفته الخاصة في الزهد في ضوء آيات الكتاب ومأثور السنة وسلوك رجسال السلف من الصحابة والتابعين : « سئل أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي عن الزهد بالدنيا أفرض أم نفل ؟ وما الفرض وما النفل ؟ فقال : فرض الله على العباد

Massignon - Essai 251 - 252. (\(\gamma\)

الزهد في حرامه ، ونفلهم الزهد في حبس حلاله لموضع الفضـــل ، وأمرهم بالرغبة فيا فيه رغبهم ، وبالزهد فيا فيه زهدهم ، فإذا كان الرجل يحس التمييز بين الفرض والنفل ، لم يقدم على الحرام ولم يزهد بالحلال . إلا أن الله تعالى لم ينفل أن يزهد الإنسان في حلاله ، ولكن نفـــل أن يزهد في حبس الحلال عن إنفاقه في وجوهه . فإذا تم للعبد الزهد لم يحبس إلا القوت ، وما يعده للنوائب ، ولما يخاف من العواقب ، من أمر نزل بالمسلمين أو أمرر مما يُستمان عليها بالتأهب العاجل والآجل) (١) . (فإذا كان العقد عقده ، ونيته الامضاء في الحقوق . وليس يمنعـــه من الامضاء أن نفسه بالامضاء لا تصدق ، فهذا خازن من خُزَّانِ الله عز وجــل ، ليس حَبْسُهُ للأموال ضَنَتًا بها ، وحرصا عليها ، فهو زاهد وإن كَنْثُرَ عنده المَتْنَاعُ ... ولرب مكثر بغير الإكثار مشغول ، ليس بذاكر دنياه لأنَّ الآخرة قد غلبت على مُنْكَاهُ ، تَذَكُّرُهُ للدنيا تَذكر من أراد فيها البلاغ ، وَحَبُسُهُ لهـا حبس من لا يغيره تقلب الأحوال ، قلبه لغيرها ذاكر ، وهو على ما أعطاه الله منها شاكر ، إن أعطي منها لم يمنعه حلول النعمة عن أداء شكرها ، وان مُنع لم يمنعُهُ نزولُ البلية عن النظر إلى موضع الخيرة ، فهو صابر على البلاء ، وعالم بأن عسر حاله خير له من الرضاء٬ وهو يستقبل البلية بالصبر والشكر، ونعمة وجب عليه فيها الشكر ، فهو مسرور بالرخاء ومختار لما اختاره الله له إذا نزل به البلاء ليس يرد على مولاه ما اختار ، ولا بمختار غيره باختيار.

هذه صفة الزاهد ، بارد و و قشع الأشياء في قلبه .

أما بواعث الزهد وأسبابه ، فخفة المؤونة والراحة من عظم الكلفة ، لانه إذا حل بالزهد حط الكريم عنه في الدنيا مؤونة الراحلة ، واستراح من تعب النقلة ، وحلت نفسه بالطمأنينة) (٢) .

⁽١) المسائل في الزهد ٣٤ ـ ٤٤ . (٢) المسائل في الزهد ٣٤ ـ ٥٤ .

ان الزهد ليس زهداً بالمال والمتاع ، إنه زهد بكل مظاهر الدنيا وما فيها من فضول (فصمت الفكرة زهد ، وكسر الأمل زهد ، وماكابرة الرغبة زهد) .

الزاهد عند الحارث هو من برد على قلبه وقع الأشياء « فإذا زهد في فضول الكلام والفعل ، وأوى إلى ضروب من الصمت والفكرة ، كان من ذلك تدبر في الإنابة إليه ، وضرب في إنعامه ، فإن الفكرة اللازمة للخلق هو الفكر فيا هم عليه من طاعة فيقيمون عليها ام على معصية فينتقلون عنها، فهذه الفكرة اللازمة للخلق . ثم فكرة الموازنة بين الأعمال فيوازن بدين الشيئين فينظر إلى أوزنها ليأخذ به » (١) .

المكابدة:

وتعني شيئاً من القسوة على النفس توشك أن تكون نزعة «ملامتية». وقد بدا ذلك بحدة منذ خلافه مع والده وتورعه عن أخذ شيء من ماله. ثم استمرت نزعة التفتيش والتدقيق هذه حتى تحولت كتب المحاسبي، في نظر خصومه، إلى كتب وساوس وخطرات. وفي همذا الاتهام شيء من الصحة. وتبدو تلك القسوة التي قلنا إنها تشبه قسوة « الملامتية » في مواطن كثيرة من كتبه كلها مختلطة بمحاسبة نفسه. ويقوم التصوف الملامتي على أساسين رئيسين: الملامة ، والفتوة وكلا الركنين و بحد في تصوف المحاسبي. فمن تعاريفه المفتوة: « أن تنصف ولا تنتصف » (٢). كا أيد لبس الصوف فمن تعاريفه المنتوة دونما انكار عليهم لكونمه شهرة كا ذكر في باب الشهرة (٣). ووصف الفتوة التي افتقدها العصر بقوله: «حسن الوجه مع المسانة ، وحسن القول مع الامانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء » (١٠).

⁽١) المسائل في الزهد ٣٤ ـ ٥٤ ، (٢) الرسالة ج٦/ ٢٧٤ ،

⁽٢) المائل ١٠٢، (٤) الرسالة ج٢/ ١٩٥٠.

وتعريف السابق للفتوة يشبه تعريف زعم الملامتية الأول إلى جانب « التصار » أعني أبا حفص الحداد الذي عرقها بأنها: « أداء الأنصاف وترك مطالبة الإنصاف » (١).

أما الركن الأول وهو الملامة فقد أكثر من الحديث عنه في كتبه في صدد اتهامه لنفسه . يقول : « الا واستعينوا على نفي الإعجاب باحتقار أعمالكم » ، ويقول: « وبعد فإنك منهي عن تفضيل نفسك وتركم بها محرم عليك الإعجاب بها » (٢٠) . ويتحدث عما يسميه الازدراء على النفس فيعرفه بأنه : « المعرفة بقدرها وسوء رغبتها وأفعالها » (٣) . « والنفس قد أبطنت الشهوة لتتزين بذلك وتتصنع عند العباد بظاهر الطاعة » (٤) . فلا بد من الاستمرار في اتهامها لانها عدو ضار ، فإن عرفها صاحبها ازداد لله عز وجل حباً ولها بغضاً و مقتاً » (٥) فلا يكره الإنسان أن يطلع الناس على سيء عله (٢) ، تحطيماً لها . « والاحتياط توقع النقص وخوف البخس دائماً (٧) .

الحركة :

ولقد اتسم تصوفه بنزعة إجتماعية فنص في كتاب « الغرة » على أن الاغترار بالخلوة ليس من التقوى بشيء ونعى على أولئك الذين يغترون بها فاتهمهم بالبعد عن العباد والانشغال بذوات أنفسهم (١) . وأثبت بسيرت أن صحبته الناس لا تنافي الإنشغال بالله فعندما قال له الجنيد : « تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات وعزلتي أنسي » . قال : « كم تقول عزلتي أنسي ، لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بها أنساً ، ولو أن نصفهم الآخر نأى عني ما استو حشت والبعد هم » . ونعى

⁽١) الحلية جـ ١/ ٢٣٠ . (٢) الوصايا ٧٠ ـ ٧١ .

⁽٣) المسائل ١٤٨ . (٤) الرعاية ١٢٨ .

⁽ه) الرعاية ٧٧٨ - ٢٨٢ . (٦) الرسالة ج ٢/٢ه ٤ .

⁽v) الحلية ج ١٨٨/١٠ . (٨) الرسالة ج٢/٥٠٥ .

فوصفهم بالجهل والغلظة في كتابه: « المكاسب » . وجعل العطف على أهـل الضعف الفرض الثاني في الإسلام بعد معرفة الله . فقال « أفضل العبادة العلم الأعمال العطف على أهل الضعف، وقد سئل النبي (عَلَيْكُم) أي الأعمال أفضل؟ فقال : أن تغيث ملهوفاً أو تنصر أخاً لك . وقال : الخلق عيال الله فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله . فأفضل الأعمال إدخال المرافق في الدين ، والعطف على المساكين وهي صفة النبيين ، وصالح المؤمنين ... فقد كان أفضل عبادة صدر هذه الأمة الجهاد في سبيل الله ، ثم كان أفضل الأشياء بعد هذا إرفاق بعضهم بعضًا ، إما بفرض أو بقرض ، والإيثار على أنفسهم وقد حلت بهم الخصاصة ... وأفضل الخلق للناس رجـــل قصر نفسه على العلم ، وآخر بذُل نفسه لمؤونة الناس ، مؤونة عــالم رعى المتعلمين ، وساع بــذل نفسه للمساكين ، فعلى العالم في علمه التواضع لمن انقطع إليه ، و حُسن العطف عليه ، وشدة العمل بما يأمر به ، وإيثاره أصحابه على نفسه ، وليس يجمل به أن يكتسي وهم يعرون ، ويشبع وهم يجوعون ، وعليـــه أن يتعاهد من أمورهم ما 'يضيعون ، فيخلف من نأى منهم في عياله ، ويواسيهم بماله ، وعليه في تأديبـــه لهم أن يظهر حسنهم ليزدادوا ، ويكتم خطأهم لئلا ينقطعوا ويتلمس من كل إنسان مذهبه ، فيحسن مداراتهم فلا يترفع عنهم ، فإن ذلك من العالم قبيح ، ولا يكثر المعاتبة فإنها تحمل على اللجاجة ، ولا يلح على أحـــد دون الآخر بإقبال ، فإنه مما يصرف عنه قلوب الرجال . ولكن ليقسم بينهم النظر ليكونوا عليه أقبل »(١).

⁽١) المسائل في الزهد ٤٣ ، ٧٧ .

النوائب المسلمين".

وهو يرى أن أصل الأمور كلهـا والذي بـه يرتفع العمل ويزهو هو أصلان :

الاول سلامة الصدر لجميع المسلمين(٢).

الثاني يستحب للزاهد أن يعمل على اكتساب حسن ظن المسلمين ، الأنهم سهداء الله في الأرض (٣) .

والحارث يرى أن حسن الخـُلق ِ مع الناس تجمعه أربع خصال : احتمال الأذى ، وقلة الغضب ، وبسط الوجه ، وطيب الكلام (٤).

مذهبه الكلامي:

يقول الذين ترجموا للحارث أن له مئتي مصنف في أكثر العلوم الإسلامية ومن جملة هذه المصنفات مصنفات في علم الكلام . ويعتبره الصوفية بمن جمع بين الفقه والتصوف والحديث وعلم الكلام . وتجمع الروايات التي تتحدث عن موقف ابن حنبل منه أنه تكلم في شيء من الكلام فهجره . وتفصل روايات آخر هذا الأمر مزيد تفصيل فتقول : ان أحمد أنكر عليه أن يـــذكر أقوال المخالفين ثم يرد عليها حذراً أن تقع في قلب القارىء شبهة لا تزيلها حجج الحارث (٥) .

قال ابن الأثير: « وهو أول من تكلم في إثبات الصفات »(٦). وقال الخطيب البغدادي « إليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية » .(٧)

⁽١) المسائل في الزهد ٧٢ - ١٥٠ . (٢) المكاسب ٢٠٢ .

⁽٣) الرعاية ٣٣٧ . (٤) طبقات الصوفية ٥٦٠- ٠

⁽ه) راجع «فهم القرآن». (٦) الكواكب الدرية ج ١/٨/١ .

٠ ١٣٤/٢٠ التهذيب ٢٠/٤٣٠ .

ويفصل عبد الكريم الشهرستاني الأمر فيقول:

« ان جهاعات كثيرة من السلف كانوا يثبون لله تعالى صفات أزلية من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والإكرام ، والجود ، والإنعام ، والعزة ، والعظمة . ولا يفرقون بين صفات الذات ، وصفات الفعل . بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً . وكذلك يثبتون لله صفات جبرية مثل اليدين ، والرجلين ، ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون بتسميتها صفات جبرية . ولما كان المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون ، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة . وتخطت جهاعة من السلف إلى التفسير الظاهر فوقعت في التشبيه . أما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا التشبيه ، فمنهم مالك بن أنس (رضي) الذي قال : الإستواء معلوم والكيفية بجهولة ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . ومثل أحمد بن حنبل وسفيان وداوود الأصفهاني ومن تابعهم ، حتى الزمان إلى عبدالله بن سعيد بن كلاب وأبي العباس القلانسي والحارث بن أسد المحاسبي ، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام ، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين جدلية »(۱) .

وإنما أوردنا هذا النص لنتبين مكان متكلمي الصفاتية من أهل السنةونعني عنكلمي الصفاتية أتباع المدرسة الكلابية التي تزعمها عبدالله الكلابي (٢٤٠ه) ويرى البغدادي(٢) والسبكي(٣) أن المحاسبي وزملاءه من رجال المدرسة الكلابية هم أسلاف الأشاعرة.

والنصوص التي أوردناها سابقاً تظهر أنه كانت لمتكلمي الصفاتية هؤلاء في مذهبهم ناحيتان : ناحية هدمية وناحية بنائية .

⁽١) الملل والنحل ج ١/٩٤ ـ ٠٠ .

⁽٢) أصرِل الدين ٢٠٨ . (٣) الطبقات ج ٢٦٢/٢ .

أما الناحية الهدمية فتتمثل في الرد على المعتزلة والرافضة والقدرية والجهمية والحرورية والمرجئة ، وغيرها من الفرق التي وردت أسماؤهـــا في كتب الحارث .

وأما الناحية البنائية فتتمثل في بناء مذهب كلامي جديد يصح أن يكون بديلًا عن آراء الفرق التي رأى فيها متكلمو السلف هؤلاء ضلالًا وخطأ .

ولا شك أن قيام هؤلاء بججج وآراء كلامية للدفاع عن العقيدة يرمن أن علماء القرن الثالث الهجري من أهل السنة قد أدركوا أن ضرب المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرها من الفرق ، ينبغي أن يكون بسلاحهم نفسه ، وان الحاجة ملحة إلى إعادة تقويم موقف رجال السلف من كل موضوعات العصر في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام . وأنه قد آن الأوان لنبذ التجاهل المعيب للعقل بججة أنه أدى إلى انحراف المعتزلة وغديرهم من المتكلمين . ونتيجة لذلك قام علم الكلام عند الصفاتية على علم وعقل بظل القرآن .

وقد حدثنا ابن تيمية عن الناحية الهدمية لمدرسة الصفاتية فقال: « جاء ابن كلاب لما ظهرت الفتنة المشهورة ، فامتحن الامام أحمد وغيره من أغية السنة ... قام أبو محمد ابن كلاب البصري وصنتف في الرد على الجهمية والمعتزلة مصنفات ، وبين تناقضهم فيها وكشف كثيراً عن عوراتهم .. وأما ما أحدثه ابن كلاب ومن اتبعه فمؤلفات بها بينوا فساد قول من قال : «القرآن مخلوق» من الجهمية والمعتزلة »(۱).

ونحن نعرف شيئًا من الناحية الهدمية عند المحاسبي من كتابه « فهم القرآن » فهو يهاجم المعتزلة في كل أصولهم . في تحجرهم العقلي ، ونفيهم للعرشية ، وقولهم بحدوث الارادة في غير محل ، ثم قولهم في بقية صفات الله التي هي صفات المعاني. لكنه لا يقول بقدم صفات الأفعال. وليس صحيحًا ما

⁽١) منهاج السنة ج١ / ٢١٧ ـ ٢١٩ : ط . بيروت بتحقيق د. محمد رشاد سام .

أتتهم به ابن كلاب وزملاؤه بما أورده ابن النديم من أنهم يقولون أن كلام الله هو الله . ان السبكي يوضح حقيقة الأمر فيقول : كان ابن كلاب وزملاؤه يقولون ان هناك نوعين من الكلام ، الكلام النفسي وهو قديم ، والكلام اللفظي المتعلق بالنهي والأمر والخبر وهو محدث ، وصفاته تعالى قائمة به ، لا هي هو ولا هي غيره وما دام كلام الله قديما ، والقرآن كلام الله ، فالقرآن غير مخلوق ، وإنما هو قديم قدما اعتباريا باعتبار قدم الكلام النفسي . وإنما قالوا بما قالوه في الصفات من أنها قائمة به لكنها ليست هو وإلا تعطلت الصفة ، وليست غيره وإلا تعدد القديم . فالصفات إذن متعلقاته هو، وليس هو من متعلقاتها ، ثم إن الصفات لا تقوم بالصفات ، لكنها تقوم بالله فالله إذن ليس صفة (١) .

بقي أن نوضح قطعة وردت في التعرف: « وقالت طائفة منهم - من الصوفية - كلام الله حروف وصوت ، وزعموا أنه لا يعرف كلامه إلا بالحروف والصوت . مع إقرارهم أنه صفة الله تعالى في ذاته غير مخلوق ، وهذا قول حسارت المحاسبي »(٢) . وواضح أن الكلاباذي لم يفهم رأي المحاسبي في الكلام . إذ ان المدرسة الكلابية تقسم الكلام كا ورد سابقاً إلى قسمين : نفسي فهو قديم أو ملفوظ ومرئي فهو حادث . وظاهر أن المدرسة في نتائج أبحاثها لم تخرج على مذهب أهل السنة ، فرجالها من مؤيدي المحدثين ، لكنهم أيدوا كلام المحدثين بججج عقلية وكلامية .

لقد آمن الحارث وزميلاه (٣) بآراء أهل الحديث ولكنهم صاغوها صياغة

⁽١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د - النشار ج ١ / ٤٧٤ ـ ٣٠٥ .

⁽٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٩

⁽٣) كان القلانسى زميلًا لهما في الفكرة اذ أنه متأخر عنهما زمنيًا فقد توفي (ه ه ٣ هـ)وقد تبعنا الشهرستاني في ذكره معهما .

كلامية . وأثار قولهم بالمبدأ الأساسي وهو التأويل؛ أثار عليهم ثائرة المحدثين والصوفية جميعاً .

فهاجم ابن حنبل ابن كلاب كا هاجم الحارث(١).

وهو ما فعله ابن تيمية فيها بعد في منهاجه (٢) .

كا رويت عن الجنيد أقوال في ذم ابن كلاب واتهامه بالزندق. واتهم أبا على الدقاق شيخ الامام القشيري ، وأبا الحسين بن سالم زعيم المدرسة السالمية الكلابية ، بأنهم في باطنهم معتزلة .

وقد حاول ماسينيون أن يقوم عمل المحاسبي في علم الكلام بصورة عامة فقال: «كان لديه ميل واضح إلى إقناع الآخرين. وهذا صحيح. كا يبدو في مؤلفاته ، وقد توسل إلى ذلك عن طريق العقل المتقيد بأحكام الشرع. وكان يمتلك تماماً القدرة على استعمال المعجم الفني الذي كان يتكلم به المشتغلون بالعلوم الإلهية في عصره (٣) وصحيح أنه كان يستعمل معجم المعتزلة ولكن الرغبة عنده في استخدام ما يعارضهم فيه. ولم تشفع معارضته هذه عند الحنابلة الذين قاوموه بكل حال ، وأرغموه على التواري في منزله حتى موته.

ويمكن فهم آراء الحارث الكلامية تماماً من المخطوطين اللذين نحققها وننشرهما بعد هذه المقدمة ، إذ يمثل مخطوط العقل منهجاً للبحث . ويمثل فهم القرآن تطبيقاً لهذا المنهج المستحدث حقاً من حيث هو منهج يعتمد على التحليل العقلي للمعاني الخلقية والخواطر النفسية .

⁽١) لمان الميزان: ابن حجر ج ٣٦٠/٣

⁽٢) النهاج جرار١٢ - ٢٢٢

Abdul Halim Mahmoud - Al Muhasibi p. 30 PARIS - (*) 1940.

وقد قدمنا سابقاً ما قاله عبد القاهر البغدادي والسبكي من أن المحاسبي من أسلاف الأشاعرة . وليس ذلك غريباً فقد انتهى الأمر بمدرسة ابن كلاب الكلامية أو مدرسة الصفاتية إلى الإندماج في المدرسة الأشعرية . بسل لقد تتلمذ الأشعري على زعماء المدرسة الثلاثية فكرياً ، وعرف أقوالهم معرفة تامة . يدل على ذلك روايته لها في مقالات الإسلامين ، وإذا استثنينا رأي الأشعري في الكسب ورأيه في التكليف بما لا يطاق ، نجد انه قد تبنى كل آراء المدرسة الكلابية تقريباً . وبالاضافة إلى هذه الصلة الوثيقة للأشعري بالصفاتية فقد اتصل تلامذه بتلامذة المحاسبي . فبندار بن الحسين الشيرازي (— ٣٥٣ ه) الذي ذكره صاحب الرسالة القشيرية كتامية للشبلي () خويف تلمية ابن عطاء (٢٧١ ه ، ٣٤٣ ه) الذي أخذ عن المحاسبي ، تتامذ أيضاً على أبي الحسن الأشعري ، وكان أستاذاً للباقلاني في الأصول ، أي علم الكلام . والباقلاني (— ٤٧٣ ه) وامام الحرمين (— ٤٧٨ ه) هما زعيما فترة الازدهار الثانية في المذهب الأشعري .

وعندما أراد الباقلاني الخروج إلى عضد الدولة البويهي (٣٧٣ ه) ، وكان شيعياً يسيطر المعتزلة على مجالسه الكلامية ، خو قه زملاؤه مغبة ذلك فقال لهم كلاماً معناه: ان حذر أسلافنا كالمحاسبي وغيره هو الذي أد ّى إلى سيطرة المعتزلة على الدولة . فاعتبر الحارث الصفاتي سلفاً للاشاعرة . وابن خفيف السابق الذكر هو الذي اشتهر كزعم لحلقة صوفية في شيرازكان يدرس فيها تلاميذه كتاب « اللمع في الرد على أهدل الزيغ والبدع » لأبي الحسن الأشعري .

وابن فورك، رجل الاشاعرة الكبير المعاصر للباقلاني، روى عنه القشيري كثيراً في رسالته باعتباره صوفياً يجمع إلى علم المعاملة علم الكلام واعتــــبره

⁽١) الرسالة ج ١/٥٧١.

بغدادياً. وأبو عبد الرحمن السلمي (-- ١٦٤ ه) صاحب (طبقات الصوفية) تتلمذ على الباقلاني فقرأ عليه اللمع للأشعري . والقشيري (-- ٤٦٥ ه) وصاحب الرسالة المشهورة في التصوف ، يقول عنه المترجمون له ، إنه « كان شيخاً من مشايخ الصوفية أشعري الأصول ، شافعي الفروع » . وعندما سيطر السلاجقة السنيون على فيسابور حاولوزير السلطانالسا ، وفي الكندري (-- 200 ه) وكان شيعياً ، أن ينزل الضرر بالأشاعرة فأشار على السلطان بيلمن المبتدعة على منابر فيسابور ، وأدخل بين أسماء المبتدعة اسم أبي الحسن بلاشعري . فشار لذلك الاشاعرة والصوفية وكانوا كتربين في فيسابور وأعمالها ، فاضطهدهم الوزير الشيعي ففروا من بغداد ، وكان منهم القشيري، وأبن فورك وإمام الحرمين ، وأبو سهل ابن الموفق . وقدد كتب القشيري كتاباً حول الموضوع بعنوان (شكاية أهل السنة) نقله السبكي في طبقاته (۱۱) . حتى إذا كانت سنة (200 ه) عاد الاشاعرة والصوفية إلى فيسابور بعد أن قنتل الوزير الرافضي ثم جاء نظام الملك فنصرهم نصراً بينا .

هذه بعض ملامح الصورة التي كانت عليها العلاقات بين الاشاعرة ومدرسة بغداد الصوفية بعد وفاة شيخها المحاسبي (– ٢٤٣ هـ) وهي تؤيد ما ذهب إليه الباحثون من أن اندماج صوفية بغداد من تلاميذ المحاسبي بالاشاعرة قد تم منذ أوائل القرنالرابع الهجري .

⁽١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ / ٢ ٧٠ .

الحارث و مكانة العقل في مذهبه

العقل في الفلسفة القديمة:

من الواضح لدى مؤرخي الفلسفة أن أول فلسفة عقلية نشأت في العالم القديم كانت نشأتها في بلاد اليونان . وكان سقراط (– ٣٩٩ ق. م) أبرز الفلاسفة العقليين ، بل لقد كان أبرز أصحاب هـنه المدرسة السوفسطائية القديمة التي قدر لها أن تتحول بالفلسفة القديمة تحولاً جذريا من البحث في الوجود المادى الطبيعي إلى البحث في الوجود الماهوي العقلي ، فرأينا دعائم هذا الاتجاه تتركز مع سقراط عندما جعل موضوع الفلسفة هذه الماهيات العقلية المجردة. ثم نما هذا الاتجاه وتأصل في الأرض اليونانية على يد أفلاطون المعتلية التي عرفت الديه بالمثل، ثم على يد أرسطو (– ٣٢٣) الذي أقام فلسفته بشكل أساسي على هذه الماهيات العقلية التي عرفت من خلال نظريته في « الصورة » .

ونحن نعني بالفلسفة العقلية هذا الاتجاهات الميتافيزيفية النظرية والاتجاهات الحياتية العملية كنتاج لما كان يسمى بالعقل النظري والعملي آنذاك . على أن أهم ميزات هذا الاتجاه أنه كان اتجاها عقلياً مجرداً من كل أثر غير عقيلي ، فالعقيل إذن هو مقياس لذاته ، وهو سند يقينه ، فلا حاجة للتدليل على صدق قضاياه إلى أدلة خارجة عن دائرة ذاته ، وهو وحده كاف لتحصيل العلوم والمعارف في شتى أشكالها وضروبها .

على أن الأمر في شأن العقل لم يبق على هذا النحو عندما اختلط الأمر لدى المفكرين القدامى إبان خريف الفكر اليوناني ، ذلك أن هذا الاتجاه العقلي الذي عرفنا كان قد شهد خلال هذه الحقبة تقهقراً نسبياً عندما تحول

الفكر باتجاه الأفلاطونية الحديثة التي سيطر عليها غنوص الشرق، فإذا بالعقل الفلسفي المجرد يفقد الكثير من سلطانه ، وإذا بالاتجاه الروحي يحقق الكثير من الغلبة .

وجاء فلاسفة الإسلام متأثرين بالاتجاه الأول ، مقدرين للاتجاه الشاني ، ملتزمين بدين الإسلام ، فوقعوا وهم ضمن حدود هذا الثلث ، في أخطاء أساسية من خلال عمليات التوفيق التي حاولوها، وكان على رأس هذه لأخطاء هو الخلط بين نظرية العقل لدى اليونان من ناحية ، ونظرية العقل في الإسلام من ناحية أخرى وبين النظريتين فرق كبير كا يلاحظ ذلك ابن تيمية في كنابه ه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » (۱) .

العقل في الكتاب والحديث :

صحيح أن الفلسفة اليونانية في ربيعها استطاعت أن تحقق للعقل استقلاله وقد له سلطانه وتحقق له من الانجازات الفلسفية ما لم تحقق له فلسفة من قبل وصحيح أن أرسطو بشكل خاص ومدرسته ومدرسته والا بيقوريين والرواقيين كانوا قد اعتمدوا العقل المجرد المستقل في بحث موضوعات ما وراء الطبيعة كالله والنفس والعالم والا أن ذلك كله لم يفض بهؤلاء وهؤلاء الله إلى مجموعة من الآراء المتناقضة والنتائج المتعارضة وتتراوح كلها بين طرفي الشك واليقين و أو النفي و الإثبات (٢) و لقد فطن إلى ذلك نفر من المسلمين فعرفت هذه النتائج لديهم من خلال « نظرية تكافؤ الأدلة » .

على أنه مها كان من أمر العقل لدى المسلمين إن كان من حيث خطــــأ البعض منهم كالفارابي وابن سينا ، أو كان من حيث التنبه لمكنات التناقض

⁽١) ابن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٦٨ – ٦٩ م

⁽٢) عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل ٢ ؛ .

اللعقلي في موضوعات الفلسفة الميتافيزيفية كما فعل الكثير من رواد الصوفية الأوائل ، فإن مسألة العقل في الإسلام ، بالرغم من ذلك كله ، ينبغي أن قدرس في أصولها الأولى ، أعني من خلال الكتاب والسنة ، ثم خلال برعمة الفلسفة الإسلامية عند منابعها الصافية ، التي تجفظت إزاء ممكنات التناقض العقلي تحفظاً إسلامياً صوفياً وعقلياً معاً ، أعني من خلال فلسفة الحارث بن أسد المحاسبي بالذات .

أما في القرآن فإن النزعة العقلية الإسلامية واضحة فيه تمام الوضوح ذلك أن الآيات التي تدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر والتدبر والاعتناء إنما هي آيات كثيرة تدعو دعوة صريحة لإعمال العقل في ما خلق الله للوصول من خلال ذلك إلى معرفة الخالق ، ومتى تحققت معرفة الخالق ، أصبح الإنسان عارفا بأوامر الله فيتبعها ، ومتفهما لنواهيه فيجتنبها ، وبالإضافة إلى هذه المعاني العقلية التي وردت في القرآن ، فإن هناك ألفاظاً للعقل ومشتقاته ومترادفاته وردت في القرآن صراحة أربعاً وثلاثين مرة ، وسنثبت فيا يلي بعضاً منها ثم نحاول أن نبين ما تنطوي عليه مادة « عقل » من معان في الكتاب الكريم .

يقول تعالى « ومن غمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (١) .

« أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهيم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكنه تعمى القلوب التي في الصدور » (٢) .

« إن في خلق للسموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك الستي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من الساء من مساء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر

٤٦ - ٢٤ .
 ١ الحبح - ٢٤ .

بين السهاء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١) ــ

« إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من الساء بما كانوا يفسقون ... ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون » (٢) .

« ولئن سألتهم من نزل من السهاء ماء فأحيا به الاردن بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون » (٣).

« ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السهاء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (٤) .

« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي. وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين، يغشي الليل النهار. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنسات من أعناب وزرع ونخيسل ، صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (٥٠) .

فإذا اعتبرنا مثل هذه الآيات النموذج الأول للمذهب العقلي في القرآن ٤ فإن النموذج الثاني الذي نرى ضرورة الإشارة إليه إنما يكمن في الآيات التالية:

قال تعالى :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » (٦) .

« والذين يُتُرَفُو َ نَ مَنْكُمُ ويَدْرُونَ أَزُواجًا وَصَيَّةً لَأَزُواجِهُم مَتَاعًا إِلَى. الحُو ْلُ غَيْر إِخْرَاجٍ. فإن خَرِجِنَ فلا جِنَاحِ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلَىٰ فِي أَنْفُسُهُنَ مَنْ.

 ⁽١) البقرة _ ٤٦٤ .
 (٢) المنكبوت _ ٣٥٠ .

 ⁽٣) العنكبوت ـ ٦٣ .

معروف ، والله عزيز حكيم . وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » (١) .

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون . إن شر الدواب عند الله . الصم البكم الذين لا يعقلون » (٢) .

من هذين النموذجين للعقل في القرآن نستطيع أن نستخلص بعض النتائج التي هي على قدر كبير من الأهمية .

أولها الثقة التي ينبغي أن نوليها للحواس ، بحيث تكون معطياتها داغًا هي منطلق التفكير والتدبر ، فثمرات النخيل ، وهي مرئية بالعين ومذوقة ، هي موضع المتدبر من حيث كونها دليلا على الرازق المنعم الصافع ، وهندا أمر يتكرر في كل ما أوردناه من آيات وغيرها ، فالسحب في الساء ، والفلك في البحر ، كل هذه وتلك إنما هي ظواهر مشاهدة ومعهودة ، وهي آيات ودلائل على الصافع ، وعاديات البشر كالنوم والسعي لكسب الرزق ، وعاديات الكون ومظاهره كالبرق والمطر ، كل ذلك هو منطلق التفكيير وواسطة الوصول إلى النتيجة المنطقية وهي أن فيهذا الكون منظماً مدبراً ، وهو الذي أعطاه هذه الصورة التي نراه عليها . فالظاهرة العقلية هنا ظاهرة وها الذي أعطاه هذه الصورة التي نراه عليها . فالظاهرة العقلية هنا ظاهرة وراء المشاهد وهو الله . والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي أدى إلى خلقه وهو الله ، والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي أدى إلى خلقه وهو الله . والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي أدى إلى خلقه وهو الله . والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي أدى إلى خلقه وهو الله . والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي أدى إلى خلقه وهو الله . والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي في أدى إلى خلقه وهو الله . والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي أدى إلى خلقه وهو الله . والثانية سببية ، وهي تعني ارتباط النتيجة التي أدى إلى خلقه وهو الله . القي نوله .

وثاني هذه النتائج العقلية التي نستخلصها من هذين النموذجين السابقين من

⁽١) البقرة : ٠٤٠ - ٢٤٢ . (٢) الانفال - ٢٠ - ٢٠ .

⁽٣) عبد المنعم خلاف : للعقل المؤمن ٣٠ .

الآيات هي الوضوح والبساطة في عمليات التفكير والتدبر والتعقل هـــذه ، فكلها أمور لا تحتاج إلى تفكير عميق أو بحث غامض ، أو تحليل معقد ، إنما هي من البساطة والوضوح بمكان بحيث تدرك بواسطة العقل إدراكا أشبه بالعرفان المباشر ، أو بالحدس بتعبير حديث ، ولكنها بالنسبة للنموذج الأول بديهيات حسية ، يستدل الإنسان من خلال الصنعة على الصانع ومن خلال الإتقان على المتقن ، وهي بالنسبة للنموذج الثاني بديهيات أخلاقية اجتابيه ، يستدل الإنسان من خلال أو امر الله ونواهيه ، على ما ينفعه وما يضره ، فيلتزم بطاعة الله ورسوله التزاماً عقلياً وتلقائياً ، لأنه يعلم أن في ذلك خيره وسعادته ، وثالثة هذه النتائج هي أن العقل ما دام على صعيد النظر والايمان بالحالق يبقى عقلاً بديهياً ، وما دام كذلك على صعيد العمل والالتزام ، بطاعة الله ورسوله ، فإن هذا العقل يصبح بعنى ما من الماني ، هو بمشابة هذه الميزة الفريدة التي وضعها الله في الإنسان طبعاً وغريزة ، بحيث يستطيع هذه الميزة الفريدة التي وضعها الله في الإنسان طبعاً وغريزة ، بحيث يستطيع وأمام الله .

ورابعة هذه النتائج هي أن العقل ما دام غريزة طبع الله الإنسان العاقل عليها ، ليعرف فيؤمن ، ويؤمن فيعمل ، فإن العقل القرآني ، لم يعد عقلا يونانيا ، أعني عقلا مجردا ، أو جوهرا قائماً بذاته ، وإنما أصبح (ظاهرة) إلهية في الإنسان ، جعلها الله تعالى فيه ليعقل بها ، في حدود رسمها الله له ، ونبهه إليها ، وبذلك يصبح العقل القرآني في الإنسان ، عقلا واعيا لطاعة الله ، فيأتمر ، عن طواعية واختيار ، بما يأمر الله به ، وينتهي عما نهى عنه . لا عقلا منفصلا عن خالقه ، مجردا عن دواعي الحياة التي خلقها الله ، أعني جوهراً قائماً بذاته يصلح أن يكون حكما في كل شيء . . . حتى في موضوع خالقه ، وفي ما يصدر عنه ، وما يرد إليه ، وهذا مستحيل لأن المخاوق لا يستطيع الإحاطة بالخالق ، والأصغر لا يستطيع الإحاطة بالأكبر .

والنتيجة الخامسة هي أن العقل واحد لدى الناس جميعًا، فالعقل ما دام

غريزة إلهية في الإنسان ، فقد شملت هذه الغريزة الناس جميعاً ، وعليه فإن العقل ينبغي في نظر القرآن أن يتحرك في اتجاهين: الأول هو الاتجاه الاياني وهو ما يعبر عنه النموذج الأول من الآيات . والثاني هو الاتجاه السلوكي وهو ما يعبر عنه النموذج الثاني من الآيات .

من هنا جاء العقل القرآني ، ليس ليناقض العقل ، وقد ناقض العقل المجرد ذاته كا رأينا لدى فلاسفة اليونان ، وإنما جاء هذا العقل هادياً لهذا العقل الذي أراد أن ينفصل عن الحقيقة الكلية الأزلية ، بإقامة سلطان لذاته . وبهذا المعنى لم يكن الوحي مناقضاً للعقل ولكنه جاء ، مفهوماً للعقل في المحكم من الآيات ، غير متعارض معه في المتشابة منها ، وجاء ليخلص العقل من متناقضاته ، ويحرره من شكه ، ويهديه إلى اليقين ، كا جاء العقل القرآني ، « لا ليستشير الانسان في شيء مما لا يستطيع عقله أن يتوغل فيه لقصوره » (۱) . وإلا لكان الدين قد وضع نفسه بنفسه تحت سلطة العقل المجرد وهذا خلف .

وإذا كان هذا هو موقف العقل القراني بشكل عام ، فإن التفسير جاء أيضاً ليؤكد هذا الموقف ويعززه . صحيح أن الإسم (عقل) لم يرد في القران ولا مرة ، إنما ورد في التفسير أن (القلب) الذي جاء في القران إنما كان يعني (العقل) بالمعنى القراني للكلمة .

قال تعالى : (لمن كان له قلب) . أي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ، ويتفكر فيها كا ينبغي . وفسره ابن عباس (- ٦٨ هـ) بالعقل ، وذلك لأن العقل قوة من قوى القلب وخادم من خدامه . وقال أبو الليث (- ٩٧ ه.) (لمن كان له قلب) أي عقل ، لانه يعقل بالقلب فكنى عنه . ففي الأسئلة المقحمة : كيف قال لمن كان له قلب، ومعلوم ان

⁽١) د. عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل ٩ ـ ١٤ .

لكل إنسان قلباً ؟ قلت: ان المراد همنا بالقلب عقل كنى بالقلب عن العقل، لانه محله ومنبعه كما قال تعالى فانه نزله على قلبك (١).

(لمن كان له قلب): قال مجاهد (– ١٠٤ ه): (عقل). وقال ابن أبي حاتم (– ٢٣٦ ه) (حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة عن عوف ، قلت لمحمد بن سيرين . ما القاب السلم ؟ قال : يعلم ان الله حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبر . وقال الحسن: سلم من الشرك (٢) . (لمن كان له قلب) : أي عقل يتدبر به ، فكنى بالقلب على العقل لأنه موضعه (٣) .

وقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى — (قسم لذي حجر) قال يعني الرجل ذا النتهى والعقل: وقد جاء عن الضحاك في تفسير (لينذر من كان حياً) قال : من كان عاقلاً. وعن اللب قوله (فاتقون يا أولى الألباب) قال إنما عاتبهم لانه يحبهم ولا نهم ذوو عقول وعن مجاهد في تفسير (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم. قال: أولي العقل والفقه في دن الله عز وجل) (3).

أما العقل في السنة فله قصة غريبة بعض الشيء . ذلك أن المحدث ين وأصحاب المذاهب العقلية كانوا قد انقسموا حول صحة أحاديث رسول الله عليه في العقل ، فمنهم من زعم بأنه لم يصح حديث في العقل عن رسول الله وزعموا أن كل حديث في العقل إنما هو حديث مقحم وموضوع ، ومنهم من زعم بأن أحاديث العقل صحيحة ، وإن جاء بعضها بإسناد ضعيف ، ذلك زعم بأن أحاديث العقل صحيحة ، وإن جاء بعضها بإسناد ضعيف ، ذلك

⁽١) روح البيان : اسماعيل حقي ج ٩/٩ .

⁽۲) ابن کثیر : ج ٤/٢ ، ٢٢٩ .

⁽٣) القرطبي : - ٣/٠٠ .

⁽٤) ابن أبي الدنيا (– ٢٨١ هـ) ـ العقل وفضله ١٤ ـ ١٥ .

أن روحها تتفق مع روح الإسلام ولا إتعارضه . وكان هذا الرأي الأخير هو الذي تبناه الحارث وأخذ به . وقد روى المحاسبي هذه الأحاديث كما رواها غيره ، فكانت دعامة من دعامات رأيه في العقل من حيث تأييدها لرأيه في تفضيل العقل والاعتاد عليه بعض الشيء . لذلك كان مهما أن نعرف بعض هذه الأحاديث .

فيروي المحاسبي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال: « لا يقبل الله صلاة عبد ولا صومه ولا حجه ولا عمرته ولا صدقته ولا جهاده ولا شيئاً مما يقول من أنواع البرإذا لم يكن يعقل. وبلغنا ان الشعز وجل لما خلق العقل قال له: اقعد فقعد ، ثم قال له ادبر فأدبر ، ثم قال له اقبل فأقبل، ثم قال له انظر فنظر، ثم قال له تكلم فتكلم ، ثم قال له انصت فأنصت ، ثم قال له اسمع فسمع ، ثم قال له افهم ففهم ، ثم قال له : وعزتي وجلالي وعظمتي وسلطاني وقدرتي على خلقي ما خلقت خلقاً هو أكرم علي ولا أحب إلي منك ، ولا أفضل عندي منك منزلة ، لأني بك أعرف ، وبك أعبد ، وبك أحمد ، وبك أعطي ، وبك أعاقب ، ولك الثواب (١) .

وفي حديث أن النبي عليه قال: « أنا الشاهد على الله عز وجل أن لا يعثر عاقل إلا رفعه الله عز وجل ثم لا يعثر إلا رفعه ، حتى يجعل مصيره إلى الجنة (٢) » .

وعنه أيضاً: «كرم المرء دينه ، ومروءته وعقله ، وحسبه خلقه ^(۲) .

وعنه: كان إذا بلغه عن أحد من أصحابه عبادة قال : كيف عقله ؟ فإن

⁽١) الوصايا ٨٦.

⁽٢) ابن أبي الدنيا (– ٢٨١ هـ) العقل وفضله : ٩ – ١٥ .

قالوا عاقل قال : ما أخلق صاحبكم أن يبلغ . وإن قــالوا : ليس بعاقل. قال : ما أخلقه أن لا يبلغ (١) .

وعنه: إنما يرتفع الناس في الدرجات وينالوا الزلفي من ربهم عز وجل على قدر عقولهم (١).

وعنه : الناس يعملون بالخير على قدر عقولهم (١١ .

وعنه: ... أن رجلًا من بني قشير قد أتى النبي عَلَيْكُمْ فقال: إنمَـــا كنا نعبد في الجاهلية أوثاناً وكنا نرى أنها تضر وتنفع فقال رسول الله عَلَيْكُمْ: أفلح من جعل الله عز وجل له عقلًا » (١).

فإذا كانت هذه الأحاديث ، أو بعضها على الأقل ، من الأحـــاديث الصحاح (٢) ، فإن ذلك يتفق تمام الاتفاق مع الآيات التي أشرنا إليها والروح الإسلامي الذي يعبر بصدق عن العقل القرآني كا جاء في الكتاب .

إن هذه الأحاديث التي جاءت في كتاب ابن أبي الدنيا (- ٢٨١ ه) إنما تؤكد على أن موضوع العقل كان في زمن الحارث يحظى على صعيد التفسير والتحديث باهتام الفقهاء والمفكرين المسلمين بشكل عام . وإذا كان الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها « أن دعامة البيت أساسه ، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى، ودعامة المعرفة اليقين والعقل القامع ... فقلت (أي عائشة) بأبي أنت وأمي: ما العقل القامع ؟ قالت: الكف عن معاصي الله ، والحرص على طاعة الله »(٣) ... أقول إنه إذا كان هذا الحديث صحيحاً – وهو الراجح –

⁽١) ابن أبي الدنيا (– ٢٨١ هـ) العقل وفضله ٩ – ه١٠.

⁽٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الصادر عن الاتحاد الأممي للمجامع العلمية . مطبعة بريل – ليون ه ه ١٩ – مادة عقل .

⁽٣) القشيري : الرسالة ٢٠١/٢ .

فإنه لا مبرر للقول بأنه لم يصح عن رسول الله حديث في العقل . فقد ذهب ابن قيم الجوزية (۱) إلى أن أحاديث العقل كلها كذلك ، ومنها الحديث الذي اعتمده الحارث والقائل « لما خلق الله العقل ... الخ » وحديث « لكل شيء معدن ، ومعدن التقوى قلوب العاقلين » وحديث « إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد وما يجزى إلا على قدر عقله » . وإلى مثل ذلك يذهب السخاوي في مقاصده بالنسبة لحديث « لما خلق الله العقل ... » فيرى أن هذا الحديث كذب وموضوع (۲) .

ولا بد لنا في هذا الموضع من أن نتوقف قليلًا عند هذه النقطة الهامـة لأن نفي الحديث في العقل أو إثباتـه سوف يكون له الأثر البالغ في كتابي « العقل وفهم القرآن » للحارث بن أسد المحاسبي سلباً إذا ثبت النفي، وإيجاباً إذا تحقق الاثبات .

إن الاتجاه الراجع لدينا هو أن حديث العقل « لمساخلق الله العقل » ومعظم الأحاديث في هذا الموضوع ، والقضية قضية مبدأ قبل كل شي ، إنما هي أحاديث صحيحة . فبالرغم من أن بيئات المحدثين كما أشرنا كانت منبتاً لأفكار الحشو والتجسيم ، فإن علماء الجرح والتعديل ، ورجال الفقه من السنة بوجه خاص كانوا قد بالغوا في حملتهم على أحاديث العقل ، خوفا في اعتقادنا من أن ينساق المسلمون وراء العقل وحده ، وإن فعلوا ، فقد أصبح العقل عن ذاته ، لا عن الله ، هو إمامهم ومحط رحالهم . نقول هذا لأن لنا حول تكذيب أحاديث العقل عن رسول الله عليات خمس ملاحظات نوردها فيا يلي:

الملاحظة الأولى: تؤكد لنا أن تكذيب هذه الأحاديث لم يأت ِ تكذيباً قوياً وحاسماً إنما جاء تكذيباً ضعيفاً ومتداعياً فقد أخرج الطبراني في الكبير

⁽١) ابن قيم الجوزية : المنار المنيف في الصحيح والضعيف ١٦٦ .

⁽٢) القاري الهروي: المصنوع فيمعرفة الحديث الموضوع ٣٥ .

والأوسط ، كما أخرج أبو نعيم حديث العقل « لما خلق ... » وإن أتى ذلك باسنادين ضعيفين (١) ، ولقد رواه الطبراني عن أبي إمــامة وأبي هريرة ، كما رواه عبد الله بن أحمد عن الحسن مرسلاً، وقد قال السيوطي في «الدرر» ان لهذا الحديث أصلاً صالحاً وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن الحسن ، وقال إن هذا الحديث مرسل جيد الإسناد وهم موصول (٢) .

والملاحظة الثانية: هي أن الأحاديث التي وردت في انعقل بشكر عام، إنما تتفق في جوهرها مع روح الآيات التي ذكرناها في النموذجين السابقين، بل هي تشرح هذه الآيات بشكل غير مباشر، فالعقل الذي تدعو إليه هذه الإحاديث ليس عقلا مجرداً شبيها بالعقل اليوناني، إنما هو عقل إسلامي يدعو إلى استعمال العقل في معرفة الله وفي طاعته.

والملاحظة الثالثة: تأتي هي الأخرى لتؤكد لنا من حيث المبدأ صحة الحديث في العقل عن رسول الله صلى وهذه الملاحظة تجعلنا نقول إن أحاديث العقل إذا لم تصح عن رسول الله فإن أحداً من الصحابة والتابعين والمسلمين الأوائل ، لم يكن ليجرؤ على الحديث في ما امتنع الرسول الكريم عن الحديث فيه ، أو نهى عنه ، بل إن حديث هؤلاء في العقل إنما يؤكد استمرار الروح الإسلامي وامتداده إلى أصحاب الرسول الكريم وإلى من عاصروه أو لمن أتوا بعده بقليل . وإذا صح الحديث في العقل عن هؤلاء فإن خط الاستمرار باتجاه الماضي لا بد أن يؤكد صحة ما نسب إلى الرسول في حديث العقل أو بعض منه على الأقل . وإذا صح بعض الحديث سقط المبدأ المقائل بأنه لم يصح حديث في العقل عن رسول الله .

وأول هذه الأحاديث التي كان للصحابة شأن فيها هو الحديث الذي روته

⁽١) المصدر نفسه.

⁽٢) المناوي : الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية ٢١٦ .

عائشة رضي الله عنها وهو حديث العقل القامع . ثم إن هناك لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمية في منتهى الدقة في التعبير عن رأي السلف في وظيفة العقل . وهذا حوار له مع شخص يقول فيه: « ألست تقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال السائل : بلى . قال : تعرف تفسيرها ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، علمني مما علمك الله ، فقال علي رضي الله عنه : إن العبد لا قدرة له على طاعة الله إلا بالله ، ولا على معصيته إلا به عز وجل ، يا سائل أعقل عن الله . فقال : عقلت . فقيال له : الآن صرت مسلماً ، قوموا إلى أخيكم المسلم وخذوا بيده »(١) .

وهذا هو الحسن البصري (- ١١٠ ه) يقول : ما تم دين الرجل حتى. يوماً ما » . ومعاوية بن قرة يقول : « الناس يعملون الخير وإغـا يعطون أجورهم على قدر عقولهم » ووهب بن منبه يقول : « ما عبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل » وعامر بن عبد قيس يقول : « إذا عقلك عقلك عما. لا ينبغي فأنت عاقل » . ووكيع بن الجراح يقول : « العاقل من عقل عن « إنما كان يطلب هذا العلم ممن اجتمعت فيه خصلتان : العقل والنسك ، فإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلًا ، وإن كان عاقلًا ولم يكن ناسكاً لم يطلبه ، فإن هذا الأمر لا يناله إلا النساك العقلاء » . وقد ذكر عن سفيان بن عيينة قوله: ` « ليس العاقل الذي يعرف الخير والشر ، ولكن العاقل الذي يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه » . وها هو عمر الجيلي يقول : « اللهم اجعلنا نعقل عنك » . وابن جريج يقول : « قسم العقل على ثلاثة أجزاء فمن كن " فيه كمل عقله : حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على أمره » . وقوله : « قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له » وعن يحيى بن.

⁽١) الاسفرايني : التبصير في الدين ٢٨ .

كثير قوله: « أعلم الناس وأفضلهم أعقلهم » . وعن المهلب بن أبي صفرة قوله لما سئل بم نلت؟ ما نلت قال: « بطاعة الحزم وعصيان الهوى » . وقد رويت حادثة عن الضحاك بن مزاحم قيل له: « ما أعبد فلانا وأورعه وأقرأه ، قال كيف عقله ؟ فقيل له: نذكر لك عبادته وورعه وقراءته وتقول عقله ؟ فأجاب ويحدك . . . إن الأحمق يصيب مجمقه ما لا يصيب الفاجر بفجوره »(١) .

فإذا كان الحال على هذا النحو في أمر العقل مع الصحابة والتابعين وتابعي التابعين فإننا نشك في نفي أحاديث العقل عن رسول الله عليليم ، ولا سيما إذا كانت أحاديث هؤلاء تدور حول معنى العقل عن الله ، وعن الكتاب ، وعن السنة ، ولا تدور حول العقل الخارج عن سلطان الله وحدوده على العباد .

والملاحظة الرابعة حول هذا الموضوع هي أن أغلب الدارسين من أهل السنة ، راحوا بكذّبون كلَّ محدث روى حديثاً في العقل ، كا راحوا يشككون في صدقه ، وكان ذلك ، على ما نعتقد ، نتيجة « الملاحقة السنية العمياء» – على حد تعبير ماسينيون – التي كانت نتيجتها النيل من كل من يشتغل بأمور العقل والكلام بدون تفرقة ولا تمييز . ولقد اتضح ذلك من خلال تتبعنا لموضوع « كتاب العقل » فقد ذكر الدارقطني « أن كتاب العقل وضعه أربعة : أولهم ميسرة بن عبد ربه ، ثم سرقه منه داود بن المحبر ، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة ، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء ، فركبه بأسانيد أخر ، ثم سرقه سليان بن عيسى السيّجنزي فأتى بأسانيد أخر » ثم سرقه مليان بن عيسى السيّجنزي فأتى بأسانيد أخر » ثم سرقه مليان بن عيسى السيّجنزي فأتى بأسانيد أخر » ثم سرقه الميزان » عن هؤلاء الأربعة .

أما ميسرة بن عبد ربه البصري فمن جملة من روى عنه داود بن المحبر

⁽١) العقل وفضله ، نشره عزت العطار ــ القاهرة ٢ ؟ ١٩ .

⁽٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ٦٦ .

وقد سئل ميسرة من أين جئت بهذه الأحاديث ؟ ... فقال : وضعته أرغب الناس فيه ... وهو صاحب فضائل القرآن الطويل . وأكثر الاجماع عليه بأنه يفتعل الأحاديث ويضعها وضعاً وهو كندّاب (۱) . وأما عن داود بن الحبر فقد حدث عن ميسرة بجديث : من كانت له سجية من عقل وغريزة من يقين لم تضره ذنوبه ، قيل وكيف ذاك يا رسول الله ؟ .. قال : لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب (۲) . وأما عبد العزيز بن أبي رجاء فقد قال الدارقطني : « انه متروك وله مصنف موضوع كله . ومن الأحاديث التي يرويها عن النبي عيلية : ابن آدم ، أطع ربك رتسمى) عاقلاً ولا تعصيه رسمى) جاهلا ... وحديث آخر يقول فيه : « استشيروا ذوي العقول تسمى) جاهلا ... وحديث آخر يقول فيه : « استشيروا ذوي العقول نجيح السبّجنزي فيقال إنه غير ثقة وكذاب ، قال ابن عدي انه يضع بن الحديث ... وله كتاب « تفضيل العقل ، جزءان » . ومن الأحاديث التي يرويها ويرفعها إلى النبي عيلية : استرشدوا العاقيل 'ترشدوا ، ولا تعصوه تدموا . وهذا غير صحيح (٤) .

ومن العجيب حقا أن يجيء تكذيب هؤلاء جميعاً اتفاقاً مع «أحاديثهم» في العقل أو مؤلفات بعضهم فيه ، وإذا كان هؤلاء قد لاقوا مثل هذا التعنت من معاصريهم فإن المحاسبي لم يكن أقل حظاً منهم وقد عاصر داود بن الحبر ولاقى ما لاقاه ، فانفض عنه الناس ، ولم يصل عليه حين مات إلا أربعة نفر ، وهذا يرجع إلى الجو « اللاعقلي » الذي كان سائداً آنذاك وكان كتاب الحارث في « مائية العقل وحقيقة معناه واختلاف الناس فيه » هدفاً من أهداف هذا الجو المحموم .

 ⁽١) الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٤/٠٢٠ – ٢٣١ .

۲) الصدر نفسه ج ۲/۸۲۳.

 ⁽٤) المصدر نفسه ج ٢/٨١٢ - ١١٩ .

والملاحظة الخامسة في أمر العقل هو التناقض الذي بدا لدى الإمامأحمد من حنبل في موضوع العقل ، فهو في الوقت الذي يتفق فيه مع الحارث على القول بأن العقل غريزة وهو مذهب أهل السلف(١) فإنه من جهة أخرى كان ينكر على الحارث استعماله العقل وحديثه في بعض أمور الكلام وأدى ذلك شأن ابن حنبل مع الحارث فحسب وإنما كأن هذا شأنه مع الاتجاب المقلى والكلامي بوجه عام ، فقد كان الأمام أحمد يقول : « لا تنظر في كتب أبي عبيد ، ولا فيما وضع اسحق ولا سفيان ولا الشافعي ولا مــالك ، وعليك بالأصل » وكان يكره رضي الله عنه أن يكتب شيء منرأيه أو فتواه، حتى لمقد جاءه احدهم وقدم له كتاباً فيه كلام له (لابن حنبل) فغضب ورماه من يده . ذلك الروح الذي كان يتحلى به كان يلزمه بتعظيم النقل وبرفض العقل كأداة للبحث في أمور الدين (٢) . وهذا السبب إنما يرجع في الأصل إلىغضبته على رجال الكلام والمعتزلة منهم بشكل خاص فقد كان ينعى عليهم اعتادهم على العقل واللغة في مجال التفسير والحديث بدلًا من الاعتاد على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف(٣).

المعقل في الفلسفة الاسلامية قبل الحارث.

بالاضافة إلى ما عرضناه من أقوال في العقل لمنسبقوا الحارث أو عاصروه فنحن نرى أنه لا بد من تحديد الاتجــاه العام في موضوع العقل الذي سبق الحارث من الوجهة الفلسفية .

لقد كانت أولى المحاولات العقلية للبحث الفلسفي قائمة منذ العهد الأول

⁽١) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ٩٤ . وابن الجوزي : كتاب الأذكياء ١٠ .

⁽٢) ابن الجوزي : مناقب الامام أحمد ١٩٢ – ١٩٤ .

⁽٣) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ٥٠٢ .

للإسلام ، فقد أراد بعض الناس الحديث في القدر ولكن رسول الله يهاجم عن ذلك نهيا حاسماً ، ولما سألوه عن الروح نزلت الآية «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم قليلا » . (١) وفي عهد سيدنا عمر رضي الله عنه حاول صبيغ كما نعلم أن يثير بعض المسائل الدينية معتمداً في ذلك على الجدل والنقاش العقليين فضربه أمير المؤمنين حتى سال الدم من رأسه .

على أن أول محاولة مذهبية عقلية في أمور الدين إنما كانت تلك المحاولة الاعتزالية التي قامت على يدي واصل بن عطاء (-١٣٦ ه) وعمرو بن عبيد (-١٤٤ ه) فعرف هذا المذهب لدرجة أنه أصبح ترفأ فكريا انتشر بين الملوك والأمراء وعرف المشتغلون به بالمتكلمين ، وعرف موضوعهم بعلم الكلام أو علم التوحيد (١٦ فثار الفقهاء على هذا الاتجاه ، وكان على رأس الثائرين ، الشافعي ، ومالك ، وابن حنبل وسفيان . غير أن المعتزلة لم يستقروا على مذهب ، ذلك أن سوء استعمالهم للعقل أدى بهم أو بأغلبهم إلى الانقسام إلى طوائف يكفر بعضها بعضا ، وكان من أسباب ذلك أن هؤلاء شاءوا أن يضعوا المباحث الميتافيزيقية الواقعة خارج حدود العقل ، موضع البحث العقلي ، فبحثوا في الالهيات وفي الاخلاقيات فيا أدت بحوثهم إلا إلى مزيد من التناقض وزعزعة الإيان .

لقد جاء المعتزلة ليقرروا بأن المقل وحده يكفي للتفرقة بين الخير والشر وأن حرية الإنسان ومسؤوليته إنما تقومان على هذا الاختيار العقلي بين الطرفين (٣) هذا الاختيار الذي نقضه الحارث من أساسه مستعملا اسلوب المعتزلة أنفسهم في الكلام للرد عليهم وإبطال مزاعمهم كما سنرى .

⁽١) الاعراء: ١٥٠.

⁽٧) عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل ٤٤ ـ- ٦ . .

⁽٣) ابو الملا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الاسلام ه ٩

العقل في عصر الحارث .

نحن لا نستطيع في الواقع أن نفصل عصر الحارث عن عصر الاعتزال إلا فصلًا مذهبيًا وليس فصلًا زمنيًا ، لأن واصلًا كان معاصراً للحارث ، وكان. عصر الحارث عصر المتكلمين ، إلا أن اتجاها في الزها كان قد ظهر في هذه. الاتجاه هو الذي حدد هذا الشكل من أشكال الانفصال المذهبي بين المتكلمين. المتطرفين من جهة وبـــين الصوفية توسلوا بالكلام من جهة أخرى ، فقــد. أصبح العقل مع هذه الطائفة من الزهاد وأهل الورع موضوعاً غير منفصل عن الدين ، وإنما هو موضوع في نظرهم متحرك بحركة الدين يأخــذ منه ، ويسترشد به ، ثم ليعطيه بعد ذلك ويرشد الناس إلى الطريق السوي . وهنا كان الحد الفاصل الذي رسم الحدود بين المعتزلة العقليين من ناحية وبين. التصوف العقلي من ناحية أخرى والذي يمثله الحارث خير تمثيل . ففي حـين. كان العقل عن طريق التحليل المنطقى لدى المعتزلة كافياً للتفرقة بين الخير والشر ، فقد أصبح العقل لدى الزهاد والعباد في هذا الطور من تاريخالتصوف. الإسلامي ، ليس عن طريق الجدل والتحليل المنطقي ، وإنمـــا بالغريزة التي وضعها الله في الإنسان ، كافياً للتفرقة تفرقة بديهية بين الخير والشر من ناحية ، ومن ناحية أخرى قادراً على تفهم أوامر الله ونواهيه كما وردت في الكتاب. والسنة ، ولمل هذا الاتجاه الجديد يبرز واضحاً تمام الوضوح عند الحارث بشكل خاص ، وعند من عاصره أو سبقه أو لحقه بقليل من الزهاد والعباد في الطور الأول من أطوار التصوف الإسلامي ، مجيث كان هذا الاتجاه لديهم سبباً جوهرياً يؤكد على أصالة التصوف الإسلامين العقلي منذ مرحلته الأولى بشكل خاص .

لقد كان هذا الاتجاه واضحاً لدى « الكذابين » الاربعة الذين جاء ذكرهم في الميزان ، ثم كان هذا الاتجاه واضحاً أيضاً لدى من جاء ذكرهم في

كتاب « العقل وفضله » وأكثرهم بمن أخذ الحارث عنه أو اتفق معه ، إن المسألة ليست مسألة من هو الذي أخذ عن الآخر في دائرة هـــذا الاتجاه بالذات الذي يعتبر بحق اتجاها جديداً ، قام ليعبر بسخط عن هـذه الثورة الروحية التي قامت في ذلك الوقت ضد الانحرافات العقلية والجدلية ، التي يدأها المعتزلة بطفرة جدية متزنة ، ثم انتهوا منها بانشقاق عقدي واجتاعي خطير ، أدى ، بين ما أدى إليه إلى انحلال خلقي واستهتار بالقيم ، دفــع بطائفة الزهاد العقليين إلى الثورة باستخدام سلاح المتكلمين أنفسهم .

ويكفي أن نذكر بالإضافة إلى من ذكرنا من هؤلاء أحمد بن عاصم الانطاكي الذي كان من أقران الحسارث وكان من أقواله في العقل « انفع العقل ما عرفك نعم الله تعالى عليك ، وأعانك على شكرها ، وقام بخلاف الهوى » وقوله . « العاقل من عقل عن الله عز وجلل مواعظه ، وعرف ما يضره عما ينفعه . » (۱)

وسري السقظي (– ٢٥١) وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته وقد سئل السري عن العقلل فقال « ما قامت به الحجة على مأمور ومنهي.» (٢) ويقول الفضيل بن عياض (-١٨٧) « أحيق الناساس بالرضا عن الله الهل المعرفة بالله عز وجل » ويقول أبو حفص النيسابوري (-٧٧٠) عندما سئل عن العاقل ابأنه المطالب نفسه بالإخلاص . ويقول ابن مسروق (-٢٩٨) وهو من أقران الحارث « من لم يحترز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله . » (٣)

لقد كان هذا الاتجاه إذن هو اتجاه المدرسة البغدادية في العقل كا ركز دعائمها الحارث بن أسد المحاسبي ، وكانت نظريات هذه المدرسة تدور حول التوحيد بمعناه الكلامي والصوفي ، وما يتصل بذلك من كلام في صفات الله

⁽١) طبقات الصوفية ١٣٧ – ١٣٩ (٣) المصدر نفسه ٩٤ – ١٥.

⁽٣) المصدر نفسه ١٣١ ـ

وحقيقة معرفتها من جهة ومن كلام في الزهيد ومحبية الله من جهة ثانية (١) .

وإذا كان هذا هو الاتجاه العام لهذه المدرسة والتي اتضحت من خـــلال أقوال بعض أصحابها في العقل وربط ذلك بمعان دينية وإخلاقية ، فإنزعامة الحارث لهذه المدرسة إنما تقوم على تحديده لوظيفة العفل تحديداً نظرياً وعملياً معاً ، ضمن هذا الإطار الكلامي الصوفي المزدوج ، ليس عن طريب العبارات المنثورة ، والمواقف المبتورة ، إنما عن طريق مذهب عقلي كلامي وصوفي معاً متتابع الحلقات ، كامل البنيان .

العقل لدى الحارث

مصادر الحارث في العقل

كان الحارث عند خروجه من بيئات المحدثين يقف على مفترق الطرق . هناك أحمد بن حنبل ورجال مذهبه السلفي من المحدثين وقد ولاهم ظهره منذ قليل .

وهناك رجال الفقه وقد عرف مـذاهبهم تماماً عندما درس على الشافعي والقاسم بن سلام لكنهم يكادون يقتصرون على الجدل والرأي في المعامـلات دون المقائد .

وهناك رحال الفرقمن المعتزلة والرافضة وغيرهم من الذين توسلوا بالمقل الى إثبات آرائهم وتأييدها، وكانت لهم السيطرة على الدولة وفي بيئات المثقفين ، بحيث صارت كلمة (محدث) 'سبَّة ، وذلك لما نشره المعتزلة حولها من شكوك ، ولما شنعوا به على رجال الحديث من أخذهم بالضعيف والموضوع – وتقديمه على صحيح العقل وسليمه – ولو خالف روح الاسلام .

⁽١) أبو العلا عفيفي : المصوف ؛ ، ٩ .

وهناك أخيراً زهاد الصوفية ومتورعوهم الذين تركوا الصراع كله ، ونأوا بدينهم ودنياهم عن دنيا هؤلاء جميعاً ، وإليهم رأى الحارث أن ينضم ، مع تبييته النية على التصدّي للمعتزلة بأساليبهم نفسها .

كان ابن حنبل يقول لا تنظروا في كتب ابي عبيد ولا فيها وضع اسحاق ولا سفيان ولا الشافعي ولا مالك وعليكم بالأصل(١١).

وكان المعتزلة يقولون ان العقل وحـــده يكفي للتفرقة بين الخير والشر.

وبين هؤلاء واولئك اختار الحارث طريقا وسطا لضرب المعتزلة ، فهو عدث في مبدئه وآرائه لكنه متكلم في أساليبه فقط . وكان ان نظر الحارث في مذاهب رجال السلف بمن درس القرآن ووعاه ، كا أخذ ببعض الحديث وتوسل بكل ذلك ليبرر عند نفسه وعند الحنابلة استخدام للعقل وعلم الكلام للرد على المعتزلة والرافضة والقدرية وغيرهم من الفرق المسيطرة على أجواء بغداد الثقافية . ويقول المترجمون له انه كتب كثيراً في أصول الديانات وعلم الكلام لكن لم يصلنا من تراثه الضخم هذا إلا قطعة من كتاب «العظمة» يرد فيها على الثنوية ، وكتاب «فهم القرآن» يرد فيه على المعتزلة والرافضة من خلال اتجاه جديد لفهم القرآن . وكتاب «مائية العقل » الذي ربما كان مقدمة منهجية عامة لكتبه كلها يوضح فيه مكانة العقل في مذهبه ، وكيف يستخدم لنصرة مذاهب رجال السلف وفهم توجيهات القرآن والسنة .

ونستطيع أن نرسم تخطيطاً لمذهب الحسارث العقلي على شكل مثلث ، رأسه الايمان بالله ، وزاويتاه العلم والعقل .

يقول : « كل زاهد زهده على قدر معرفته ، ومعرفتُه ُ على قــَـد ر عقله ، وعقله على قدر قوة إيمانه » . وهو في هذه العبارة يقيم الايمان عموداً فقرياً

⁽١) مناقب ابن حنبل ١٩٢.

يصدر عنه علم وعقل ، فالعلم والعقل هما اللذان يحكمها الايمان . فليس العقل مساوياً للايمان ، إنما هو عامل للايمان : قتضى العسلم الذي حصله عن الله . وإذا كان فضل العقل بقدر ما في القلب من إيمان فكذا المعرفة : « فها عُرف الله إلا بالعقل ولا أطبع إلا بالعلم »(١) . لذا دعا إلى اكتساب العقل ليصل إلى المعرفة الحقة : « بالعقل رغبوا ورهبوا وزهدوا وانتقلوا إلى الرشد وعلوا به في الدرجات »(١) . بالعلم إذن يصل العقل إلى الله ، وبالعلم يعود العرف وبخط رأسي ، إلى طاعة الله . لهذا ولهذا فقط كان العقل جوهر الإنسان وبخط رأسي ، إلى طاعة الله . لهذا ولهذا فقط كان العقل جوهر الإنسان وبعد كل شيء ، القول بأن للعقل مجاله الذي لا يتعداه فإن خرج عليه ضل وأخطأ ، ووقع في المهالك فلا يستطيع الذي عقل عن الله معرفته الأولية به ، ان يصل إلى كنه هذه المهرفة .

يقول المحاسبي: « أصل الخوف والرجاء معرفة الوعد والوعيد »(أ). على ان للامر وجها آخر فإذا كان الوعد والوعيد يوقظان العقل فإن معاني الشوق والحب والانس بالله تستغرقه: فإذا ألف الخلوة بمناجاة حبيبه استغرقت حلاوة المناجاة العقل كله حتى لا يعقل الدنيا وما فيها»(٥).

فالعقل أداة للايمان ، وتفاوت الناس في تحقيق المثل الدينية يرجع إلى تفاوت تفاوتهم في حساسية عقولهم للوعد والوعيد وفهم كلام الله : « فإن تفاوت الناس في الزهد على قدر صحة العقول وطهارة القلوب ، فأفضلهم أعقلهم ، وأعقلهم عن الله ، وأفهمهم عن الله أحسنهم قبولاً عن الله »(٦) . والعقل الصحيح الفارغ (٧) هو الذي يستطيع أن يتأمل في ملك الله وملكوته ،

⁽١) الوصايا ٨٦. (٢) رسالة المسترشدين ٥٤.

⁽٣) السلمي ٥ (٤) المصدر السابق: نفس الصفحة .

⁽ه) الحلية ج ١٠/١٠ .

۲۷ الحلية ج ۸۰ / ۲۰ .
 ۲۷ التوهم ۲۷ .

دون أن يضل أو يشط . هـذا العقل المؤمن هو الذي يكبح جماح النفس الشريرة ويرغمها على السير في الطريق الذي يريده الله : « فاذا قطع الدبد عليها الطمع من أسباب الدنيا وغلب هواها ؟ رجعت بطمعها إلى منازل الآخرة ، واحضرت أداتها واستعملت آلتها ، فاشتغلت بطلب أسباب الآخرة لا محالة ، لأنها مبنية على الطمع ، فإذا تجردت من طلب أسباب الدنيا وأقبلت على نفسها بالاياس من المخلوقين ، رجعت برغبتها وطمعها إلى طلب أسباب الآخرة ، فجد ت في طلبها ، واجتهدت وعزفت عن الدنيا وباينت الهوى ، وخالفت العدو ، وتبعت العلم ، وكانت مطية العقل ، صابرة على ما يدل عليه الحق فنجت وأنجت « أنه هو مجال العقل لدى الحارث .

ويبقى الوَحْيُ هـو القائد والحكم: « الذي جعله الله الناس إماماً ، ورضي به بينهم حاكماً (۱) ... لأنه النور الذي استضاء به الموقنون ، والغاية التي يتسابق إليها المتسابقون ، والمنهج الذي لا يصل السالك إلا باتباع دلائله ولا يعلم له طريق النجاة إلا مع الاستضاءة بنوره ، ولا يصاب الحق إلا في محكم آياته »(۱) . هذه هي وظيفة العقل عند المحاسبي يدخل في كل شيء حتى في الكشف الصوفي : « فإذا أحضر ت عقلك بجميع همك بنية صادقة مع أمل ورجاء أن تنال ما قال ، وتسارع إلى محابه ، وتجتنب مساخطه ، . . فإذا نظر الله عز وجل إليك ، وأنت كذلك ، وعلم ذلك من ضميرك ، أقبل عليك بلطفه ، وولي تقويم عقلك لفهم كلامه وما فيه من علم الغيوب ومكنون الوعيد »(١) ... على ان ذلك كله يبقى في نطاق كتاب الله دونما خروج عليه ، أو تعد للحدود التي رسمها للعقل ليعمل فيها . ويأتي عمل خروج عليه ، أو تعد للحدود التي رسمها للعقل ليعمل فيها . ويأتي عمل الركن الآخر من ركني مذهب المحاسبي الفكري الكلامي ، وهو ركن الآخر من ركني مذهب المحاسبي الفكري الكلامي ، وهو ركن العلم . ففي فهم القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه العلم . ففي فهم القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه العلم . ففي فهم القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه العلم . ففي فهم القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه العربي المحاسبي العقل طبعاً — ان القرآن منه العمل فيهم القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه العرب العقل طبعاً — ان القرآن منه العرب العقل طبعاً — ان القرآن منه القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن منه القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن من كني من كلي المحدود القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن من كور كن القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل طبعاً — ان القرآن من كور كن القرآن يقول : « ان تعلم — بالعقل المحدود القرآن من كور كن الآخر أن يقول : « ان تعلم — بالعقر أن يقول : « ان تعلم — بالعقر أن الآخر أ

⁽١) آداب النفوس (مخطوط) . (٢) الفهم (مخطوط) .

⁽٣) المخطوط السابق . (٤) الفهم (مخطوط) .

ناسخ ومنسرخ ومحكم ومتشابه وله وجوه ، فمنه متشابه في التلاوة .. ومنه متشابه في التلاوة .. ومنه متشابه والمعاني مختلفة ...ومنه مقدم ومؤخر ... ومنه موصول ومفصول ... ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالسنة والاجماع ...ومنه أقسام وأمثال وغير ذلك (١٠).

هذا العقل الذي يعمل هذا كله : ما هو ؟ وكيف يقوم بوظيفته ؟ هذا ما يشرحه المحاسبي في رسالته الصغيرة (مائية العقل وحقيقة معناه) .

ومن المقارنة بين ما تحدث به المحاسبي عن العقل ، وما أور ، لمحدثون والمفسرون والصحابة ورجال السلف ، نستطيع أن نقول ان النظرات العقلية في مذهب المحاسبي هي نظرات إسلامية بمجموعها متأثرة بأساليب المتكلمين، ونستطيع أن نحصر مصادر المحاسبي لآرائه في العقل فيا يلي :

القرآن وآراء المفسوين :

وأثر القرآن واضح جداً في مذهب المحاسبي فهو يكثر الاستشهاد بقوله تمالى «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »(٢). ثم يقول : «قيل في التفسير له عقل » . قال مجاهد : شاهد القلب لا يحدث نفسه بشيء وليس بغائب القلب . ويقول : قال مجاهد شهيد : شاهد القلب ليس بغائب . وفي رواية «أو القى السمع ، أي لا يحدث نفسه بغير ما يسمع » . ويقول أيضاً : « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد : فحضور القلب باجتاع الهم ، لأن العقل إنما يشتغل عن الفهم والفكر في المعاد بتفريق الهم في الدنيا ، فإذا اجتمع الهم حضر العقل، ولم يغرب عن الفكر فيما أحب الله عز وجل ، وكذلك روى عن أبي العالية قيل له : ما يفتح عن الفكر ؟ قال : اجتاع الهم ، لأن العبد إذا اجتمع هه تفكر ، وإذا تفكر نظر ، وإذا نظر أبصر (٣) . وكذلك ضمن المقبلين إليه بعقولهم فهم كلامه عنه فقال عز وجل : ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب بعقولهم فهم كلامه عنه فقال عز وجل : ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

⁽١) فهم القرآن (مخطوط) . (٢) سورة « ق ∡ آية ٠ ه .

⁽٣) الرعاية ٢٧ ط. سميث .

أو ألقى السمع وهو شهيد » ، وقال مجاهد : « شهيد شاهيد القلب ليس بفائب فعندها شاهد قلب الغيب كرأي العين ، وفهم كتاب الله عزو جلل يؤتيه النفس الثابت في القلب ، فإذا ثبت فكأنه يعاين ربه عز وجل » (١) . وسترد نصوص في معنى القلب المذكور في مواطن من القرآن وانه العقل وان العقل موطنه القلب ، والمحاسبي يتبعهم في ذلك فيقول : « فقال تعالى : هم قاوب لا يعقلون بها يعني عنه . وقال : وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً يعني عقولاً » .

الحديث : صحيحه وسُقيمه :

وقد كثر استشهاد المحاسبي بجديث « أول مسا خلق الله العقل . . » وحديث : « بالعقل رغبوا وبالعقل رهبوا». وحديث : « إن الناس يحاسبون بالعقل . . » وواضح أن أكثر الأحاديث التي أوردها المحاسبي في هسذا فيها كلام من ناحية الدراية ، ولكن أخطرها ولا شك هو حديث « إقبال وإدبار العقل » وقد حاول البعض التلطيف من حدة مخالفته الظاهرة فروى بدلاً من « أول ماخلق » « لما خلق » أو « عندما خلق» لكن بقيت الصبغة الغنوصية المتأثرة بالرواقية المادية واضحة في الحديث ، رغم كل ما ادخل عليه من ترميات واصلاحات (۲) .

أقوال رجال السلف:

وقد كان لها آثار في آراء المحاسبي فعائشة تذكر في القول الذي رفعت. الى رسول الله عليه ما سمته « بالعقل القامع » ثم تشرحه فتقول : « الكف عن المعاصى والحرص على طاعة الله » . ويشبه هذا قول الحارث

⁽١) ذم الهوىه .

⁽٢) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ط: مصر ، بلا تاريخ على هامشالفتاوى لحديثة للهيشمي ٢٩٧.

«إن العقل هو الذي يدرك الوعد والوعيد » وفي كلمة ذكرناها سابقاً لعلي رضي الله عنه تلخيص واف لرأي الحارث في مهمة العقل في الدين. يقول على في جواب الرجل الذي سأله: «إن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا على معصيته إلا بالله ». والمحاسبي يقول: «لكل شيء جوهسر ، وجوهر الإنسان عقله ، وجوهر العقل التوفيق » يعني « توفيق الله » وهي تلتقي مع « إلا بالله » وفيها توضيح لوظيفة العقل ، فليست وظيفته إدر اله الحسم ولا ختيار الطاعة على المعصية ، وإنما تلمس نفحات الله في توفيقه إلى اختيار الطاعة على المعصية ، وإنما تلمس نفحات الله في توفيقه إلى اختيار الطاعة على المعصية ، وإنما تلمس نفحات الله في توفيقه إلى اختيار الطاعة على المعصية ، وإنما تلمس نفحات الله في توفيقه إلى اختيار الأحسن والأقسى كما يقول ماسينيون .

أساليب الفقهاء والمتكلمين:

وقد ظهرت بوضوح في « فهم القرآن » و « مائية العقل » في التقسيات وطرائق الجدل ، وايراد الآراء ، والترتيب المنطقي للمعاني كما ظهرت في بعض الاصطلاحات التي دفعت ماسينيون إلى القول « صحيح بأن الحارث يستعمل معجم المعتزلة ولكن للرد عليهم » .

كا ظهرت في الاهتام الشديد بالتعاريف الدقيقة للكلمات : ما هو العقل ؟ ما هي التقوى ؟ ما هو الزهد ؟ وربحا تعدى الأمر الأسلوب إلى الفكرة نفسها ، خصوصاً في الحديث عن الحجج والفرق بين الخبر والعيان . وذلك كله أثر من آثار ثقافته الكلامية التي تحدث عنها في مقدمة « الوصايا » كا اتضحت في كتاب « مائية العقل » وكتاب « فهم القرآن » .

وتذكرنا بعض اصطلاحات الحارث باصطلاحات الفلاسفة .

كتاب الحارث

باب مائية العقل وحقيقة معناه شرح وتحليل وربطه بكتاب « فهم القرآن »

كلمة عقل في اللغة:

قال ثعلب (٢٩٢ه): « أصله الامتناع ، يقال عقلت الناقـة ، إذا منعتها عن السير » ولربما كان هذا معناه عند المحاسبي . أما مكان العقل فقد نقل الفضل بن زياد عن أحمد أن محله الدماغ وهو قول أبي حنيفه بينا قال الشافعي إنه في القلب : « فتكون لهم قلوب يعقلون بها » (١).

كلمة مانية :

ولا يوصف – أي العقل – بالمائية أو المجانسة للأشياء لأن معنى قولنا ما هو ؟ من أي جنس هو (٢) .

ونفهم من هذا أن ماهية من و ما هو » مع ياء النسبة (ما هويـة) وللشخفيف قيل ماهية ومائية . وربما كان أول من استعمل هـذه الكلمة ونشرها في أوساط المفكرين المسلمين يعقوب بن اسحاق الكندي (٢٥٢ ه) فيلسوف الإسلام الأول . فهو يذكر تعريفاً للفلسفة أنها : « عـلم الأشياء

⁽١) الأذكياء: ١١، ومائية العقل ٢٤١.

⁽٢) ذم الهوى ه ، العقائد النفسية ٨٨ .

الأبدية الكلية انياتها ومائيتها وعللها بقدر طاقة الإنسان » (١) . ولأن الكندى كان معتزليا (٢) . فنحن ترجح أن زملاءه من رجال مدرسة الاعتزال في بغداد أخذوا عنه كلمته هذه ، وعن طريقهم وصلت إلى المحاسبي لأننا لا نعلم أن هناك صلات من أي نوع قامت بين فكر الرجلين وإن كان ذلك عكنا . أما ما يذكره النسفي من أن العقل لا يجوز وصفه أر تعريفه بالماهية ففيه نظر ، إذ أن التعريف عند المناطقة يكون بالحسد أي الحنس القرب والفصل المميز له ، ويكون بالرسم ، أي بالجنس والحاصة أو العرض المميز له . ويكون بالرسم ، أي بالجنس والحاصة أو العرض المميز له . ويكون بالرسم ، أي بالجنس والحاصة أو العرض المميز له . ويكون بالرسم ، أي بالجنس والحاصة أو العرض المميز له . ويكون بالرسم ، أي بالجنس والحاصة أو العرض المميز له . ويكون بالرسم ، أي بالجنس الأشياء ولا يجوز وصفه بالماهية ، فلم ولو سلمنا مع النسفي أن العقل لا يجانس الأشياء ولا يجوز وصفه بالماهية ، فلم لا نعرفه بعرضه العام ؟.

مائية العقل وقيمته :

إذا كان كتاب « مائية العقل » وفهم معناه للمحاسبي يمكن له أن يعطينا صورة واضحة عن مفهوم العقل عنده ، فإن « فهم القرآن » يمكن له أيضاً أن يعطينا صورة صادقة عن قيمة العقل كحاصل نهائي لعلاقة الإنسان بالكون وبخالق هذا الكون بعد ذلك .

ونحن عندما نكون في معرض تحليل العقل وقيمته لدى الحارث نجد أنه لا بد من الاعتراف بأنه ليس من السهل عرض أفكار الرجال (٣) ، وعلى الأخص في قضايا العقل بالذات ، ذلك لأن هذه الأفكار هي داعًا ، وفي أي مؤلف من مؤلفاته ، مزيج من الأفكار الفلسفية والأخلاقية والنفسية ،بشكل تبدو معه عملية الفرز والتبويب أمراً بالغ الصعوبة حقاً .

على أن مذهب المحاسبي في العقل ، وحديثه عنه ، لا يمكن في رأينا أن ينفصل بأي حال من الأحوال ، عن التراث الإسلامي ، وعن آراء المسلمين

⁽١) رسائل الكندى ١٧٣. (٢) رسائل الكندي ٢٧.

⁽٣)عبد الحليم محمود المحاسبي : ١٠-١٠ . باريس ١٩٤٦ .

الأوائل الذين تناولوا هذا الموضوع من قريب أو بعيد ، ولعلنا نستطيع أن نجزم بالقول أن معنى العقل وقيمته لدى المحاسبي ، إنما كانا نتيجة طبيعية المناخات الفكرية الإسلامية التي عاشها موضوع العقل في الفترة الدي سبقت المحاسبي أو عاصرته ، فلما جاء الحارث استطاع بعلمه الغزير، ونظره الثاقب أن يستوعب كل هذه المناخات ويتمثلها ثم يعبر عنها تعبيراً ، فيه من التقدم والتركيز ، ما يجعله بحق زعيماً لهذا المنحى العقلي الذي سوف نحاول، بالرغم من الصعوبة التي أشرنا إليها ، أن نكشف عنه النقاب ، لنقف على ما في مذهبه العقلي من أصالة وتفرد .

صحيح أن الذي على كان قد نهى نهيا حاسما عن الحديث في القدر كوصحيح أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد ضرب صبيغا بدرته حتى سال الدم من رأسه عندما حاول أن يثير بعض المسائل الدينية معتمداً على العقل في الجدل والنقاش (١١) ، إلا أن ذلك لا يمكن أن يعني بأي حال من الأحوال رغبة الإسلام في تعطيل العقل عن البحث والتساؤل لمعرفة الحقيقة الكونية أو الحقيقة الإلهية ، إن كل ما يمكن أن يعنيه هذا الردع في صدر الإسلام هو الاعتراض على سوء استعمال العقل ، اما من حيث منطق الجدل ، واما من حيث حدود البحث ، وهذا الاعتراض ليس اعتراضا على العقل خاصاً بتاريخ الفكر الإسلامي ، وإنما هو اعتراض أزلى امتد حتى يومنا هذا ، ويشهد على ذلك تاريخ الفلسفة الحديثة بوجه خاص ، وما عرفه من النقائض العقلية لدى الفيلسوف الألماني عمانوئيل كنط ، وما شهده من تحديد لمجال العقل وحبسه في قفص المادة الضيق لدى الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون .

ليس الاعتراض على سوء استعمال العقل إذن افتئاتاً على قيمـــة العقل أو انتقاصاً من قدره ، بل هو على العكس تأكيد لهذه القيمة وحرص على هذا

⁽١) د. عبد الحليم محمود-الاسلام والعقل ٤٤ .

القدر ، عن طريق الكشف عن طبيعة العقل وإمكانياته ، ومعرفة حدوده وقموده .

كيف لا وتاريخ الفكر الإسلامي حافل بما يمجد العقل ويحض على استعماله ولقد سبق وأشرنا إلى كثير من الشواهد من آيات وأحداديث وأقوال تتبت ذلك ، ونحن لن نعود إليها وإلى مثلها هنا ، إلا من حيث ما يرتبط منها بمفهوم العقل لدى الحارث بن أسد المحاسبي .

يذكر الحارث بعد موقفه النقدي أن للعقل عند العلماء ثلاثة معان :

أولها: أن العقل غريزة .

وثانيها : أن العقل فهم .

وثالثها : أن العقل بصيرة .

العقل النظري

الموقف النقدي :

إن للحارث موقفاً يبدو فيه من الجهدة على قدمه ما يجعله خليقاً بالتقدير والاهتمام .

أما هذا الموقف فهو منهج البحث العقلي لديه وما يبتدى، به ، ثم ما ينص عليه ، ثم ما ينتهي إليه بعد ذلك . وإذا كان الحارث لم يلتزم فعلل الخطوات المنهجية التي سوف نعرضها ، من حيث ترتيبها المنطقي فإننا نعتقد أن من مهمة الباحث الأساسية أن يفترض لمثل هذه الأفكار الموزعة بين رسالة مائية العقل، ومسألة في العقل ، ومواطن أخرى من مؤلفاته، نوعاً من الترتيب أثناء العرض ، بشكل يبرز فيه معالم فكر هذا الباحث من خلال المخطوطين

« العقل؛ فهم القرآن » ، من غير إساءة أو إقحام . وهذا ما سنحاوله فعلاً في الصفحات التالية .

تقسيم العاقلين:

يذهب الحارث في كتابه مائية العقل إلى تقسيم العاقلين إلى أربع فرق يرفض منها اثنتين ويقبل اثنتين .

أما الفرقتان اللتان يتوجه اليهما بالنقد والتجريح فهما :

الفرقة الاولى: التي عقلت البيان ثم جحدت كبراً وعناداً وطلباً للدنيا. وهذا ما فعله اليهود الذينقال الله فيهم « يكتمون الحق وهم يعلمون » .

والفرقة الثانية : هي الفرقة التي طغت برأيها وأعجبت به وقلدت غيرها ، فعميت عن الحق أن تتبينه ، فإذا بها تجحده كبراً ، وطلب دنيا بعد عقلها للبيان ، فظنت أنها على حق ودين، وهي على باطل وشر وضلال.

أما الفرقتان اللتان يقبلهما الحارث فالاولى: هي الفرقة التي عقلت عنالله تعالى عظم قدره ، وقدر ما وعد وتوعد فأطاعت وخشعت .

والثانية : هــي الفرقة التي عقلت قدر الله جل وعز في تدبيره وتفرده بالصنع ، وعرفت قدر الإيمان في النجاة بالتمسك به ، وقدر العقاب في ضرره في مجانبة الإيمان .

العاقل عن الله ، وكامل العقل عنه :

يرفض الحارث إذن الفرقتين الأوليين ويؤيد الفرقتين الأخريين ، ونعيني بها الفرقتين اللتين يعقل أصحابهما عنالله تعالى ما خلق ، ويتدبرون ما صنع ، ولا بد للحارث هنا من أن يبين لنا من هو العاقل عن الله ، ومن هو كاميل

العقل عن الله ، فنراه في ذلك لا يخرج عن روح عصره المتميز بالزهد والورع والخوف من الله ، والذي كان قد مهد له الحسن البصري (١٩٠ه) ، وعلى الأخص بظاهرة الخوف من النار ، كأنما النار لم تخلق إلا له ، أضف إلى ذلك أن بعض الحكاء كان يقول : « لا ترى العاقل إلا خائفاً كما أن الجاهل لا تراه إلا آمناً به (۱) . وهكذا نرى الحارث يُعرق العاقل بقوله: «انه المؤمن الحنائف من الله » ومن يراجع كتاب «التوهم» يامس بوضوح نزمة الحسن المري التي بدت ظاهرة لدى الحارث في التخويف من النار وماذا أعد الله فيها من نعيم . والعاقل عن الله أيضاً هو :

« من ذكر الله بتأديبه له ، ومن عقل آياته في تدبيره ، وحكمته في آثار صنعته ، ودلائل حسن تقديره ، فاستدل من ذلك كله بأنه الإله العظيم الذي لا إله غيره .

والعاقل عن الله هو من عقل عنه أن الفقه في الدين يورث محبة الله وان القل المعرفة يورث التعظيم لله والهيبة منه .

والعاقل عن الله هو من عقل عنه انه ابتدأ عباده بالرحمة والتفضل .

إن الله مع علمه بأن الناس يعصونه لكنه يبتدئهم بالنعم . فمن يعقـــل ذلك عن الله يلزم قلبه بالرحمة ، فيحب المحسن ويشفق على المسيء .

والعاقل عن الله من عقل عنه ما وصفت به النفس من أنها بالسوء أمّارة لأن من يعقل ذلك يستصغر كثير الطاعات من نفسه تغطية لكثرة ذنوبه. وسوء رغبته .

⁽١) ابن أبي الدنيا – العقل وفضله ٢٨ .

والعاقل عن الله من عقل ما بيتن الله سبحانه من فرق بين الدنيا والآخرة فكشف عن أن الآخرة شرف ونعيم ، وعن أن الدنيا حقارة وضعة »

وإذا كان الماقل عن الله هذا أمره ، فمن هو كامل العقل عن الله ؟

يقول الحارث: إن الكمال في العقل عن الله غير محدود إذ لا حد لعلمه ولا اصفاته ولا لعظيم قدر ثوابه وعقابه ولا أحد يعرف كال صفاته. ولعل الحارث من خلال هذا التعريف لكامل العقل عن الله ، بأن الكمال فيه غيير محدود ، لعله يريد أن يقرر للانسان المؤمن انفتاحاً على المطلق خالصاً منكل حد ، متحرراً من كل قيد ، لأن العقل عن الله (يزيد ويقوى بالعلم والحلم) ولا يمكن أن يقف عند نهاية . أما بالنسبة لذات الله ، فإن أعظم العاقلين عنده هم العارفون عقلاً عنه ، ومعرفة به ، الذين أقروا أنهم لايبلغون بالعقل والمعرفة كنه معرفته .

على أن الحارث لا يريد _ كا يبدو _ أن يخرج من هذا التعريف بغير نتيجة ولو نسبية فنراه يستدرك بقوله : « ولكن قد يسمى كاملا في العقل عن الله في ما غلب عليه من الأفعال التي كانت فيه ثلاث خيلال : الخوف منه ، والقيام بأمره ، وقوة اليقين به وبما قال ووعد وتوعد ، وحسن البصر بدينه بالفقه عنه فيما أحب وكره ، من علم ميا أمر به ، وندب إليه ، والوقوف عند الشبهات التي سمى الله الوقوف عنها رسوخاً في العلم به »

لذلك فإن الحارث يرى بين العاقلين عن الله تفاوتاً في الدرجة ، فإذا كان الناس متساوين جميعاً في غريزة العقل التي وضعها الله في خلقه وأقام بهاالحجة عليهم ، فإن ذلك لا يعني أن جميع خلق الله متساوون أيضاً في درجية العقل عن الله ، ذلك أنهم « بالعقل رغبوا ورهبوا ، وزهدوا وانتقلوا إلى العقل عن الله ، ذلك أنهم « بالعقل رغبوا ورهبوا ، وزهدوا وانتقلوا إلى الرشد وعلوا به في الدرجات »(١) . وان « تفاوت الناس في الزهد على قدر

⁽١) المحاسبي : الوصايا - نشرة عطا ٨٦ .

قدر صحة العقول وطهارة القلوب ، فافضلهم أعقلهم وأفهمهم عن الله » (١)..

ويبدو أن العقل بمعنى الغريزة كان رأياً شائماً في زمن الحارث لدرجـة رأينا معها ابن حنبل الذين يقف على الطرف الآخر يتفق مع المحاسبي على القول بان العقل غريزة بل لم يقتصر الأمر على ابن حنبل فقد كان معظم أهل السلف يقولون بذلك (٢) . على أن هذا الرأي إذا كان شائماً حقاً (١) في زمن الحارث أو في الفترة الواقعة التي سبقته ، فإن ذلك لا يمكن أن يعني أن هدا رأي كان يشكل مذهباً عقلياً أو موقفاً فلسفياً واضح المعالم ، بين القسمات ، بقدر ما كان يد هذا أو ذاك من المفكرين رأياً عابراً ، أو تعبيراً عفوياً ، لم يحفل صاحبه بما يحمله من عمق في المعنى ، وبعد في النتيجة .

ويبدو أن الحارث عندما تبنى فكرة « العقل غريزة » لم يفعل ذلك عبوراً وعفوية كا يفعل غيره ، إنما تبنى الفكرة وتوقف عندها ، وما من شك أن كتاب « مائية العقل » – الذي نحن بصدد دراسته – كان من نتاج هذا التوقف الفلسفي عند هذه الفكرة بحيث أدى هذا التوقف العميق إلى الحروج من ذلك كله بموقف عقلي بالغ الجدة والقيمة ، كان له أثره البعيد في الفكر الإسلامي بوجه عام .

وأول علامة من علامات الجدة والقيمة في موقف المحاسبي هذا ، ذلك النمو الذي نلاحظه لدى الحارث في فكرة العقل غريزة ، فلقد نمت الغريزة عنده باضافة كلمة « نور » عليها ذلك أن الحارث لما سئل عن العقل قال : هو نور الغريزة ، مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم (٤).

⁽١) المحاسبي: الكواكب الدرية ٢١٩.

⁽٢) ابن تيمية – الرد عــــلى المنطقيين ٩٤ – أيضًا كتاب الأذكياء لابن الجوزي ١٠.

⁽٣) ذهب الكندي أيضاً الى القول ان العقل غريزة ــ رسائل الكندي ١٦٩ ، ٣١٢٠٠

⁽٤) طبقات الثافعية ج ١/٢٤ – أيضاً كتاب الاذكياء ١٠٠.

ولقد كان لقول المحاسبي بأن العقل هو نور الغريزة وما نتج عن ذلك من نتائج فكرية لديه ، أكبر الأثر في الفكر الإسلامي فيما بعد وعلى الأخصلدى أبي حامد الغزالي في كتابيه « الإحياء » و « مشكاة الأنوار » (١).

ونحن لا نستطيع أن نقف على علامات الجدة والقيمة التي تميز بها مفهوم العقل لدى الحارث إلا إذا حللنا كتابه في (مائية العقل وفهم معناه) .

ومن خلال هذا التحليل يتبين لنا أن العقل لدى الحارث إنما هو غريزة وضعها الله في أكثر خلقه ولايمكن لهذه الغريزة أن تعرف بالتعليم كا لايمكن للغريزة العقلية أن تكتسب بالخبرة التي تعطيها الحواس لنا ، وإنما يمكن معرفة هذه بالعقل فقط ، ويعني بذلك أن العقل لا يُعرف إلا بالعقل وأعني بوعي العاقل أنه كائن يتفكر ويتدبر ، وهو بهذه الصفة كائن مميز عمن سواه من الكائنات. ذلك أنه إذا كانت معرفة الأشياء الحسية الخارجية تعتمد على العقل فإن العقل لا يعتمد في سبيل معرفته إلا على ذاته .

لقد اكتشف الحارث عن طريبق النور الغزيزي أن العقل هـو « شيء واع ومؤمن معاً » ذلك أن العقل عندما يعرف ذاته فإنمـا يعني ذلك أن العقل قد وعا امرين اثنين :

أولهما : أنه شيء مخالف لضده وهو الحمق والجنون .

وثانيهما : أن هذا الوعي العاقل هو نعمة إلهية أقام بها الله على البالغين اللحلم والحجة .

ويستعرض المحاسبي في كتابه « مائية العقل » أقوال بعض الأقوام في أن العقل غريزة .

⁽١) نشرها الدكتور أبو العلا عفيفي ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي.

فقوم من المتكلمين يقولون ان العقل هو صفوة الروح أي خالصها، وذلك في معرض قولهم بان لب الشيء هو خالصه تفسيراً للآية (إنما يتذكر اولو الألباب).

والحارث يرد هذا الرأي ولا يأخذ به لأنه لا يرى له سنداً لا في الكتاب. ولا في الأحاديث المأثورة .

وقوم يقولون ان العقل معرفة وضعها الله في عباده تزداد وتتسع بالعملم المكتسب الدال على المنافع والمضار.

ونحن نرى أن المحاسبي يعارض كون العقل معرفة ، ذلك أن العقل عند المحاسبي ليس شيئًا آخر غير العقل نفسه ، أي أنه مجرد غزيرة وإمكان ،أما المعرفة فهي نتيجة له لأنها عنه تكون .

وقوم يقولون انه نور غريزي ، يبصر به ويعبر به لمعرفة الأشياء الأخرى وكما أن في العين نوراً هو البصر ، يجعلنا نتعرف على المرئيات ، فإن في « القلب » (۱) نوراً يجعلنا ندرك الحكة الإلهية (۲) التي هي باطنة في ها الكون عندما تتدبر في خلقه ، في حركته وسكونه . وينتهي الحارث إلى تبني هذا الرأي الأخير ، ونحن نرجح بأنه له في الأغلب لأنه لم يقل لنا شيئا عمن قال بذلك ، ولا نحن رأينا لأحد رأياً يقول فيه أن العقال نور الغريزة غير المحاسبي .

فإذا كان هذا العقل لدى الحارث نورانياً غريزياً ، وبالتالي يعرف ذاته بذاته ، فقد ترتب على ذلك أن يكون العقل بهذا المعنى ، مبدأ أول للمعرفة وعلى هذا الأساس تصبح معرفة الأشياء الأخرى أمراً ممكناً .

⁽١) أي العقل.

 ⁽٢) من هذا تعتقد بأن الغزالي وجد منطلقه في تحليل معنى النور كا جـاء في كتابه
 مشكاة الأدوار .

وهذا ما يذهب الحارث إليه بالفعل حينا يقرر بأن هذا العقل عندما يكون الأداة التي يعرف ذاته ، إنما يكون ذلك سببا لخطوة ثانية يعرف الإنسان فيها ، عن طريق العقل أيضا ، ما ينفعه مما يضره . وهنا يبرز الجانب العملي من « مائية العقل » لدى الحارث، فهذا العقل الذي كان امكانا نظرياً للتفرقة بين النافع والضار ، أو بين الخير والشر يصبح أيضاً – وفي مرحلة لاحقة مكلة – ضرورة عملية يقتضي على الإنسان العاقل معها ، أن يزن سلوكه بميزانها ، لأن الله إذا كان قد أعطى الناس هذه الغريزة النورانية فعمنى ذلك أنه أقام في الوقت نفسه الحجة بها عليهم ، فإذا كان العقل من ناحيته النظرية امكاناً وغزيرة ، فهو من ناحيته العملية مسؤولية واختيار . ولا يمكن للعقل أن يكون إلا بهاتين الناحيتين معا ، بل إن الناحية العملية تبدو لنا عند الحارث أكثر أهمية وخطورة لأن العقل الغريزي (لا يُعرف إلا بفعاله) .

أما العقل الغريزي النظري فلا صفة له ، ولا جسمية ولا أي شيء حسي من هذا القبيل ، وان جاز أن يوصف بشيء فإنما يوصف بجملة أفعاله الظاهرة فهذه الأفعال (المعقولة) الظاهرة هي وحدها التي تصف ما وراءها من عقل غريزي . أما هذه الأفعال الظاهرة فيمكن تلخيصها بما يلي :

* النطق :

ذلك أن الكلام المتاسك الذي ترتبط فيه المقدمات بالنتائج ارتباط] منطقياً إنما يدل في الواقع على أن وراءه عقلاً غريزياً بالمستوى الذين يكون النطق عليه . ومن هنا كان الجهر ضرورة عملية للتعبير عن العقل الغريزي .

* الاستدلال:

والاستدلال ظاهرة ضرورية من ظواهر العقل ، فلولا الاستدلال ، وهو ... والاستدلال عقلية ، لما عرفنا بأن هناك عقلا . ان الانسان يتعلم أسماء الأشياء ثم

ذراه بعد ذلك يفرق بين هذه الأشياء مستدلاً عليها بما كان قد تعسلم فعملية الاستدلال هذه هي عملية عقلية ظاهرية تدل على أن وراءها عقلاً غريزياً باطناً ، ولنفرض جدلاً أن الإنسان لم يتعلم اسماً من أسماء الأشياء فإن الإنسان بوجه عام قادر على أن يفرق بين الأشياء بالرؤية وهذه التفرقة هي ظاهرة من ظواهر الاستدلال التي تؤكد أن وراءه عقلاً لا يعرف إلا به .

* الاختيار:

إن الإنسان عندما يجول بعقله النظري في معطيات هذه الحياة الكونية ، وعندما يتأمل في تفاصيل هذه الحياة الطبيعية ، وعندما ينظر في أسباب هذه الحياة الاجتاعية ، فيرى ما فيها ، ويتفكر فيا وراءها ، ويتساءل عن دوره الحناص بإزاء كل ذلك : ان هذا الإنسان لا يجد مفراً من الاختيار بين ما هو نافع وما هو ضار ، بالنسبه لدنياه وآخرته على حد سواء ، مما يؤدي به إلى اتخاذ موقف معين وسلوك معين . هذا الموقف وذلك السلوك _ بما ها _ أمران ظاهران ، يشكلان اختيار الإنسان الظاهر الدال على عقله المستتر .

و لعل هذا المعنى العملي للعقل يتضح لنا أكثر ما يتضح عند حديثنا عن المعنيين الآخرين اللذين أرادهما الحارث للعقل .

الثاني والثالث : العقل فهم وبصيرة :

ويتحدث المحاسبي في كتابه مائية العقل عن هذين المعنيين من معاني العقل الثلاثة مرة واحدة ، فالفهم والبصيرة هما معنيان عقليان جوزتهما العرب (إذ كانا عنه فعلا ، لا يكونان إلا به ومنه) .

فها هو الفهم وما هي البصيرة كما جوزتهما العرب ضمن تعريفات العقل ؟ انهما معنيان كما نرى مرتبطان بروح الإسلام ولننظر في بعض الأقوال التي سبقت الحارث متناولة هذين المعنيين . يقول الحسن: «ما تم دين الرجل حتى يتم عقله » وقوله : « ما أودع الله عز وجل أمرأً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما ».

وقال معاوية : « الناس يعملون الخير وإنما يُعطون أجورهم على قـــدر عقولهم يوم القيامة » (١) .

وقال عامر بن قيس: (إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل)(٢).

وقال وكيع بن الجراح: « العاقل من عقل عن الله عز وجل أمره ، وليس من عقل تدبير دنياه » (٣) .

وقيل للضحاك ابن مزاحم: ما أعبد فلاناً وأورعه وأقرأه. قال: كيف عقله ؟ فقيل له نذكر عبادته وورعه وقراءته وتقول عقله ؟ فأجاب ويحك ... إن الأحمق يصيب مجمقه ما لا يصيب الفاجر بفجوره » (٤) .

وقال الشعبي: « إنما كان يطلب هذا العلم َمن اجتمعت فيه خصلتان ، العقل والنسك ، فإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلًا ، وإن يكن عاقلًا ولم يكن ناسكاً ، لم يطلبه ، فإن هذا الأمر لا يناله إلا النساك العقلاء » (٥) .

وقال سفيان بن عيينة : « ليس العاقل الذي يعرف الخير والشر ، ولكن العاقل الذي يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيتجنبه » (٦) .

وقال عمر الجيلي : « اللهم اجعلنا نعقل عنك »(٧) .

وقال ابن جريج: « قسم العقل على ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ، حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة له ، وحسن الصبر على أمره ». كما قال

⁽١) المقل وفضله – ابن أبي الدنيا – ١٣ .

⁽٣) المصدر نفسه ١٧.

⁽٤) المصدر نفسه ٢٠ . (٥) المصدر نفسه ٢٢ .

⁽٦) المصدر نفسه ٣٠ . (٧) المصدر نفسه ٢٥ .

أيضًا : « قوام المرء عقله ، ولا دين لمن لا عقل له » (١) .

ونحن إذا أضفنا هذه الأقوال إلى ما نعرفه من الآيات والأحاديث الكثيرة التي تحض على التفكر والتأمل والعقل عن الله ، وتكريم العاقل عن الله في دنياه وفي آخرته ، أدركنا تمام الإدراك هذين المعنيين العقليين اللذين جوزتها العرب ، على حد تعبير الحارث ، وهما الفهم والبصيرة .

والعودة بنا إلى ما جاء في نص كتاب (مائية العقل) للحارت كفيلة بإيضاح هذين المعنيين المهمين اللذين يشكلان الجانب العملي الحقيقي من نظرية العقل لدى المحاسبي . فالمعنيان اللذان يكونان عن العقل فعلا ، ولا يكونان إلا به ومنه ، هما إذن الفهم والبصيرة .

أما الفهم فهو الظاهرة العقلية التي تؤدي إلى إصابة المعنى من ناحية والقدرة على التعبير عن هذا المعنى بشكل ما من أشكال البيان من ناحية أخرى . وليس الفهم هنا لدى الحارث فها سكونيا جامداً ، بل هو على وجه الدقة فهم متحرك وحي معاً . فهو متحرك باتجاه الأشياء والظواهر الموجودة في الخارج ما يتعلق منها بالحس ، وما يتعلق منها بالدنيا ، ثم ما يتعلق منها بالروح ، وما يتعلق منها بالآخرة . وهو حي لأنه يتصدى لأشياء موجودة ، والكل شيء من هذه الأشياء معنى ، هو أشبه ما يكون بحياة هذا الشيء نفسه ، فإذا أصاب الإنسان هذا المعنى بعقله فقد حقق الفهم واستقام له البيان .

وإذا كان الفهم لدى الحارث ظاهرة عقلية تتناول الأشياء في معانيها فان البصيرة عنده هي ظاهرة عقلية أيضاً. ولكنها تتخطى معاني هده الأشياء الواقعية إلى ما وراءها. فالبصيرة العقلية هي غريزة النفاذ إلى ما رواء هذه الأشياء لمعرفة قيمتها الإلهية من ناحية وقيمتها الأخلاقية منناحية اخرى.

⁽١) العقل وفضله ٢٨.

إن الإنسان ببصيرته العقلية قادر على أن يتعرف على عظيم قدر الأشياء النافعة في الدنيا والآخرة ، وهنا موطن العقل عن الله ، حيث تتجلى للانسان من خلال هذه التجربة العقلية بالذات ، قدرة الله في هذا الكون ، وتسخيره الأشياء لمنفعة الإنسان ، بشكل تكون فيه هذه البصيرة في النهاية سبباً لطاعة الله طاعة عقلية . ذلك أن الإنسان لدى الحارث إنما بالعقل وحده يطيع الله . وهو عقل البصيرة ، الذي عنعقل الغريزة يكون .

ونحن نرى الحسارث يعود للتأكيد في كتابه (مائية العقل) على أن عقل الغريزة يساعد على تمام عقل الفهم والبصيرة ، كأنما هو المحرك والدافع . ثم نرى الحارث بعد هذا يعلق على ذلك بالقول إن هناك أناساً يكابرون لا يتحرك لديهم عقل الفهم ولا عقل البضيرة ، فيكون لهم عقل الغرائز فقط . هؤلاء الناس هم لدى الحارث كالأنمام ، يقلدون آباءهم ويعجبون بآرائهم دون أن يفهموا للحياة معنى ولا أن يدركوا ببصيرتهم ما وراء همذه الحياة من قدرة وقسمة .

العقل والمنهج :

لقد عرفنا أن العقل لدى الحارث هو غريزة أولاً وفهم ثانياً وبصيرة بعد ذلك . وهذه الأجزاء الثلاثة تلتقي في المعنى الذي قال به الحارث بأن العقل لا يُعرف إلا بأفعاله الظاهرة . واستناداً إلى ذلك يمكننا أن نقرر في طبيعة العقل لدى الحارث ما يلي :

العقل حدسي:

ومعنى الحدس هنا هو بمعنى الغريزة التي تميز تلقائياً ما بين الخير والشر فتختار الخير من بينها . وهنا نرى الحارث يقول : « فبذلك العقل عرفوه ، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم ، بمعرفة ما ينفعهم ومعرفة

ما يضرهم . فمن عرف ما ينفعه مما يضره في أمر دنياه عرف أن الله تعالى قد من عليه بالعقل ه (١١) . وذلك يعني بالنتيجة أن طبيعة العقل هي إدراك ذاته ادراكا حدسياً بأنه إمكان معرفة وفهم وبصيرة .

العقل استدلالي:

وطبيعة العقل لدى الحارث قائمة في عملية الاستدلال ، ذلك أن إنسان عندما يتيقن من عقله ، تصبح المعرفة بالنسبة إليه أمراً بمكنا ، وهذا تأتي المعطيات الحسية الموجودة في عالمنا ، والحوادث التي تتوالى ، والظواهر التي تتردد لتصبح كلها منطلقاً للاستدلال . ومن هنا يتضح لنا أن الاستدلال ينطلق من الملاحظة الحسية ، أو من التجربة العملية ، للخلاص من هذه وتلك ، إلى حكم عقلي أو خلقي أو ديني ، وها هو الحارث يقول : « أولا تراه يقول عز وجل : « وأما ثمود فهديناهم » يعني بينا لهم ما يعقلون إن تدبروا ذلك ، فقال عز وجل : « فاستحبوا العمى على الهدى » فإنما خاطب الشالعبادمن قبل ألبابهم واحتج عليهم بما ركب فيهم من عقولهم (وما الله بظلام العميد) (٢) .

وإذا كان الاستدلال ينطلق من المعطيات الموجودة في عالمنا فإن الاستدلال من ناحية أخرى يمكن أن ينطلق من معطيات ذهنية تنشأ في العقل بالتعليم . وها هو الحارث يقول في ذلك : « كمعرفة الرجل نفسه وأباه وامه والساء والأرض وجميع الأشياء التي تشاهد . ولولا الاستدلال بالعلم الذي سمعه من أسماء الأشياء ثم رأى الأشياء لعرفها برؤية ولم يعرفها باسم ولا تفصيل بين معانيها . ألم تسمع إلى ما وصف الله تعالى به ملائكته إذ سألهم أن يخبروه بأسماء الأشياء فقالوا لا علم لنا ، فأمر آدم عليه السلام فأخبرهم بها لأنه

⁽١) مائية العقل (الخطوط) . (٢) نفسه .

علمه الأشياء » (١) .

العقل منطقي :

وإذا كان العقل لدى الحارث شيئًا غير محسوس بمعنى أن لا طعم ولا رائحة ولا لون ولامجسة ولا طول ولا عرض له (٢) فكيف يمكن معرفته؟ •

قلنا جواباً عن ذلك ان معرفة العقل لا تتم إلا بأفعاله . فسلوك الإنسان. هو دليل على عقله ، فالعقل للعالم ليس موضوعاً للمعرفة ، إنما الظواهر العقلية هي التي يمكن أن تكون وحدها « موضوعاً » لدراسة العقل وأساساً لقيام. علم خاص به .

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للسلوك ، فإن الأمر يبقى على هذا النحو بالنسبة إلى النطق ، فالعقل لدى الحارث لا يعرف إلا بالنطق ، وليس مجرد النطق هو ما يمكن أن يقوم دليلا على العقل ، وإنما النطق الذي يعنيه الحارث هو بمعنى القضايا المنطقية المتاسكة التي ترتبط فيها المقدمات بالنتائج فلا يداخلها أي وجه من وجوه التناقض أو التهافت . وفي ذلك يقول الحارث «قال عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ...وقال خالد ابن صفوان لولا التبيان لكان الإنسان بهيمة مهملة أو صورة ممثلة. وقال الشاعر:

وفي الصمت ستر العي يوماً وإنمـــا صحيفة المما ا

صحيفة لب المرء أن يتكلما (٣)

إن المناطقة يُعَرَّفُون علم المنطق اليوم بأنه صورة الفكر . ثم يستطرد المناطقة الوضعيون ليقرروا أن الفكر ليس شيئًا غير الألفاظ ، فالفكر إذن لا يمكن أن يعرف إلا بألفاظه ... وهذا هو المعنى الذي أراده الحارث بالذات .

⁽١) مائية العقل (انخطوط) . (٢) المصدر نفسه .

⁽٣) المصدر نفسه .

أما منهج البحث العقلي لدى الحارث فهو يكاد يكون أجل النقاط التي أثارها في قضية العقل ، وإذا كان الحارث قد أشار في كتابه « مائية العقل » إلى جوانب من هذا المنهج فإن الملحق الصغير الذي أتى بعد هــــذا الكتاب بعنوان « مسألة في العقل » إنما يحتوي على صلب المنهج العقلي الذي تمــيز الحارث به .

ونحن لن نبدأ بشرح هذه « المسألة » كما رردت ، وإنه سوف نفترض لها تنظيماً معيناً نعتقد بأنه يساعد إلى حد ما على الكشف عن جوانب، المنهج الذي نشير إليه .

اقصاء العاطفة:

وكخطوة منهجية اولى يؤكد الحارث أن العاطفة إذا تدخلت في حكمنا على الأشياء فإنها ستكون مفسدة لهذا الحكم لا محالة وهذا موقف علمي من غير شك . يقول الحسارث : « والحب والبغض إذا أفرطا انقصا الاعتدال وأفسدا العقل وصورا الباطل في صورة الحق » (١١) . ويقول أيضاً : والذي يمنع من الفهم الأنفة التي تمنع من الخضوع للحق ، وحب الغلبة الذي يبعث على الجدل والجزع من التخطية الذي يمنع من الإذعان بالإقرار بالصواب » .

فكلها إذن عواطف على المرء أن يتخلص منها ، ويتجرد في البحث عنها في سبيل الوصول إلى اليةين المنشود .

التفرغ للبحث :

ويؤكد الحارث على ضرورة التفرغ للبحث : بل وعلى ضرورة التفرد به والانصراف إليه انصرافاً كلياً ، ولعله في ذلك يعتمد على ما كان قد قرره من أن العقل غريزة ، والإنسان بغريزته التي وضعها الله فيه يمكن له أن يتوصل

⁽١) مسألة في العقل.

إلى معرفة الحقيقة بمفرده ، والمحاسبي يقول في ذلك: « وليس من تفرد بكتاب يقرأه وحده ، متثبتاً فيه ، لا يشغله عنه سبب يقطعه ، كمن نازع غيره ، لأنه يعترض في المناظرة آ فات كثيرة من العجب بالرأي »(١).

تحكم البداهة:

فإذا استطاع الإنسان أن يقصي عاطفته عن مجال بحثه ، وإذا استطاع أن يتفرد في بحثه ، فها عليه بعد ذلك إلا أن يحكم البداهة في أمر يعرض له لا لشيء إلا لأن البداهة هي من جنس الغريزة العقلية ، وهي التي عنها تكون ، وإذا كنا نحن الآن نطلق عليها اسم البداهة ، فإن الحارث كان قد اطلق عليها اسم الفهم والبصيرة . يقول الحارث : « أن الحجة ظاهرة بنورها على الشبهة » (٢) « وأن الحسق في كل أمر بين والباطل في كل حال داحض » .

تطبيق المنهج على مسألة في العقل:

ما هي « المسألة في العقل » التي أراد الحارث أن يطبق عليها منهجه سالف الذكر ؟ حتى نعرف هذه المسألة لا بد من الرجوع إلى كتابه في « مائية العقل » لنراه يقول ان العقل هو الغريزة التي أنعم الله بها على عباده و فأقام بها الله على البالغين للحلم الحجة » . يعني أن الله سبحانه وتعالى سوف يحتج بهذه الغريزة التي وضعها في كل إنسان ليحاسبه بها على أفعاله يوم القيامة . فإذا كان له على عباده حجة وهي العقل ، فليس للعباد حجة على الله في تبرير أعمالهم . فالحجة إذن هي حجة الله على العباد . فها هي هذه الحجة التي قال بها الحارث ؟ .

⁽١) مسألة في المقل.

⁽٢) المصدر نفسه .

للاجابة عن هذا السؤال نرى أنفسنا ننتقل إلى الملحق الخساص والذي يتناول « مسألة في العقل » وليست هذه المسألة في الواقسع إلا محاولة من الحارث للكشف عن هذه الحجة (نعني عن العقل) التي سوف يحتج بها الله على عباده يوم القيامة ويحاسبهم بميزانها.

يقول الحارث ان هذه الحجة حجتان : عيان ظاهر وخبر قاهر . ومعنى ذلك أن العقل الغريزي الذي أودعه الله فينا بات عليه أن يدرك ، را عذر له في أن يدرك ، بأن حجة الله عليه حجتان :

أولهما : العيان الظاهر :

وهو ما يشاهده الإنسان من مظاهر هذا الكون المنظم الدال على عظيم قدر الله ، وجلال قدرته ، وجمال صنعته ، فاحكم غريزة عقله ، وقاس ذلك عيزان البداهة فآمن بالله الواحد القهار ، مدبر هذا الكون ، ومقدر حركته وسكونه .

وثانيهما : الخبر القاهر :

وهو ما أوحى به الله تعالى على نبيه محمد على أن من آي وخبر قاهر (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (١). فالإنسان إذن بغريزته مطالب بأن يعقل عن الله أن الفقه في الدين يورث محبة الله ، فيكثر من الطاعات له من تلقاء نفسه .

والإنسان مطالب بأن يعقل عن الله كلامه وعلى الأخص في ما أمر بسه وما نهى عنه ، وما وعد وتوعد . وعلى هذا الأساس يختار الإنسان بعقله الغريزي ، ما يحقق به رضى الله ، ويكفل له سعادته في الدنيا وفي الآخرة معاً .

⁽١) سورة فصلت : ٢ ؛ .

ولننتقل إلى العبارة الثانية التي يقول الحارث فيها. «والعقل مضهن بالعدليل والدليل مضمن بالعقل » إن هذه العبارة تعني ، على ما نرى وبالتعبير الارسطي – « ان العاقل والمعقول شيء واحد » ذلك أن الدليل هو العيان الظاهر والخبر القاهر . وكلاهما عند المحاسبي مطابق للعقل ، فالعقل إذن موجود فيهما ، وهما موجودان في العقل ، وكل من الطرفيين مضمن بالآخر في وحدة صوفية عقلية متكاملة .

أما عبارته التي يقول فيها: « والعقل هو المستدل ، والعيان والخبر هها علمة الاستدلال وأصله ، ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون الاستدلال مع عدم الدليل » . فإنما يعني بها على ما نرى أن هذا الكون من ناحية ، وأن القرآن من ناحية اخرى هما أصل الاستدلال وسببه . ولما كان منها الاستدلال ، فقد كانا هما الأصل .

أما الفرع فهو العقل المستدل ، وبالتالي فإن الحارث يريد أن يقرر بأنه لا معنى للعقل ـ الذي هو الفرع ـ بدون علة الاستدلال الموجودة في كتاب الله ـ وهما الأصل في الاستدلال ـ .

ثم يقول الحارث « فالعيان شاهد يدل على غيب والخبر يــدل على صدق فمن تناول الفرع قبل إحكام الأهل سُفته » .

هذا يعني على ما نعتقد أن هذا الأصل المكون من (العيان الظاهـــر والحبر القاهر) إنما يدل على يقين فالاولى إذن أن يكونهذا الأصل(الثنائي) سنداً ومنطلقاً لكل يقين ، لأنه لا يمكن أن يكون الفرع (وهو العقـل) السند والمنطلق لليقين الذي نبحث عنه ... (ومن تناول الفرع قبل احكام الأصل سفه) ، ولعل في ذلك الرد الحاسم على المعتزلة .

صحيح أن العقل حق ، والعيان الظاهر والخبر القاهر كلاهما حق. ولكن يقول المحاسبي : « رب حق أحق من حق ... الخ . . وبهذه العبارة على ما العدد المحاسبي حداً نهائياً للمسألة « في العقل » التي عرض لهـا وذلك عندما يقرر بشكل واضح أن الأصل هو أحق من الفرع . نعني أن الأخذ بالعيان الظاهر والخبر القاهر أحق من الأخذ بالعقل . إن الحارث لا يقول هذا الكلام لينفي عن العقل حقه في البحث ، بل ليعترف مجقه ، أما هـذا الحق فهو في أن يعقل عن الله عيانه الظاهر وخبره القاهر ، فالأخذ إذر ينبغي أن يكون عن هذين الأخيرين أولاً وقبل كل شيء .

العقل هو القرآن (والعكس غير صحيح) :

بالرغم من أن الحارث بن أسد المحاسبي لم يستعمل هذا التعريف المباشر المعقل فيقول: « إن العقل هو القرآن » فإن جميع الأفكار المنثورة في كتابه حول ماهية العقل أو مائيته ، وفي كتابه في « فهم القرآن » إنما تنتهي به ذكر ذلك صراحة أو لم يذكره إلى هذا الحكم بالذات وهو الحكم الذي انتهينا إليه بعد التحليل. ويشكل هذا الحكم النتيجة النهائية للتصوف العقلي الإسلامي لدى الحارث.

إن المنطلق الذي يمكن الاعتاد عليه كأساس لهذا الحكم يعتمد على مصادر اللاثة:

أولها « مسألة في العقل » .

وثانيها : كتاب « مائية العقل » .

وثالثها : كتاب « فهم القرآن » التي وردتفيها كلها تعريفات وتفصيلات عن العقل ما هو .

أما بالنسبة للمصدر الأول ونعني بهد « مسألة في العقل » وهسي المسألة التي طرحها الحارث حول ماهية العقل في صفحتين أو ثلاث ، فإن كل ما يعنينا هنا هو المقدمة التي نوردها بأسطرها القليلة التالية . يقول الحارث

في هذه المسألة:

- « ١) الحجة حجتان : عيان ظاهر ، أو خبر قاهر .
- ٢) والعقل مضمن بالدليل ، والدليل مضمن بالعقل .
- ٣) والعقل هو المستدل والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله .
- إ ومحال كون الفرع مع عدم الأصل ، وكون الاستدلال مع عدم الدليل .
 - ه) فالعيان شاهد يدل على غيب .
 - ٦) والخبر يدل على صدق.
 - ٧) فمن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سفه » .

هذه هي المسألة العقلية كلما لدى الحارث . إنها كامنة في هـذه الأسطر القليلة ، التي تختصر ، وبإيجاز كلي ، ماهية العقـــل وحقيقة معنـاه ، فها هي « ماهية العقل وحقيقة معناه » كما وردت في هذه المقدمة الموجزة ؟

في الجالة الأولى يقول الحارث: «الحجة حجتان: عيان ظاهر أو خيب قاهر». أما معنى الحجة فهو العقل الغريزي الذي وضعه الله في خلقه وأقام به على البالغين للحلم الحجة ، والحارث يردد هذا الكلام وما هو في معناه في كثير من المواطن في كتابيه « مائية العقل » و « فهم القرآن » . فيهم العقل إذن هي في جوهرها حجة الله على عباده « وضعها الله في أكثر خلقه » مستثنياً من ذلك أهل التيه والحقى ، « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيى عن بينة » الآية .

وإذا كانت ماهية العقل هي حجة أقامها الله على العاقلين ، فإن الحارث. بقوله إن الحجة حجتان ، إنما يعني أن للعقل ماهيتين وهما « العيان الظاهر».

و « الخبر القاهر » . فأما الأولى وهي العيان الظاهر ، فهي ما يشاهده الإنسان بأم عينه من بحار وجبال وأنهار وكائنات وأفلاك وهي من « آثار الصنعة واتصال التدبير الذي يدل عليه أنه واحد لا شريك له ... فكأن جميع الأشياء عين يعتبر بها (الإنسان) ويجل ويعظم لما يرى ويسمع . » (۱) وأما الماهية الثانية ، وهي الخبر القاهر ، فهي ما أخبر الله به عباده إخباراً قاهراً ومعنى القهر هنا وهو قهر عقلي _ أنه خبر لا يرد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأن القرآن وهو يدعو الإنسان إلى التفكر والتأمل ، ويكشف له بالبرهان والحجة عن إتقان الصنعة ، إنما يعطي الدلائل القاطعة القاهرة على وحدانية الله وتفرده بالصنع إنها كما يقول الحارث (٢) « ومن الدلائب عليه من آيات الكتاب ... الذي يدل عليه أنه واحد لا شريك له ...

... ألم تسمعه عز وجل يقول (وتعيها إذن واعية) ... يعني عقل عن الله ما سمعت أذناه مما قال وأخبر . فهذا هو العقل . » فهاهية العقل الثانية إذن لدى الحارث هي ما قال الله وأخبر في آيات الكتاب ، وهذا كلامصريح للحارث لا لبس فيه ولا غموض .

ومع انتقالنا إلى الجملةالثانية يزداد معنى هاتين الماهيتينوضوحاً ورسوخاً. يقول الحارث « والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل » فها هو هذا الدليل الذي يعنيه الحارث ؟. كما هو واضح من الجملة السابقة دليلان:

الدليل الأول هو العيان الظاهر . والدليل الثاني هو الخبر القاهر .

فإذا كان العقل مضمنًا بالدليل ، بالنسبة للدليل الأول ، فإن ماهية العقلي

⁽١) مائية العقل (المخطوط) . (٢) المرجع نفسه .

من جهة أولى كامنة في هذه « المعقولات » من مجار وجبال وأنهار وكائنات وأفلاك مما هو ظاهر أمام عين الإنسان ، فهاهية العقل إذن هي في همذا الوجود الحسي المطلق ، لا من حيث هو وجود حسي ، بل من حيث هدو عقلي شامل كامل يتجه نحو غاية واضحة هي التدليل على وجود الله ، وعلى أنه واحد لا شريك له .

ولما كان العقل كامناً في هذا العيان الظاهر على هـــذا النحو فهو ضمنه والتضمين هنـا لا يعني الاحتواء وإنما يعني التطابق لأن الحارث الذي قال : إن العقل مضمن بالدليل ويقول من ناحية أخرى إن الدليل مضمن بالعقل ومعنى ذلك أن هذا العالم المادي وإنما هو عالم متطابق مع العقل فكما أن العقل الغريزي الذي وضعه الله في خلقه هو «عقل كوني » وأن الكون الذي خلقه الله وأتقن صنعه إنما هو «كون عقلي» كذلك وكلاهما عقلماً مضمن بالآخر .

وإذا كان العقل مضمناً بالدليل ، بالنسبة للدليك الثاني ، فإن ماهية العقل من جهة ثانية أصبحت كامنة في هذا الخبر القاهر ، ويعني به المحاسبي، القرآن كا رأينا . فآيات الله كلها إلى جانب كونها أدلة تدبير عاقل . . على وجود الله ووحدانيته ، فهي أيضاً أدلة تدبير عاقل لحياة الإنسان في الدنيا والآخرة على السواء .

إن هذه الأدلة تجعل الإنسان – كا يقول الحسارث – قادراً على التمييز «بين النافع والضار ، للعمل بما ينفعه » إن العقل لدى الحارث ليس عقد لا مجرداً إنما هو غريزة « للعقل عن الله كلامه » ومعنى قوله تعالى (استمع لما يوحى) ... أعقل ما أقول لك (۱). ولما كان العقل على هذا النحو كامناً في الحبر القساهر ، وهو القرآن ، فهو ضمنه ، والتضمين هنا أيضاً لا يعني اللحتواء ، وإنما يعني التطابق ، لأن الحارث – مرة أخرى – الذي قال بأن العقل مضمن بالدليل ، يقول من ناحية أخرى إن الدليل مضمن بالعقل ،

⁽١) مائية العقل (المخطوط) .

ومعنى ذلك أن القرآن مضمن بالعقل ، وهو أيضاً تضمين تطابق لا تضمين احتواء ، فلما كان القرآن قد أتى مخاطباً للألباب ، والقلوب ، والعقول والأفكار ، فلا يمكن أن يكون إلا متطابقاً معها ، غير ناقص عنها ولا زائد عليها ، ومن هنا كان معنى التضمين التطابقي بين القرآن والعقل ، أو العقل والقرآن ، كما أن العقل الغريزي الذي وضعه الله في خلقه هو « عقل قرآني » فإن القرآن الذي خلقه (۱) الله بشكل لا يأتيه الباطل ن بين يديه ولا خلفه ، إنما هو « قرآن عقلي » وكلاهما عقلياً مضمن بالآخر .

على أن هذا التضمين المتبادل بين العقل والدليل بالرغم من كونه تضمين، تطابق ، فإنه في الوقت نفسه ليس تضمين درجـــة ، لأن تضمين التطابق. لا يعني بالضرورة تضمين الدرجة أو المرتبة . إن هذا الكلام توضحه جملة الحارث الثالثة التي تقول : « والعقل هو المستدل . والعيان والخـــبر هماعلة الاستدلال وأصله . »

فالواضح إذن من جملة الحارث هنا أن الأصل في الاستدلال ليس العقل وإنما هي هذه المعقولات التي خلقها الله ، هي هذا الكون اللانهائي مناحية ، والقرآن من ناحية أخرى ، ولماذا يشكل هـذا الطرفان أصل الإستدلال ؟ يقول الحارث لانها «علة » الاستدلال ، فلو لم يكن هناك «علة » للاستدلال لما كان هناك حاجة للمستدل وهو العقل -كما يقول الحارث. فالعقل إذن تابع من حيث الدرجة والترتيب ، للكون المطلق ، والعقـل تابع ، من حيث الدرجة والترتيب ألمقرآن . من أجل ذلك كان العقل يدور وجوداً وعدما مع الكون من ناحية ، ومع القرآن من ناحية أخرى ، ذلك أن العقل هو فرع لكل منها ، « ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون العقل هو فرع لكل منها ، « ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون الاستدلال مع عدم الدليل » وبذلك تصبح هذه الجلة الثالثة واضحة .

⁽١) راجع فكرة خلق القرآن في كتاب الحارث « فهم القرآن » .

وإذا كان كل من الكون اللانهائي والقرآن المنزل من عند الله أصلا دالا على وحدانية الله وتفرده بالخلق والصنعة ، فان معنى الأصل يحتم عدم التفرد بالعقل وسلخه عن ماهيته ، أعني عن عقلانية هذا الكون اللانهائي من ناحية وعن عقلانية القرآن من ناحية أخرى لأن «من تناول الفرع قبل إحكام الأصل سفه» كما يقول الحارث في الجملة السابقة لذلك فقد أصبح من الضروري للانسان حتى يصل الى معرفة الحق أن يخضع عقله أولا لمعطيات هذا الكون اللانهائي ، من حيث هو وجود مشاهد يدل على وجود غير مشاهد ، وهذا ما يعنيه الحارث بقوله في الجملة الخامسة «فالعيان شاهد يدل على غيب» وأن يخضع عقله ثانياً لآيات الله في القرآن ، ولما أخبر فيه ووعد وتوعد ، ولأن الرسول جاء مصدقاً لما بين يديه فالخبر «الذي أتاه من الله »يدل (إذن) على صدق وهذا ما عناه الحارث في الجملة السادسة .

وخلاصة القول أن ماهية العقل لدى الحارث هي ماهيتان فهي الكون اللانهائى من جهة ثم هي القرآن من جهة أخرى . وإذا كان الأمر كذلك فهل يعني هذا الكلام أنها ماهيتان منفصلتان أولاً ثم ماهيتان يصح أن تكون الواحدة منها بديلاً للأخرى ؟ الجواب عن ذلك أن الحارث الذي قال بهاتين الماهيتين للعقل صراحة كا رأينا ، لم يقل ، ولو تلميحاً ، إن هاتين الماهيتين منفصلتان وبالتالي يصح أن تكون الواحدة منها بديلاً للأخرى . ومن هنا يكن أن نقول إنها ماهيتان متلازمتان بالضرورة ، بعنى أن هذا « العقل الكوني » ملازم « للعقل القرآني » وأن « العقل القرآني » ملازم « للعقل البشري ، الكوني » ، كلاهما من خلق الله وتفرده بالصنعة . فإذا كان ذلك كذلك، وكلاها يستدل به على وحدانية الله وتفرده بالصنعة . فإذا كان ذلك كذلك، وكان كلاها حقاً كا نرى ، فأي حق منهما ينبغي للعقل البشري أن يتوجه وكان كلاها حقاً كا نرى ، فأي حق منهما ينبغي للعقل البشري أن يتوجه الذي يهدي للتي هي أقوم ؟ إن الحارث يجيب بنفسه عن هذا السؤال مباشرة الذي يهدي للتي جاءت في مقدمة « مسألة في العقل » فيقول : «ورب

حق أحق من حق ... وكم من حسن أحسن من حسن غيره ، وفرض أوجب من فرض ، وفضل أفضل من فضل ... وان الحق في كل أمر بين ، والباطل في كل حال داحض ، إلا أن كثيراً من الناس لا يعرف وجه مطلبه ، ومنهم من عرف ثم نسي ، ومنهم من يعرف أكثره ولا يعرف أسهال طرقه ، وأقرب وجهه » .

إذن إن بين ماهيتي العقل – الكون والقرآن – حقاً هو أحق منحق... وحسناً هو أحسن من حسن غيره ، وفرضاً أوجب من فرض ، وفضلاً أفضل من فضل ، فما هو الأحق والأحسن والأوجب والأفضل بين هاتين الماهيتين؟ انه القرآن من غير شك ، الذي أصبح عند المحاسبي هو ماهية العقل المفضلة والأحق بعمل العقل ووجهته من الماهية الأخرى . يقول الحارث في المسألة « فجميع الحق في فنون الطاعات ... والعالم به (بالقرآن) يريد جمعه في بصيرته ...

... إذا فهم حسن العبارة عنه (عن الله) وايضاح حجمه ، ونور بيانه يتنبه من رقدته ويفيق من سكرته » . فلماذا رأى الحارث « القرآن » أحق من « الكورن » للأخذ عنه ، واعتباره ماهية العقل الفضلى ؟ إن ذلك يعود بطبيعة الحال إلى أن القرآن هو كلام الله المباشر ، وهو كلام الله المفصل ، وهو كلام الله الذي أخبرنا به عن نفسه وصفاته ، وهو كلام الله الذي يحوي من الحقائق ، مما أوضحه في كتابه « فهم القرآن » ما يعجز عنه كل بيان ، ولهذا فإن وجهة العقل ، كانت تتحرك ليس باتجاه الكون ، وإنما باتجاه القرآن ، وهذا ما عبر عنه الحارث بعبارته المشهورة « العقل عن الله ، وهي العبارة التي كثر تردادها في كتابه « مائية العقل وحقيقة معناه » وهذا الكتاب ، كا أسلفنا ، يشكل المصدر الثاني ، الذي بنينا عليه الرأي بأن « العقل هو القرآن » لدى الحارث .

يفرق الحارث في هذا المعنى بين الذين لا يعقلون وبين الذين يعقلون ،

ولكنهم لا يعقلون عن الله ، وبين الذبن يعقلون عن الله وهم كاملو العقـــل. لأنهم يرون في القرآرب ماهية لعقولهم . فأما الذين لا يعقلون البيارب ولا المبين عنه بالفهم له (أي الله) فهم طائفة كمشركي المرب (إن هم إلا كالأنعام. بل هم أضل سبيلًا) يعيشون على التقليد والكبر والإعجاب بالرأي من غير أن يتبينوا ما ينفعهم مما يصر بهم ، وأما الذين يعقلون ولا يعقب اون عن الله فمثلهم كمثل الإنسان يكون « عاملًا للبيان الذي لزمته من أجله الحجة ولكنه لا يكون عاملًا عن الله » كبعض الكفار من أهـــل الكتاب يعتبر عاملًا للبيان الذي لزمتهم به الحجة يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . أما العاقل عن الله فهو الفاهم لما كلمه به ربه وأخبر به من أمر الدنيا والآخرة. وما وعد وتوعد وما أحب وكره ، فائتمر بأمره، وانتهى عمــــا نهى عنه ، والعقل عن الله لا غاية له ، أي لا نهاية له وذلك نظراً لقوله تعالى لرسوله « وقل رب زدنی علمـــا » وقوله « ولا یحیطون به علمـــا ... وأعظم الماقلين عنده المارفين عقلًا عنه وممرفة به، الذين أقروا بالعجز أنهم لايبلغون. في العقل كنه معرفته »(١) . فالعقل عن الله إذن عقل منفتح على لا نهايـة. في المعرفة وهو من أجل ذلك « غريزة يولد العبد بها ثم يزيد فيه معنى بعد معنى بالمعرفة بالأسباب الدالة على المعقول » (٢). وهذه الزيادة المعماني بعد المعاني في العقل لا تعرف حداً ولا تتوقف عند نهاية .

وإذا كان العقل منفتحاً على المعرفة اللانهائية ، فأين يمكن أن تكون هذه المعرفة إن لم تكن في غير الكائن اللامتناهي وهو الله ؟ يقول الله تعالى « وفوق كل ذي علم عليم » ويقول الحارث في كتابه « فهم القرآن » الذي يشكل بالنسبة إلينا المصدر الثالث والأخير والذي عليه بنينا الرأي بأن « العقل هو القرآن » ، يقول « إن العلم على قدر العالم . . . وقد قال الله (وفوق كل ذي علم عليم) . فهل يمكن أن يكون أحد أعلم من قائله والمتكلم

⁽١) كتاب مائية العقل (المخطوط) (٢) المصدر نفسه

به ، ولا يصيب أحد علماً إلا من قائله وهو الله رب العالمين » .

فإذا كان الأمر كذلك فكيف السبيل إلى العقل عن الله ، وإلى العقل عن الله ، وإلى العقل عن القرآن باعتباره كلام الله ؟.

يقول الحارث _ وكأنه يضع موضوع التطبيق العملي لمبدأ العقل عنالله ، والمعليا قبل إحضار العقل أن نعلم ، حتى لا نخطىء ، « أن القرآن منه ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، والمتشابه له وجوه ، قمنه التشابه في التاجب من غير أن ينسخ بعضه بعضا ، ومنه متشابه لاختلاف أوقاته في الواجب وفي الكائن ، ومما أخبر الله أنه كائن ، ومنه متشابه والمعاني مختلفة ، إلى آخر هذه المعرفة الضرورية التي لا بد منها قبل إحضار العقل عن الله والدي ذكرها الحارث في كتابه « فهم القرآن » وينبغي أن يكون من المسلم به أنه لا يجوز النسخ في الصفات ، كا لا يجوز النسخ في اخبار الله عما كان ويكون.

وعلى المرء أن يحضر عقله بعد ذلك ليكون خليقاً بالعلم وأهله « فأهل العلم بكلام ربهم عز وجل هم أهل الصفاء من الأدناس وأهل الخاصة من الله جل وعز الذين أشعروا فهمه قلوبهم ، وتدبروا آياته عند تلاوته بألبابهم . » فإذا أحضر الإنسان عقله ، وهو نور الغريزة لدى الحارث ، فإنه ملتق مع ما في القرآن من نور ورحمة ، وموعظة وبيان وحق وبصائر ، ولعل الإنسان لا يستطيع أن يحضر عقله لفهم القرآن كا يقول الحارث إلا عندما يعظم عند الإنسان « قدر ما ينال بفهمه من النجاة ، وما في الإعراض عن فهمه من الملكة . » وبعد إحضار العقل بهذا الشكل ينبغي تجميع الفهم حول كلام الله ، وبعد إحضار العقل بهذا الشكل ينبغي تجميع الفهم شيء دون كلام الله ، وذلك لا يتم كا يقول الحارث إلا بإعمال الجوارح بما يعمل العقل به ، وعدم إشغالها بموضوعات أخرى كالنظر في المصحف و الاستاع يعمل العقل به ، وعدم إشغالها بموضوعات أخرى كالنظر في المصحف و الاستاع الحارة الغير أو ما شابه .

⁽١) كتاب مائية العقل للحارت (٢) المصدر نفسه

فإذا كان القرآن هو ماهية العقل النظرية فإن فهم القرآن هـو التطبيق المباشر لهذه النظرية ، ولا بأس هنا من أن نتوقف عند بعض المعاني التطبيقية في « فهم القرآن » بالرغم من أن الكتاب يشكل وحدة لا تتجزأ ، ذلك أن هذا التوقف من شأنه أن يعطينا صورة عن المنحى العقلي في فهم القرآن لدى الحارث ، وهو الموضوع الذي يستأثر بهذه الدراسة .

العقل ومعرفة الله

وأول جوانب هذه الصورة هو موضوع العقــل ومعرفة الله ، فالله عند الحارث هو فوق اعتبارات الكم الواقعة في الزمان والمكان .

يقول الحارث: (١) « فات المقدار ... وتاهت الألباب عن تكييفه ، وحمو جانب يكاد يكون عند الحارث جانبا وتحيرت العقول عن إدراكه ». وهو جانب يكاد يكون عند الحارث جانبا أوليا بمعنى أنه ينبغي أن يكون سابقاً على أية معرفة قرآنية أخرى ، فالله هو أول المعارف ، لأنه على معرفته سوف تبنى المعرفة العقلية القرآنية بعد ذلك . وواضح أن الحارث في كتابه « مائية العقل » يركز على أن كامل العقل عن الله هو من أقر بعجزه عن إدراك معرفته . فقصور العقل البشري عن إدراك حقيقة الله ليس انتقاصاً من قيمة العقل لدى الحارث إنما هو على العكس من ذلك إكتال لهذا العقل وتحديد ممتاز لقيمته .! إن هذه القيمة تتبلور من غير شك في وعي العقل لحدوده وأولها عجزه عن الإحاطة بموضوع الله . إن هذا الوعي هو ذروة الكمال العقلي .

وإذا كان كال العقل هو وعي العجز عن معرفة الله ، فهل يعني ذلك توقف العقد العقد عن البحث في الله توقفاً كامللاً . إن الحارث كان في عصره أكبر متكلمي الصفاتية ، بل إليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية ، بل إليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية ، بل إليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية ،

⁽١) فهم القران (المخطوط)

إذن في صفات الله ، باعتبارها الطريق الأساسي إلى معرفته ، كان يأتي في رأس اهتمامات جهاعة أهل السلف ومن بينهم الحارث ، فلقد ذهب هـــؤلاء إلى إثبات الصفات لله فسموا صفاتية (١) وذلك رداً منهم على المعتزلة الذين منفوا عن الله صفاته فسموا معطلة .

ولقد كان الحارث من القائلين إن البارى، بحانه ليس بغير صفاته (٢) وهذا ما يتضح لنا بالفعل في كتابه « فهم القرآن » غير إن هذه الصفل التي يشبها الحارث لله ليست صفات من اختراع العقل المجرد ، إنما هي الصفات التي وصف الله بها نفسه في القرآن يقول المحاسبي : « فأرسلهم (الرسل) بكلامه ووصف لهم صفاته الكاملة واسماءه الحسنى ، وما يرضى بهمن المقال والفعال » . ويقول: «ولم تكن الرسل لتعرف صفاته ، ولا ما يحبوبكره، فيعلموا غيبه كا علم غيوبهم فيكونوا أرباباً مثله » . (٣)

فالله إذن لدى الحارث يعرف بصفاته ، وصفاته هـذه التي يعرف بها ليست إلا الصفات التي أخبر الله بها عن نفسه في القرآن ، وإذا كانت عقول الرسل لم تكن لتعرف صفاتـه إلا من خلال ما أخبرهم الله بها عن نفسه فكيف بعقول الناس التي هي أدنى مرتبة من عقول الرسل .

والملاحظة الأساسية التي يوردها الحارث حول هذه الصفات هي كونها اثابتة كما وردت في القرآن لا تتغير ، وعلى هذا الأساس فإن النسخ في هذه الصفات لا يجوز وإلا كانت عرضة للنقصان وهذا نقص في حق الله وصفات الله لا يمكن إلا أن تكون كاملة . ونحن نجد الحارث الصفاتي يثبت هذه الصفات بأسلوب كلامي فالله هو القديم الذي لم يسبقه شيء وإلا كان محدثاً علوقاً ، وهو الأزلي إذ لا بعده شيء وإلا كان فانياً موروثاً ، وهو المريد لم

⁽١) العسقلاني: تهذيب التهذيب ج ٢/ ٢٤ - ١٣٦

⁽٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٩/١ ٤ - ٠٠

⁽٣) الأشعري : مقالات الاسلاميين ٢ ٤ ه

يزل ، وإلا كان حدوث الإرادات واقعاً في ذاته . وذو البداوات جاهل بما يكون فيما يستقبل »(١) وقس على ذلك باقي الصفات التي أخبر الله بها عن نفسه كالسمع والبصر وما إلى ذلك فهذه صفات ليست حادثة في الله وإنما يفعلها الله بإرادة متقدمة عنها ، لأن الله جل وعلا عن أن يكون جاهلا بما يكون فيما يستقبل .

فإذا كانت معرفة الله تكون من خسلال معرفتنا لصفاته كما وردت في القرآن ، فإن معرفته من جهة ثانية تكون من خلال ما أخبرنا بهمن أخباره عما كان ويكون كما ورد في القرآن ، إن قصة الخلق ، وأخسار الرسل ، والوعد والوعيد ، وكل ما يتعلق بالإنسان وبهذا الكون كلها وغيرهامن أخباره تعالى ، من شأنها أن تعطينا إلى جانب الصفات ، فكرة عقلية عن الله

ثم إن هذه الأخبار التي أخبرنا الله بها عن نفسه ، هي كالصفات تماماً من حيث أنه لا يجوز فيها النسخ على الإطلاق وإلا كان كلام الله فيها من قبيل الهزل واللعب ، أو الجهل والكذب ، أو التراجع والنكوص ، تعالى الله عن كل ذلك ، لأن في ذلك ادعاء لنقص ، وحدوثاً لإرادة ، في ذلت الله ، وكيف يمكن أن يكون ذلك « وكل شيء يكون فهو يكو نه ؛ فلم يأت إلا وقد تقدم العلم منه به » .

فإذا كانت معرفة الله مباشرة عن طريق العقل المجرد مستحيلة ، وإذا كانت معرفة الله عن طريق صفاته وأخباره كما وردت في القرآن أمراً بمكناً ، فإن معرفة الله بالدلائل الدالة عليه هي أمر واجب ، إن على الإنسان أن يستجيب إلى تنبيه الله له ليتأمل في آثار هذه القدرة الإلهية ، في ما يحيط به من مخلوقات وأشياء في هذا الكون ليرى إحكام الصنع وإتقان التدبير ، وليستدل من ذلك كله على وحدانية الله وتفرده بالصفة ، ثم ليعرف بعد الغايدة العاقدة من الخلق فيتأكد أن الله لم يخلق شيئا عبثا .

⁽١) فهم القرآن (الخطوط) (٢) المصدر نفسه

إن في القرآن دعوة ، بل دعوات كثيرة إلى مثل هذا التأمل أو التفكر أو الحث على الاستدلال ، ثم إن الله تعالى بالإضافة إلى ذلك قد هيأ للإنسان أمرين ليساعده على الاستدلال لمعرفة الله :

« أولهما العقل الذي فطر الإنسان عليه ليدبر به شواهد التدبير وأحكام التقدير .

وثانيهما الرسالة التي حملها الرسل إلى الإنسان لتنبيه على النظر الم شاهد من الآيات الظاهرة والدلائل البينة ولقد كلم الله بذلك تكليما وأند على الإنسان الحجة بكلامه فلم يعد بعد ذلك للانسان عذر أمام الله وفي ذلك كمال المسؤولية وكمال الحرية معا (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيى عن بينة) .

ولعل العقل في نهاية الأمر يمر عند الحارث ، وهو بصدد معرفة الله ، في ثلاث مراحل :

أولهما: الإيمان الاستدلالي ، بمعنى أن العقل عندما يتحرك باتجاه الكون من ناحية وباتجاه القرآن من ناحية أخرى ، لا بد أن يؤمن بالله عن طريق الاستدلال علمه بآثاره.

وثانيهما: معارضة الشك للعقل ، ذلك أن العقل على ما يبدو عندما يؤمن بالله عن طريق آثاره ودلائل صنعته يحاول أن يبحث في الله بحثا عقلياً مجرداً فإذا بالشك يخالط ايمانه ، وإذا بهذه العقول الإنسانية كما يقول المحاسبي « قد عارضها هاجس الشك » إلا أن هذه العقول الواعية لذاتها ، وعياً بأنها عاجزة عن إدراك كنه معرفة الله ، تأبى هذا الشك وتدفعه ، وإذا حصل ذلك تكون :

المرحلة الثالثة والاخيرة: في معرفة الله قد تحققت ، فإذا باليقين يأتي هذه العقول ، وإذا « بلطف البصير » يهدي هذه العقول ، وإذا بالحقيقة الإلهية أمام العقل كرأي العامين ، فيصبح العقل مصدقاً غير مكذب ولا مرتاب .

وإذا كان اليقين العقلي يتحقق عن طريق البصير أو البصيرة ، فإن ذلك لا يعني أنها ظاهرة عقلية مجردة ، إن البصيرة لدى الحارث معنى إسلامي محت ، ذلك أنه يقول توضيحاً لذلك « فسلكوا سبيل الرشاد بالبصائر النافذة على منهاج الكتاب والسنة ... » يعني « الفهم بما قال جل وعز في كتابه بالتذكير والتفكير والتثبيت والتدبير ». لأن الله قد سمى القرآن «مجيداً وبصائر وهدى » ... لذلك فإن « العاقل عن الله عز وجل بدلائل الكتاب مستبصر » . وإذا فعل الناس ذلك كانت « عقولهم معلقة بالملكوت وذلك بغير ابتداء منهم اجتبوه ولا نالوه ، ولكن بتفضل الله جل وعز عليهم » ..

العقل والناسخ والمنسوخ:

ذكرنا فيا سبق أن الحارث يرفض رفضاً عقلياً كلامياً جواز النسخ في صفات الله وأخباره ، غير أن هذا الرفض لا يشمل لدى الحارث النسخ في الأحكام ، والمحاسبي عندما يقول بجواز النسخ في القرآن ضمن مفهوم معين إنما يتحفظ في ذلك أمام مدعي القول بأن القرآن مخلوق . ذلك أن هو لا ينه ينهون إلى أن مبدأ النسخ إذا أقر بالنسبة القرآن فمعنى ذلك أن القرآن حادث وبالتالي فهو مخلوق ، ويبين لنا المحاسبي الخلف في هذا الادعاء بقوله : « إن النسخ إبدال أمر بأمر حسب الوقت ، والله كان عالماً مريداً قبل الوقت لكلامه » . كما هو الحال بالنسبة لأمر الله بالصلاة إلى بيت المقدس ثم لأمره بالصلاة إلى الكعبة فقد أبدل الله « أحدهما بدلاً من الآخر في وقتين مختلفين وكلاهما كان مريداً له » وإرادته في ذلك قديمة غير متغيرة ولا متبدلة ولا حادثة ، فالقرآن قديم غير مخلوق .

نلاحظ مما تقدم ، ومما سيأتي ، أن ميزان الناسخ والمنسوخ في القرآن عند الحارث إنما هو العقل وحده . فإذا كان العقل يقرر على ما رأينا بأنه لايجوز النسخ في صفات الله ولا في أخباره فإن العقل أيضاً هـو الذي يقرر جواز النسخ في الأحكام .

يقول المحاسبي « إن الحق لا يصاب إلا في المحكم من الآيات ... فإذا أحضرت عقلك لفهم معاني القرآن ... أقبل الله عليك بلطفه وولي تقويم عقلك لفهم كلامه ... ويجلي عنكظم الشبه ويدلك على محبة المهتدين ... فإذا طلبت الفهم بالصدق أقبل عليك بالمعونة » . إذن حتى المتشابه من الآيات فإنه يمكن للعقل أن يجلو الشبهة منها ، إذا كان العقل حاضراً لفهم معاني القرآن ، منتبها لكل آية فيه . ويروي الحارث عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله : « لكل آية من كتاب الله ظهر وبطن وحد ومطلع » قال أبو عبد الله : أما ظاهرها فتلاوتها ، وأما باطنها فتأويلها ، وأما حدها فمنتهى فهمها . وعند هذه الخلة فرق الله بين الصادقين والكاذبين بمن تلاها أو من عرف تفسيرها ولم يبلغ منتهى فهمها » . فالعقل هو إذن بلوغ منتهى فهم القرآن .

ونحن نجد الحارث يورد تفسير قتادة لقوله تعالى : (نأت بخير منها أو مثلها) . يقول : فيها تخفيف وفيها رخصة وفيها أمر وفيها نهي . وإذا كان ذلك كذلك فإن التخفيف كان قد بُني على العقل ، والرخصة كانت قدبُنيت على العقل ، والأمر والنهي كلاهما قد بُني على العقل أيضاً .

فالعقل هو أساس التخفيف في نسخ قوله تعالى (يا أيها المزمل قم الليل إلا قلميلاً) ذلك أن النبي عليه وأصحابه أقاموا على ذلك حولاً كاملاً حتى تورمت أقدامهم ، فنسخها الله جل ثناؤه بقوله (فاقرأوا ما تيسر منه) .

والعقل هو أساس الرخصة في تبديل أحكام بعض الآيات تبعاً لتغيير الزمان وتغير المكان . وهاهو الحارث يقول «لقد اختلف صحابة محمد عليلية في آيتين هل نسخت إحداهما الأخرى وحكمهما جميعاً ثابتان ثم أجمعت العلماء بعد عصرهم من النابعين ومن بعدهم عن سنة النبي عليلية أن إحداهما نسخت الأخرى ، وأنها مبدلة لبعض حكمها » حتى يقول « والأمة

مجمعة اليوم (١) أن الآية في الحامل قد ثبت حكمها وأنها لا تربص آخر الأجلين ومنه أيضاً المملوكة يكون لها زوج يريد المولى أن يعزل عنها زوجها وينكحها فأجمعوا أن ذلك جائز في بعض المهاليك واختلفوا في بعضهم».

ويقول الحارث «ولقد كان بعض من مضى يرى أن آية الاستئذان منسوخة والعلماء اليوم مجمعة أنها ثابتة ، إلا أن بعضهم رأى أن دق الباب يجري من الاستئذان » .

ويقول: «إن الأمة قد تختلف في الآية أولها وآخرها وفي آيتين هل نسخت إحداهما الأخرى ثم يجمعون على واحد من القولين ..» كقوله (فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ...) فاختلف في ذلك العلماء فقال قوم من أهل العراق (٢) إن الآية محكمة لم ينسخها شيء ... وقال بعض العلماء نسختها الآية (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) . كما أشار الحارث إلى اختلاف الأمة في قوله تعالى (وفي أموالهم حق معلوم للسائسل والمحروم) هل نسختها آية الزكاة أم لم تنسخها ؟ يقول الحارث إن أكثر (٣) رجال الأمة قالوا إن الآية نسخت بآية الزكاة .

المهم من ذلك كله أن نستخلص مع الحارث أن اختلاف الأمة حول بعض الأحكام اختلافاً يتغير من إجماع لإجماع آخر . لا يمكن أن يكون ظاهرة مرضية أو ظاهرة خطيرة ، وإنما هو ظاهرة عقلية ومتحركة وفيها رخصة من الله للانسان يسمح له بالتحرك فيها بين طرفي الناسخ والمنسوخ تبعاً لتغير الزمان والمكان والأحوال ، وبهذا المعنى يصبح التحرك بين هذين الطرفين

⁽١) استمال كلمة «اليوم» يمكن أن تمني تغير الأحكام بتغير الأزمان .

⁽٢) استعمال « قوم من أهل المراق » يؤكد أن مبدأ النسخ هو اعتباري أو نسبي يمود الى المكان الذي تطبق فيه الأحكام ، والى طبيعة الأقوام الذين تطبق عليهم هذه الأحكام بالذات. (٣) استعمال كلمة «أكثر » تعني أن هناك من يرى أن آية الزكاة لم تنسخ قوله تعالى (وفي أموالهم حق معلوم حق للسائل والمحروم) .

ضرورة عقلية ، بالمستوى الذي هو فيه ضرورة قرآنية .

وكما أن العقل هو أساس التخفيف وأساس الرخصة في مبدأ الناسخ والمنسوخ فكذلك هو أساس للأمر والنهي فيه كما هو الحال في إبدال الأمر بالصلاة إلى بيت المقدس إلى أمر آخر بالصلاة إلى الكعبة « فأبدل أحدهما من الآخر في وقتين مختلفين » . وكما هو الحال كذلك في حكثير من الأوامر والنواهي التي فصت الآيات عليها .

إن فهم القرآن كما يبدو عند الحارث هو أولاً فهم ما يجوز النسخ فيهوما لا يجوز . وفي الوقوف عند ما لا يجوز النسخ فيه تحديد للعقل وضبطه ضمن ما ينبغي أن يحد فيه ويضبط ؟ إلا أن في التحرك العقلي بين الناسخ والمنسوخ إطلاقاً لحرية العقل ضمن حدين :

الأول: منهما هو الحد الناسخ.

والثاني منها: هو الحد المنسوخ . وبينها يكون التأويل، تأويلاً ينبغي أن يتناسب مع زمان معين ، كا ينبغي أن يتناسب مسع مكان معين ، بل وجماعة معينة ، وعندما يكون هذا الاختيار العقلي محدوداً بهذين الحدين ، وهما حكمان مختلفان في الوقت فلا مبرر للتخوف من أن يكون في ذلك خروج على أحكام الله ، طالما أن التحرك يكون ضمن هذه الأحكام بالذات ولعل في ذلك فتحاً لباب الاجتهاد على مدى الزمان أمام العقل وهذا ما يؤكده الحارث في تفسيره لقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) « يعسني يوم القيامة لا يعلمها إلا الله »(۱) .

⁽١) فهم القرآن (مخطوط)

العقل العملي

والعقل العملي لدى الحارث هو التطبيق الحياتي لما يعقل الإنسان عن ربه من معاني قرآ نية وأحاديث نبوية ، ولقد ذكرنا جانباً من هذا العقل العملي عندما تحدثنا عن المذهب الصوفي لدى الرجل ، غير أنه لا بد لنا هنا من التوقف قليلا عند بعض هذه المعاني وتلك الأحاديث للكشف عن بعدها الحقيقي في حياة العاقلين عن الله ، وأثر هذا البعد في ضبط السلوك وتقويم العلائق . إن العقل بهذا المعنى يصبح لدى الحارث من غير معنى إن هدو اقتصر على الجانب النظري ولم يتعده إلى المهارسة العملية لذلك نجد الحارث يقول في فهم القرآن .

«وما تدبرُ آیاته ، إلا اتباعُه بعقله، أما والله ماهذا بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : إني لأقرأ القرآن ، فها أُسقط منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله فها يُرى له القرآن في خلق ولا عمل » .

فالأخلاق العملية ، بما هي أخلاق كريمة توجب على الإنسان حسن المعاملة مع الآخرين . هي جزء لا يتجزأ من فهم القرآن كما يقول الحارث « ما يستدل به على كل خلق كريم » حيث « ندبنا الله فيه إلى الأخلاق الكريمة والمنازل الشريفة وأخذ علينا الميثاق المؤكد » . ويورد الحارث في كتابه « الفهم » بعض الأحاديث عن رسول الله في هذا المعنى كقوله : « إن كل مؤدب يجب أن يؤدي أدبه ، وإن أدب الله القرآن » . وقوله : « من أخذ القرآن وعمل به فقد أخذ النبوة كلها » .

وإذا كان العقل النظري لدى الحارث عقلًا إسلامياً وقرآنياً فإن العقرل

العملي هو عقل إسلامي وقرآني عنده أيضاً ، وبذلك يبقى الحارث أميناً على المبدأ في مجال التطبيق ، فها هو محدثنا عن أخلاق المريد بقوله « وأكرم أخلاق المريد إكرامه نفسه عن الشر ودناءة الأخلاق وعظيم الهمة بالظفر بما يرضي الله في حياتنا العملية بالظفر بما يرضي الله في حياتنا العملية إن لم نتحل بهذه الأخلاق القرآنية التي دعانا إليها كمثل الدعوة إلى هما الأخلاق وكظم الغيظ . وهنا نرى الحارث لا يكتفي بالإشارة إلى هما الأخلاق القرآنية إشارة عابرة بل نراه محاول تحليل هذه المعاني الأخلاقية القرآنية تحليلاً عقلياً ليجعل منها « أمراً معقولاً » يقبله العقال بالطبع والغريزة ، وذلك بما يخلع عليها في سياق التحليل من سمو نفسي وترفيع عن مواطن. الدناءة .

وها هو الحارث يؤكد أننا قادرون أن نتوصل إلى كظهم الغيظ الذي دعانا الله تعالى إلى التحلي به ، وذلك عندما تتكون لدينا قناعة عقلية بأن الحلم ليس ذلا ، وإنما على العكس من ذلك إكرام للنفس وزينة لها ، وعندما يتأكد للانسان ذلك يصبح قادراً على كظم الغيظ « بصب النفس وحبس الجوارح ، والصبر وحبس الجوارح يأتي عندما يعقل الإنسان أن الحلم زين ، والسفه ذل وشين ... (وإذا كان قد حل في قلبك ضد هذا) فلأنك _ كا يقول الحارث _ لم تعقل ظاهر قبح السفه فيك ، وحسن ستر الحلم عليك ، وجزيل مثوبة الله لك في آخرتك » (٢) .

والجميل في ذلك كله أن الحارث لا يكتفي بتبيان قيمة الحسلم وكظم الغيظ من الناحية الأخلاقية والروحية عن طريق تحبيبالحلم إلى نفسالإنسان وإنما نراه يتجاوز ذلك إلى بيان بشاعة المتطاول على الآخرين ، ليس ببيان بشاعته الأخلاقية الخفية فحسب ، وإنما بالإشارة إلى بشاعسة مظهره الدالة

١) الاصبهاني - الحلية ج١ / ١٠.

۲) المصدر نفسه – ج۱/ ۹۳.

و للله واضحة على ما وراء هذا المظهر من سفه ودناءة ، فيقول (١١) :

« أما قبيح السفه ، وزوال حسن رد الحلم فيا ترى من أحوال شاغيك ومؤذيك بالغيظ والغضب من لونه ، وفتح عينيه ، وحمرة وجهه ، وانقلاب عينيه ، وكراهية منظره، واستخفافه بنفسه ، وزوال السكينة والوقار عن بدنه ، فأنت تبيّن ذلك منه ، ويراه كل عاقل من فاعله. فإذا بنيت بذلك فاذكر ميا أعد الله سبحانه وتعالى للكاظمين الغيظ من إيجاب محبته » .

وللحارث أقوال في الدعوة إلى التحلي بأخلاق القرآن فهو يقول «حسن الخلق احتمال الأذى ، وقلة الغضب ، وبسط الوجه ، وطيب الكلام » . ويقول « الظالم نادم وإن مدحه الناس . والمظلوم سالم وإن ذمه الناس ، والقانع غني وإن جاع ، والحريص فقير وإن ملك »(٢) . وقوله : « فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء » (٣) .

وإذا كانت الأخلاق عند الحارث مبنية على حسن معاملة الآخرين فذلك الله تعالى قال « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم »(٤).

وهنا تأتي المحاسبة لتكون لدى الحارث ركن الأخلاق الأول. يقول الحارث «قال الله وهو أحسن القائلين في وصف أوليائه الخائفين: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ... إلى قوله وهم لها سابقون ... فوصفهم بسبع مقامات جامعات بالغات تنتظم بمقامات أهل المحاسبة ، وتستحوذ على معاني أحوال أهل المراقبة افتتحها بالخشية والإشفاق ، وختمها بالوجل والإنفاق وجعل موجبها اليقين »(٥).

⁽١) الحلية ج٠١/١٠ .

⁽٢) السلمي : طبقات الصوفية ٥٦ ـ ٦٠ .

⁽٣) القشيري: الرسالة ٥ ٩ ٤ .

⁽٤) سورة الزلزلة : ٦ .

⁽ه) المكي ـ ابو طالب ـ قوت القلوب ٧٨ .

وإذا كانت المحاسبة عماد الأخلاق فإن المراقبة تعتبر من مستلزمات. المحاسبة . وللمراقبة عند الحارث وجوه كثيرة فقد سئل الحارث عن المراقبة لله وعن المراقب ربه فقال : «إن المراقبة تكون على ثلاث خلال .وعلى قدر عقل العاقلين ومعرفتهم بربهم ، يفترقون في ذلك :

فإحدى الثلاث الخوف من الله ، والحلة الثانية الحياء من الله . والحلة الثالثة الحب لله .

فأما الخائف فمراقب بشدة حذر من الله تعالى ، وغلبة فزع ، وأما اللستحيي من الله فمراقب بشدة انكسار ، وغلبة إخبات ، وأما المحب فمراقب بشدة سرور ، وغلبة نشاط ، وسخاء نفس مع إشفاق لا يفارقه ، ولن تكاد أن تخلو قلوب المراقبين من ذكر اطلاع الرقيب بشدة حدد من قلوبهم أن يراهم غافلين عن مراقبته »(١).

ونحن إذا أضفنا إلى ذلك بعض أقوال الحارث كقوله « العلميورث المحافة ، والزهد يورث الراحة ، والمعرفة تورث الإنابة... وأصل الطاعة الورع ، وأصل الورع التقوى ، وأصل التقوى محاسبة النفس ، وأصل محاسبتها الحوف والرجاء ، وأصلها معرفة الوعد والوعيد » (٣) .

وسئل الحارث بم تحاسب النفس ؟ فقال : بقيام العقل على دراية جنايسة النفس ، فيفقد زيادتها من نقصانها ، فقيل له : وبم تتولد المحاسبة ؟ قال : من مخاوف النقص وشين البخس والرغبة في زيادة الأرباح. والمحاسبة تورث الزيادة في البصيرة ، والكيس في الفطنة ، والسرعة إلى إثبات الحجة ، واتساع المعرفة ، وكل ذلك على قدر لزوم القلب للتفتيش » (٣) . أقول إننا إذا أضفنا مثل

⁽١) الأصبهاني : حلية الأولياء ج٠١/٦٠ .

⁽٢) المناوي : الكواكب الدرية ٢١٩ .

⁽٣) الأصبهاذي : حلية الأولياء حـ٠١/٨٨ .

هذه الأقوال إلى ما سبق فإن ظاهرة توليد المعاني الخلقية بعضها من البعض الآخر على النحو الذي أشار إليه « ماسينيون » تبدو لنا في هذا المجال الخلقى عند الحارث واضحة جلية .

فمحاسبة النفس إذن ، التي هي أساس الأخلاق ، إنما تعود إلى الخوف والرجاء وأصلهما معرفة الوعد والوعيد ، غير أن معرفة الوعد والوعيد تقتضي « فهم القرآن » من هذه الناحية بالذات ، لذلك نرى الحارث يقول في كتابه وهو يتحدث عن الخوف كيف يكون فيةول : « وفهموا منه شدة إجهادهم يوم القيامة ففزعوا وذكروا به السؤال عندالله ... فتابوا ... وأخلصوا له النيات ... فاستعدوا بالقرآن للعرض والسؤال ... وإن وجل الذين أوتوا العلم من قبلنا ومخافتهم كانت عند فهم آياته في كتابه، وتدبر قوله » .

وإذا كانت معرفة آيات الله وما وعد وتوعد تورث الخوف ، والخوف ، والخوف ، والخوف يورث المحاسبة ، والمحاسبة تؤدي إلى المراقبة ، ومن المراقبة تتولد المعاني الأخلاقية التي أشرنا إليها كالمحبة والصدق والإخلاص . نقول إنه إذا كان الأمر كذلك فإننا نستطيع أن نستخلص من ذلك كله مذهبا للحارث يمكن أن نطلق عليه « مذهب العقل العملي » لدى الحارث ويتلخص ذلك بدعوة المحاسبي إلى إيجاد قاعدة حياتية علينا أن نلتزم بها في كل تصرف نقوم به .

هذه القاعدة التي يدعونا الحارث إلى الالتزام بهـا هي ضرورة الخضوع اللواجب ، والواجب هنا ليس واجباً عقلياً مجرداً ، إنما هو ، مرة أخرى ، واجب إسلامي وقرآني ، لأنه واجب الطاعة لله ، وذلك لا يكون إلا برعاية حقوق الله في تصرفاتنا وسلوكنا ، هذه الحقوق كما جاءت في كتاب الله من خلال ما أمر به ونهى عنه ، وكما جاءت أيضاً في سنة نبيه .

وهذه القاعدة كما يقول « ماسينيون » سوف تؤدي إلى نتيجتين : اولاهما : التمييز بين العقل من ناحية وبين المعرفة من ناحيــة اخرى . فالمعرفة من خلال هذا التمييز هي أمر نظري مجرد ولا علاقة لها بالعمل ، وكل ما ليس له علاقة بالعمل هو أمر غير معقول . أما العقل من خلال هذا التمييز المحاسبي فهو معرفة إيضاً ، والمعقول وحده هو ما كان معقولاً من الناحية العملية والتطبيقية .

وثانيتهما: التفرقة بين الإيمان من ناحية وبين المعرفة من ناحية اخدى ، ذلك أن المعرفة بالله وأحكام الله والعمل بمقتضى هذه الأحكام ليس من الصروري أن يكون مقبولاً عند الله ، ذلك أن الإيمان وحده وما يصدر عنه من أفعال هو وحده الذي يمكن أن يكون مقبولاً من الله ، وهنا تكون التفرقة على أساس مفاضلة الإيمان على المعرفة ، قد قامت لقيام الإيمان على الورع وهو على ، وقيام المعرفة على التأمل وهو نظري .

إن الإنسان إذا كان هذا شأنه في العقل ، وفي فهم القرآن فإنه لا محالة واصل إلى السعادة التي يرجو وإلى مشاهدة ربه الذي يتطلع شوقاً إلى لقائه. بذلك يقول الحارث في كتابه « الفهم » « فإذا أحضرت عقلك بجميع همك، بنية صادقة مع أمل ورجاء ، وأن تنال ما قال ، وتسارع إلى محابسه وتتجنب مساخطه ... أقبل عليك بلطفه ، وولي تقويم عقلك لفهم كلامه وما فيه من علم الغيوب ... فها زال (ذلك) دأب العاقلين عند ربهم عز وجل لأنه ربيع قلوب المؤمنين ، وراحة الراجين ، ومستراح المحزونين عز وجل لأنه ربيع قلوب المؤمنين ، وراحة الراجين ، ومستراح المحزونين ... وكذلك إذا أقبل على الله تعالى وذكره بطلب الفهم ، أسرع (الله) إليه بالإفهام له ... وفهم كتاب الله يورثه النفس الثابت في القلب ، فإذا ثبت فكأنه يعاين ربه جل وعز ، ووعده ووعيده » .

أثر مذهبه العقلي في الفكر الاسلامي :

ربما كان مذهب الحارث العقلي هذا أعظم اتجاهـاته أثراً في الفكر الإسلامي لطرافة موضوعه ، وقوة حجته ، ونزعته الكلامية التي تبناهـا

أهل السنة اتباع المدرسة الأشعرية في يا بعد ، عندما احتاجوا إلى كتب للأسلاف فيها . وفيا يلي محاولة لبيان مدى هذا الأثر :

١ – ألف الكندي رسالة في العقل (– ٢٥٢ ه) (١٠) . لخص فيها أقوال قدامي الفلاسفة وتصرف فيها بعض الشيء ، ومع أنه لا اتفاق بين مضموني الرسالتين المحاسبية والكندية ، فربحا كان من المفيد التحقيق فيمن يكون السابق إلى تأليف رسالته أولاً . وربما كان الكندي سابقاً في ذلك ، لأنها من أول ما ألف من رسائل على ما يظهر من طريقته في العرض ، وإن كنا لا نستطيع أن نجزم بذلك . وقد أوضحنا سابقاً النقطة التي التقى فيها الكندي بالحارث .

وفي رسائل الكندي رسالة موجهة إلى علي بن الجهم في الإجابة عن سؤال له في (وحدانية الله وتناهي جرم العالم) (٢) ومعروف عن ابن الجهم أنه كان يظهر التسنن ، وقاسى طويلا من مكائد المعتزلة في بلاط المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ) فربما كان سؤاله الكندي الذي كان يحضر بجالس كبار رجال الدولة والخلفاء ، من قبيل محاولة التحقق من صحة التهمة القائلة بأن الفلاسفة زنادقة لأنهم يقولون بقدم العالم وغير ذلك من الأقاويل الغريبة عن الإسلام . وربما كان بينها ما يشبه المناظرة ، فألف الكندي نتيجة لها رسالة في توضيح بعض الأمور التي كانت غامضة في نظر ابن الجهم . ويدل هذا على وجود صلات بين السنيين والكندي ، وإن كنا لا نستطيع أن نثبت وجود صلة بين الحاسبي والكندي ، فربما ألف المحاسبي رسالته في العقل كرد على رسالة الكندي ، باعتبارها نهجا إسلامياً للبحث العقلي ، مقابل النهج الفلسفي اليوناني الذي تبناه الكندي وألف فيه .

٣ - سرى السقطي (-٢٥١ه) وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته ٤
 كان زميلاً للمحاسبي ٤ سئل عن العقل فقال : ما قامت به الحجة على مأمور

⁽١) رسائل الكندي ٣١٢ (٢) رسائل الكندي ٢٠١.

ومنهي . لقد أخذ من العقل المحاسبي جانباً من جوانبه ، ذلك الذي يعقل الخبر القاهر (١) .

٣ - أحمد بن عاصم الانطاكي : قال الأستاذ لويس ماسينيون : ان الانطاكي سبق المحاسبي ورأى أن المحاسبي تأثر بالانطاكي للأسباب الآتية :
 * كلاهما كتب في علم القاوب والمعاملات .

* كلاهما يقابل العقل بالهوى .

* كلاهما يرى الإسلام غريباً في زمانه .

لكن البحث النقدي يدل على أن الانطاكي كان مدة من الزمن مريداً للمحاسبي فنقل عنه كتاب الخداوة ، وكتاب دواء داء القلوب . فلم يكن الانطاكي على ما نعتقد هو المهد لنظرية العقل وإن عبر عن أفكار مشابهة كقوله : « أنفع العقل ما عرفك نعم الله عليك ، وأعانك على شكرها ، وقام بخلاف الهوى . والعاقل من عقل عن الله عز وجلمواعظه، وعرف ما يفيده وما يضره » وهي فكرة محاسبية تماماً ، مصع ملاحظة الخصيصة الاسلوبية المحاسبية في عبارته : « عقل عن الله عز وجل مواعظه ».

٤ - أبو حفص الحداد (- ٢٧٠ ه) وكان شيخ الملامتية بنيسابور . سئل عن العاقل ما هو ؟ فقال: « المطالب نفسه بالإخلاص . والمطالب نفسه هو المحاسب لها ، والمراقب لأعمالها بالعقل العاقل عن الله » وعنهذه المراقبة تحدث الحارث طويلا . وقد بينا سابقاً قرابة التفكير بين المحاسبي والملامتية (٢) .

ابن أبي الدنيا (– ٢٨١ ه) : الواعظ المعروف ألف كتـاب
 « العقل وفضله » جمع فيه أقوالاً للصحابة والتابعين في العقـــل . بينه وبين

⁽١) الطبقات الكبرى ١٣٥.

⁽٢) الطبقات الكبرى ١١٥.

الحارث قرابتان : زمنية إذ أنه يكاد يكون معاصراً له . وفكرية ، إذ أنه كان زاهداً وواعظاً معروفاً ، ويشكل كتابه محاولة منهجية لجمـــع التراث المتناثر في العقل ليكون سداً في وجه نظريات المعتزلة وفلاسفة الإسلام .

٣ - ابن مسروق (- ٢٩٨ ه) : تلميــ فراه يقول : «من لم كتارز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله » (١) . والاحتراز هو المراقبة . وقــ تحدث المحاسبي في كتابه عن اولئك الذين يفهمون ولا يعملون فيضلون كبراً وعناداً واتباعاً للهوى . وفي عبارة بن مسروق نزعة محاسبية شديدة الوضوح .

٧ - يوسف بن الحسين الرازي (- ٣٠٤ ه) قال بأن « اصل العقـل الصمت ، وباطن العقل ، كتان السر ، وظاهر العقل الاقتداء بالسنة » (٢) . وملحوظ ما بين رأيه ورأي المحاسبي من فرق ، فأصل العقل عنده الصمت والدليل الأول على العقل عند المحاسبي النطق ، وربما كان مذاق الرازي في هذه العبارة مذاقاً صوفياً.

أما أن ظاهر العقل الاقتداء بالسنة فهو ما يقول به المحاسبي . إلا أنه لا يقول بباطن ُ يحفظ سراً ، ليتبع غيره في الظاهر . وهذه نزعة فلسفية باطنية تتصل بمفهوم الشريعة والحقيقة عند الصوفية ذلك الوقت . هذه النزعة بريء منها المحاسبي الذي زان ظاهره وباطنه بميزان الشرع .

۸ - قدامة بن جعفر (- ٣٣٧ ه) قال : « العقل قسان : موهوب
 دمكسوب ، فالموهوب خلقه الله .

والمكسوب ما يستفاد من التجربة والعبر والأدب والنظر .

العقل هو الغريزة مع الخبرة والتجربة . أما الذين يقتصرون على العقــل لغريزي دونما شحد له بالأدب والتفكير والتمييز فهم كالأنعام . إلا أن

⁽١) طبقات الصوفية ١٥، والرسالة ج١٣١/١.

⁽٢) طبقات الصوفية ١٨٩.

الموهوب أصل ، والمكسوب فرع ، والأشياء بأصولها ، فإذا صح الأصل صح الفرع ، وإذا فسد فسد.

وقد شبه بعض القدماء العقل الغريزي بالبدن وشبه المكتسب بالغذاء . ومع أنه مشهور أن قدامة متأثر إلى حد كبير بالفكر اليوناني . فظاهرة التشابه بين حديثه عن العقل وحديث الحساسبي عنه تسترعي النظر(۱) . فالحارث هو القائل أن العقل نور الغريزة مع المجارب يزيد ويقوى العسلم والحلم . وهو يشبه المقتصرين على العقل الغريزي بالأنعام ، مستشهداً سنى ذلك بالآية الكرية : « إن هم إلا كالأنعام ...» .

١٠ – الجويني: (١٠٠ هـ): نقل السبكي رأي إمام الحرمين في كتاب المحاسبي هذا فقال: « قال إمام الحرمين في البرهان عند الكلام في تعريف المعقل: (وما حوم عليه أحد من علمائنا غير الحارث ، فإنه قال: العقل غريزة يتأتى بها درك العلوم وليست منها. وقد ارتضى الإمام كلام الحارث هذا كا ترى ، وقال عقيبه: انه صفة إذا ثبتت ، بها التوصل إلى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات التي هي مستند النظريات وهي منه بناء على أن العقل ليس بعلم ، والمعزو إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه العلم . وقال القاضي أبو بكر _ الباقلاني _ أنه بعض العلوم الضرورية) والإمام كلا نرضاها ونتهم فيها النقلة عنه ، ثم قال : ولو صح النقل عنه فمعناه أن العقل ليس بمعرفة الله تعالى ، وهو إذا أطلق المعرفة أراد بها معرفة الله العقل ليس بمعرفة الله معرفة الله العقل ليس معرفة أراد بها معرفة الله العقل ليس معرفة الله العقل ليس عمرفة الله العقل ليس عمرفة الله العرفة أراد بها معرفة الله العقل ليس عمرفة الله العالى العرفة أراد بها معرفة المعرفة الله العقل ليس عمرفة الله العقل ليس عمرفة المعرفة أراد بها معرفة الله العقل ليس عمرفة الله العقل العرفة أراد بها معرفة المعرفة المعرفة المعرفة المعرفة المعرفة الله العقل المعرفة المعرفة المعرفة الله العقل العرفة أراد بها معرفة المعرفة المعرفة الله العرفة أراد بها معرفة الله العقل المعرفة الله العلي العرفة أراد بها معرفة الشهرة الله العرفة أراد بها معرفة الله العقل المعرفة الله العرفة أراد بها معرفة الله العرفة الله العرفة أراد المعرفة الله العرفة أراد المعرفة الله العرفة أراد المعرفة الله العرفة الله العرفة أراد المعرفة الله العرفة أراد العرفة أراد المعرفة الله المحرفة الله العرفة أراد المعرفة الله العرفة أراد المعرفة الله العرفة أراد المعرفة الله العرفة أراد المعرفة الله المعرفة الله المعرفة الله المعرفة الله المعرفة المع

⁽١) نقد النثر ع - ه .

⁽٢) طبقات الشافعية الكبرى ج١/٨٣٠.

فكأنه قال: ليس العقل بنفسه بمعرفة الله تعالى ولكنه غريزة ، وعنسى الغريزة أنه عالم لأمر جبل الله عليه العاقل ويُتوصل به إلى معرفة الله) . انتهى كلامه في الشامل . والمنقول عن الحارث ثابت عنه . وقد نص عليه في كتاب الرعاية وكان إمام الحرمين قد نظر كلام الحارث بعد ذلك ثم لاحت له صحته بعدما كان لايرضاه .

واعلم ــوالكلام للسبكي ــ أنه ليس في ارتضاء مذهب الحارث واعتقاده. ما يُنتقد ، ولا يلزمه قول بالطبائع ولا شيء من مقــالات الفلاسفة كا ظنه بعض شراح كتــاب البرهان . وقد قررنا ذلك في غير هذا الموضع ، وقول إمام الحرمين أنه أراد معرفة الله ممنوع ، فقد قدمنا عن الحارث بالاسنــاد. قوله : « انه نور الغريزة يقوى ويزيد بالتقوى . نعم الحارث لا يريد بكونه نوراً ما تدّعيه عليه الفلاسفة » (١) .

11 - أبو حامد الغزاالي (- ٥٠٥ م): وهـو شديد التأثر بكتاب الحارث في العقل. وقد ذكر من الأحاديث الغريبة قدراً كبيراً زاد فيه على ما ذكره الحارث ... مثل حديث « لكل شيء عدة ... » و « لكل شي دعامـة » .. و « أتمكم عقلاً أشدكم لله تعالى خوفاً » ، و « نور السموات. و الأرض العقل » .

فشرف العقل مدرك بالضرورة .

ثم قال : « ان العقل يطلق على أربعة معان :

« فالأول: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهــو الذي. استعد به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الحفية الفكرية وهــو الذي أراده الحرثبن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل: انه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف في القلب به ، ولم ينصف من

⁽١) طبقات الشافعية الكبرى ج١٠/٠٠ .

أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم . الخ ...

الثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الإثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد. وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض العلوم الضرورية كالعمم جواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، وهو أيضاً صحيح في نفسه لأن همذه العلوم موجودة وتسميتها عقلاً ظاهر وإنما الفاسد أن تذكر تلك الغريزة ويقال: لا موجود إلا تلك العلوم.

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً .

الرابع: أن تنتهي قوة هذه الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً من حيث إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لابحكم الشهوة العاجلة ، وهذه أيضاً من خواص الإنسان التي مر بها يتميز عن سائر الحدوان .

فالأول هو الأس والسنخ والمنبع ، والثاني هو الفرع والأقرب إليه ، والثالث فرع الأول والثاني ، إذ بقوة الغريزة والعاوم الضرورية تستفاد عاوم التجارب. والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى ، فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب .

والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والإسم مطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود » (١) .

وهكذا نرى مدى تأثر الغزالي بوضوح وصراحة بمذهب الحسارث في العقل ، ونرى الغزالي ينقل في كثير من المواطن السبي مرت رأي المحاسبي بجذافيره مع عدم تغييره حتى في الألفاظ فهو يذكر الأحاديث التي ذكرها الحارث ويزيد عليها ، وهو يقول عن العقل انه نور الغزيرة كاقال الحارث في الحارث وينيد عليها ، وهو يقول عن (الوصايا) عن «شرف العقل » (٢) . وينقل عن كتاب للحارث لا نعرف كلامسا ورد مثله في كتاب العقل في المعنى انفسه . ويقسم العقل إلى أربعة أقسام يتولد بعضها عن بعض حتى يبلغ المرء (مرحله العقل الكامل عن الله) وهي التي سميناها مرحسة (الاستبصار). وكل ذلك للحارث . وليس للغزالي إلا البسط وزيادة الدقة في التقسيم . وقد ذكر هو نفسه أن الرأي للحارث .

ومما له دلالته أنه قال في منقذه (وقرأت كتب الحارث المحاسبي) ، مما يدل على أنه قرأ أكثر من كتابين للحارث وربما وصلته كتبه كلما لأنه ينقل فيما نعلم عن الحارث في « الرعاية » و « المكاسب » و « المسائل » و « الوصايا» و « مائية العقل » وعن كتاب آخر للحارث يتحدث فيه عن الموضوع نفسه ولم يصلنا .

17 - أما ابن الجوزي: (ـ ٥٩٧ ه) فينقل ما قاله الفزالي كله دون أن يزيد عليه شيئًا تقريبًا (٣) . ثم يلمس موضعًا هامًا من نظرية المحاسبي لم يعرض له الغزالي ، حين يقول : « يعرف العاقل بسكوته وسكونه ومراقبته للعواقب ، وليس العقل محسوسًا وإنما يدل عليه ظاهر قول العاقل وعمله » ..

ويقول : « إنما تتبين فضيلة الشيء في غرته وفائدته ، وقد عرفت غرة

⁽١) الغزالي : احياء علوم الدين ج١/١٧ – ٧٧.

⁽٢) الوصايا ٨٦.

⁽٣) الأذكياء - ١ - ١٥ ، وذم الهوى ٥ - ٨ .

العقل وفائدته ، فإنه هـ و الذي دل على الإله ، وأمر بطاعته وامتثال أو امره ».

۱۳ - أما النسفي (- ۵۷۳ ه) فبعد أن يذكر أن العقل هـو أداة المعرفة الحقة بعد أن تتدرج من خبر صادق إلى الحواس، فالعقل يقول : «إنه أشرف أدوات المعرفة » ثم يذكر نظرية السبب عند الأشاعرة وينتقل إلى القول :

« هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات ، وهو المعسني بقولهم: غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات » ثم يقسم العقل كما فعل من تأثروا بالمحاسبي جميعاً إلى غزيري واستدلالي (١١).

ومع أن الفترة التي ألف فيها النسفي كتابه في العقائد هي فترة امتزاج علم الكلام بالفلسفة ، فإن النسفي ينقل لا شك عن الغزالي وغيره ممن تأثروا بالحارث .

14 - وعضد الدين الايجبي (-٧٥٦ ه) يقول في المواقف : «كرم الله بني آدم بالعقل (الغريزي) أي بالقوة المستعدة لإدراك المعقولات الستي جعلت عليها فطرتهم ، ويسميه عقلاً هيولانياً ، والعلم الضروري الحاصل لهم بسلا اكتساب والمسمى عقلاً بالملكة ، وجعل الإنسان أهسلاً للاستدلال والارتقاء في مدارج الكال من الضروريات إلى النظريات، وإذا تكرر ذلك، أصبح الإنسان قادراً على التفكير بلا تجشم عقل بالفعل (٢٠).

ومع أن الايجي يرتب على مقدمته نتيجة لم يقصد إليها المحاسبي ولم يقل بها لأنها تخرج عن القرآن الذي لم يتحدث عن العقل المجرد . مع ذلك ، فقد كان أثر المحاسبي فيه واضحاً .

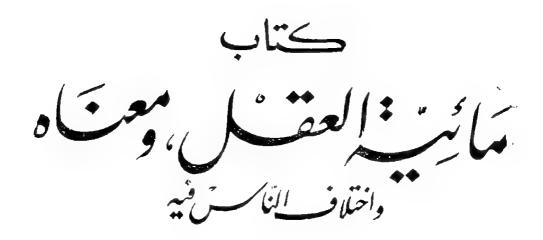
ولا يجوز أن نتجاهل في هذا الجال الأثر الفلسفي الذي نوهنا عنه سابقاً

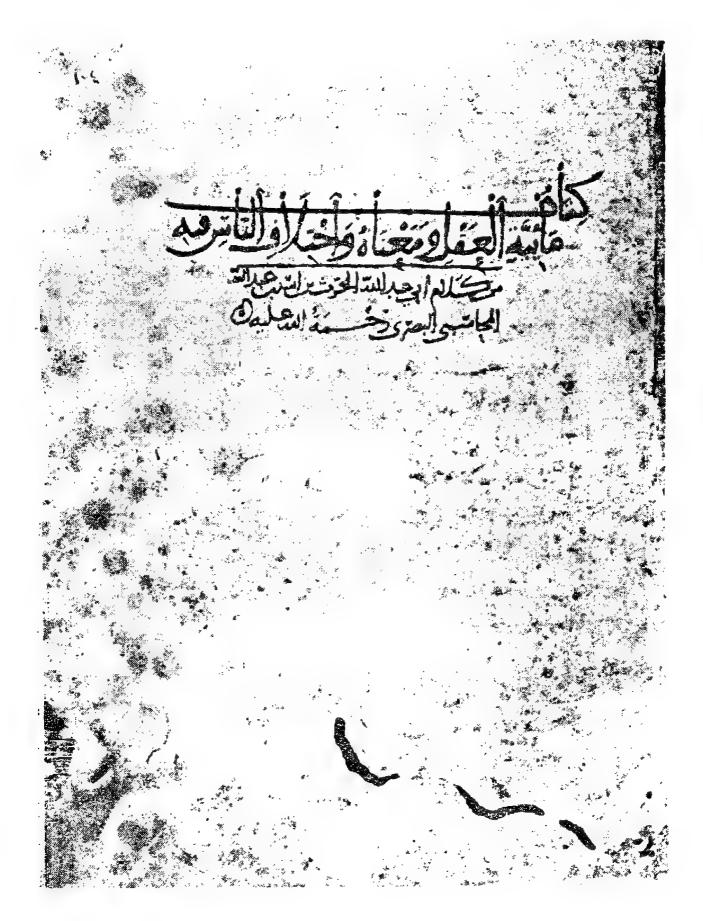
⁽١) العقائد النسفية ٦٦ - ٦١ . (٢) المواقف العضدية ٥٠ .

في معرض الحديث عن رأي النسفي ، ذلك الأثر الذي امتزج بعلم الكلام في مؤلفات المتأخرين ، كالنسفي والرازي والايجي والبيضاوي ، فخلطوا آراء الحارث بآراء الفلاسفة وإن بقيت حارثيتها واضحة .

ثم قسم العقل المستفاد إلى ضروب ، تشي بتأثره بالغزالي في تقسيمه . وكلمة (مستفاد) أثر من آثار الفلسفة اليونانية في أوساط مدرسة الكندي والفارابي وابن سينا ، تلك التي قويت ، واشتد عودها ، منذ القرن الرابع الهجري . بيد أنه يبقى بعد ذلك كله ، أن أصل التقسيم ، إلى غريزي ، ومكتسب ، هو تقسيم محاسبي ، تلقاء أهل السنة بالقبول ، وذكروه في تعميم على أنه الرأي المرضي ، مع فلسفته ، بإلباسه حلة مشائية مستوردة ، مخروجة بمادية رواقية ، وغنوصية أفلوطينية في نفس الوقت !!

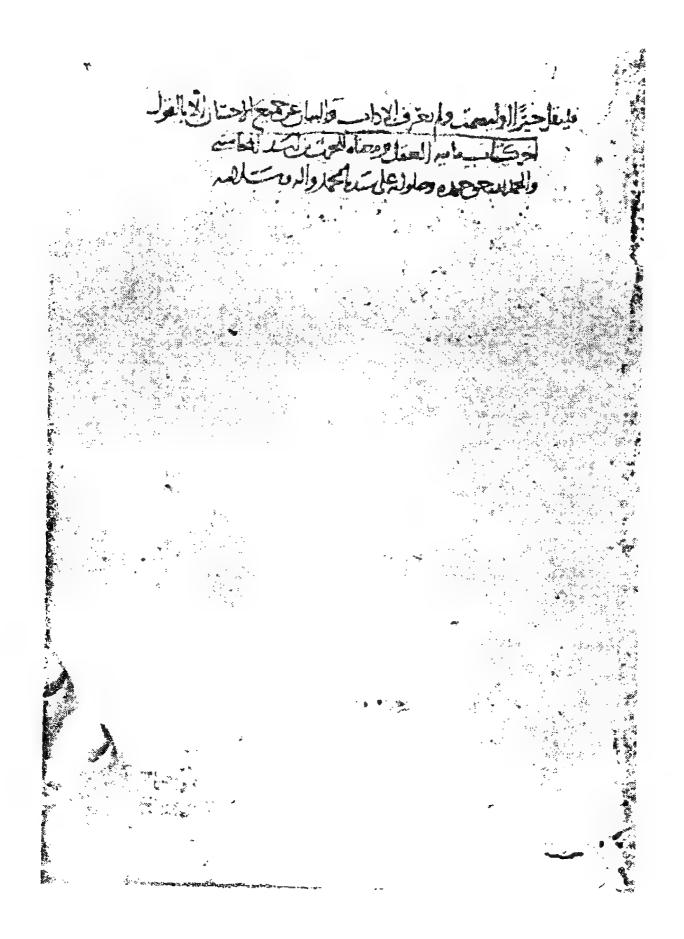
بعد هذا التتبع لفكر الحارث في التصوف وعلم الكلام والفلسفة العقلية في كتب المفكرين المسلمين ، وبيان ما في فكره هذا من طرافة وأصالة وعمق . بعد هذا كله نستطيع أن نقول إن الحارث كان من أعظم مفكري الإسلام في مختلف العصور، وهو أعظمهم في القرن الثالث الهجري على الخصوص ويتبغي أن يعتبر مجدد هذا القرن ، وليس ذلك كثيراً على صاحب (الوصايا) و (التوهم) ، و (بدء من أناب إلى الله) و (العقل)، و (فهم القرآن) و (المكاسب) ، و (الرعاية) .





غلاف المخطوطة

مؤداد احعالك العد والمغن أم الكادرا وراجع الفالمنع السنه وشار بعالي اجتزه الومع الالالعدالة والتعاراتها للحورتها للخرادكاناعد فعلالتك التعويدون المتصادك الموسميع الطالة عفادل مات المعزون وغريرة وضعا السحندد استرخلف ليطاه علما العالع مربع وكالطلع اعليها مرانعيت وتوية ولانعيرولا ذوروا المعي والاعريم النوال العملين فالله العماع فوه وسها ولعلم العمالان عرفوا معزالف وعرفه أنفع ومعرف ماين ويعرف المناهم وعرف فالفعد المتره المزنناء حرد الله تعلمان حكيب العقالله تلا لعالله والعاللية عتره الغية الدولم عفولهم وكذلك مع في لعصه موبع عظامي بغواج ونستدل يمعافا لفحفالذا زادام اصالهما مراء مادعوب المناف من المان والمناف المان المان المنافعة من المان يعتومونها والمستر لمركات فللتعاملا وستعاول لفعملا والمعمور



الورقة الاخيرة من المخطوطة

قال أبو عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصوي رَحتَمَة الله عَلَيّه

باب مائية العقل وحقيقة معناه

سألْتَ (١) عن العقل ما هو ؟

واني أرجع اليك في اللغة ، والمعقول من الكتاب والسنة ، وتراجع العلماء (فيما) بينهم بالتسمية ، ثلاثة (معاني) : (٢)

أحدها : هو معناه ، لا معنى له غيره في الحقيقة .

والآخران اسمان جَوَّزَتْهُما العربُ إِذ كَانَا عَنْهُ فَعْلَا لَا لَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَالِي فِي كَتَابِهُ وَسَمَّتُهَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَالَى فِي كَتَابِهُ وَسَمَّتُهَا اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

فأمَّا ما هو في المعنى في الحقيقة لاغيره: فهو غريزةٌ وضَعَهَـا

⁽١) أشرنا الى أن الجنيد روى عن الحارث أنه كان يطلب منه الحزوج معه الى الصحراء حتى اذا ما وصلا الى مكان فاء ، طلب الحارت من الجنيد أن يسأله ، فيسأله الجنيد والحارث يحيب فيصنع الحارث من ذلك كتباً . وهذا جانب من جوانب اسلوب الحارث في بعض كتبه . (٢) حاولنا من جهتنا ترتيب المقاطع بشكل يسهل ادراك المعنى .

الله سبحانَهُ في أكثر خَلْقِهِ لم يَطَّلِع عليها العبادُ بعضُهم من بعض، ولا اطّلعوا عليها من أنفسهم بروئية ، ولا بحس ، ولا ذوق ، ولا طَعْم . وإنما عرّفهم الله (اياها) بالعقل منه .

فبذلك العقل عرفوهُ ، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم بمعرفة ما ينفعُهُمْ ومعرفةِ ما يَضُرُّهُمْ .

فَمَنْ عرف ما ينفعه مما يضره في أمر دنياه ، عرف أن الله تعالى قد منَّ عليه بالعقل الذي سلبَ أهل الجنون وأهل التيه ، وسلب أكثرَهُ الحمقى ، الذين قَلَّتْ عَقُولُهُمْ .

وكذلك معرفةُ بعضِهم من بعض بظاهِرٍ فِعْلِ الجوارح .

فيُستدل أنه عاقل له عقل اذا رأو ا من أفعاله ما يَدُ لُهُم أنه قد عَرَف ما ينفعه من دنياه ما ينفعه من دنياه من دنياه وما يَضُرُّه به اذا رَأَوه طالباً عاملاً ما ينفعه من دنياه مجانباً لما يَضُرُّه من دنياه . فسمو ا من كان كذلك عاقلاً وشهدو ا أنَّ له عقلاً وأنه لا مجنون ، ولا تا يه ولا أحمق .

فَإِنْ رَأُوهُ بَخِلافِ ذَلَكَ شَهِدُوا أَنه مِجْنُونٌ قد (تغشّا) عَقْلَهُ مَن الآفةِ مَا أَذْهَلَهُ ، وأزالَ معرفتَهُ بمنافعه و مَضَارِّهِ .

فإِن رَأُوهُ يتبعُ منافِعَهُ ، ويُجانبُ مضارَّهُ ، وفي كثيرِ من أفعالـــه

يعملُ بِخِلافِ ذلك سَمَّوَهُ على قَدْرِ ٱلْكَمَّثُرَة بِخِلافِ ما (١٠٥)'' يفعلُ ٱلْعَاقِلونَ أَو لقلته أحمقَ أو مائقاً'''.

فإنْ كَانَ له وقتْ تَزُولُ أفعال الْعقل عنه بِعَمَّقٍ ، أو تقلُّب للأُمور في القول والفعل سَمَّوهُ بجنوناً في ذلك الوقت ، عند في إذا أفاق ، وتجلى ذلك عنه، وعاد لهيئته الأولى ، من أن تَظْهَرَ منه أفعالُ الْعقل واللبِّ بأسباب ذلك .

إِذَا سَئُلُ أَجَابِ بِمَا يُعَقَلَ . ويطلب منافعَهُ ويجتنبُ مَضَارَّهُ .

وربما تعرض لما يضره في العواقب، وذلك نافع لا في العاجل، ضار له في الآخرة، فَيُسَمَّى عاقلاً • يعنون أن له الغريزة التي هي ضد الحمق و الجنون، و أنه قد نقص عقله للعاقبة بقدر ما تعرض لما ينفعه في العاجل بما يضره في العاقبة.

فالعقل غريزة جعلها الله عز وجل في الممتَحنين من عباده ، أقام به على البالغين للحلم الحُجَّة . وأتاهم خاطب من قبل عقو لهم ، ووعد و تو عد، وأمر ونهى وحض وندب .

⁽١) هذه الأرقام وما يتبعها هي أرقام صفحات الخطوط كما رقمها « المصور » .

⁽٢) المائق: الهالك حمقاً وغباوة: لسان العرب: ٢٢٧ / ٢٢٧

فهو غريزة لا يُعْرَفُ إِلَّا بفعاله في القلب والجوارح. لا يَقْدِرُ أَحَدُ أَن يَصفَهُ في نفسه و لا في غيره بغير أفعاله .

لا يقدر أن يصفه بجسمية ، ولا بطول ، ولا بعرض ، ولا طعم ، ولا شم ، ولا مجسة ، ولا لون ، ولا يُعْرَفُ إِلَّا بأفعاله.

وقال قوم من المتكلمين : هو صفوة الروح ، أي خــالص الروح .

واحتجوا باللغة فقالوا: لُبُّ كل شيء خالصُه. فمن أجل ذلك سُمِّيَ العقل لُبَّا . وقال الله عـز وجــل « إِنمــا يتذكر اولوا الأَلباب » (١) يعني اولي العقول .

ولا نقول ذلك إذا لم نجـد فيه كتاباً مسطوراً ، ولا حديثــاً مأثوراً .

وقال قوم : هو نور وضعه الله طَبعاً وغريزةً ، يُبْصَرُ به ، و يُعبَّرُ به .

نورْ في القلب كالذور في العين ، و هو البصر .

فَالْعَقَلُ نُورٌ فِي القَلْبِ ، والبصر نُورُ فِي الْعَيْنِ .

⁽١) سورة الزمر : آية ٩ .

فالعقل غريزة يولد العبد بها ثم يزيد فيه معنى بعد معنى بالمعرفة بالأسباب الدَّالَّةِ على المعقول .

وقد زعم قوم أن العقل معرفة نظمها الله و وضعها في عبداده يزيد ويَتَسِع بالعلم المكتَسَبِ (١٠٦) الدَّالِّ على المنافع و المَضَارِّ . والذي هو عندنا أنه غريزة ، والمعرفة عنه تكون .

وكذلك الجنون والحمق لا يُسَمَّى نكرة لأَنه لوكان المعرفة هو العقل ، سُمِّيَ الجنون نكرة ، والحمق نكرة ، لأَن النكرة ضد المعرفة والجهل ضد العلم .

فلما امتنع أهل العلم أن يسموا المجذون منكراً جاهلاً ، ولا يسمون المذكر ، مجنوناً ، والجاهــــل مجنوناً وقالوا بأنه مجنون صَحَّ ما قُلْناهُ .

وثمّا يدل على أن العقل هو الغريزة التي (بها) عَرَفَ فأقرّ ، وعَرَفَ فأنكر ، أو ظَنَّ فأنكر ، لأن الإنكار فعل ، فكذلك ضد المعرفة فعل .

فمنه فعل عن طبع يوجبه الطبع (كالضرة) "، كمعرفة

⁽١) يقصد الضرورة . يعني ان هذه المعرفة تأتي نتيجة ضرورية لكون العقل غريزة .

الرجل نفسَهُ ، وأَباه ، وأُمَّه ، والساء ، والأرضَ ، وجميعَ الأَشياء التي تُشَاهَدُ .

ولولا الاستدلال بالعلم الذي سمعه من أسماءِ الأَشياء ثم رأَى الأَشياء ، لعرفها بروْيا ولم يعرفها باسم ولا تفصيل بين معانيها .

أَوَلَمْ تَسْتَمِعُ إِلَى مَا وَصَفَ الله تَعَالَى مَلائكُتُه ؛ إِذْ سَأَلَهُمْ أَن يُخْبِرُوهُ بِأَسْمَاءِ الأَشْيَاءِ فَقَالُوا ؛ لاعلم لنا . فأمر آدمَ عليه السلامُ فأخبرهم " بها لأنه عَلَّمَهُ الأَشْيَاءَ .

فلم يعرف عاقل أَسهاء الأَشياء إلا بالتعليم منذ هو طفل لمـــــا يسمع ويرى . عرف بعقله الأَشياء ، و فَصَلَ بين معانيها .

فكُلُّ بالغ من الجِنِّ والانس من الذكورِ والاناثِ بمن أمره اللهُ تعالى ونهاهُ ووعده وتوعدهُ بإرسال النُذُر ، وإنزالِ الكُتُب ، وآثارِ آياتِ التدبير فَحُجَّةُ العقل لازمة له ، إذ أَنعم الله سبحانه بالعقل عليه ، ومعرفة البيان (ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حيَّ عن بينة " وإن الله لسميع عليم) . (وما كان الله ليُضِلَّ قوماً بعد إذ بينة "

⁽١) يريد الاشارة الى الآية ٣٤ من سورة البقرة .

⁽٢) سورة الأنفال: آية: ٢ ٤ .

هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لهم ما يتقون) (١) .

أَوَ لا تراهُ يقولُ عَزَّ وَجَلَّ . (وأَمَّا ثمودُ فهديناهـم) (٢) يعني بيَّنا لهم ما (يعقلوه) بعقولهم إن تدبَّرُوا ذلك . فقـال عزوجل : (فاستحبُّوا العمى على الهدى) .

فإنما خاطب الله العباد مِنْ قِبَلِ أَلْبَابِهِمْ ، واحتَجَّ عليهم بمـــا رَكَبَ فيهم من عقولهم ؛ وما اللهُ بِظَلَّامٍ للعبيد .

ومع هذا فإنه قد يحض بالتذبيه والتوفيق مَنْ يشاءُ من عباده، ويختصُّ بجواره مَنْ أَحبَّ مِنْ خَلْقهِ .

إِلَّا أَنَّ أَبْيَنَ الأَشياءِ هذه قبل الجهر باللسان. فإنه قال عز وجل: (ومن الناس مَنْ يُعْجِبُكَ قولُهُ في الحياة الدنيا) ".

وهذا قبل أن يَخْبُرَهُ .

وقال خالد بن صفوان (؛) : لولا التبيان لكان المرء بهيمة مهمّلة أوصورةً مُثّلة.

وقال الشاعر:

⁽١) سورة التوبة: آية ١١٥. (٢) سورة فصلت :اية ١٧.

⁽٣) سورة البقرة :اية :٣٠٤ .

^{(ُ}عَ) أَحَد خَطَباء العرب ويلغائهم المعروفين . له أخبار مع هشام بن عبد الملك وأبي العباس السفاح .

و في الصمت ستر العيِّ يوماً وإنما صحيفة لُـبِّ المرءُ أَنْ يتَكَلَّما

وأَمَا الاثنتان اللتان جَوَّزَتُهُم اللَّغَةُ فِي الكتاب ، والسنة ، والسنة ، وتَراجُع أَهُلِ اللَّغَةِ على حقيقة وتَراجُع أَهُلِ اللَّغُةِ على حقيقة المعنى بأنْ سَمَّتُهُما عقلاً ، إذ كانا عن العقل لا عَنْ غيرِهِ .

فَإِحْدَاثُهُمَا الفَهُمُ لَإِصَابَةِ المعنى ؛ وهو البيان لكل مَا سَمِعَ مِن الدُنيا والدين أو مَسَّ أو ذاق ، أو شَمَّ ؛ فسمَّاهُ الخَلْقُ عقلاً ، وسمَّوا فاعلَهُ عاقلاً .

وقد رُوي في التفسير لما قال الله تعالى لموسى عليـــه السلام : « فاستمع لما يوحى » (() قيل : اعقلُ ما أقول لك .

وهذه خصلة يشترك فيها أهل غريزة العقل التي خلقها الله فيهم ، من أهل الهدى ، وأهل الضلالة ، من بعض أهل الكتاب لما تقدَّمَ عندهم من أهل الدين .

و يجتمعُ عليها أَهْلُ كُلِّ إِيمانٍ وضلالٍ في أُمور الدنيا خاصةً ، والمطيع والعاصي ، وهو فَهْمُ البيان .

وقال الله عز وجل في ما يَعِيبُ به أَهْلَ الكتاب ، فقال:

⁽١) سورة طه :اية ١٣ . الأصل « استمع » .

« يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونه مِنْ بَعْدِ مِا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (١) .

وقال عز وجل: « يَعْرِفُو نَهُ كَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَدُمْ » (").
وقال: « يعلمون أنه الحق من رجّم » (")
وقال: « يعلمون أنه منزل من ربك بالحق » (')
فالفهم والبيان يسمى عقلاً لأنه عن العقل كان.
فيقول الرجل للرجل:

أَعْقَلْتَ مَا رأيتَ أُو سَمَعَت ؟

فيقول نعم . يَعني اني قد فهمْتُ وتبيَّنْتُ .

والعرب إنما سَمَّتِ الفَهْمَ عقلاً لأَنَّ ما فهِمْتَهُ فَقَدْ تَدُ تَدُهُ بِعَقْلِكَ وَضَبَطْتَهُ كَمَا البَعيرُ قد عُقِلَ. (أَي) (°) أَنك قد قيَّدت ساقه إلى فَخذيهِ .

وقالوا . اعتقل لسان فلان ، أي استمسك .

⁽١) البقرة : ٥٧ . (٢) البقرة : ٢٤٦ .

⁽٣) البقرة : ٣٦ و ١٤٤ والاصل (من ربك) .

و يقال اعقل شاتك إذا (حبستَها) `` . وهو أن يضع (رجلَه) بين (نوفها) وفخذ(ها) `` ، (ويقال) : اعتقـــل رجـــل فلانٍ إذا (صارعه).

و المعنى الثالث: هو البصيرة، و المعرفة. بتعظيم قَدْرِ الأَشياءِ النَّافعةِ و الضارة (١٠٧) في الدنيا و الآخرة. و منه العَقْدُ لَ عَنْ الله تعالى.

فمن ذلك أن تَعْظُمَ معرفتُهُ وبصير تُهُ بعظيم قَدْرِ الله تعالى وبقَدْرِ نعَمِهِ وإحسانِهِ ، و بِعَظيم قَدْرِ ثوابِهِ وعِقَابِهِ ليَنَالَ بــه النَّجَاةَ من العِقَابِ ، والظَفَرَ بالثَوابِ .

فإذا كان للهِ مُعَظِّماً ، كان للهِ مُجلَّا ها يباً .

وإذا كان لله مُجِلًّا هايباً ، كان منه مُسْتَحِياً ، وإلى طاعتِهِ مُسَارِعاً ، ولمساخطهِ مُجانِباً .

و إِذَا كَانَ مُعَظِّماً لما يَنَالُ به النَّجَاةَ مِنَ العِقَابِ وَالظَّفَرَ بِالتَّوَابِ عُنِي طَلَبِ العِلْمِ ، وَالْعَقْلُ عَنِ اللهِ عَنَّ وَجَلَّ عَنِي الفَهْمِ . وَالْعَقْلُ عَنِ اللهِ عَنَّ وَجَلَّ أَكُثَرُ هُمَّتُهِ .

⁽١) في الأصل (حبتها) .

⁽٣) في الأصل : رَجْلُها ، ونافيته ، وفخذ , والتصحيح استناداً إلى لسان العرب ٢ ٨/١٦ وتاج العروس ٣ ٨/١٦ ، إذ ورد فيهها : النوف : أسفل الذنب لزيادته وطوله عن كراع ,

وإِذَا عُنِيَ بطلب العلم بِذلك استَدَلَّ به على عِظَم ِ قَدْرِ المولى؛ وقَدْرِ ثُوَا بِهِ وعِقَا بهِ .

و إِذَا استَدَلَّ على ذلك أَ بْصَرَ ، و فَهِمَ حَمَّا ئِقَ معاني البيان.

فَإِذَا فَهِمَ عَقَلَ عَظَيمَ قَدْرِ اللهِ تعالى _ وعرض_ه على الله. سبحانه _ وعقابَهُ وثَوَابَهُ .

وإذا عَظَّمَ قَدْرَ ذلك هابَ الله ، وقرق ورَجَا ، ورغب واشتاق فكأنما يُعايِنُ ذَلك كرأي العَيْنِ ، فكان عن الله تعالى عاقلاً ، وسُمِّيَ ذلك منه عقلاً ، إذ كان بالعقل طَلَبَ ذلك وبالعقلِ قَهِمَ ذلك، وبالعقل لَزِمَ ذَلِك، وبالعقل خَانبَ ما يُزِيلُهُ عن ذلك.

فهذا الذي عَقَلَ عن رَبِّهِ.

أَلَمُ تَسَمِعُهُ (' عَنَّ وَجَلَّ يَقُولُ (وَ تَعِيَهُ الْأَذُنُ وَاعِيةً) ('). قال : أَذُنْ عَقَلَتُ عن اللهِ عن اللهِ عن اللهِ ما سَمِعَتُ أَذُنَاهُ ، مما قال وأخبر .

⁽١) المتحدث هنا هو المحاسبي نفسه ، لأن جل كتبه – كا ذكر الجنيد – كانت بصيفة «قال وقلت » على أساس أسئلة تطرح ويجيب عنها الحارث ، ثم يصيغها بعد ذلك كتباً ، وقد ورد ذكر ذلك في المقدمة .

⁽⁷⁾ I-Jēš: 71.

فهذا هُوَ العَقْلُ .

ومَنْ زال عن ذلك ومعه غريزةُ العقل التي فَرقَ الله تعالى بها بين العقلاء والمجانين فهو غيرُ عاقِلُ عن الله عَزَّ وَجَلَّ . وهو عاقِلُ للبيان الذي لَزَمَتْهُ من أُجلِهِ الحُجَّةُ .

وقد وصف الله عزَّ وجل هذا في كتابه عن رجال (وسما) لهم عقلاً. فقال تعالى:

« لهم قلوب لا يعقِلون بها » (۱) يعني عنه .

وقال عز وجل: «وجعلنا لهم سَمْعاً وأبصاراً وأفئدة ». يعني عقولاً ، « فها أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله » (٢) . ثم سَمَّى بعضَ الكُفَّارِ مِنْ أهلِ الكتاب عاقلاً للبيان الذي لَزِمَتْهُمْ به الحُجَّةُ « يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٣) .

فأخبر انهم لا يعقلون، يعني عنه (وعن) ما قال من عظيم قدره المبيّن عنه .

⁽١) الحج: ٢٦.

^{· (}٣) الْبَقَرة: ٥٧ .

ثم قال: « يُحَرِّ فُو لَهُ من بعد ما عَقَلُوه » يعني : عَقْلَ البيان . وآخرون لهم عقولُ الغرايز لا يعقلون البيان ولا المبين عنه بالفهم له إلا أنهم يسمعون بِلُغَةٍ يعرفونها كلاماً لا يعقلون معانيه بالفهم له كمشركي العرب فقال :

« إِنْ هم إِلَّا كَالْأَنعام بل هم أَصَلُّ سبيلا » ```.

فلم يَعْقِلُوا مَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لَإِعجَابِهِمْ بِرَأْبِهِمْ ، ولتقليدِهِمْ آبَاءَهُمْ ، وكُبَرَاءَهُمْ ، وقد كانت لهم عقولُ غرايز ، يعقلون بها أمر دنياهم .

ولو تركوا الإعجابَ بالرأي ، وتقليدَ الحُبَرَاءِ ثُمَّ تَدبَّروا لَعَقَلُوا ما قال اللهُ . ولكن أعجبوا بآرائهِم ، وَقَلَّدُوا كُبَرَاءَهُمْ .

فقال عزَّ وجلَّ : « ويحسبون أنَّهم يُحْسِنون صُنْعا » (٢) .

وقال جلَّ ثناوُّه : « أَفَمَن زُيِّنَ له سُوءَ عمله فرآه حسناً » (") ..

وقال: « و يحسبون أنهم على شيءٍ ، أَلَا إِنَّهم ُهمُ الكَاذِبون » (ع) ...

فلم يعقلوا ما قيل لهم كما عَقَلَهُ الْمُحَرِّ فُونَ للسان بعدما عقلوه ..

⁽١) الفرقان: ٤٤. (١) الكرف: ١٠٤

⁽⁺⁾ فاطر : ٨ .

فهم يعلمونَ أُمْرَ دنياهم ؛

ودقايقُ معايشِهِمْ أَدَقُ في الغموضِ من أعلامِ الدين. فقال الله جل وعز: «يعلمون ظاهِراً من الحياةِ الدُّنيا، وهم عن الآخرة هُم ْ غافلون » (١).

قال: حدثني عفان (٢٠٠٠ قال: حدثنا صخر بن جويرية (٣٠٠ عن الحسن (٤٠٠٠ في قوله تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» قال:

لَا جَرَمَ وَاللهِ لَقَدَ بَلَغَ مِن عَلَمَ أَحَدِهِمْ بِدُنْيَاهُ أَنَ لَهُ يَقْلِبُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى ظَفْرِهِ وَيُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ ، وَمَا يُحْسِنُ يُصَلِّى .

قال : حدَّثني عَفَّان قال : حَدَّثَنَا شُعْبَةً (٥) عن شَرْقيٍّ (٦) في

⁽١) الروم : ٧ .

⁽٢) ترجمته أثناء الحديث عن شيوخ المحاسبي .

⁽٣) أبو نافع صخر بن جويرية ، مولى بني تميم ، روى عن أبي رجاء العطاردي ، ونافع ، وهشام بن عروة ، وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهم . وعنه : أيوب السختياني ، وأبو عمرو بن العلاء وحماد بن زيد والقطان وابن مهدي وابن المبارك وعفان . قال أحمد : شيخ ثقة ثقة . ووثقه عفان ، إلا أن بعضهم تكلم فيه لضياع كتابه . تهذيب التهذيب ٤ / ١٠ ٤ - ١١ ٤ .

⁽٤) هو الحسن البصري المشهور (٢١ – ١١٠ ه).

⁽ه) شعبة بن الحجاج (۸۲ – ۱٦٠ هـ) الأزدي البصري . قال الحاكم : شعبة إمام الأئة في معرفة الحديث بالبصرة . رأى أنس بن مالك وعمرو بن مالك الصحابيين وسمع من أربعائة من التابعين . تهذيب التهذيب ج ٤ / ٣٣٨ – ٣٤٦ .

⁽٦) شرقي بن قطامي : أخباري ، له نحو عشرة أحاديث فيها مناكير . ذكره ابن عدي في الضعفاء . واسمه الوليد بن الحصين ، والشرقي لقب له . لسان الميزان ١٤٢/٣ .

قوله: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» فذكر الخرّاز والخيّاط ونحوَهما ، فأخبر الله تعالى انهم يعقلون أمر دنياهم. ولو تدبّروا ، وتركوا التقليد والإعجاب بالآراء لعقلوا أمْر آخِرَتِهِم ، كاعقلوا أمر دنياهم ، حين عُنُوا بطلب منافِعها في العواقِب ودفع مَضارّها في العواقِب ودفع مَضارّها في العواقِب .

فهذه أُربعُ فِرَقٍ :

فرقة عقلت عن الله تعالى عِظَمَ قَدرِهِ وقدرتِهِ وما وعد وتَوَعَد، فأطاعت ، وخَشَعَت .

وفرقة عقلَت البيان ثم جَحَدَت كِبْراً وعِناداً لطلب الدنيا كا وصف عن إبليس أنه تَكَبَّر وعاندَ كِبْراً ، وهو مع ذلك يقول : «فبعزتك لأُغوِيَنَهُم أَجمعين » (١) . ووصف اليهود (١٠٨) فقال : «ليكتمون الحق وهم يعلمون» (٢) .

وقال: « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا » (۴) . وقال: « يعلمون انه منزل من ربك بالحق» (۴) .

⁽١) ص : ٢٨ .

⁽ع) النمل : ١١٤ . . . (ع) الانعام : ١١٤ .

وقال : « اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون » (١) .

وفرقـة طغت ، وأعجبت ، وقلّدت ، فعميت عن الحق أنْ تَتَبَيَّنَهُ ثُمَّ تقر به ، ثم تجحده كِبْراً وطَلَبَ دُنيا بعد عقلها للبيان فظنَّت أنّها على حق ودين وهي على باطل وشر وضلال.

وفرقة رابعة عَلَمَت قَدْرَ اللهِ عَنَّ وَجَلَّ فِي تدبيرهِ و تفرُّده بالصنع ، وعرفت قَدْرَ الإيمانِ في النجاة بالتمسك به ، وقدْرَ العقاب في ضَرَرهِ في مُجانبة الإيمانِ ، فلم يجحدوا كِبْراً ولا أَنفةً ولا طَلَب دنيا لعقلها أَنَّ عاجِلَ الدنيا يفني ، وعـــذاب الآخرة لا يفني . وعَــذاب الآخرة لا يفني . وأَقَرَّت وآمَنَت ، ولم تعقل عظيم قدر الله في هيبتهِ ، وجلالهِ ، وعظيم قدر ثوابه وعقابه في إتيان معاصيه ، والقيــام بفرايضه ، فعصت ، وضيَّعت ، وغفلَت ، ونسيَت ، إلَّا أَنَّها عَلِمَت عظيم قدر الإيمان في النجاة ، وعظيم ضررِ الكُفْر ، قدد عقلته عن الله تعالى فهي قائمة به ، دائمة عليه .

ثم بعد عقلِهِ قَدْرَ الإِيمانِ يزدادُ معرفةً بقدْرِ الغَضَبِ والوعيد والوعد .

⁽١) ال عران : ١٨٧ .

فإن ازدادَ طائفةً قام بطــائفةٍ من الفروض ، وترك بعض المعاصي من المعاصي من وإلّا ضيَّعَ بعض الفروض ، وركب بعض المعاصي من أجل الهوى ، ومعه عقل البيان والإقرار ، فعقل انه مُسيءٌ ، ولم يرجع عن إساءته لِغَلَبةِ الهوى .

ولو ازداد عقلاً بعظيم قـدر الغضب ، والرضى ، والثواب ، والعقاب ، لاستعمل ما عقل من البيان، وأقرَّ به بأَنَّه حقَّ فتاب وأَناب.

وجميعُ الممتحنين المأمورينَ من العُقلاءِ البالِعِينَ كُلُّهُم لهم عُقولٌ يُحَيِّرُونَ بها أُمورَ الدنيا كُلَّها ، الجليل ، والدقيق ، وأكثرُ هُمَ للآخِرَةِ لا يعقلون .

أَلَمْ تَسَمَّهُ عَنَّ وَجَلَّ يَقُولَ : «وَتَرَاهُمْ يِنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمُ لا يَبْصُرُونَ » (١) .

وقال جَلَّ تَنَاوَأُهُ: «لهم قُلوب لا (يفقهون) (٢) بها، ولهم أُعيُن لا يُبْصِرُونَ بها ، ولهم آذان لا يَسْمَعُونَ بها » (٣) .

وهم بالدنيا أهلُ بصر وسمْع وعَقْل ، ولم يَعْنِ انهم صُمُّ ، خُوسْ ، مجانين ، وإِنَّمَا عَذَّ بَهُمْ لأَنهُم يعقلون لو تدبَّروا ما يَرَوْنَ

⁽١) الاعراف: ١٩٨. (٢) في المخطوطة (لا يعقلون).

⁽٣) ال عمران: ١٧٩.

ويسمعون من الدلائل عليه من آيات الكتاب، وآثار الصَّنْعَةِ، واتصالِ التدبير، الذي يَدُلُّ عليهِ أَنَّهُ واحدٌ لا شريك له.

وحكى تعالى قولَ أَهلِ النارِ فقال: «وقالوا لوكُنَّا نسمعُ أُو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصحابِ السعير » (' ' .

وقد كانت لهم عقول وأسماع لَزِمَتْهُم بها الحُجَّةُ لله عز وجل. وإِنَّمَا عنى عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهَا لَم تَعْقِلْ عَنِ الله فهما لِمَا قال من عظيم قَدْرِ عذابه ، فندِمَت ، و نَادَت بالوَيْلِ والنَّدَم لا أَنَّهَا لَم تَكُن أَنَّهُم عُولا تَعْقِل ، ولا كانوا بمجانِين ، ولكن يعقلون أمر الدُّنيا، ولا يَعْقِلون عَنِ الله ما أخبر عنه وَوَعدَ وتَوَعَد .

قلت : (`` فمتى يُسَمَّى الرُجلُ عاقِلاً عن الله تعالى ؟ قال : إذا كان مومناً خائفاً من الله عز وجل .

والدليلُ على ذلك أنْ يكونَ قائماً بأُمر الله الذي أوجبَ عليه قيامَ به نجانباً لما كرهَ و نَهاهُ عنهُ . فإذا كان كذلك استحقَّ أن سَمَّى عاقلاً عن الله .

بل لأنه لا يُسمَّى عاقلاً عن الله مَنْ يعزم على القيام بِسُخطِه

⁽١) اللك : ١٠.

فأقامَ على ذلك مُصِرّاً غيرَ تايبٍ.

قلتُ : فمتى يُسمَّى العاقلُ عن الله كامِلَ العَقْلِ عن الله تعالى؟ قال : إِنَّ العَقْلَ عن الله تعالى لا غايّة له . لأنه لا غاية لله عز وجل عند العاقل بالتحديد ، بالإحاطة بالعلم بحقائق صفاته ، ولا بعَظيم قَدْرِ ثوابه ولا عقابه إذ لم يعاينها .

ولو عاين الله جَلَّ ثناوهٔ وتقدَّسَتْ أَسَمَاوُهُ بِصِفَاتِهِ لَمَا أَحَاطَ بِهِ عَلَماً .

ولكن ، وقد يَقَعُ اسمُ الكمالِ على الأَّغلَبِ في الأَساء في العقل عن الله تعالى لا العقل بالكمال الذي لا يَحْتَمِلُ الزيادَةَ .

أَلَا تَرَاهُ عَنَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَرْسُولِهِ عَيِّلِيْنَ « وقــل ربِّ زِدْنِي عِلْماً » ('' . وقال : « ولا يُحيطُونَ به عِلْماً » ('' .

ورُوي عن الملائكة انها تقول يوم القيامة « ربِّ ما عبدُناكَ اَحَقَّ عِبادِتِكَ » .

فلا أحد يساوي الله عَزَّ وَجَــلَّ فِي العَلْمِ بِنَفْسِهِ فيعرفَ عَن عَظَمَتِهِ تَعَالَى كَمَالَ صِفَاتِهِ كَمَا يَعَلَمُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَن نَفْسِهِ .

٠١١٠ طه: ١١٠ .

فأعظمُ العاقِلِينَ عنده العارفين عقــلاً عنه ومعرفة به ، الذين أقرُّوا بالعجز انهم لا يَبْلُغُونَ في العقلِ والمعرفةِ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ .

ولكن قد يُسَمَّى كاملاً في العقل عن الله (١٠٩) في ما عَلَبَ عليه من الأَّفعال التي كانت عن العاقِلِ كاملاً مَنْ كانت فيه ثلاثُ خلال :

الخوفُ منه والقيامُ بأُمْرِهِ ، وقوةُ اليقين به ، وبما قال ووعد وتو عَدَ .

و حُسْنُ البَصَر بدينهِ بالفقه عنه فيما أحبَّ وكَرِهَ مِنْ عِلْم ما أَمَرَ به و نَدَبَ إِليه ، و الوقوف عند الشُبُهـاتِ التي سَمَّى اللهُ الوُقوف عنها رُسوخاً في العلم به .

فإذا اجتمع الخوفُ منه ، وقوةُ اليقين به وبمــا قال ووعد وتو عد ، وحُسْنُ البَصَر بِدِينِ الله ، والفقه في الدين فقـــد كَمَّلَ قوةً عقله .

و إِن كَانَ الْحَوْفُ مِنَ اللهِ هو مِنْ قُوَّةِ اليقين بالوعيد، فإنه قد يكونُ خائِفاً، ولا يكونُ معه اليقينُ القويُّ الذي ينالُ بهه الرضى والتوكُّل والمحبة والزهد.

فمن ثُمَّ قُلْنا: الخوف من الله وقوة اليقين والبصر بالدين، لأنه قد يكون قويَّ اليقين وليس يُعْسِنُ البَصَرَ بالدين. ويكون بصيراً بالدين لا خائفاً ولا قويَّ اليقين.

وجَمَاعُ هذه الثلاثِ الخصال قوةُ اليقين، وحُسَنُ البَصَر بَسَين. وجَمَاعُ هذه الثلاثِ الخَوْف ، وإِن كان من اليقينِ لأَنه قد يكونُ خائفاً ، وليس بالقويِّ اليقين في كالِ ما قال اللهُ عزَّ وجلَّ بما وصف به نَفْسَهُ من قَدْره وجلالِهِ وعَظَمَتِهِ ، وما وعد وتَوَعَدَ ، وحَذَّرَ ، ورَجَا ، وأَنعَم ، وابْتَلَى به .

ثم هذه الثلاث الخلال حقائق من الفعل بالقلب والجوارح ، لأنه إذا تَمَّ عَقْلُ المؤمنِ عن ربّه أَفْرَدَهُ عزّ وجَلَّ بالتوحيدِ له في كُلِّ المعاني ؛ فعلم انه مالك له لا غيره ، وأنه عَتيق ممن سِواه ؛ فَتُواضَعَ لَعَظَمَتِهِ ، واستَعْبَدَ ، وخَضَعَ لِجَلالِهِ ، ولم يَذِلَّ لِمَنْ سُواه ؛ وعَقَلَ عنه أنه الكامل بأحسنِ الصّفات ، المتنزه ، من كُلِّ الآفاتِ ، المنغم بَكلِّ الأيادي والإحسان . فاشتدَّ حُبُّهُ له ، لما يَشْتَأْهِلُ لِعَظَيمَ قَدْرِهِ ، وكريم فَعَالِهِ ، وحُسْنِ أياديه .

وعقل عنه أنه لا يملِكُ نفعَهُ وضرَّهُ في دنياه وآخِرَتِهِ إِلَّا هو ،

فأَفْرَدَهُ بالخوف ، والرجاء وعدَهُ وآمَنَ به ، وأَيِسَ مِنْ جَمِيعٍ خَلْقِهِ . فهو الْمُوحِدُ له إِذَا عقل وحدانِيَّتَهُ وتفرُّدَهُ بكلِّ معنَى كَلِيْمَ ، ووضف جميل ، وجلال خَظَمَتِهِ ، ونفاذَ قدْرَتِهِ ، ومُضِيَّ رَادِتِهِ ، وإحاطة علمِهِ ، وقديمَ أَزَليَّتِهِ وأُوَّليتِهِ .

فإذا كان كذلك زايل الكِبْرَ على (العبادِ) " لخضوعِه لجلالِ اللهِ مولاهُ فتواضَعَ للحقِّ ولم يَحْقِرْ مسلِماً لشدةِ معرفتِهِ بِصِغَرِ قَدْرِ نفسِهِ ولعلمِه بأنَّ خوامَ الأَجلِ بسوءِ نفسِهِ ولما جنى من الذنوبِ على نفسِه ولعلمِه بأنَّ خوامَ الأَجلِ بسوءِ العواقِبِ وحسنَ الخاتمةِ من الشقاءِ والسعادةِ قدد سبق بها العلمُ ونقذت فيها المشيئة .

فقد أمن من عرفه كِبْرَهُ وَبَغْيَهُ وقد عَقَلَ عَنِ اللهِ جَلَّهِ وَعَرَّ مُعَنَّ مُنْ عَرَفَهِ وَاعتذارَهُ إِلَى خَلْقِه بأنه ليس لهم بظالم، وانه قد بدأهم بالرحمة قبل العُقوبة وفد سبقت (منه) " الأيادي قبل الشكر . طويلُ الحلم، دائمُ التأنِّي، جميلُ الستر، مُقيلُ العَثَراتِ ، مُحْسِنُ إِلَى مَنْ تَبَغَّضَ إليه ، متقرِّبُ إِلَى مَنْ تَباعَدَ منه ، وعقل عنه أَهْره وآدابَهُ وأَحْكامَهُ وعقل داء النفوس ودواءها.

⁽١) في المخطوط (العبادة). (٢) في المخطوط (من).

فمن عرفه أَمَّلَ الرشدَ منه ، وأَن يَحْيا بمنطِقِهِ ، ويعْقِل س اللهِ عَلَى وَاللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهِ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَلَى

وعَقَلَ عن اللهِ عَنَّ وَجَلَّ مَا عَظَّمَ مِنْ قَدْرِ ثُوابِهِ فِي جَنَّته بدوامِهِ ، وطيبِ العيشِ فيه ، وزوال الآفات والتكاربر ، والتنغيص عنه ، وانه فوق مَا تُحِبُّ النَّفُوسُ ، لا يُحْسِنُ أَحَدُ أَن يُخطُرَ بِبَالِهِ ذِكْرُ كثيرِ مَا أَعِدَّ فيها .

وقد قال الرسول عَلَيْكِ : « أَعَدَّ اللهُ عَنَّ وَجَلَّ فِي جنته ما لا عينُ رأت ، ولا أُذنُ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وكفاكَ بالله تعالى واصِفاً عما أُعدَّ لأَوليائِهِ إِذ يقول عز من قائل: « فلا تعلمُ نَفْسُ مَا أُخْفِيَ لهم مِن قُرَّةٍ أَعْيُن » (١).

فقد أخبرنا انه جاز في الكمال ، والنعيم ، (وقرَّةِ) العيون وصف الواصفين ، ومعرفة العارفين، وذِكْرَ الذاكرين لجميع النعيم. فَعَظُمَ فِي قلبه جوار مولاه ، (و) ما أعدَّ فيه لمن أناب إليه وأطاعه ، فشخص إليه بعقله ، فاتصل ما استودع قلبه من العلم بذلك لمشاهدته بعقله حتى كأنه رأي عينه كما قال حارثة : « فكأ في أنظرُ إلى عرش بعقله حتى كأنه رأي عينه كما قال حارثة : « فكأ في أنظرُ إلى عرش

⁽١) السجدة: ١٧.

رَبِّي بارزاً ، وإِلَى أَهل الجِنة يتزاورون » .

وكما قال الحَسَنُ وذكر أُولياءَ الله في الدنيا فقال: « صَدَّقوا به فكأَنما يَرَوْن ما وُعِدُوا رأْيَ العين » .

فَامَا اتَّصِلَ عَقْلُهُ مِشَاهِدةِ ذَلَكَ حَنَّ وَاشْتَاقَ ، فَلَّمْ لَا حَنَّ واشتاقَ تعلُّقَ قَلْبُهُ واشتغل، فلمَّا اشتغَلَ بالشُّوثِق إِلَى جوار ربه سلاعن الدنيا فلها عنها (١١٠) فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي دار الدُّنيا _ أين هي من جوار ربه إِذ يقولُ عَزَّ وَجَلَّ « لعلَّكُم تفكرون » ('' في الدنيا والآخرة . قيل في التفسير : تفكُّروا فيها فعلموا أنَّ الدنيا لزوال الدنيا وفنائها ، وأنَّ كل ما أُخذَ منها لغير القُربةِ إِلَى ربِّه في جوارهِ ناقِصْ مِنْ دَرَجَاتِ القُرْبِ ، وكمالِ النعيمِ في جوارِ ربه ، وأنَّ فيه الحسابَ والسوَّالَ عن نعيمِها بالحبسِ عن السَّبْقِ في أُوائِلُ الزُّمَرِ إِلَى جُوارِ رَبِّهِ وَمُولاهُ ، وَانْهَا مَشْغُلَّةٌ لَهُ عَنِ الاشتغال مناجاة سيّده.

⁽١) وردت في ايات كثيرة من القران .

فارتفع قلبُهُ عنها وتمنّى أَنْ لهو استغْنى أَنْ يتناولَ منها شيئاً ، فلم يَجِدْ بُدّاً من الأَخْذِ منها ما يُقَوِّيهِ على طاعة ربه خوفاً أَن يُمسِكَ عن القُوتِ فينقطعَ عن عبادة ربّه .

فكان نصيبُهُ منها القوت من الغذاء ، ولم يتكنّف ما جاز بله له القوت من غذائه وستر عورته ، وان تكلف طلبه لم يتكلف إلّا للقُرْبةِ إلى ربّه ، فإن ابتُليَ منها بما فوق غذائهِ ، وسَثْرِ عورته ، للقُرْبةِ إلى ربّه ، فإن ابتُليَ منها بما فوق غذائهِ ، وسَثْرِ عورته ، مِنْ مِثْلِ ميراثِ أَو غيره فمبذول كُنّهُ لربّهِ يفرحُ بإ خراجِهِ ، ويغتمُ أَن يَمكُثُ عنده أقلَ من طَرْفَةِ عَيْنِ .

وعقل عن الله تعالى آياته في تدبيره ، وحكمته ، في آثار صنعته ، ودلائل حسن وتقديره ؛ (فَ) عَلَمَ أَنَّه بِقُدْرَةٍ نافذةٍ قَدَّرَها ، وبحكمةٍ كاملَةً أَنْقَنَها ، وبعِلْم محيط اخترَعها ، وبسمع نافذ سميع حركاتها ، وببصر مُدْرِك لها دَبَّرَ لطَائِفَ خَلْقِها ، وغوامِضَ كوامِنها ، وما وارَ ثَهُ نُحَجُبُها وسَوَاتِرُها .

فاستدَلَّ بذلك أَنَّه الإِلهُ العظيمُ الذي لا إِله غيرُهُ ، ولا رَبَّ سِواهُ . فكأنَّ جميع الأشياءِ عين يَعْتَبِرُ بها ، ويُجِلُّ ويُعَظِّمُ لِللهِ يَرَى ويَسْمَعُ (من) مولاه وسيده ، فدام ذِكْرُهُ وزالت عن الله عزَّ وجلَّ عَفْلَتُهُ ، وعقلَ عن الله عز تعالى انه ما يبلغُه غاية العلم به ، ولا بلطائف عَفْلَتُهُ ، وعقلَ عن الله تعالى انه ما يبلغُه غاية العلم به ، ولا بلطائف

تحابّه ، والقرب إليه والفَهْم لِما كَلّمه به ، فكان مع سيّده اجتهاده ، ودوامُ اشتغالِه بربّه ، غير تارك ولا منقطع عن طلب الازدياد من العلم بربه. والتّزيّدُ في الفقه عنه أعلى في قلبه ، وأعظم عنده قدرا من الازدياد من كثير أعمال النوافل ، إذ عقل عن ربه أنّ أقدل قليل المعرفة يُورِثُ التعظيم والهيبة ، ويبعث على الاجتهاد، ويورِث الطاعات ، والشغل عن جميع العباد .

وعقَلَ عن الله تعالى أنَّه ابتدأ عِبادَهُ بالرحمـةِ والتفضُّل والإحسانِ بعد تقديم ِ العِلْمِ منه لهم انهم سيَعْصُو نَهُ ويخالِفُونَ أَمْرَهُ فلم يمنعُهُ ذلك عن ابتدائِهم بالنَّعَم والتَّحَنَّن والرحمة والإِحسان. وجعلَ أَفضلَ أُوليائِهِ عنده ، الرحماءَ بخلَقِهِ ، المتحنَّنين على عبادِهِ ، الناصحينَ لبريَّتِهِ ، وهم رسلُهُ الداعون العبادَ إِلَى نجـاتِهم ، والمحذّرونَ لهم من هلكتهم، المتحمِّلونَ منهم الأذى ، والمتحنّنونَ عليهم بالرحمة والنّصم ، والإِشفاق مع أذاهم لهم ، وتكذيبهم إِيَّاهِم واستهزائهم بهم؛ لا يكافئونهم بمثل ما نالوا منهم، ولا ينصر فون عن الإِشْفاق عليهم إِذ سَمِعُوا الله جل ثناوهُ يَصِفُهُم إِذ قالوا لنوح: « إنا لنراك في ضلال مبين » (١).

⁽١) الاعراف : ٢٠ .

وقالوا لهود: « إنا لنراك في سفاهة » (`` .

ثم وَصَفَ جوابَهُما فقال نوح: «ليس بي ضلالة ولكني رسول. من رب العالمين » (٢) إلى قوله: « ولعلكم ترحمون » .

ووصف ردَّ هودٍ عليهم فقال: « يا قوم ايس بي سفاهة و له كني. رسول من ربِّ العالمين ؛ أبلِّغُكُم رسالاتِ ربي ، وأنا لكم ناصح أمين » (") . إلى قوله: « لعلكم تفلحون » . أي تظفرون بثواب الله إن قبلتم مني ، فأخبرهم بعد تسفيه بهم له انه لم يَنْصَرِف من أجل ذلك عن النصيحة لهم لعلهم يفلحون .

وقال إبراهيم عليه السلام: « فمن تبعني فإنـــه مني ، ومَنْ عصاني فإنك غفور رحيم » (؛) .

وقال الذي عَلَيْظُ ، ووصف نَبياً من الأَندِياءِ شَجَّهُ قَو مُهُ فهو يسحُ الدَّمَ عن وجهِ وهو يقول : « ربِّ اغفِر ْ لقومي فالنهم لا يعلمون » .

ورُوي أَنَّ نُوحاً عليه السلام كان يَخْنُقُهُ قَوْ مُهُ حتى يُغْشى عليه فإذا أَفاق قال : « ربِّ اغفِر ْ لقومي إِنَّهُم لا يعلمون » .

⁽١) الاعراف: ٦٦. (٢) الاعراف: ٦١.

٣٦ : ١٧٥ (٤) إبراهيم : ٣٦ .

و فضَّلَ النبيُّ عَلِيْتُ صدِّيقَ هذه الأَمة عليها بالرحمة لها ، فقال : « أَرحمُ أُمَّتِي بَهَا أَبُو بِحُر » .

فَلَمَّا عَقِلَ عَنِ اللَّهُ عَزِ وَجِلُ (١١١)مَا ابتِدأُ العَبَادَ بِهُ مِنِ الرَّحْمَةِ ، و أَنه خصَّ أعظمَ خَلْقِهِ عنده قدراً ، وفضَّلَهُ بها على جميع العباد. أَلزم قلبَهُ رحمةَ الأُمَّة فأَحبَّ نُحْسِنَهُم ، وأشفق على مسيئهم ، ودعا إلى الله سبحانه _ إذا أَمكنه _ مُدْبِرَهُمْ ، ولم يدَّخِرْ مالاً عن فقيرهمْ فَفَضْلُ ماله عليهم مبذول ، والمواساةُ في قُوتِهِ منهم المجهودُ. مَنْ سألَهُ منهم ما يَقْدِرُ عليه لم يتبرَّمْ بطلبهِ ، ولم يَضْجَرُ بإعطائه للرحمة التي لَهُمْ في قلبه ، ومن آذاهُ وأَساءَ إليه لم يَجِـــدْ في نفسِهِ كراهيةً للعَفْو والصَّفْح عنه. يَعُدُّهم جميعاً كاقرب الخَلْق منـه. كبيرُهم مثلُ أَبيه ، وصغيرُهُم كولدِهِ ، وقِر نَهُ كَأْخيه ، فكُلُّ هو لاء يُحِبُّ الإحسانَ إليهم ، وأن لا يفارقَ قَلْبَهُ الشفقةُ عليهم .

وعقلَ عن اللهِ تعالى عظيمَ قدره وقدر ما يطلُبُ من ثوابهِ ، وما يخافُ من عقابه ، وعظيمَ الأيادي وكثرة النعيم عنده ، وأنَّ جميعَ خلقهِ من أهل سمواته وأرضه لو دأبوا جميعاً واجتهدوا عُمرَ الدنيا كلها وأبداً ما أدَّرا شكر نعمهِ ولا أدَّوا ما يَحِقُ في عظمته. فكيف بالحلول في جواره ، والنجاة من عذابه ؟

فقد عقل أيّ ربِّ يعبد ، وأيّ ثواب يطلب، ومن أيّ عقاب وعذاب يَهْرُبُ ، وأيّ نعيم يَشْكُرُ . والشكر أيضًا ممن هو ومَنْ مَنَّ به ؟

فلما عقل ذلك نُكَّه عن ربه استقلَّ واستصْغَرَ جميع دونُور ــه واجتهادِهِ لِعَظیمِ ما عَقَلَ من جمیع ِ ذلك .

وعقلَ عن إللهِ تعالى ما وصف به نَفْسَهُ أنها بالسوءِ أمّارة ، وللذنوب مسوّلة ، وانها هي التي جَنَتْ عليه ما قد أحصاه ربّه عليه، ولم يأمّن أن يكون قد حلّ به غَضَبُهُ ، وانه لا يكادُ يَعْدِلُ في بعضِ أحوالِهِ أن يتعرّضَ لبعضِ مَسَاخِطِهِ ، وأنه قد لَزِمَتْهُ عظيمُ بعضِ أحوالِهِ أن يتعرّضَ لبعضِ مَسَاخِطِهِ ، وأنه قد لَزِمَتْهُ عظيمُ حجّةِ ما خُصَّ به من العلم ، وما مَن عليه به من المعرفة دون أكثرِ العَوامِ . فاستكثر قليلَ طاعتِهِمْ واستعظمَها مع استصْغارِ كثيرِ الطاعاتِ من نفسه لأنه أعلمُ بنفسِهِ و بِذُنو بِهِ من ذنو بِهِمْ ، وأنَّ الطاعاتِ من نفسه لأنه أعلمُ بنفسِهِ و بِذُنو بِهِ من ذنو بِهِمْ ، وأنَّ الطاعاتِ عليه أعظمُ منها عليهم .

وعقلَ قَدْرَ مَنْ عصاه وخالفه فيا أمره به ؛ فعقل قَدْرَ عظمةِ مَنْ عصاه ، وشدَّة عذابه ، وهوْلَ الْمَكْثِ فِي عقابه إِن لَمْ يَعْفُ عنه .

فعقل كَثْرَةَ ذنوبهِ و (سوءَ رغبةِ) نفسهِ ، ودناءة همته وعجيب جهله ؛ إذكان قد آثَرَ على رضاهُ من العبيد ما لا معنى لهم في دُنيا ولا آخرة بمِلْك ، ولا نَفْع ولا ضرِّ ، وإيثارَهُ من الدنيا المكدِّرَ المنغُّصَ الفانيَ منه ، والفاني هو عنه ، والباقي عليه بعد فنائه شدة الحساب ، وعظيم السوَّال عنه ثم لا يَأْمَنُ من سخط الله في الآخرة على ذلك أن يَحلَّ به .

فَلَمَّا عَقَلَ عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ جميعَ ذلك من نفسهِ ، وتستر عنه عامة ذنوب الخلق ، وحقَّتْ عليهم الحجَّةُ بدون ما وجَبَّتْ من الله عز وجل من أجل العلم الذي استودعه ، والستر عليه لذنوبه وما حَبَّبهُ إِلَى عبادِهِ ؛ لم يأمَنْ أَنْ يكونَ استدراجاً له ، وأُنَّه وُكِّلَ بالخوفِ على نفسيهِ قبل غيره ، وانه لا يأمَنُ لِسالِفِ ذنو به ، وتضييع شَكْرٍ نِعَمٍ رَبِّهِ ، وعظيم ما لَزِمَهُ من الحُجَّةِ ، وان يُخْتَمَ له بغير دينِ الإسلام ، أو بعظيم الذنوب مع الإيمان ؛ فلم تقع عينُهُ على أحدٍ ، ولم يستمع به من المسلمين إلَّا خاف أن (ينجو ا) ويهلك هو دونه . (يكسر) قَلْبَهُ مَنْ يرى مِنْ أَهلِ الطاعاتِ ، ويقطعُ عليه أنه خيرٌ منه ، ويتمنَّى أَنْ يكونَ مثله ، ويهيجُ عليه الخوف من قلبه مَنْ رآه دونه في الدين يخافُ أَن يهلكَ هو دونه ، أَو يُختم له بأشرِّ الأعمال لعظيم ِ مُحجَّةِ العلم ، وجميلِ السَّتْرِ عليه ، ولِما أَمَرَ به من خوف سُوءِ الحواتم التي مات عليها الأَشقياءِ . فهو مُتَواضِعُ للعباد كلِّهم لشدَّة ذِلَّةِ الحَوف على نفسه .

وعَقَلَ عن اللهِ عنَّ وجَلَّ ما بَيْنَ من قَدْرِ الدنيا و الآخرة فعل صفة الآخرة بنعيمها و ملكها وشرفها وعِزها ، وعظيم قلد سكانها أنها في جوار المولى ، وما وصف به سوء عيش الدنيا وضعة رفعتها عنده يوم يحاسِبُ عباده ، وذُلُّ العزيز بها عنده في يوم يبعث خُلْقَهُ ، وحقارة المتكبرين في عينه ، وصنعه بهم يوم النشور حتى انهم ليُحشرون في صور الذَّر دون جميع العباد .

وعقلَ عن اللهِ تعالى ما أمره به ، وأخبر أنَّ الفقير مَنِ استغنى بالدنيا عنها ، و من (يجازي) بما (١١٢) حرمه من خفةِ الحساب والتصاعدِ في معالى درجاته .

فَامَّا عَقَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَن رَبِهِ كَانَ الفَقَرُ فِي الدَّنِيا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الفِيْرَ فِي الدَّنِيا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِفِ فَيْهَا ، وَكَانَ الذَّلُّ الفِيْرَ بَهَا ، وَكَانَ الذَّلُّ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِفِ فَيْهَا ، وَكَانَ الذَّلُّ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِفِ فَيْهَا ، وَكَانَ الذَّلُّ أَحَبًا .

مسألة في العقل

الحُجَّةُ حجتان :

عَيَانٌ ظاهرٌ ، أُو خَبَرٌ قاهرٌ .

والعقلُ مُضَمَّن بالدليل، والدليلُ مضمَّن بالعقل.

والعقلُ هو المستدلُّ .

والعَيانُ والخَبَرُ هما عِلَّةُ الاستِدْلال وأَصْلُهُ .

و نُحَالُ كُونُ الفَرْعِ مع عدم ِ الأَصْلِ ، وكُونُ الاستدلالِ مع عدم ِ الأَصْلِ ، وكُونُ الاستدلالِ مع عدم ِ الدَّليل .

فالعَيَانُ شاهدٌ يَدُلُّ على غيبِ.

والخَبَرُ يَدُلُّ على صِدْقٍ ؛ فَمَنْ تناولَ الفَرْعَ قبل إحكامِ الأَصْلِ سُفِّه .

وَرُبٌّ حَقٍّ أَحقُّ مِنْ حَقٍّ ، كَمَنْ عَفا و مِن اقتصَّ، وكاڤتضاءِ

الدَّيْنِ سَاعَةَ تَحَلِّهِ ، أَو تَرْكِهِ قَلَيْلًا إِحْسَاناً إِلَيْهِ ، فَقَدْ أَحْسَنَ فِي الطَّلَبِ .

فكم مِنْ حَسَنٍ أَحْسَنَ مِنْ حَسَنِ غيره ، وقبيحٍ أَقبح من قبيحٍ ، وفرضٍ أُوجبَ من آخرَ ، وفضلٍ أَفضلَ مِنْ فَضْلُ آخرَ . وفرضٍ أُوجبَ من آخرَ ، وفضلٍ أَفضلَ مِنْ فَضْلُ آخرَ . والحُب والبُغْضُ إِذَا أَفْرطا أَنقصا الاعتدال ، وأفسدا العقل ، وصورً الباطل في صُورةِ الحَقِّ .

فأَهْلُ الشَّرِّ لا يُفَرِّقُونَ بين (أَيِّيَتِهِمْ) كَا لَا يُفَرِّقُونَ (بين) إِمامِهِمْ .

وإِنَّ الحَقَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ بَيِّنْ ، والباطِلَ فِي كُلِّ حالِ داحض ، إِلَّا أَنَّ كثيراً من الناسِ لا يَعْرِفُ وَجْهَ مَطْلَبِهِ ، وبعضُهُم يَعْرِفُ بَعْضَهُ ويجهلُ بعضَهُ ، ومنهم مَنْ عرف ثم نسِي ومنهم من يَعْرِفُ أَكْثَرَهُ ولا يعرفُ أَسْهَلَ طُرُقِهِ ، وأقربَ وَجْهِهِ .

فجميعُ الحَقِّ في فُنونِ الطاعاتِ ، وتحذير الباطل في مذاهبه إذا جمع وأَلف ، وكانَ أَنْشطَ لِحِفْظِهِ ، ويفهمُهُ مَنْ كان لا يَنْشَطُ لأَن يطلُبَ عَمَلَهُ حَتَّى يجمعَهُ .

والعالمُ به يُريدُ جَمْعَهُ في بَصِيرَتِهِ ، وجَمْعَ كُلِّ مذَهَبٍ إِلَّا

خَبَرَ الواحِدِ لِمَنْ كَانَ لَا يَعْرَفُ إِلَّا بَعْضَهُ .

ويذكّرُ الناسَ بما قد عَلِمهُ قَنَسِيهُ ، وينبّهُ الْمَتَهاوِنَ لِما كان قد اشتغَلَ عن العِنايةِ بالقيام به ، ويُبيّنُ للزّائغ عن طَرِيقِ الرُّشدِ أَنه قَدْ تَرَكَهُ . ولعلّ مَنْ نَظَرَ فيه بالإعجابِ برأيهِ أَن يَنْقُضَ مَذاهِبَهُ ، إِذا فَهِمَ حُسْنَ العبارةِ عنه ، وإيضاحَ مُحجَجِهِ ، ونور بيانه ، يتنبّهُ مِنْ رَقْدَتِهِ ، ويُفيقُ من سَكْرَتِهِ ، لأَنَّ الحَقَّ عزيرُ بيانه ، يتنبّهُ مِنْ رَقْدَتِهِ ، ويُفيقُ من سَكْرَتِهِ ، لأَنَّ الحَقَّ عزيرُ أَين كانَ ، والباطل ذَلِيلٌ في كُلِّ أُوان .

والْحُجَّةُ ظاهرةٌ بنورِها على الشُّبْهِةِ .

وليسَ مَنْ تَفرَّدَ بَكَتَابٍ يَقْرُونُهُ وَحَدُهُ مُتَثَبِّتًا فَيْهُ ؛ لَا يَشْغَلُهُ عَنْهُ سَبَبُ يَقَطُعُهُ كَمَنْ نَازَعَ غَيْرِهُ لأَنه يَعْتَرضُ فِي الْمُناظرةِ آفاتُ كَثيرةٌ مِن العُجْبِ بَالرأي .

والذي يَمنَعُ مِنَ الفَهُمِ الأَنفَةُ التي تَمنَعُ من الخُضُوعِ اللحقِّ، و أَحبُّ الغَلَبة الذي يَبْعَثُ على الجَدل ، و الجَزَعُ من التَّخْطِئَةِ التي تَمنَعُ من اللَّذُعانِ بالإِقْرارِ بالصَّواب.

فَامَّا كَثْرَتْ آفاتُ الْمناطَرَةِ، وكان التفرُّدُ بقراءةِ الكتابِ المجموعِ فيه، و المؤَّلُف فيه حدود الحق، رأيتُ أَنْ أُصَنِّفَهُ مبيناً،

وأستشهدَ عليه الكتابَ والسنةَ وإجاعَ الأُمَّةِ أَو استنباطاً بيِّناً، أَو قياساً إذا عدم البيانُ بالنصِّ فيا يجوزُ فيه القياسُ وإلَّا فالتسليم. (والأَصْوَنُ) " الكفُّ عن تَكُلُف ما نُهِيَ عنه بما يَسَعُ جَهْلُهُ ، ولا يوَّدِي عِلْمُهُ إلى القُرْبي . بـ.ل تَرْكُ البحثِ عنه هو القربي والوسيلةُ إلى رضَى الله عز وجل .

ولا غَنَاءَ بالعَبْدِ عن التَّفْكيرِ والنَّظَرِ والذِّكْرِ لِيَكْثُرَ اعتبارُهُ، ويزيدَ في علمه ، ويَعْلُوَ في الفضل .

فَمَنْ قَلَّ تَفَكُّرُهُ قَلَّ اعتبارُهُ ، وَمَنْ قَلَّ اعتبارُهُ قَلَّ علمُهُ ، وَمَنْ قَلَّ اعتبارُهُ قَلَّ علمُهُ ، ومن قَلَّ علمُهُ كَثُرَ جَهْلُهُ ، وبانَ نَقْصُهُ ولم يَجِدْ طَعْمَ البِرِّ ، ولا بَرْدَ اليقين ، ولا روحَ الحكمة .

وما بلغ عِلْمُ مَنْ دَرَسَ العِلْمَ بلسانِهِ ، وحفظ حرو فَــهُ بقَلْبِهِ ، وأَضرَبَ عن النَّظَرِ والتَّذَكُّرِ والتَّدَبُّرِ لمعانيه وطلب بيان حدوده ؟

مَا أَقَرَبَهُ فِي حِياتِهِ مَن حِياةِ البَهائِمِ التِي لَا تَعْرَفُ إِلَّا مِـا بَاشَرَ ثُهُ بِجَوارِحِها ، لكنَّ المتذكِّرَ النَّاظِرَ فيما يَسْمَعُ ، المتدبِّرَ لِمَا

⁽١) في المحطوطة : (والأصول والكف) .

عَلِمَ، المتفهِّمَ لما به أُمِرَ ، الطالبَ لنهايةِ 'حدود العلمِ ، الغائصَ على غامِضِ الإِصابة ، المُحكِم للأُصول ، الرَّادَّ عليها الفُروع ، هو المُفرِق بين ما لَهُ وما عليه ، والمُبْصِر لما يُصْلِحُهُ وما يُفسِدُهُ ، القوي على عصيان طبائعِهِ المنازِعةِ إلى ما يُهْلِكُهُ ، والمخالِف الشَهواتِهِ التي تُرْديه .

عارفُ بعواقبِ الأُمور وبما يَحْدُثُ في غابِرِ الدهور (١١٣) ما حدث منه ، وهابَ ربَّه ، المؤثرُ لذَّةَ عقلِهِ على لَذَّةِ هَواهُ .. لَذَّةُ الحَكَماءِ العَلماءِ في عقولِهِم ولذةُ الجُهَّالِ والبهائِم في شَهَواتهم .

وأَيُّ سُرورٍ يَعْدِلُ سُرورَ العِلْمِ ، وروحَ اليقينِ ، وعظيمَ المعرفةِ ، وكثرةَ الصوابِ ، والظفرَ الذي لا يَثْبُتُ ولا يُنالُ إِلَّا المعرفةِ ، وكثرةَ الصوابِ ، والظفرَ الذي لا يَثْبُتُ ولا يُنالُ إِلَّا اللهُ النَّظُرِ ، وطولِ التَّذكُرِ ، وتكرارِ الفِكْرِ ، والتقديم في التَّكْبِير .

فيِذَ لِكَ ظَفِرَ بِالعِلْمِ بِاللهِ ، والتعرُّضِ لِولِايتِهِ ، وطلبِ الجاهِ عنده ، والتسليمِ لأَمْره ، والتوكُّلِ على كِفايَتِهِ ، و بَذْلِ القليلِ من الدنيا للثوابِ الجَزيل ، لأَنه الربُّ الكريمُ .

مَنْ طلبَهُ وجدَهُ ، ومن استكفاهُ كَفاهُ ، ومن اتَّقاهُ وَقَاهُ ،.

و من تَقَرَّبَ إليه أسرع إليه بالإجابة.

بدعوك إن أَدْبَرْت ويَقْبَلُك إِنْ رَجَعْت ، ويحمَدُك على حَظّك ، ويُعمَدُك على النَّظْرِ لنَفْسِك. حَظِّك ، ويُعشِّك على النَّظْرِ لنَفْسِك. إن عقلْت ويفقر لَّ لِيْغْنَيْر، ويعشُك على النَّظْرِ لنَفْسِك إنما يُمرِضُك لِيُصِحَّك وإن عقلْت ويفقر لَّ لِينْنَيْر، ويفقر لَ لِيغْنَيْر، ويفقر لَ الفاني لترضى ، فيعطيك الجزيل الباقي ، ويميتُك ليُحْييك ، ويفنيك ليُبقِيك ، ويداويك بالأَمْراضِ لتبراً مِنْ سَقَم الذَّنوب ، ويغنيك ليُبقيك ، ويداويك مِنْ دَرَنِ لتبرأ مِنْ سَقَم الذَّنوب ، ويغنَّك بالأَوجاع ليغْسِلَك مِنْ دَرَن الخطايا ، ويعركك بالبَلاء ليلين قلبَك لطلب الفَوْز .

ابتدأك بالنّعم قبل إن تسأله ، وثنّاها بعدما صَيَّعْتَ شُكْرَهُ ، وأدامها بإحسانِهِ مع دوام الإعراض مِنْكَ عنه ، فكيف تعرف إحسانَهُ ، وتتبيّنُ إساءَتك ، وتبصرُ نَجاتك ، وتتضح لكأسباب عيشيك إلّا بالنّظر بعقلك فيا قال ؟ والتذكّر والمجاهدة لنفسِك إلّا للنّظر بعقلك فيا قال ؟ والتذكّر والمجاهدة لنفسِك إلّا لتَعرف ما يُرضيه وتُجانب ما يُسْخِطُهُ ، ويباعِدُ منه ؛ لأنه قد جَعَل فيك غريزة العقل ، ومَنَّ عليك بالمعرفة ، وابتلاك بما في طباعك فيك غريزة العقل ، ومَنَّ عليك بالمعرفة ، وابتلاك بما في طباعك ما يهيخ الغضب والرضى والبخل بالشّحوت لأنَّ الصَّمْت أعجميّ، ما يهيخ الغَضَب والرضى والبخل بالشّحوت لأنَّ الصَّمْت أعجميّ، وفاعله كالأخرس لا يعرف معناه إلّا صاحبُهُ .

والقولُ فصيحُ مبيَّن يَعْرِفُهُ سامِعُهُ ، ومَنْ بَلَغَهُ إِلَى يوم القيامة للم يَعْرِف القولَ الحَقَّ بالصَّمْتِ ، ولا جميعَ الأَعمالِ بالحَقِّ إِلَّا بالقولَ الحَقِّ الصَّمْتِ عن الباطِلِ إِلَّا بالقول لِما عَرَفَهُ من بالقَول بالقول لِما عَرَفَهُ من الباطِلِ إِلَّا بالقول لِما عَرَفَهُ من الكتاب.

وإِنَّمَا أَمر النبيُّ عَيِّكِمُ بالصَّمْتِ لتاركِ القَوْلِ بالخَيْرِ فقال: « مَنْ كَانَ يَوْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فليقُلُ خيراً أَو ليصمت » . ولم يُعرف الأَداءُ " والبيانُ عن جميع الإِحسان إِلّا بالقول.

آخرُ كتاب مائيّة العَقْلِ ومعناهُ للحارث بن أسدٍ المحاسبيّ ، والحمد لله حق حمده وصلواتُهُ على سيّدنا محمّدٍ وآله وسَلامه .

⁽١) في الأصل: الأداب.

ابن عَبْ راستراکی ایک ابن عَبْ راستراکی ایک این عَبْ راستراکی ایک

كتاب

فهم القرآن وحقيقة معناء

غهيـــد :

يعتبر كتاب «فهم القرآن» من أهم الكتب في تاريخ التصوف الإسلامي على الإطلاق ، ليس لأنه تضمن كثيراً من الآراء الأصيلة فحسب ، ولكن لأنه يشكل برهاناً أكيداً على أن التصوف الإسلامي إنما هو إسلامي المصدر يعتمد الكتاب والسنة أصلا له .

ولقد اعتمد كثير من الباحثين القدامي والمحدثين ، على كتاب « فهم القرآن » للمحاسبي فيما يتعلق بالتفسير ، وفيما يتعلق بالتصوف ، وفيما يتعلق بالفكر الإسلامي بوجه عام. ومن الطريف أن يعتقد البعض بأن كتاب « فهم القرآن » قد 'فقد ، ولم يبق منه إلا شذرات منثورة هنا وهناك ، وهذا ما ذهب إليه بالفعل الدكتور عبد الحليم محمود (۱۱) ، الذي استطاع ، بالرغم من اعتقاده هذا ، أن يلم بكثير من جوانب هذا الكتاب القيم ، معتمداً في ذلك على دراسة للاستاذ ماسينيون تناولت مقالة المحاسبي المعروفة باسم «تنبيه التنبيه» وعلى إشارات المحاسبي نفسه في بعض ما كتب ككتاب «العظمة» الذي ذكر فيه أن الدليل على وحدانية الله موجود في كتاب « فهم القرآن » (۲۰) .

⁽١) د. عبد الحليم محمود: المحاسبي ٨ ٤ - ٤٩ . باريس ١٩٤٠ .

⁽٢) المصدر نفسه ٢٥-٢٦.

ونحن نذهب مع الدكتور عبد الحليم إلى أن محاولة ترتيب كتب المحاسبي ترتيباً زمنياً هي منالصعوبة بمكان نظراً لأنهذه الكتب قد خلت من تواريخها، غير أن الكتاب عندما يتوفر نصه بكامله بين أيدينا من يكون السهل إلى حد ما البحث عن بعض الأحداث المشهورة ، فنربط بينها وبين تاريخ الكتاب إذا كان وضعه قد رافق هذه الأحداث بالذات .

وهذا ما فعلناه بالنسبة لكتاب « فهم القرآن » للمحاسي ، ففي حسين كاول الدكتور عبد الحيم محمود أن يرتب ، منطقياً كتاب « فهم القرآن » في في المرحله الأولى من حياة المحاسبي أي قبل الثامنة والثلاثين من عمره ، على اعتبار أن الكتاب قد تميز بأسلوب هذا العصر الذي يشير إليه ، وبالموضوع الذي كان شغل المفكرين آذذاك ، وهو موضوع « فهم القرآن » والحديث في ذات الله وصفاته (۱) ، فلقد حاولنا من جهتنا أن نرد هذا الكتاب ، تاريخياً إلى الزمن الذي نعتقد أنه و ضع فيه ، أي إلى الوقت الذي كان فيه المحاسبي قد بلغ فيه سن الخسين على وجه التقريب . ذلك لأن هذا الكتاب قد و ضع في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري على وجه التقريب . لأن المحاسبي يذكر فيه ولاية ابن طاهر على خراسان ، وقد وليها هذا على اثر استقرار ين بغداد أيام المأمون .

والمحاسبي يذكر أن تولية عبد الله بن طاهر (١٨٠ ــ ٢٣٠ هـ) على خراسان كانتأمراً مشهوراً بحيث يستطيع الإجابة عليه كل أحد، وهذه الشهرة لن تكون إلا بعد ولايته بمدة . وقد وليها هو بعد وفاة أخيه طلحة واليهاسنة ٢١٤هـ.

ولقد كان ابن طاهر ، وقت تأليف المحاسبي لكتابه هـذا في قمة شهرته ، اذ يقول القائل : من بخراسان ؟ فيقال: ابن طاهر . فيكون تأليف هذا الكتاب في النصف الثاني من العقد الثاني من القرن الثالث للهجرة كما قلنا .

⁽١) المصدر السابق ٢١ – ٢٥.

ثم ان هناك سبباً آخر لجعل هذه الفترة وقتاً لتأليف كتاب الحارث هذا؛ إذ تمكنت في ذلك الوقت سيطرة المعتزلة على الفكر في الدولة ، بعد أن انتصر المأمون لمذهبهم ، وحاول حمل الناس عليه . وفي الكتاب حملة على المعتزلة والرافضة معاً وهما الفرقتان اللتان ناصرهما المأمون في حماس وقوة .

وكتاب « فهم القرآن » هو أهم ما وصلنا من كتب الحارث وفي الرد على. المبتدعة . فهو في مقدمته يتحدث عن نهج العقل المؤمن ويرى أن العقل الماي يزيغ ليس بعقل حق .

ثم يتحدث عن الفرق الزائغة فيركز على الرافضة الذين يهاجمهم في قولهم بنسخ الأخبار . ثم يعرج على بعض المغفلين من أهل السنة الذين يؤدي قولهم إلى مثل ما أدى إليه قول الشيعة بمن يقولون بالبدوات وحدوث الإرادات، ولا شك أنهم حشوية المحدثين ، ولا بد أنهم كانوا ذوي قوة ملحوظة في ذلك الوقت حتى اهتم الحارث بالرد عليهم .

ثم يبدأ بنقده الأشد والأطول لبعض أهل البدع من المعتزلة _ كا يسميهم. _ فيمسك بخناقهم في زهاء (١٠ صفحات) من المخطوطة ويبدأ معهم في مسألة النسخ التي يقول انهم خلطوا فيها بين رأي أهل السنة السلفيين ،ورأي الحشوية ، وجعل ذلك مدعاة ً لمهاجمتهم جميعاً . ومن هنا نفهم سر حمدة المحاسبي على الحشوية إذ بغبائهم أفسحوا المجال أمام المعتزلة لضرب أهل السنة في علوم القرآن .

يبدأ معهم إذن في مسألة النسخ ثم يرد عليهم في بقية أجزاء مذهبهم و فتتضح من خلال ذلك آراؤه الكلامية فهو يقول بقدم الذات والصفات ويثبت العرش والاستواء ، ثم يرد عليهم في العدل والوعد والوعيد ، وينعى عليهم تحجرهم العقلي ، ويسخر منهم في القول في المنزلة بين المتزلتين ، كا يحمل عليهم في نفي الرؤية والشفاعة ، ثم يعلل خطأهم في كل هذا واحتجاجهم على.

خَلَكَ كُلُهُ بَالْقُرَآنُ بَأَنَهُمُ لَا يُعْرَفُونَ النَّاسِخُ مِنَ المُنْسُوخُ ، كَمَا لَا يُحْسَنُونَ التأويلُ كَمَا يُرِيدِ اللهُ ورسولُهُ ، فيجعلون العام خاصاً والخاص عاماً .

ثم يعود في الجزء الأخير من الكتاب إلى تقرير الوضع الصحيح في فهم القرآن: ناسخه ومنسوخه ، وخاصه وعامه وربما سقطت صفحة أوصفختان من آخر المخطوط ، لأن الكلام مبتور . وقد يكون الساقط أكثر ، لأن الحارث يذكر في كتاب « العظمة » أن في « فهم القرآن » الدليل على وجود الله . وما تحدث عنه الحارث في كتاب العظمة غير موجود فيا بين أيدينا من « فهم القرآن » .

شرح وتلخيص

المقدمية:

أ – في تنزيه الله :

تتضمن الرد على الجهمية والمعتزلة والمشبهة والحشوية فهو يقول: « الحمد لله الذي ما سبقه شيء فيكون محدثاً مخلوقاً ، ولا بقي إلى أجل فيكون فانياً موروثاً . . . فات المقدار وعلا عن توهم الأذهان ، تاهت الألباب عن تكييفه ، وتحيرت العقول عن إدراكه » فلا تشبيه ولا تجسيم وإنما هو تنزيه مطلق يتفق وجلال الألوهية .

ويصل إلى خلق الإنسان فيذكر أنه سبحانه « خلقه لغير وحشة في انفراد أزليته ، ولا استعانة به على ما يريده من تدبيره » ؛ فلا قيمة لما يرويه الحشوية ، وينسبونه إلى الرسول « كنت كنزاً تخفييًا فأردت أن أعرف فخلق من الخلق فبي عرفوني » .

ويفضي به القول إلى آراء الجهمية في تنزيه الله والمعتزلة في الذات والصفات فيرد عليهم في سياق المقدمة فهو سبحانه « علم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون » وذلك « لتفرده بعلم الغيوب فلا حاجـة للقول بصفات حادثة ، ولا حاجـة لنفي الصفات بججة التنزيه ما دام العلم واحداً في كل حال والمتغير تعلقه أي المعلوم إذ أن العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو علمه .

ب - في العقل:

ولقد استخص الله آدم وذريته « فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية والألباب والفهم ليدبروا بها شواهد التدبير ، وأحكام التقدير » ولن يستطيع الإنسان أن يقيدر نعمة الله في هبته العقل له حتى قدرها إلا إذا عرف أن « العقول معادن الحكمة ، ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ، ومعقل العلم ، ونور الأبصار ، إليها يأوي كل محصول » .

ولأنه تفرد بعلم الغيب سبحانه ، فإنه لا يعرف صفاته ومراضيه ومساخطه إلا هو ، لذا فقد أرسل الرسل « فكلمهم تكليماً لا بأداة أو آلة بل (بذاته)» فخاطبوا العقل البشري بأمر الله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ففضل العقل ، في أنه الأداة التي تتلقى عن الرسل شرع الله ، وهذه هي وظيفة العقل ، أن يعقل الشرع لا أن يشرع ويبتدع من عنده ، فلم يكن ممكنا أن نعبد الله حق العبادة بغير رسالة ، وباسم العقل لأن العقل متلق وليس صانعاً .

القسم الاول:

لما كان القرآن بهذه المثابة من الأهمية إذ أنه المهيمن على العقل ، فلا بدمن تعريف به وبحامله ، وهو ما فعله المحاسبي في هذا الفصل ، وقسد قسمه إلى عدة فقرات :

أ – فضائل القرآن :

« فقد أمرهم بالمكارم ، ونهاهم عن الآثام والمحارم ، ووعدهم فيه جزيل الثواب ، وضرب لهم فيه الأمثال ، وفصلً لهم فيه المعاني الدالة على سبيل النجاة ، وأبان فيه المشكلات ، وأوضح لهم فيه الشواهد... فهو بركة لقوله

تعالى: (كتاب أنزلناه إليك مبارك) ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة ، وينالون باتباعه الزلفى والكرامة . وهو أحسن الحديث تصديقاً لقوله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) . فأخبرهم أنه لا حديث يشبهه في حسنه ، وأخبر أنه متشابه غير ختلف فيه . وسماه بأحسن الأسماء فقال : (كتب عزيز) .

وقال أن ما قبله من الكتب مصدق له وشاهد ، وأخبر أنه محفوط لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فهو نور الليل المظلم ، وضياء النهار ويجب العمل به على ما كان من جهد وفاقة » .

ب – فضائل القراء :

أما الذين يتلون القرآن ويتدبرونه فهم أولياء الله الذين نعتهمم بقوله: (تقشعر جلودهم) وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله عز وجلل وقد ضمن الله لهؤلاء: أن من اتبع منهم ما في كتابه من الهدى الإجارة من الضلالة في الدنيا والسعادة في الآخرة والنجاة من الشقاء. قال الله عز وجل: (فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى).

ثم روى أحاديث كثيرة في فضل حاملي القرآن وقراءته ، « فلو ذاب أهل السموات والأرص حين يسمعون كلام الله عز وجلل أو ماتوا خموداً أجمعون لكان ذلك حق لهم ، ولما كان ذلك كثيراً إذ تكلم الله عز وجل به تكليماً من نفسه من فوق عرشه . من فوق سبع سماواته . وإذا كان كلام العالم أولى بالاستماع من كلام الجاهل وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها والله أعلم العلماء وأرحم الرحماء فكلامه أولى كلام بالاستماع والتدبر والفهم . فإذا اجتمع هم "القراء وحضر، زكت أذهانهم، وإذا زكت قويت على طلب الفهم واستبانت اليقين وصفت للذكر » .

القسم الثاني

في فقه القرآن

ينبغي لتالي القرآن أن يعرف ناسخه ومنسوخه ، محكمه ومتشابهه وعامه وخاصه، ومقدمه ومؤخره وموصوله ومفصوله ، وغريبه وما لا يعرف معناه إلا باللغة أو بالسنة أو بالإجماع ، «قال ابن عباس : أنزل القرآن على أربعة أوجه : حلال ، وحرام ، ولا يسع جهله . وتفسير يعلمه العلماء . وعربية تعرفها العرب . وتأويل لا يعلمه إلا الله » .

القسم الثالث

ما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز فيه ذلك :

بعد أن ذكر أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ورأى أن على قارىء القرآن المتدبر له معرفة ذلك قال إن في القرآن معنيين « لا يجوز فيهـما النسخ ومن دان بأنه يجوز فيهما النسخ فقد كفر » :

١ ـ صفات الله وأساؤه :

« فلا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله جل شأنه ولا صفاته ولا أسماؤه يجوز أن ينسخ جل وعز ، وصف نفسه بصفاته الكاملة . فمن أجاز النسخ فيها أجاز أن يبدل أسماءه الحسنى فيبدلها قبيحة ، وصفاته العليا فتكون دنية ناقصة سفلى ، ومدحه الظاهر ، فتكون مذمومة دنية جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً » .

۲ _ وأخباره تعالى عما كان ويكون :

« لأنه بذلك يكون منصرفاً منالصدق إلى الكذب ، ومن الحق إلى الهزل

واللعب . وإنما ينسخ أخباره الكذاب أو الخبر بالظن » والمحاسبي ينطلق من المقدمة السابقة ليهاجم طوائف من الشيعة والمعتزلة والحشوية .

وقد سبق أن أوضحنا أن القرن الأول من عصور الدولة العباسية ساده صراع عنيف بين المعتزلة والشيعة من جانب والمحدثين من جانب آخر، وتطرف كل من الفريقين في موقفه ، فكان كتاب المحاسبي هذا لإعادة الأمر إلى نصابه ، بعيداً عن الغالين والمقصرين ، المفرطين والمنفر طين . وقد , أى المحاسبي أن القول بالنسخ في الأخبار ، والأخذ بالمتشاب في صفات الله ، يؤدي إلى نتائج ليست من الإسلام في شيء .

البدوات وحدوث الارادات:

« إن النسخ في الأخبار يوجب بالخبر الثاني الكذب في الخبر الأول، كا يلزم منه البداء . والبداء من الجهل ، وذو البدوات جاهل بما يكون فيما يستقبل والله سبحانه وتعالى يقول : لا تبديل لكلماته ، وقد أول بعض من يدعي السنة ، وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث . فأما من ادعى السنة فأراد إثبات القيدر فقال : إرادة الله عز وجل أحدث من تقديره ، فتقديره سابق لإرادته .

وأما أهل البدع فزعموا أن إرادة الله عز وجل ، بها كوسّ المخلوق ، فزعمت أن الخلق غير المخلوق ، وأن الخلق هو الإرادة » .

ويرد عليهم المحاسبي رداً هو رد الأشاعرة والغزالي فيما بعد . ان العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. والإرادة تخصيص لزمان وقوع الفعل ... «وأما قوله : (إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله : (إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) . فإنه لم يزل يريد قبل أن محدث الشيء أن يحدثه في وقت إحداثه . فلم يزل يريد إحداثه في الوقت المؤخر ، فإذا جاء الوقت فهو أيضاً يريد أن يحدثه فيه فبإرادته أحدثه في ذلك الوقت الذي فيه أحدثه ، فإرادته عز وجل دائمة لأنه مريد قبل

الوقت ... وفي الوقت الذي أحدثه فيه، فأراد بقوله عز وجل: (إذا أردناه): إذا جاء الوقت الذي هو فيه وهو له قبل في الوقت مريد ، فأوقع إذا على الإرادة ، وإنما أراد الوقت وهو مريد له أيضاً في الوقت . وإذا أردنا أن نهلك قرية : يعني الوقت الذي أردناه من قبل إذا جاء الوقت أهلكناها فيه ... لا على البدء منه بإرادة أخرى » .

السمع والبصر:

وكذا السمع والبصر ، معناهما انكشاف المسموع والمبصر على ما هما عليه لا بآلة « والمراد من مثل قوله تعالى : إنا معسم مستمعون . أن المسموع والمبصر لم يخشف على أن أدركه سمعاً وبصراً لا بالحوادث في الله عز وجل . ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع وإبصار مع حدوث المبصر فقد ادعى على الله عز وجل ما لم يَقَلُ " » .

العــــــلو :

والحارث سلفي في مسألة العلو والعرشية (١) ، فهو يقول أنه تعالى على عرشه بائن عن خلقه ، ويرد على أولئك الذين يقولون انه تعالى في كل مكان بذاته ، وهم الجهمية وأهل الحلول من المتصوفة . وقد عاصر الحارث المنزّهة المخطئين ، كما عاصر جماعة من الحلولية منهم أبو حمزة الصوفي ، الذي كان له وقائع معه . أما ما ورد في القرآن من مثل قوله تعالى : معهم أينا كانوا . وهو الذي في السماء إله ، وغيرها ... « فذلك موجود في اللغية إذ يقول

⁽١) ابن رشد: مناهج الادلة في عقائد الملة ١٧٦ « وأما هذه الصفة الجهة فلم يزل أهل الشريعة من أول الامر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الاشاعرة كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله وظواهر الشرع كلها تقتضي اثبات الجهة » . والقول بأن الله فوق عرشه ، يقول به : الاوزاعي ، ومالك والثوري ، وحماد بن سلمة ، ومسعر بن كدام ، وأكثر السلف . راجع الذهبي : العلو للعلي الغفار . مع ملاحظة أنه متطرف في ذلك الى حد التشبيه بل التجسيم .

القائل: من بخراسان؟ فيقال ابن طاهر، وإنما هو في موضع، فجائز أن يقال أمير في خراسان فيكون أميراً في بلخ وسمرقند وكل مدنها. هذا وإنما هو في موضع واحد يخفى عليه ما وراء بيته ... ولو كان على ظاهر اللفظ ما جاز أن يقال أمير في البلد الذي هو فيه ولا في بيته كله وإنما هو في موضع منه ، لو كان معنى هذا الكون ، فكيف العالى فوق كل شيء ولا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إله أهل السهاء وإله الأرض؟ » .

الحشوية والنسخ في الاخبار :

وافق الحشوية بعض الروافض في القول بنسخ الأحبار دون أن يقصدوا إلى ذلك « فقال الكلبي أنه لما نزلت : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم . نسخها بقوله : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى . ومعنى ذلك أن لو لم يكن نسخها أن الله عز وجل قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنه أراد به أن يعذب عزيراً والملائكة والمسيح فأوجب عليهم العذاب ثم نسخ ذلك بعد ما أوجبه كما أوجب قيام الليل ثم نسخه ... ومعاذ الله أن يكون الله عز وجل أراد وأحب تعذيب أوليائه من الملائكة ولا المسيح ولا عزير ، وقد تقدمت فيهم أخبار من الله عز وجل بالولاية قبل أن ينزل آية العذاب لم يرد بها من تقدم منه القول بولايتهم أوإغا أراد من عبدوا سوى أوليائه ، وكان خبراً خاصاً لا عاماً » .

ثم ذكر أمثلة أخرى من الأخبار التي ظاهرها العموم وهي خـــاصة في طائفة معينة أو واقعة معينة .

أين يجوز النسخ ؟

« فالناسخ والمنسوح لا يجوز أن يكونا إلا في الأحكام في الأمـر والنهي والحدود والعقوبات في أحكام الدنيا »

ولا يعني ذلك البداء ، أو التناقض « ولكنه أمر بأمر ، وحكم بحكم وهو يريد أن يوجبه إلى وقت ويريد أن يأمر بتركه بعد ذلك الوقت فلم يزل مريداً للفعل الأول إلى الوقت الذي أراد نسخه وإيجاد بدله ... ولا ينسبخ أمره ، ولكن ينسخ المأمور به عأمور آخر . وذلك موجود بين العباد على تقدم الإرادة منهم ، فيما أمروا به أولاً ثم نهوا عنه وامروا بغيره من غير بدو ولا جهل . وذلك كأن يأمر الرجل غلامه ليعمل في أرضه وهو يريد أن يعمل فيها وقت الزراعة ثم يصرفه بعد ذلك إلى خدمته في منزله وكلاهما قد تقدمت به الإرادة منه » .

ثم ذكر أن المعتزلة رغم ضلالهم وافقوا أهل السنة في امتناع نسخ الأخبار وجواز نسخ الأحكام لكنهم أفضوا من هذه المقدمة السليمة إلى نتيجـــة فاسدة ، هي :

القول بخلق القرآن :

ولهم على ذلك حجتان :

أ — أن كلام الله مخلوق « لأنه ينسخ كلامه بكلامه ، فيها أمر به ونهبى عنه ، ولو لم يكن مخلوقاً ما جاز عليه النسخ ولا التبديل » .

وقد رد عليهم الحارث بأن هذا التفسير منهم للنسخ تمحل وجهل بالمعنى الحقيقي ، إذ أن الله لم ينسخ كلامه ، وإنما « نسخ مأموراً به بأمور به . فأبدل أحدهما مكان الآخر وكلاهما كلامه . وإنما ينسخ كلامه الأول بكلام منه ثان الكاذب الراجع عما قال . فأما إذا كانا جميعاً منه حق وصدق فلا نسخ إلا في المأمور والله سبحانه يقول : (لا مبدل لكلماته) . ويقول : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) . فدل الله عز وجل بذلك أن في تبدل كلام الله الكاب الكذب ، والله عز وجل لا يبدل كلامه ولا ينسخ قوله وإنما ينسخ فرضه بفرض آخر » .

ب - « (ما نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . فقالوا : ما جاز فيه أن يكون بعضه خيراً من بعض فهو مخلوق لأنه إذا كان شيء هو خير من شيء فقد فضله والآخر منقوص ، وقال : أو مثلها . وما كان له فهو مخلوق لأن المثل يشتبه بمثله ، وما جاز أن يأتي به الله عز وجل فيحدثه فهو مخلوق ، وكل مخلوق فمثله مخلوق ، لأن حكم المثل حكم مثاه ... وجهلوا التأويل . إنما قوله جل وعز : نأت بخير منها ، بخير مأمور به خير مها لا يعني خيراً من التوحيد ، وإنما يعني له فيها خير ، كما يقال : الدراهم خير من المال ، لا يريد أفضل من المال ، وإنما يعني له فيها خير ... أي يريد الدراهم من المال خير ... ومن زعم أن كلامه عز وجل في (وأقرأوا ما تيسر منه) خير من قوله (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) كان كافراً بالله عز وجل إذ ازدرى كلام الله وزعم أنه منقوص دني » .

القسم الرابع: مع المعتزلة، دفاع والتزامات

دعوى المعتزلة :

« وقد ادعى علينا بعض أهل البدع من المعتزلة أنا نزعم أن الله عز وجل ينسخ أخباره وصفاته ، فقالوا ان الله عز وجل أخبر أنه يعذب القاتـــل والزاني وشارب الخر وآكل مال اليتيم ظلماً ولم يستثن منهم أحداً فزعمتم أنه جائز أن يغفر الله لبعض أهل الكبائر ، وأنه لا يغفر لبعضهم ...»

ويصل الأمر إلى الصفات فيقول المعتزلة: « زعمتم أن الله جـــل وعز المتدح بأن الأبصار لا تدركه . ثم زعمتم أن هذه المدحة تبدل في الآخــرة فتراه العيون وهذا نسخ المدح لأنه امتدح بأن الأبصار لا تدركه ولم يستثن.. فزعمتم أنها تدركه في الآخرة نظراً ... » .

«ولو جاز أن يغفر الله لأهل الكبائر لجاز أن يغفر للكفار لأنه كذلك قال إني أعذبهم » .

ويرد الإمام المحاسبي عليهم بأنهم أبعدوا في القياس ، وإنما أتوا من قبل الجهل بخطاب الله وتأويله وغفلتهم عن علوم القرآن ، فأخبار الله ومدحمه لا تنسخ لكن من الاخبار عاماً وخاصاً. « وان اتفق ظاهر تلاوتها في العموم، فهو مختلف في معاني العموم والخصوص » .

في الوعد والوعيد :

« فأما ما ادعوا علينا في الوعيد فهذه دعوى باطل » إذ أن الله جلوعز أوجب لاهل الكبائر العذاب ، وهو يريد أن ذلك عليهم وأنهم لهمستحقون ولم يرد أن يعذبهم أجمعين « فإن أراد أن يعذب بعض من استوجب فيعذبه بعدله ، ويعفو عن بعض من وجب عليه بفضله » وقد قال الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأيسنا من عفوه عن المشركين ، ورجونا عفوه عن بعض أصحاب الكبائر دونما تعيين .

ورأى المحاسبي بعد هذا أن المعتزلة يمكن أن يلجأوا إلى ظواهر الآيات مع أنهم هم متطرفة المؤولة فتتبعهم في ذلك وسد عليهم الطريق بججج من كلامهم نفسه وألزمهم عدة الزامات .

الزام المعتزلة :

يوجب المعتزلة على الله عقاب الكفار وأصحاب المعاصي ، كما يوجبون المغفرة لاصحاب الصغائر غير المصرين ، وهذا الإيجاب يرى فيه المحاسبي خروجًا على الكتاب والسنة وإجماع الامة ، ويرتب عليه عدة نتائج .

أ ـ امتناع الخوف والرجاء :

« إذ أن مرتكب الكبيرة مستيقن أنه في النار ، ومجتنبها مستيقن أنه

في الجنة ، إذا خاف أحدهما أو رجا يكون شاكاً في وعد الله ووعيده ، فيكفر .. والموحدون لا يخلو أحد منهم من أن يكون مجتنباً للكبائر أو مصراً على بعض الكبائر أو دون ذلك أو كلاهما ، فحرام عليهم على قولكم الحوف والرجاء ، لأنه لا يخلو أحد منهم من أن يكون من إحدى المنزلتين ، وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع الأواين والآخرين » .

ب ـ امتناع العفو:

« وكذلك العفو في الآخرة لا يجوز أن يكون من الله جـــل ذكره على مذهبكم ، لأنه لا يلقى الله إلا صاحب كبيرة قد أوجب في الدنيا ألا يعفو عنه ، وذلك عندكم إن اعتقده لأن الله جل ذكره قد آيسه من ذلك . أو صاحب صغيرة غير مصر على كبيرة يعد مجتنباً للكبائر كلها فقد عفى الله عنه في الدنيا ، وقد مات يوم مات وهو مغفور له ، من أهل الجنة فلا يحتاج إلى العفو والصفح . . . وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع القرون من الأولين والآخرين » .

ج ـ امتناع شفاعة النبي علي :

«لأن صاحب الكبيرة معذب لا محالة ، فلا يستطيع الرسول عَلَيْكُم ، أن يشفع له ولا تغني عنه شفاعته شيئاً ، والمجتنب للكبائر مثاب لا محالة .. فلا حاجة به إلى شفاعة وهذا رد للآراء المستفيضة عن النبي عَلَيْكُم والأمة كلها جاهلها وعالمها ، كلهم يرجون شفاعة النبي عَلَيْكُم » .

القسم الخامس

في ذكر الناسخ والمنسوخ من الاحكام :

بعدما خاض المحاسبي معركة مع المشبهة والمعتزلة والروافض ، حــول

الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص في القرآن أراد أن يرسم الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يتسم في فهم القرآن ومعرفة معانيه. فعقد هذا الباب للناسخ والمنسوخ ثم عرض بعد ذلك لدقائق ولطائف في التفسير.

بدأ المحاسبي هذا القسم بتقسيم القرآن إلى مكي ومدني . ليعرف المتقدم من المتأخر وهو الأمر القاطع في معرفة الناسخ من المنسوخ وبعد أن عسد آراء العلماء في عدد السور المكية والمدنية عرض لمميزات كل من المكي والمسدني بإيجاز ، ثم تحدث في الناسخ والمنسوخ ، فقسمه إلى خمسة عشر باباً :

١ - ما رفع رسمه من الكتاب ولم يرفع حفظه من القلوب ، فأثبت حكمه
 بسنة النبي علي كآية الرجم وغيرها .

٢ – ما رفع حكه من الآية بآية أخرى وبقي رسمه ثابتاً في كتاب الله
 عز وجل منه : (إن يكن منكم عشرون صابرون) الآية .

" - أن يرفع رسمه من الكتاب ويرفع حفظه من القلوب وحكمه : «حدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي امامه أن رجلاً كانت معه سورة فقام يقرأ من الليل فلم يقدر عليها ، وقام آخر يقرؤها فلم يقدر عليها ، فقال النبي عليه السلام : إنها نسخت البارحة » .

إ - أن يرفع رسمه من الكتاب ويبقى حفظه في القلوب ويرفع حكمه .
 من ذلك ما روت عائشة أنه كان فيما أنزل الله ألا يحرّم إلا عشر رضعات .
 والأمة مجمعة على أن حكم العشر رضعات غير لازم في الكتاب والسنة .
 وإنما اختلف العلماء في رضعة أو خمس رضعات ولم يقل أحد ما فوق الخسة .

 ٦ - أن يفعل النبي عَلِيْ أو يأمر أمته بفعل ليس بنص كتاب الله عز وجل فينسخه الله بحكم أنزله في كتابه فيثبت الحكم في الكتاب ... من ذلك نسخ الصلاة إلى بيت المقدس ، ونهيه عن الاستغفار لعمه .

٧ – أن يختلفوا في الآيتين ناسخة إحداه الأخرى أم غير ناسخة ، وإن أجمعوا أن يستعملوا التي اختلفوا فيها أمنسوخة أملا ؟ على التجوز والاء اط لا لا على القطع ، من ذلك قوله (وأن تجمعوا بين الاختين) ثم قال جل ثناؤه (إلا ما ملكت ايمانكم) فقال على وعثمان : أحلتهما آية وحرمتهما أخرى .

٨ – أن يختلفوا في الآيتين أناسخة إحداهما أم لا ، ويجمعوا على إثبات حكمها في معنيين مختلفين . من ذلك : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها)، لا تخافت عن أصحابك فلا يستطيعون أن يأخذوا عنك . ولا تجهر حتى لا لا يسب المشركون القرآن وكان ذلك بمكة .

٩ — ان أصحاب محمد عليه السلام اختلفوا في آيتين هل نسخت إحداها الاخرى؟ وحكمها جميعاً ثابتان. ثم أجمعت العلماء بعد عصرهم من التابعين ومن بعدهم أخذا عن سنة النبيعليه السلام أن إحداها نسخت الاخرى، وأنها معدلة لبعض حكمها من ذلك قوله عز وجل: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشراً). وقوله: (واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن). فاختلف الصحابة: فقال ابن مسعود إن سورة النساء القصرى أنزلت بعد. وقال غيره تربص آخر الأجلين... والامة مجمعة اليوم أن الآية في الحامل قد ثبت حكمها وأنها لا تتربص آخر الاجلسين، وذلك أنه ثبت عن النبي (ص) أنه أمر سبيعة أن تتزوج بعد وفاة زوجها بأربعين بوماً.

١٠ - أن يجمع العلماء على نسخ آية ثم يختلفون في الناسخة ماذا أوجبت من الحكم ، فيجمعوا على حكم أنها أوجبته ونسخت ما قبله ، ويختلفون في غيره أثبت بالناسخة أم لا ؟

11 – أن يختلف الصدر الاول من أصحاب النبي (ص) في الآيتين أنسخت إحداهما الاخرى أم لم تنسخها ، ثم يجمع العلماء على أن إحداهما هي المحكمة من ذلك الآيتان : (والزانية لا ينكحها إلا زان) ، (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

١٣ ــ الذي أجمعت عليه الامة أنه ناسخ فمنسوخ لا يختلفون في ذلك .

15 — أن يختلف العلماء في نسخ آية أو عدمه ، بناء على الاختلاف في تفسيرها ، من ذلك : (فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً). فأجمعوا أنه أسقط الفسق بالتوبة ، فقال بعضهم : نسخه . وقال بعضهم : لم يرده ، وإنما أراد من لم يتب . فقال بعضهم : لم يرد التائب في ترك قبول الشهادة . ثم اختلفوا في الشهادة

10 — ما اختلفوا أنه منسوخ ولا يجوز عند أهل النظر أن يكون في. الكتاب والسنة . من ذلك قوله عز وجل : (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) . وقد سبق أن ذكرنا رأي الحارث فيسما ذكره الكلبي حول نسخ هذه الآية .

ويلاحظ أن أكثر ما ذكره الحارث بما اختنكف فيه يمكن ارجاعه إلى نوع واحد . وتبقى أنواع ثلاثة : منسوخ حكماً وتلاوة ، ومنسوخ حكماً ثابت تلاوة ، ومنسوخ تلاوة ثابت حكماً ١١٠ .

⁽١) الآمدي : الإحكام ٣/٩٧٣: اتفق العلماء على جواز نسخ التلاوة دون الحكم، وبالعكس ونسخها مماً ، خلافاً لطائفة « شاذة » من المعتزلة ، ويدل على ذلك العقل والنقل اه .

القسم السادس

من أساليب القرآن:

وأفضى بالمحاسبي الحديث إلى تناول بعض جوانب النفسير ممسا يتصل بالنحو والبلاغة . ولا شك أن هذا أثر من آثار بيئته الثقافية ، سم رأن من أساتذته أبا عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب (غريب الحديث) الذي يعرض لموضوعات مشابهة . والمخطوط ناقص من آخره ، سطوراً أو صفحات والامور التي نبه إليها الحارث الناظرين في القرآن بعسد حديثه المسهب في في الناسخ والمنسوخ ، هي :

التقديم والتأخير :

(لان العرب قد كانت تفعل ذلك في تراجعها بينها ومخاطبتها قبل أن ينزل الكتاب على نبيه عليه السلام) . من ذلك قوله : فكيف كان علم ونذر . ولا شك أن النذر مقدمة على العذاب في الواقع . وقوله : (من بعد وصية يوصي بها أو دين) ، فبدأ بالوصية ، وسنة النبي (ص) البدء بالدين . وقوله : (لهم غرف من فوقها غرف مبنية) مقدم ومؤخر ، وإنما معناه لهم غرف مبنية من فوقها غرف كذلك . وكذلك فسرها أهل النفيير .

الاضيار:

من ذلك قوله: (واشربوا في قاوبهم العجل). وإنما هو حب العجل. وقوله: (واسأل القرية) أي أصحاب العير. وقوله: (يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق). ومعناه: ونقول ذوقوا...

الحروف الزوائد :

من ذلك: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فلا زائدة. وقوله: (خلقكم

والذين من قبلكم) من وائدة. وقوله: (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فزاد ما يضرب مثلاً بعوضة فزاد قوله « ما » توكيداً .

الفصل والوصل:

« وفصل الكلمة عن الكلمة إذا انفردت كل واحدة منهـــا بمعنى هو المعنى الذي في الاخرى وكان لا يتم المعنى إلا بتواصلها جميعاً فهو موصــل ومفصل من هذه الجهة ، وهو مفصل من معنى آخر: ان الله جل ذكره بيّنه كله وهو قوله تعالى: (وفصلناه تفصيلاً). وقال عز من قائل: (احكمت آياته ثم فصلت) » .

ومن الفصل فصل يكون كفراً ، كالوقوف عند لا إله ، من لا إله إلا الله ، ومن الوصل وصل يكون خطأ . وعلى قارىء القرآن أن يراعـــي ذلك كله .

وواضح كما قلنا أثر كتاب المجاز لابي عبيدة معمر بن المثنى^(١) وأثر شيخه أبي عبيد القاسم بن سلام .

⁽١) ينقل المحاسبي عن كتاب الجاز لأبي عبيدة في أثناء حديثه عن قوله تعالى : « وأخر متشابهات » وفي مواطن أخرى .

عات فه الف الن وجانب

فهم القرآن

لأَّبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي

في تنزيه الله ^(۱) :

عو نَكَ اللَّهُمَّ .

الحمدُ للهِ الذي ما سبقَهُ شيءٌ ، فيكونَ مُحْدَثاً عَالُوقاً ، ولا بقي إلى أَجلٍ ، فيكونَ فانياً موروثاً .

الأُوَّلُ القديمُ ؛ الدايمُ الكريمُ ، فاتَ المقدارَ ، وعلاَ عن توهُم الأَذْهان .

تَاهَتِ الأَّلْبَابُ عَن تَكْمِيفِهِ ، وَتَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ عَن إِدْرَاكِهِ . تَفَرَّدَ بِعَلَمِ الْغُيُوبِ ، فَعَلِمَ مَا كَان ، ومَا يَكُونُ ، ومَا لا يَكُونُ لو كَان بَعْلَمِ الْغُيُوبِ ، فَعَلِمَ مَا كَان ، ومَا يَكُونُ ، ومَا لا يَكُونُ لو كَان كَيْفَ كَانْ يَكُونَ .

⁽١) هذه الترويسات وضعناها من عندنا محاولة منا للتبسيط بتقسيم الكتاب وتبويبه .

خَلَقَ (الخَلْقَ) لغيرِ وَ حشةٍ في انفرادِ أَزَلِيَّتِهِ ، ولا استعانةٍ بهم على ما يُريدُ من تدبيرِه.

لكنْ أرادَ أَن يَنْشُرَ رَحْمَةُ ، ويمنَّ بفضْلِهِ ، ويستخلصَ مَنْ يَشَاءُ مِن بَرِيَّتِهِ ، فَا بُتَدَأَ آثَارَ ٱلْقُدْرَةِ ، وأَحْكَمَ الصُّنْعَ ، وأَتْقَنَ يَشَاءُ مِن بَرِيَّتِهِ ، فَا بُتَدَأَ آثَارَ ٱلْقُدْرَةِ ، وأَحْكَمَ الصُّنْعَ ، وأَتْقَنَ التدبيرَ ، وابتدأ بالطَّوْلِ ، وبَعُدَ بالمَنِّ ، فعمَّ به عبادَهُ عَدْلاً وأوسعَهُمْ فَضُلاً ، فله الحمدُ والثناءُ شُكراً .

لم يَخْلُقْ خَلْقَهُ عَبَثاً ؛ ولا تركَهُم سُدًى ، ولكنْ أراد أن يتعرَّفَ إلى عِبادِه بآياتِهِ البيِّنةِ ، ودلايلهِ الواضحةِ ، ليوَّدُوا واجبَ حَقِّهِ ، ويجتنبوا مَساخِطَهُ ، لغير حاجةٍ إلى طاعتِهِمْ ، ولكنْ ليستحقَّ الثوابَ من أنابَ وأجابَ ، ويستحقَّ العِقابَ مَنْ جَحَدَ وارْ تَابَ .

فاستَخَصَّ آدمَ و ذريتَهُ ، فأخذَ منهم الميثاقَ بما فَطَرهم عليه من العقولِ الرضيةِ ، والألبابِ والفَهْمِ ، ليدَّبروا بها شواهدَ التدبير، واحكامَ التقديرِ ، فألزمهم بذلك حُجَّةً مِن عُقُوطِم ، بما شاهدوا من إنشائه ، وإثقانِ صُنْعِهِ فِي أَنْفُسِهِم ، وفي جميع خَلْقِهِ ، ثُمَّ مَن إنشائه ، وإثقانِ صُنْعِهِ فِي أَنْفُسِهِم ، وفي جميع خَلْقِهِ ، ثُمَّ أَكَدَ الحُجَّةَ عليهم ، بإرسال الرئسل إليهم ، فنبَّهَهُمْ على النَّظَرِ ؟ المُرتَّد الحُجَّة عليهم ، بإرسال الرئسل إليهم ، فنبَّهَهُمْ على النَّظَرِ ؟ المُرتَّد الحُجَّة عليهم ، بإرسال الرئسل إليهم ، فنبَّهَهُمْ على النَّظَرِ ؟ المُرتَّد الحُجَّة عليهم ، بإرسال الرئسل إليهم ، فنبَّهَهُمْ على النَّظَرِ ؟ المُرتَّد الحُجَة عليهم ، بإرسال الرئسل إليهم ، فنبَّهَهُمْ على النَّظَرِ ؟ المُرتَّد الحُجَةَ عليهم ، بإرسال الرئسل إليهم ، فنبَّهَهُمْ على النَّظَرِ ؟ المُرتَّد الحَبْرَةِ عليهم ، بإرسال الرئسل إليهم ، فنبَهُمْ على النَّطَر ؟ المُرتَّد المُرتَّد عَلَيْهِ مَا مُنْ المُرتَّد المُرتَّد عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ وَيَهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ الْمُ الْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ الْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهَا عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلِيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْ

شاهدوا من الآيات الظاهرة ، والدلايـــل البيّنة ، ولم يَظْهَرُ لهم سبحانَهُ بنَفْسه ، فيُبْدي لهم عظمتَهُ ويخاطبهم (دون رسله ؟)

ولم تكن الرُّسُلُ لتعرف صفاته ، ولا ما يحبُّ ويكره ، فيعلموا عَيْبَهُ كَا عَلِمَ عُيهِ مَهُمْ ، فيكونوا أربابا مثلَهُ ، جَا وعلا عن ذلك و تعالى ، ولم يكونوا ليعرفوا صفاته ولا ما في نفسه ما يُحِبُّ ويكْرَهُ ، وما يُريدُ أَن يُكْرِمَ به مَنْ أطاعه ، ولا ما يُحِبُّ ويكرن به مَنْ عصاه أبداً .

ثم تكلّم بذلك تكليماً بذاتِهِ ، فأكّدَ عليهم الحُجَّة بكلامِهِ ، ووصَف واختار إرسال الأنبياءِ مِنْ عِبادِهِ ، فأرسلهم بكلامِهِ ، ووصَف لهم صفاته الكاملة ، وأسماء وألحُسنني ، وما يرضي به من المقال والفعالِ ، وما يُسْخِطُهُ من الأعمالِ ، وما أعدَّ لمن أطاعهُ من الأقوابِ الجَزيلِ ، والعَيْشِ السليم ، والنعيم المُقيم ، وما أعدَّ لمن أليم العَذاب ، وشديد العقاب في اليوم الذي يَعْرِضُ لا عدائِهِ من أليم العَذاب ، وشديد العقاب في اليوم الذي يَعْرِضُ فيه عِبادَه ، ويُحاسِبُ خَلْقَهُ بأهوالِهِ وزلازله ، فأرسل بذلك لئوم الأمناء من رُسُلِهِ ، فقطع بهم العذر وأزاح بهم العِلَل ، وقال جَلَّ من قائل : «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " » . وقال:

⁽١) النساء: ٢٦١.

« ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير و نذير والله على كل شيء قدير » (۱) . ثم أُخبر عباده انه وجه إِليهم النذر بكلامه وقوله ، فقال : « ومَنْ أَصدقُ من الله قيلا » (۲) .

وقال: «لا مبدِّل لكلما ته» "".

في المقل :

وأَنَّهُ خاطبَهُمْ به من قِبَلِ أَلْبابِهِمْ ، فقال : « إِنَّمَا يَتَذَكَّر أُولُوا الأَنْبابِ » (''

وقال: «لقوم يعقلون» (°) ، و «لقوم يتفكّرون» (۱) ، لأنه جعل العقول معادن الحكمة ، ومقْتَبَسَ الآراء ، ومُسْتَنْبَطَ الفهم ، ومَعْقِلَ العِلْم ، ونور الأبصار ، إليها يأوي كُلُّ بحصول ، وجا يُسْتَدَلُّ على ما أخبر به من عِلْم الغيوب ، فبها يقدّرون الأعمال قبل كونها ، ويعرفون عواقِبَها قبل وجودِها ، وعنها تصدر الجوارح بالفعال بأمرها ، فتسارع إلى طاعتها ، أو تزجرها ،

⁽١) المائدة: ١٩.

⁽٣) الكريف: ٢٧ .

⁽ه) البقرة : ١٦٤، الرعد : ٤، النمل : ١٧، ٧٧، العنكبوت : ٣٥، الروم : ٢٨، ٧٤ الجاثية : ٥ .

⁽٦) يونس: ٢٤، الرعد: ٣، النحل: ١١، ٣٩، الروم: ٢١، الزمر: ٢٤، المائية: ٣١، الانعام: ٢٦، النحل ١٣.

فتمسكَ عن مكروهِما .

فاستخْلَصَ من عِبادِهِ خـالصة من خَلْقِهِ ، فَهِمَتْ عنه قولَهُ اللهُ بعقولِهُ ، فَاتَسع لها ما خفي عن الأبصار .

فَآ مَنَتُ به ، وبما غَيَّبَتُهُ حُجُبُ غيو بهِ من لَدُنْ عَرْشِ إِلَى مُنْتَهَى عَلَمِهِ ، ثُمَّ عارضها هَاجِسُ الشَّكِّ فَأْبَتْهُ ، وذلك بِلُطْفِ البَّسِي ، وما وصفَهُ لها وبفضلِهِ عليها .

فكان عندها ما أُخبرَ به عَمَّا غابَ مما كان ، ومما هو كائِنْ ، كرأي العينِ ، فكانت بذلك مصدِّقةً غيرَ مكذِّبةٍ ولا مُرْتابةٍ .

ثمَّ استخصَّ من الخالِصةِ الأُولى خاصـةً ثانيةً ، من المقرِّينَ والمعترِفِينَ له برُبو بِيَّتِهِ ، المصدِّقينَ بقوله ، فعظَّمُوا قَــدْرَهُ ، فأَجَلُّوه ، وهابُوهُ واستحْيَوْا منه ، وخـافُوهُ ، وحَذِرُوا نَقْمَتَهُ وبأُسَهُ ، فتطهَّروا من كُلِّ دَنسٍ ، و بَذَلُوا له المجهود من قلوبهم وأُبدانهم ، ووصفُوهُ بصفاتِهِ الكامِلَة ، ونزَّهوهُ من كُلِّ مـا لا يَلِيقُ ، وأَفْرَدُوهُ في كُلِّ مَعْنَى ، ولم يُساوُوهُ بشيءٍ مِنْ خَلْقِهِ .

فَأَفْردُوهُ بِالْمَخَافَةِ ، وَالرَّهْبَةِ ، وَالآمَالِ ، وَالرَّغْبَةِ ، وَالتَّقَةِ ، وَالتَّقَةِ ، وَالتَّقَةِ ، وَالتَّقَةِ ، وَالتَّقَةِ ، وَالتَّقَةِ ، وَالتَّغْبَمُ ، به ، وُحُسْنِ التو ثُكلِ عليه ، فأعتقوا مِنْ خِدمَةِ الدنيا أَبْدَانَهُمْ ،

وأفردوا مولاهم بالمعاملة بإخلاص النية له ؛ بطلب مَرْضَاتِه ، واجتناب مساخطه ، وأيقنوا بما وعد وتوَعَد به ، فكان عندهم كرأي العين ، فخشَعوا لذلك واستكانوا ، فدأبوا واجتهدوا فاشتَغَلوا به ، وانقطعوا عن العباد إليه بهُمُومِهم ، ولم يكن فيهم فضُلُ لغيره ، ولا تزينُ لسواه ، فسلكوا سبيل الرشاد بالبصائر النافذة على منهاج الكتاب والشّنّة ، وعلماً بما أمر به ، ونهى عنه ، وندَبَ إليه ، وحَضَّ عليه من مكارم الأُخلاق ، وحُسن الآداب ، فبانوا من عوام المسلمين بالفضل ، والطهارة فكانوا أئمة الهدى ، وأعكرم المتقين ، ومصابيح العلم ، ومَفْزَع كُلِّ مَلْهُوفٍ في الدين، وطالب لسبيل النّجاة .

فأحل عليهم عظيم رضوانه ، وأعد لهم جزيل ثوابه ، وأجر أعمال المُتبعين أعمالهم ، وكان لهم كأجور أعمال المُتبعين لهم مع أُجور أعمال المُقتدين بهم ، وكان لهم عزّ وجلّ اليقين به وبما لهم مع أُجور أعمالهم ، ولم يُعطِهم الله عزّ وجلّ اليقين به وبما قال ، عن روية منهم لربّهم ، ولا مُعَاينة منهم لما وعد وتوعد ، ولكن عن الفَهْم بما قال جَلّ وعزّ في كتابه ، بالتّذكير والتّفكير والتّفكير والتّدبير .

فردَّدُوا النَّظَرَ ، وأجـالوا الفِكْرَ ، وكرروا الذِّكْرَ ،

وتدبّروا العواقِبَ ، وطلبوا مَعانِيَ الدلائلِ ، فطالعوا الغُيُّوبَ ، وشاهدوا بقلوبهم الآخرة ، فصاروا في الدنيا بأُبدانهم ، وفي الآخرة بأرواجهم ، وأجسامهم فيها كعُوَّاد ، وعقوهُم معلَّقَةُ باللّرَخرة بأرواجهم ، وأجسامهم فيها كعُوَّاد ، وعقوهُم معلَّقة بأبللكوت . وذلك بغير ابتداء منهم اجتبوهُ ولا نالُوهُ ، الكن بتفضُّلِ الله جَلَّ وعَنَّ عليهم ، وتعبُّده إِيَّاهُم .

فأقامنا الله وإيّاك مَقَامَهُم ، وأَسلَكَنا وإيّاك سبيلَهُم ، حتى يُلْحِقَنا بمنازِلِهِم ويرافق بيننا وبينهم في جواره . فإنهم أعقل خلق الله جَلَّ وعز عنه ، لما فهموا من كلامِه ، وتدبّروا معاني قوله ، وبذلك (أَمَّنَهُم) ورضي عنهم وأثنى عليهم ، ورفع به قدره م ، لأنهم فهموا منه ما أخبرهم عنه بكلامِه الذي أنزله في كدرهم ، لأنهم فهموا منه ما أخبرهم عنه بكلامِه الذي أنزله في كتابه ، إذ يقول جل وعز : (يا أيها الناس قد جاء ثكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصّدور وهدًى ورحمة لهو منين) () .

فَلْمَا عَقَلُوا ذَلْكُ عَنْ رَبِّهِم ، ابتَغُوْا مِنْهُ الشَفَاءَ وَالْهُدَى وَالرَّمَة ، فَدَاوَوا به قساوة قلوبهم ، وغَسَلُوا به دَرَنَ ذُنُوبهم ، ووضعوا دواءَه على أَدُواءِ قلوبهم ، و نَفُوا به سُوءَ النِّيَّاتِ مِنْ ضَمَائِرِهم اللَّهُ الشَّبُهاتِ و أَزَالُوا به و حَرَ صُدُورِهِم ، و نَظَرُوا ببصائِرِهم إِلَى مَا يُشْبِهُ الشَّبُهاتِ

⁽۱) يونس : ۲۰ .

من سوءِ الدلايلِ ، ومكايدِ الشَّيْطِانِ ، وزُخْرُف الْمُبْطلِينَ ،: وكَشَفُوا بمنار دلايلِهِ ما وارَثُهُ الظُّلُماتُ ، وغطَّتْهُ الشَّهَواتُ ، من. خَفيَّاتِ الغُيوبِ، ومعالم الطريقِ المضروبِ على المَحَاجِّ الواضحات، والبُرْهَانِ النَّيِّرِ . فَنَظَرُوا بنورِ هِدايةِ كلامِ الربِّ ، جَلَّ ذِكْرُهُ، وواضح دلايلِهِ ، إلى ما خَفِيَ عن الغافِلينَ ، الْمُؤْثِرينَ لأَّهُوائِهُم على استيضاح كتاب ربِّهم جَلَّ مولانا وتعالى، فهَتَكُوا بنورهِ حِجابَ. كُلِّ ظَلْمَة ، وكشفوا بتبيانِهِ غطاء كُلِّ ضلالةٍ وبدعة ، لأنَّه الدليلُ الواضِحُ ، والصِّراطُ المستقيم ، الذي جعلَهُ اللهُ للناسِ إِمامـــاً ، ورضىَ به بينهم حاكماً ، فأماتوا عنده كُلَّ شَهْوة، وانبعثوا بتأثُّملِه. إِلَى كُلِّ رغبــة ، وحنُّوا بتشويقِهِ إِلَى جوارِ المولى الكريم ؛ وصَبَرُوا لأَحْكَامِهِ فِي كُلِّ عُسْرٍ ويُسْرِ ، وتأدَّبُوا بِأَدَبِهِ فِي كُلِّ أَقُوالِهِمْ ، وتَزَيَّنُوا بأَخْلاقِهِ في كُلِّ أُمورهم ، فصاروا للقيام بهِ (و) للمتعبِّدين أعلاماً ، يَرْجعُ الحائرون عن الحقِّ إِلَى سبيلِهم ،. ويتأدَّبون بمكارم أخلاقهم، ويتزيَّنون بزينةِ هَدْيهمْ، ويستضيئونَ. بنورِ هِدايَتِهِمْ ، (٨٥) ويَدينونَ بما أَلزموا من بُرهان نُحجَّتِهِ .. فَارَغَبُ إِلَى اللهِ عَزَّ ، جَلَّ فِي طَلَبِ آثَارِهِم ، وسُلُوكِ طريقِهِمْ .

القسم الأول

فضائل القرآن

فَإِنَّ العَاقِلَ عَنِ اللهِ عَنَّ وجلَّ ، بدلا يُلِ الكتابِ ، .. بُصِرْ ، وبحبلِهِ من كُلِّ هَلْكَةٍ معتصم ، ولرِّبه بتلاوتِهِ في الخَلَوات مُناج لأنه بنجاةِ نفسِه مهتمٌّ ، ففزعَ إلى فهم كلام الربِّ جـلَّ وعَزَّ ، لِيُحْيِيَ بِهِ قَلْبَهُ ، وينجو به من عقا بهِ ، في يوم يندمُ فيه الغافلون، وينحسِرُ فيه الْمُبْطِلُون ، فكفى بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ عن غيب الآخِرةِ مُخَبِّراً ، وببصائِرهِ للعوامِّ مُوَضَّحاً ، لأَنَّ مَنْ فَهِمَ عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ذاقَ طَعْمَ حلاوتِهِ ، وخالطَ فهمَهُ لَذَّةُ مناجاتِهِ ، إِذْ عَرْفَ مِن تَحَاوُرُهِ ، فَعَقَلَ عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا بِهُ خَــاطَبَهُ ، فَاتَّخَذُهُ مَعَاذًا فَسَكُنَ إِلَى اللهَ جَلَّ وَعَزَّ، وأَنِسَ به من كُلِّ وَحْشَةِ، فلم يُوثْثِرُ شيئاً عليه ، فكان المتَّقينَ الماضين قبلَهُ في الدنيا خَلَفاً ، وللآخرين المريدينَ من بعده سَلفاً ، فتدبَّرَ القُرآنَ أَيَّامَ حياتِه ، فصار اللهُ جَلَّ وعَزَّ به مُسْتَفيداً ، لأنَّه الدليلُ الهادي للعباد قبل نزول المَحَلِّ ، وحادي الْمُشْتَاقِينَ إِلَى جُوارِ الكريم .

فبه نطقَ الحُكماءُ ، وبه أَنِسَ الْمُنْفُرِدُونَ إِلَى إِدْمَانِ الفِكْرِ فِي معانيهِ .

لا يَضِلُّ السَّالِكَ باتِّباعِ دلايلِهِ ، لأَنَّهُ النورُ الذي استَضاء به المُوقِنونَ ، والمغايةُ التي يَتَسابَقُ إلِيها المُتَسابِقونَ ، والمنهجُ الذي لا يَصِلُ السَّالِكُ إِلَّا باتِّباعِ دلايلِهِ ، ولا يعلمُ له طريقَ النجاةِ إِلَّا مع الاستِضاءةِ بِنُورِهِ ، ولا يُصابُ الحَقُّ إِلَّا فِي مُحْكَم آياته.

شفيع في القيامة لِمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الله جَلَّ وَعَزَّ برعايتِهِ ، وهو الماحِلُ وحفظ حُدوده ، وصَبَرَ للهِ جَلَّ وعَزَّ على أحكامِهِ ، وهو الماحِلُ لِمَنْ لم يكُنْ في قَلْبِهِ منه إِلَّا حِفْظُ حُروفِهِ ، وفي جَوارِجِهِ منه إِلَّا تِلُو تُهُ .

هو القولُ الذي فُصِّلَتْ آياتُهُ ، والفُرْقانُ الذي يَميزُ بين الحَقِّ والأَباطيل بشواهد بيِّناتِهِ .

حكمةُ بالغةُ منزَّلةُ من حكيم الحُكماءِ ، وعليم العُلَماء ، أنزله اللهُ تعالى دواءً للقلوبِ شافياً ، ولِمَنْ حَرَّمَ حرامَهُ وأَحَلَّ حَلَالَهُ عن النارِ عادلاً ، ولِمَنْ تحذِرَ عَناوِفَهُ في مَقِيلِ الجِنانِ نازِلاً . فأهلُ العلم بكلام ربّهمْ عَزَّ وَجَلَّ هم أَهـلُ العلم المَهاءِ من

الأَدْنَاسِ ، وأَهْلُ الْحَاصَّةِ من الله جَلَّ وعَزَّ الذين أَشْعَرُوا فَهْمَهُ قُلُو بَهُمْ ، وتَدَبَّرُوا آياتِهِ عند تِلاوتِه بألبابِمْ ، فتزوَّدُوا لِبُعْدِ سَفَرهِم ولي مَعَادِهِم ، وفَهموا منه شِدَّة إِجْهادِهِم يومَ القيامة ، فَفَرْعُوا ، وذَكَروا به السوَّالَ من اللهِ عَزَّ وَجَــلَ ؛ فاسترُّوا للجَوابِ عَمَّا عَمِلُوا ، فتابُوا إِلَى الله جَـلَّ وَعَزَّ عَن كُلِّ ذَنب ، و تَطَهِّروا له من كُلِّ دَنس ، وأَخْلَصوا له النيات في أعمــالهم لِيُجيبوهُ عَمَّا سلف من ذُنوبهمْ بالتَّوْبةِ . وعن إِرادتهم في طاعتِهِ بصِدْق النية . فاستعدُّوا بالقرآنِ للعَرْضِ والسوَّالِ ؛ (منقادين) " له بِذَاتِهِمْ (وخاشعين) (٢) له باستِكانَتِهمْ . لأَنَّهُم وقَروه لإجلال الْمَتَكَلِّم به . غيرَ مغيِّبينَ عن تِلَاوتِهِ لِطَلَب حقائِق معانيهِ . ولا مُسْتَهِينينَ بِحُرْمَاتِهِ . فَانْتَعَشُوا بِهِ مِن كُلِّ صَرْعَةٍ . وَجَبَرَ اللهُ لهم به من كُلِّ مُصيبةٍ.

في زال ذلك دَأْبَ العاقِلِينَ عن رَبِّهِم عَنَّ وَجَلَّ . لأَنه ربيعُ قُلُوبِ الْمُوقِنين . وراحةُ الراجينَ . ومُستَراحُ المحزونينَ . لا ينقصُ نورهُ لدوام تلاوتهِ . ولا يُدْرَكُ عَوْرُ فهمهِ . ولا يبلُغُ له غاية نهايةٍ تاليه أبداً . لأنه كلامُ اللهِ جَلَّ ثناءُ هُ. الذي تعلَّقَ

⁽١) في الأصل : منقادون . (٢) في الأصل : خاشعون .

الْمَتَّقُونَ بِعُرْوَتِهِ. والملجأُ الذي أُوى الراهِبُونَ إِلَى كَنَفِ رَحْمَتِهِ. قلتُ : كيف لي بِفَهْم ما قال اللهُ جَلَّ وعَزَّ في كتابِهِ ؟ لَعَلَيِّ قَلتُ مَنازِهُمْ أُو أُقارِبُ مَقامَهُمْ ؟

قال: بأنْ يَعْظُمَ عندكَ قدرُ ما تنالُ بفَهْمِهِ من النجاةِ وما في (الإعراض) '`` عن فهمه من الهلكة . لأنَّ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ. أَنزلَ في كتابهِ كلامَهُ مع الروحِ الأمين . إلى محمدٍ الْمُصطفى برسالَتِهِ ، و الْمُنْتَخَب لإنذار عبادِهِ عَلِيَّةٍ . فوصف تعالى نفسَهُ بأ حسن الصِّفات. ودَلَّ خَلْقَهُ و نَبَّهُمْ فيه لمعرفتِهِ . بما وضعَ في سماواتِهِ وأَرْضِهِ ، من آثار صَنْعَتِهِ . وَنَفَاذِ قُدْرَتِهِ . وذكَّرَهُمْ فيه أَيادِيَهُ عندَهُمْ ، و كَثرةً نِعَمِهِ ، وتعبُّدَهُ إِياهِم ، من ابتداءِ خَلْقِهم، وحسن تقديرهم وإِجراءَ أَرزاقِهِم . ودفاعَ البلايا عنهم ، والآفات المهلكة لهم ، وحسنَ سُتْرهِ عليهم ، وإقالتهم ، والعفُّو عما (٨٦) استَوْجبوا من تعجيل العقوبات ، ونُزُول النقَم بهم .

فأَمَرَهُم فيه بالمكارِم ، و نَهاهُم عن الآثام والمحارِم ، ووعَدَهُم فيه خَرْيِلَ الثَّوابِ ، وضرَبَ لهم فيه الأَّمثالَ ، وفصَّلَ لهم فيه فيه الأَّمثالَ ، وفصَّلَ لهم فيه المَّمثالَ ، وفصَّلَ لهم فيه المَعانيَ الدَّالَةَ على سبيلِ النجاةِ ، وأبانَ فيه المُشْكِلاتِ ، وأوضحَ المعانيَ الدَّالَةَ على سبيلِ النجاةِ ، وأبانَ فيه المُشْكِلاتِ ، وأوضحَ

⁽١) في الأصل: الأعمال.

لهم فيه الشواهِدَ على علم الغُيوبِ. وجعل فيه حياةً قُلُوبِهِمْ ، وعزَّهم. وشَرَفَهُمْ ، والغِنى به عن جميع العِبادِ.

ثُمُ أُخبرُهُم أَنه أُنزل كِتابَهُ ليدَّبَرُوا آياتِهِ بعقوطِمْ ، ويتذكّروا ما قال بألبابِمِمْ ، وقال : (كتابُ أَنزلناهُ إِليكَ مباركُ) (ا) فسمّا فسمّا فالبَرَكَة ، لِيعْلَمُوا بذلك أنه يَدُلُّهُمْ على النجاةِ ، وينالُونَ باتباعه الزُّلفي والكرامة . ثم قال : (ليدبّروا آياتِهِ) (ا) فأخبر أنه أُنزَلهُ للتذكّرِ والتفكّرِ والتّذكّرِ أَهْلَ الغقولِ ، للتذكّرِ والتفكّرِ فيه ، وخصّ بالتفكّرِ والتّذكّرِ أَهْلَ الغقولِ ، أُولِي الأَلْبابِ .

قال: حَدَّ نَنَا سُنيد ابن داود (")، قال: حَدَّ نَنَا عبدُ الله بنُ الْمُبارَك (١٠٠٠). قال: أخبرني معمَّر بنُ يحيى بنُ المختار (٥٠٠) عن الحسن (٢٠٠١)

٠ ٢٩ ص (١)

⁽٣) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث.

⁽٤) عبد الله بن المبارك (١١٨ – ١٨١ ه) ابن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي، إمام، ثقة. روى عن الأعمش وهشام بن عروة والثوري وشعبة والأوزاعي وابن جريج ومالك والليث وخلق كثير. وعنه: الثوري وابن عيينة وفضيل بن عياض وابن مهدي والقطان وابن راهويه وابن معين وأبناء أبي شيبة . أجمع الأئمة على جلالته في العلم والورع والزهد، قال الأسود بن سالم: إذا رأيت الرجل يغمز ابن المبارك فاتهمه على الاسلام . له ترجمة في : ابن سعد ٧/ه ، ١ ، مشاهير علماء الامصار ٤ ٩ ، العبر ١/ ٢ ، الحلية م ١٦٢/ ، تهذيب التهذيب ٥/٣ ، الحلية ٥ . ٣ ، العبر المهذيب ٥/٣ ، الحلية ٠ . ٣ ، ١ . هذيب التهذيب ٥/٣ . .

⁽ه) ربما كان معمر بن يحيى بن سام الضبي الكوفي، روى عن محمد الباقر، وفاطمة بنت على وعنه وكبيع وأبو أسامة وأبو نعيم، له حديث في البخاري. قـــال أبو زرعة: ثقة. تهذيب التهذيب ٢٤٩/١٠.

⁽٦) الحسن البصري (٢١ - ١١٠ ه) عالم الاسلام العظيم مشاهير عاماء الأمصار ٨٨.

أنه تلا هذه الآية: (كتاب أُنْوَلْناهُ إِليك مبارك ليدَّبُروا آياتِهِ وِليتذكَّرَ أُولُوا الأَلباب ''). فقال: وما تَدَبُّر آياتِهِ إِلَّا اتّباعُهُ بعقلهِ ، أَمَا والله ما هذا بحفظ حروفِهِ وإضاعة خدوده ، حتى أَنَّ أحدَهم ليقول : إِني لأَقْرأُ القرآنَ ، فها أَسْقطُ منه حَرْفاً ، وقد والله أَسْقَطُهُ كُلَّهُ ، فها يُرى له القرآنُ في خُلُقِ ولا عَمَل .

ثم أخبرهم أنَّ اتباعَ ما فيه، سُلوكُ للصراطِ المستقيم، والذورِ الْمبين، والعِصْمةُ لمَن تَمسَّكَ به من كُلِّ هُلْكَةٍ وشِفالَا لما في الصدور.

قال الرب جَـلُ ثناوُهُ: (قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السَّلَام ، ويُخْرِجُهُم من الظَّلُمات إلى النُّور بإذْنِه ، ويهديهم إلى صِراط مُستقيم) `` . من الظَّلُمات إلى النُّور بإذْنِه ، ويهديهم إلى صِراط مُستقيم) `` . فضمِن الله عَنَّ وجَلَّ لمتبعه الهَـدْي لطريق السلامة ، والسلوك للطريق المستقيم ، ووصف المتبعين له كيف قلو بُهُم ، وما ورَّتهم من خشيته ، فقال جَلَّ وعَنَّ : (الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث كتاباً مُتَسابها مثاني تقشعر منده جُلودُ الذين يَخْشَون رَبِّهم) `` فأخبرهم أنه لا حديث يُشبهه في حسنه ، وأخبر أنه مُتَشابه غير مُخْتَلَف فيه ،

⁽١) ص ٢٩.

⁽٣) الزمر ٢٠.

ثم أُخبرَ أَنَّ فيه التكرارَ عن معاني ما قال إِن تَنَحَّتُ قُلُو بُهُمْ عند تلاوةِ ما في سُورةٍ أُخرى فَفَهِموهُ تلاوةِ ما في سُورةٍ أُخرى فَفَهِموهُ فقال (مثاني) .

حَدَّ ثنا سُنَيدٌ ، قال : حدَّ ثنا سُفين `` عن معشر من قَتَادَة `` في قول الله جَلَّ وعزَّ (الله نَزَّلَ أحسنَ الحديث كتابا مُتَشابهاً) في قول الله جَلَّ وعزَّ (الله نَزَّلَ أحسنَ الحديث كتابا مُتَشابهاً) في حلاله وحرامه لا يختلف شيء منه . تُشبهُ الآية الآية ، والحرفُ الحرفُ الحرفُ .

حدَّ تَنَا إِسمَاعِيلُ (٣) عن أبي رجاء (١) ، عن الحَسَن ، (كتاباً

⁽١) سفين هنا سفيان الثوري ، الذي نترجم له فيما بعد . ولنا على ذلك دليلان :

انه في تفسيره المطبوع في الهند ، والذي اطلعنا عليه يذكر اسمه في أول الاسناد دائمًا بصيغة التصغير « سفين » .

٣ – أن الحديث هذا مروي بطريق سنيد بن داود عن سفين ، ولا نجد بين شيوخ سنيد من يسمى « سفيناً » بل نجد سفيان الثوري : تهذيب التهذيب ٤/٤٤٢ أما ما يرويه الحارث في الصفحات القادمة عن معمر بطريق أبي سفيان ، فالمقصود به : طريف بن شهاب البصري، الذي ضعفه العلماء : تهذيب التهذيب ٥/١٠ .

⁽٢) قتادة بن دعامة السدوسي (٦١ - ١١٧ هـ) كان ثقة مأموناً حجة في الحديث، وكان يقول بشيء من القدر . ترجمته : ابن سعد ٧/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ٩٦ ، العبر ١٤٦/١ ، الميزان :/٥ ٣٨ ، تهذيب التهذيب ١/٨ ه ٣ .

⁽٣) اسماعيل (– ٢٣٦ ه) ابن ابراهيم البغدادي تتلمد عليه أيضاً أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي تلميد المحاسبي. كان صاحب سنة وفضل وخير كثير . تهذيب التهذيب ٢٧١/١ أو هو إسماعيل بن عياش (– ١٨٢ ه) الذي روى عنه الحارث فيما بعد بطريق خلف بن هشاء البزار .

⁽٤) أبو رجا. (- ١٠٠ هـ) العطاردي ، عمران بن تيم التميمي . أحلم شابعاً ، وروى عن الصحابة . ترجمته : ابن سعد ٧/٠٠٠ .

مُتَشَابِها ، مثاني) قال : تُنَّى اللهُ فيه القضاء ، تَكُون الشُّورةُ فيها الآيةُ ، وفي السورةِ الأُخرى آيةُ مِثْلُها .

قال : حدَّ ثنا حَجَّاجُ ('') عن ابنُ جريج (''') عن نُجاهِد ('' في قوله (متشابهاً) قال : يُصَدِّقُ بعضُهُ بعضاً قال : القرآنُ كُلُّهُ مثاني ، أبو سعيد (''

فَتُثْنِيَةُ القرآن تعودُ للشيءِ قد قالَهُ .

قال حدَّ ثنا سفين عن معمر عن قتادة : مثاني . قال : قد تُنَّاهُ الله تعالى .

⁽١) عكرمة : مولى ابن عباس ، أحد أوعية العلم ، تكلم فيه لرأيه لا لحفظه ، فاتهم برأي الخوارج ، فاختلف العلماء في شأنه اختلافاً شديداً : ميزان الاعتدال ٩٣/٣ .

⁽٢) ابن حماد بن سلمة ، المحدث المشهور .

⁽٣) ابن جريج (٥٨ – ١٥٠ هـ) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي ، مولى بني أمية ، أخذ عن عطاء وطبقته ، وهو أول من صنف الكتب بالحجاز . قال أحمد : كان ابن جريج من أوعية العلم : العبر ٢١٣/١ .

^(؛) مجاهد (٠٠ – ١٠٣ ه) ابن جبر ، أبو الحجاج العتكمي ، أخذ عن ابن عمر وابن عباس ، كان أعلم أصحابه بالتفسير : العبر ١٢٥/١ .

⁽ه) أبو سعيد: الحسن البصري.

قال : حدَّ ثَنا وكيعُ (') عن سُفيان (') عن منصور (") عن أبي مالك (') قال : القرآنُ كُلَّهُ مثاني .

قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : (تقشعرُ منه تُجلودُ الذين يخشون رجم) قال : إذا سمعوا ذكر النارِ والوعيدِ ، ﴿ عَرُّوا مُم تَلِينُ جَلُودُهُم إذا سمعوا ذِكْرَ الجَنَّةِ .

قال: حَدَّثَنَا أَبُو سَفِيانَ عَنَ مَعَمَرُ قَالَ: تَلَا قَتَادَةُ (تَقُشَعِرُ ثُمَّمُ مِنُهُ خُلُودُ الذَّنِ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) الآيـــة . . . فقال: هذا نَعْتُ أُولِياءِ اللهِ .

نَعَتَهُمْ بِأَنْ تَقَشَعِرَّ جُلُودُهُم ، وتبكيَ أَعْيُنُهُمْ ، وتطمئنَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، هذه صفةُ الذين آمنوا ، وكيف حزنهم ورجاوُهم .

 ⁽١) وكبيع بن الجراح (- ١٩٧ ه) كان ثقة ، مأموناً ، رفيعاً ، كثير الحديث ، حجة ،
 ابن سعد ٦/٥ ٧٧ .

⁽٢) سفيان (٧ ٩ – ١٦١ هـ) ابن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، أمير المؤمنين في الحديث ، ومن أعاظم العلماء في كل العصور : ابن سعد ٧/٥ ٢ ، تهذيب التهذيب ١١١/٤ ، العبر ١/٥ ٣٣ ، سفيان الثوري : د. عبد الحلم محمود .

⁽٣) منصور بن المعتمر (– ١٣٢ ه) كان ثقة مأموناً كئير الحديث ، رفيعاً عالياً : ابن سعد ٥/٦ م.

⁽٤) أبو مالك الأشجمي (- ٠٤٠ه) سعد بن طارق ، روى عن أنس وصحابة آخرين، وعنه يزيد بن هارون وشعبة والثوري وعباد بن العوام : مشاهير علماء الامصار ١٠٧ ، ميزان الاعتدال ٢٠/٢ ، التهذيب ٣/٣ ٤٤ .

ووصفَ الذين أُوتُوا العلمَ ، عِلْمَ كَتَابِهِ مِن قَبِسُلُ أَن يَنْزِلَ القَرْآنُ ، فقال جَلَّ وعَزَّ : (إِنَّ الذين أُوتُوا العلم مِن قبله إِذَا يُتْلَى عليهم يَخِرُّونَ للأَذقانِ سُجَّداً ، ويقولون سُبحانَ ربنا إِنْ كَانَ وعدُ ربّنا لَفعولاً ، ويخرُّون للأَذقان يَبْكُونَ ويزيدُهم خُشُوعاً (') وعدُ ربّنا لفعولاً ، ويخرُّون للأَذقان يَبْكُونَ ويزيدُهم خُشُوعاً (') . (خرُّوا سُجِّداً و بُحِياً) ('') .

أيخبرُ تباركَ وتعالى ، أنَّ وَجَلَ الذينِ أُوتُوا العِلْمَ من قبلنا ومخافَتَهُمْ كانت عن فَهْمِ آياتِهِ في كتابه و تَدَبُّرِ قولِهِ ، وقد ضَمِن جَلَّ وعزَّ لأُمَّةِ محمَّدٍ عَلِيْكُ ، أَنَّ لِمن النَّبَعَ منهم ما في كتابه من الهدى ، الإجارة من الضَّلالة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة ، والنجاة من الشقاءِ ، وقال جلَّ وعزَّ : (فمن اتَبعَ مُهدايَ في لل

قال: حدَّ ثنا أبو النضر (٣) قال: حدَّ ثنا عيسي بن المسيِّب

⁽١) الاسراء: ١٠٧.

⁽٣) أبر النضر (٢٠٠٠ هـ) هاشم بن القاسم بن مسلم القعنبي البغدادي ، روى عن شعبة وسفيان وابن الماجئون وخلق . وعنه : اسحق ، رابن حنب ، وابن المديني ، وابن معين ، وابن أبي شيبة ، وأبو خيشمة ، وكان ثقة ثبتاً . وكنا قد ترجمنا له بين شيوخ الحارث بحسبانه « أبا نصيرة » والصحيح ما أثنبتناه هنا . استناداً إلى : تهذيب التهذيب ١٨/١١ .

البَجَلي ('' قاضي خالد ، قال: حدثنا خالدُ بنُ عبد الله '' عن إبراهيمَ النَّخعي '' قال : قال ابنُ عبّاس '' ، أُجــيرَ صاحبُ القرآنِ من النخعي الدنيا ، والشقاءِ يومَ الحِسابِ ، ثمَّ تـلا (فمن اتّبعَ أهدايَ فلا يَضِلُ ولا يَشْقَى) '' .

وعظَّمَت العُلماءُ باللهِ عزَّ وجلَّ ما أَنزل في كتابِهِ لتعظيمِهِ له ، إِذْ سَمَعُوه يقولُ تباركَ وتعالى (ولو أَنَّ ثُورآناً سُيِّرَتُ به الجبالُ أو تُطَّعَتْ به الأَرْضُ أو كُلِّمَ به الموتى) (٢) .

قال : حدَّ ثنا الحسنُ بنُ محمَّد (٧) قال . حدَّ ثنا شَيْبانُ (١) عن

الْأُمَّة : طبقات أبن سعد ٢/٢٦ ، تاريخ بغداد ١/٧٧ ، ميزان الاعتدال ٢/٥ ٧٠ ، تهذيب الأَمَّة . ٣٧٠/٠ .

⁽١) عيسى بن المسيب البجلي الكوفي .. قال يحيى والنسائي والدارقطني : ضعيف , وتكلم فيه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان . وقال أبو داود : هو قاضي الكوفة : ضعيف . ميزان الاعتدال ٣٢٣/٣ .

⁽٣) خالد بنعبد الله بن أسد القسري، والي العراق لهشام بنعبد الملك، من (١٠٦ – ١٠٨هـ) قتل سنة ٢٠ ه على يد يوسف بن عمر ، الذي خلفه على ولايته : البداية والنهاية ١٠/٠ .

⁽٣) إبراهيم بن يزيد بن الاسود النخعي (٣١ – ٩٦ هـ) قال الشعبي : والله ما ترك بعده مثله لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالشام ولا بالحجاز . كان إماماً ، ثقة ، ثبتاً ، شديداً في دينه : طبقات ابن سعد ١٨٨/٦ .

⁽٤) عبد الله بن عباس (٣ ق. ه - ٦٨ ه) الاصابة ٤/٠٠ .

⁽٥) طه ١٢٣.

⁽۷) الحسن بن محمد بن عثمان الكوفي : منكر الحديث : روى عن الثوري وشريك وعافية القاضي ، وعنه إسماعيل بن بهرام، والنضر بن سعيد الحارثي: الميزان ۲۱/۱ ه ، التهذيب ۲۱۹۳. (۸) شيبان بن عبد الرحمن (– ١٦٤ ه) التميمي مولاهم ، النحوي ، أبو معاويـة ، البصري ، المؤدب ، سكن الكوفة ، ثم انتقل إلى بغداد ، روى عن خلق منهم قتادة . رضيه

قتادة في قوله: (ولو أن قرآناً سُيِّرَت به الجبالُ أو قُطَّعَتُ به الأَرض أو كُلِّم به الموتى). الآية ...

قال: ذُكِرَ لنا أَنَّ قُرَيْشاً قالت للنبيِّ عَنْظِيْمَ ، إِن سَرَّكَ أَن نَتَابِعَكَ ، فَسِيِّ لنا جِبالَ جِهامة ، ووسِّعْ لنا فِي حَرَمِنا نَتَّخِذْ قطاً بعَ وبساتين ، وأُحي لنا فلاناً وفلاناً ؛ أُناساً ماتوا في الجاهلية ، فإن تَابَعوكَ ، وآمَنوا بك تابعناكَ وآمَنا بك ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية . فلو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية . فلو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم هذا ، وكلَّمَ به المَوْتي . وسمَّاهُ بُرْهاناً ، ونوراً ، ورحمة ، وموعظة ، وبياناً ، وحقاً ، ومجيداً ، وبصائر وهُدَى ، وفرقاناً ، وموعظة ، وبياناً ، وحقاً ، ومجيداً ، وبصائر وهُدَى ، وفرقاناً ، وشِفاء لِما في الصُّدُور .

فعظَّمَهُ عند المو منينَ ، ليْعظِّموا قَدْرَهُ ويفهموهُ ، لينالوا به شفاء قلُو بهم .

وقال جَلَّ وعَزَّ: (لو أَنزلْنا هذا القرآنَ على جَبَلِ لرأَيتَهُ خاشِعاً متصدِّعاً من خَشْيَةِ الله ، وتلك الأَمْثالُ نَضْرِبُها للنَّاسِ لعلَّهم يتفكَّرون) (۱) . وأخبر جَلَّ وعَزَّ ، بعظيم قَدْرِهِ ، وضربَ الحَبْهم يتفكَّرون) (۱) . وأخبر جَلَّ وعَزَّ ، بعظيم قَدْرِهِ ، وضربَ الجبلَ مَثلًا لقلوبِ المستمعينَ له ، ليعْقلوا فيتدَبَّروا آياتِهِ ،

⁽١) الحشر : ٢١ .

ويتفكّروا في عجائبه . فَضَرَب هذا الْمَثَلَ فَدَلَ به أَنَّ مَنْ لم يَفْهَمْ عنه ما أَنزَلَ فِي كَتَابِهِ ، أَنَّ قَلْبَهُ أَقْسَى من الحَجَر الإَصَمِّ ، وأَنَّ ما فيه تتصدَّعُ الجبال لو فَهِمَتْهُ ، خشيةً للمتكلِّم به ، يُعَظِّم بذلك قَدْرَهُ وقَدْرَنا فيه ، ويُبيِّنُ لنا أَنَّ القلوب تَحْشَيَّ لَفَهْمِهِ وتخافُ الله حَلَّ وعَزَ : لعَقْلِها ما أخبر به وأخبرنا ، أَنَّ الجبال الرواسي لو أُنزِلَ عليها كلامُهُ لتصدَّعَت خاشعةً لتعظيمِه .

و أَخبَرَنَا أَنه أَحسنُ من كلِّ حديث ومن كل قَصَصٍ ، وقال : (نحن نَقُصُّ عليكَ أَحسنَ القصَصِ) (أَ) .

ثُمَّ أَخبَرَنَا جَلَّ وَعَزَّ أَنه قد انتهى في الحكمةِ ، فقال : (حكمةُ بَالغَةُ فَمَا تُغْنِي النَّذُرَ) (٢) .

وأَخْبَرَ أَنَّهُ لا مُبَدِّلَ لَكُلُمَاتِهِ، وأَخْبَرَ أَنه لا يَفْنَى ولا يَنْفَدُ، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ : (قُلْ لو كان البحرُ مِداداً لكلماتِ ربِّي لَنَفَدَ البَحْرُ قبل أَنْ تَنْفَدَ كَلُمَاتُ ربِّي) (٣) .

وَسَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسَهُ فَقَالَ : (عليَّ حكيم) (. (عليَّ حكيم) (.) .

⁽١) يوسف: ٣. (٢) القمر: ٥.

⁽٣) الكيف : ١٠٩ .

وسمَّى كلامَهُ فقال: (وإِنَّــه في أُمِّ الكتابِ لدينا لَعَليُّ حكيمٌ) (١).

حدَّ ثنا سُنَيد ، قال : حدثنا سفيانُ عن معمر عن قَتادَة قال : فإن استخففتم به فانه في أمِّ الكتاب لدينا لعليُّ حكيمٌ .

وسمَّاهُ بأُحسَنِ الأَسهاء وأَعلاها ، إِنما سَمَّى به نَفْسَهُ فقال : (كتاب (۲) عزيز) .

ثم أخبر أنَّ ما قبله من الكتب مصدِّقُ له ، وشاهِدُ له ، وأنه لا يأتي مِن عنده كتابُ أبداً يبدِّلُ حُكمهُ ، ولا يَنْسِخُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فقال عَزَّ وَجَلَّ من قائل : (لا يأتيه الباطِلُ من بين يديهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تنزيلُ من حكيم حميد) (أن فأخبر أنه مَنْعَهُ من الخلائِقِ أَن ينتقصوا منه أو يزيد دوا فيه ، أو يُحَرِّ فوه كما حُرِّفَتُ الكُتُبُ من قَبْلِهِ .

حدَّ ثنا سُنَيد قال : حدثنا سفين عن معمر عن قتادة في قوله : إِنَّ الذين كفروا بالذِّكْرِ لمَّا جـاءهم وإنه لكتاب عزيز '''، لا

⁽١) الزخرف: ؛ .

⁽۲) فصلت : ۱ ؛ .

⁽٤) فصلت : ١٠٠

⁽٣) فصلت : ٢ ؛ .

يأْتيهِ الباطِلُ من بينِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ) قال : الشيطانُ لا يستطيعُ أَن يبدِّلَ منه حَقَّا ولا يُحِقَّ (به) باطِلاً .

قال حدَّ ثنا حَجَّاج ، عن ابن بُجريج عن مُجاهد ، قال : الباطِلُ الشيطان .

قال ابن نُجريج: (لا يأتيه الباطل من بين يديه) ، قال: ليس (فيما) قَصَصْنا (٨٨) على محمَّدٍ عَلِيْكِةٍ فيما كان قبلَهُ باطلُ ، ولا مِن خَلْفِهِ: مما قَصَصْنا عليه مما هو كائن بعده من الدُّنيا والآخرةِ.

قال حدثنا حجَّاج عن حمزة الزيات (١) ، عن أبي مختار الطائي (٢) عن ابن أخي الحارث ، عن الحارث (٣) قال : دخلت المسجد ،

⁽١) حمزه بن حبيب (٨٠ – ١٥٦ هـ) أبر عمارة الكوفي الزيات ، شيخ القراء ، أحد السبمة الأئمة . إليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى . وهو صدوق في الحديث لكنه يخطىء فيه : طبقات ابن سعد ٢٦٨/٦ ، مشاهير علماء الأمصار ١٦٨ ، ميزان الاعتدال ١/٥٠٦ ، تهذيب التهذيب ٢٧/٣ .

⁽٣) الحارث (- ٥٦ ه) بن عبد الله الأعور : من كبار علماء التابعين على ضعف فيه . كان له قول سوء ، وهو واه في رواياته . قال الشعبي : حدثني الحارث الأعور ، وكان كذوباً . وقال حصين: ما كذب على أحد من هذه الأمة ما كذب على . ورجح الذهبي انه كان يكذب على على فقط ، لا على رسول الله : طبقات ابن سعد ١١٦/٦ ، ميزان الاعتدال ١/٥٣٤ . وابن أخي الحارث : عن الحارث عن على . وعنه أبو المختار الطائي ، لم يسم هو ولا أبوه : تهذيب التهذيب ٢١٧/١ .

فإذا الناسُ قد وَقَعُوا في الأحاديثِ فأتيتُ علياً ('' رضيَ اللهُ عنه فقُدْتُ : يا أَميرَ المؤْمنين إِنَّ الناسَ قد و قَعُوا في الأحاديثِ قال : وقد فعلوها ؟ قلتُ : نعم .

قال: إني سمعتُ رسولَ الله عَلِينَ يقول (إنها ستكون فتنة) قلت : ومَا الْمَخْرَجُ يَا رَسُولَ الله ؟ قال : (كَتَابُ الله عَزَّ وَجَلَّ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخَبَرُ مـا بعدَكم ، وحُكُمُ ما بينكم ، هو الفَصْلُ ايس بالهزل ، مَنْ تركه من جَبَّار قَصَمَهُ اللهُ ، و مَن ابتغى الْهَــدى في غيرهِ أَضَلَّهُ اللهُ . هو حَبْــلُ الله المتينُ ، وهو الذُّكَّرُ الحكيمُ ، وهو الصِّراطُ الْمُستقيمُ . هو الذي لا تَزيغُ به الأهواء ؛ ولا تَلْتَبِسُ فيه الأَّالُسُنُ ، ولا تَشْبَعُ منه العلماء ، ولا بُخْلِقُ عن رَدٍّ ، ولا تَنْقَضي عَجائِبُهُ . وهو الذي لم تَلْبَث الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: ﴿ إِنَّا سَمَعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ ` ` مَنْ قَالَ بِهُ صُدِّقَ ، وَمِن عَمِلَ بِهُ صراطِ مستقيم). قال : خُذْهَا إليك يا أَعورُ .

قال: وإنما احتاجَ التالي له إلى الأحاديث عن قول العلماء

⁽١) على بن أبي طالب ، أمير المؤمنين (٢٣ ق. ه - ٠ ؛ ه) : ابن سعد - ١٠ .

⁽٢) الجن: ١.

الحكماء بالحكمة والموعظة الحسنة ، حين صُيِّعَ منهم كتابه وطَلَبُ معانيه ، ولولا ذلك لكان كأَحد العامل اء الذين يقولون بالحكمة ، ويتعظون بالتَّقوى ، لأن فيه معاني التعظيم ، وما ينال به اليقين ، و يُستَدَلُ به على كُلِّ خُلُقٍ كريم .

قال: حدثنا خَلَفُ بن هشام البرَّار (۱) ، قال: إسماعيلُ بنُ عيَّاش عن حجاجٍ عن مَروانَ الكلاعي (۱) ، وعقيل بن مُدرك (۱) السُّلَمي يرفعانِهِ إِلَى أَبِي سعيدٍ الحُدْري (۱) ، أَنَّ رَبُعلًا أَتَاه ، فقال ؛ السُّلَمي يرفعانِهِ إِلَى أَبِي سعيدٍ الحُدْري (۱) ، أَنَّ رَبُعلًا أَتَاه ، فقال ؛ يا أَبا سعيد ، أَوْصني ، فقال ؛ سأَ لتُ رسولَ الله عَيْلِيْ من قبلك ، فقال ؛ سأَنتُ رسولَ الله عَيْلِيْ من قبلك ، فقال ؛ سأَنتُ وجل ، فإنَّم ا رأْسُ كُلِّ شيءٍ ، فقال ؛ (أُوصيكَ بتقوى الله عز وجل ، فإنَّم ا رأْسُ كُلِّ شيءٍ ، وعليك بذكر الله ، وتلاوة وعليك بالجهادِ ، فإنه رهبانيةُ الإسلام ، وعليك بذكر الله ، وتلاوة القُرآن ، فإنّه روحك في السهاء ، وذكر لكَ في الأرض ، وعليك بالصَّمْت إلَّا في حَقِّ ، فإنك تَعْلِبُ الشَّيْطان) .

⁽۱) خلف بن هشام البزار (– ۲۲۹ هـ) روى عن جماعة من الثقات ، وروى عنه كثيرون ٠٠٠ قال عنه الامام أحمد ، هو عندنا الثقة المأمون : نهذيب التهذيب ٣/٣ ه ١٠٠

 ⁽٢) مروان الكلاعي الهمذاني ابن سالم المقفع ، روى عن ابن عمر وغيره من الصحابة .
 ذكره ابن حبان في الثقات : تهذيب التهذيب ١٣/١٠ .

 ⁽⁺⁾ عقیل بن مدرك السلمي : روی عن لقان بن عامر الوصابي ، وجماعة . وروی عنه صفوان بن عمر و إسهاعیل بن عیاش و بقیة بن الولید : تهذیب التهذیب ۷/۰ ۰ ۰

⁽٤) أبو سعيد الخدري ، الصحابي الجليل : سعد بن مالك بن سنان (١٠ق٠ه – ٢٥ه): الاصابة ٨٥/٣ .

قال: وحدثنا يزيد بن هرون (') ، قال: أخ برَنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَة (') عن على عن كعب (') قال: سَلَمَة (') عن عاصم بن بَهْدَلة ('') عن مُعَتِّب (') عن كعب (القرآنِ ، فإنه فَهُمُ العقلِ ، ونُورُ الحكمةِ ، وينابيعُ العِلْمِ ، وأحدثُ الحكمةِ ، وينابيعُ العِلْمِ ،

قال: وحدَّ ثنا يزيدُ بنُ هرون ، قال: أخبرَنا زياد '' ، قال: رَحدَّ ثنا الحَسَنُ ، قال: لمَّا أحسَّ جُنْدُب '' بقُدوم طلحة والزُّبير '' وخاف القتال فخرج يُريدُ الحجاز ، فَتَبِعَهُ قوم ' ، أو قال ناس ' ، فجَعَلوا يقولون : أو عِنا ، فقال : إقرأوا القرآن ، فإنّه نور وُ

⁽١) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

⁽٢) حياد بن سلمة (- ١٦٧ هـ) الإمام ، العلم . كان إماماً في العربية ، فقيهاً وفصيحاً ؛ مفوهاً مقرئاً شديداً على المبتدعة ، له تواليف : طبقات ابن سمد ٧/٩٣ ، مشاهير علماء الأمصار ٧٥١ ، الميزان ١/١٩٥ ، العبر ٥١/١ ، التهذيب ١/١٠ ، البداية والنهاية ٠١/٠٥١ .

⁽٣) عاصم بن بهدلة (-١٢٨ هـ) هو ابن ابي النجود المقرىء المشهور، كان ثقة إلا انه كثير الخطأ في الحديث : تهذيب التهذيب ٥/٨٣ .

⁽٤) معتب : قيل ان اسمه مغيث، وهو مولى جعفر الصادق، ركان كذابًا: الميزان٤/٢٤.

⁽ه) كعب الأحبار (٧٣ ق. ه – ٣٣ ه) يهودي، أسلم في خلافة عمر ، وكان كثير النقل عن أهل الكتاب ، فاتهم بالكذب : ابن سعد ٧/٥ ه ، ، التهذيب ٨/٠٤ : .

⁽٦) زياد بن حسان بن قرة الباهلي البصري ، وهو زياد الأعلم . روى عن أنس والحسن البصري ، وثقة العلماء ، وهو من قدماء أصحاب الحسن : تهذيب التهذيب ٣٦٢/٣ .

⁽٧) جندب بن عبد الله (- ه ٦ ه) بن سفيان البجلي ثم العلقي ، يكنى أبا عبد الله ، له صحبة ، روى عن حذيفة ، وعنه : الحسن وابن سيرين وغيرهما : تهذيب التهذيب ٢/٧١٠. (٨) طلحة بن عبيد الله ، (٢٨ ق. ه - ٣٦ ه) الصحابي الجليل، أحد العشرة البشرين بالجنة : الاصابة ٣/٣ م ، والزبير بن العوام (١٢ ق. ه - ٣٦ ه) الصحابي الكبير، قال فيه عمر : الزبير ركن من أركان الإسلام . الاصابة ٣/٥ .

الليلِ المظلم ، وضياء النهار ، فاعملوا به على ما كان من بُجهْدٍ وفاقةٍ .

قال: وحدَّ ثنا إسحاقُ بنُ عيسى ('' ، قال: حدَّ ثنا محمَّدُ بنُ طلحةَ ('' عن معنِ بن عبدِ الرحمن عن عبدِ الله بنِ مسعود ('' عن معنِ بن عبدِ الرحمن عن عبدِ الله بنِ مسعود قال : قال رسول الله عَلِيلًا ، إِنَّ كُلُّ موَّدَبٍ يَجِبُ أَن يوَّدِي أَنَ بُهُ ، وَإِنَّ أَدَبَ اللهِ القُرآنُ .

وحدَّ ثنا خَلَفُ بنُ هشام، قال: حدَّ ثنا عبدُ الوهاب الخَفَّاف '' عن سعيدٍ '' عن قَتادَةً في قولِهِ (ومن يوثُت الحكمة) '' قال: القرآن.

⁽١) اسحاق بن عيسي (٠٤٠ – ١٠٠ هـ) البغدادي . روى عن مالك والحمادين وشريك . وهشيم ، وعنه جماعة ، وثقة العلماء . ابن سعد ١٣/٧ ، التهذيب ١/٥ ٢٠ .

⁽۲) محمد بن طلحة (– ۱۹۷ هـ) بن مصرف ، روى عن ابيه وجماعة ، وقـــد ضعفه بعض . الماماء . الميزان ۸۸/۳ ه .

⁽٣) معن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، روى عن ابيه وعن جده بالواسطـة وعن أخيه القاسم ، وكان قاضياً على الكوفة كان ثقة ، ديناً : ابن سعد ٢١٣/٦ .

⁽٤) عبدالله مسعود (- ٣٢ هـ) صحابي جليل ، أسلم قديماً ، قال فيه رسول الله : إنــكُ لغلام معلم: الإصابة ٤/٢٠٠.

⁽ه) عبد الوهاب بن عطاء الخفاف (– ۲۰۰ ه) ابو نصر العجلي البصري ، سكن بغداد ، وكان مستملي سعيد بن أبي عروبة . أكثر العلماء على قبوله : التهذيب ٩/٠٥٠ .

⁽٦) سعيد بن أبي عروبة (- ه ه ١ ه) كان ثقة، كثير الحديث، ثم اختلط في آخر عمره. وهو من أوائل من ألفوا في الحديث : طبقات ابن سمد ٣٣/٦ ، مشاهير علما، الامتمار ٨٥١.

⁽v) البقرة ٢٦٩.

قال: وسمعت الكابي '' يقول : هي النبوة ، قال فــذكرت فاك النبوة كورت النبوة كَلَيْن ، ولكنه ذلك لداود بن أبي هند '' ، فقــال : إِنَّ النبوة كَلَيْن ، ولكنه القرآن .

فضائل القراء :

قال: وحدَّ ثنا خلف بن هشام قال: حدثنا عبد اله هاب عن بشر (") عن القُثم (أ) مولى خالد بن يزيد بن معاوية قال: أخبرني أبو أمامة الحمصي (أ) ، ان رسول الله على قال: مَنْ قرأ تُلُثَ القرآن أعطي ثلث النبوة ، ومن قرأ تُلْتَيْهِ أعطي تُلُتَيْ النبوة ، ومن قرأ تُلْتَيْهِ أعطي تُلُتَيْ النبوة ، ومن قرأ النبوة أعطي أللتَيْهِ أعطي النبوة ، ومن قرأ القرآن كُلَّهُ أعطي النبوة كُلَّها .

قال : وحدَّ ثنا خلف بن هشام قال : حدَّ ثنا إِسماعيل بن عَيَّاش الحمصي عن الحسن قــال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ أَخذَ ثُلُثَ

⁽١) محمد بن السائب الكلبي ، الكوفي ، المفسر ، النسابة ، الأخباري ، ضعفه الألمـــة ، وردرا حديثه : ميزان الاعتدال ٧/٣ه ه .

⁽٢) داود بن أبي هند (– ١٣٧ هـ) راسم ابي هند دينار. كان من أهل الورع والفضل. روى عن أنس بالواسطة : مشاهير علماء الامصار ١٥١ .

 ⁽٣) بشر : هو ابن عبد الله السلمي ، نزيل الشام . كان من حرس عمر بن عبـد العزيز .
 ذكره ابن حبان في الثقات : تهذيب التهذيب ١/٤٥٤ .

⁽٤) لا يعرف ,

⁽ه) لا يعرف .

القرآن وعَمِلَ به ، فقد أُخذ ثُلُثَ النبوةِ . ومَنْ أَخذ نِصْفَ القرآنِ وعَمِلَ به ، فقد أُخذ نِصْفَ النبوةِ . ومَنْ أَخذَ القرآنَ وعَمِلَ به ، فقد أُخذ النبوة كُمَّها .

قال: وحدَّ ثنا عُمرُ بنُ طلحة '' في المخارق التيمي '' قال: نصر '' قال: حدَّ ثنا سِماك '' عن ملحان بن المخارق التيمي '' قال: مَرَّ عَمَّارُ بن ياسر '' علينا ونحن في حلقة فقُمْنا إليه فجلسْنا حوله ، فقلنا: حدِّ ثنا ما سمعْت من رسول الله عَيْنِ فإنك صاحبه ولو فار قتنا فقلنا: حدِّ ثنا ما سمعْت من رسول الله عَيْنِ فإنك صاحبه ولو فار قتنا (٨٩) لم نَجِد مِثْلَك ، قال: عليكم القرآن فإنَّ فيه كنز الأوَّلينَ والآخرينَ .

قال : حدَّ ثنا يزيدُ بن هرون قال : أُخبرنا شُعْبَة (٦) ، عن أَبي

⁽١) عمر بن طلحة الأزدي : روى عنه البصريون وضعفة المحدثون : الميزان ٢٠٨/٧ .

 ⁽٣) أسباط بن نصر : الهمداني . عن سماك رإسماعيل السندي ، وعنه ابر غـان الحنفدي.
 وعمرو بن حماد وجماعة . ضعفه جماعة . الميزان ١/٥٧١ .

⁽٣) سماك بن الوليد الحنفي ، ابو زميل ، من أهل اليهامة . كان متقناً ، ثبتاً ، قدم البصرة فحدثهم بها فكتب عنه العراقيون : مشاهير علماء الأمصار ١٢٣ .

⁽٤) لا يعرف .

⁽ه) عمار بن ياسر (٢ ٤ ق.ه - ٧ ه ه) ابو اليقظان الصحابي القديم ، شهيد صفين : الاصابة ٤٠٤/٤ .

⁽٦) شعبة بن الحجاج (٥٥ ـ ١٦٠ هـ) بن ورد ، مولى بني عتيك ، كنيته ابو بـطام ، كان يسكن البصرة زماناً ، وواسط حيناً ، وهو امام ، ثقة ، ثبت ، امير المؤمنين في الحديث . اجمع العلماء على إمامته ، وجلالة قدره : ابن سعد ٢٨/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ٢٧٧ ، حلية الأولياء ٢/٤ ؛ ، العبر ٢/٤٣١ ، البداية والنهاية ، ٢٣٢/١ ، تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨ .

إِسحق (١) ، عن عمر و بن مرة (٢) ، عن عبد الله ، قال : مَنْ أَحبَّ العِلْمَ (فليشور ؟) القرآن ، فإِنَّ فيه عِلْمَ الأُوَّلينَ والآخرين . قال: وحدَّ ثنا تُحجينُ بن الْمثنى (") قال: حدَّ ثنا إِسرائيلُ (نْ)، عن أبي إسحقَ ، عن عَمرو ، عن عبدِ الله ، أنه كان يقرأُ القرآنَ فيمُرُّ بِالآيةِ ، فيقولُ للرُجلِ خُذْها ، فوالله لهيَ خيرٌ مما على الأرض من شيءٍ ، فيرى الرجل انما يَعْني تلك الآيــة ، حتى يفعلَهُ بالقوم كُلِّهِمْ . ثم قال : جَعَلَ اللهُ جَلَّ وعزَّ قارىءَ القرآنِ مع السَّفَرَةِ . قال : حدَّ ثَنا أَبُو النضر . قال : حـدَّ ثنا شُعْبَةُ ، عن قَتادةَ ، قال : سمعْتُ زُرارة بنَ أُوفى () يحــــــدِّثُ عن سعدِ بن هِشامٍ

⁽١) ابو اسحاق السبيعي (٣٠ ـ ١٢٨ هـ) الهمداني ، عمرو بن عبدالله . ثقة ، ثبت ، يقال انه سمع عليساً وبعض الصحابة . نسي في اخر عمره : ابن سعد ٢١٩/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ١١١ .

⁽٢) عمرو بن مرة الجملي المرادي (- ١١٦ ه) ثقة ، اثنى عليه الأئمة ، وكان مرجئًا : مشاهير علماء الأمصار ١٠٣ ، الميزات ٢٨٨/٣ . وعبد الله الذي يروي عنه ، هو الصحابي عبد الله بن أبي أوفى (- ٨٦ ه) اخر من توفي من أصحاب النبي بالكوفة: ابن سعد ١٣/٦، التهذيب ١٠٢/٨ .

⁽٣) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

⁽٤) إسرائيل بن يونس (- ١٦٠ ه) ابن أبي اسحاق السبيمي، من المثقنين : مشاهير علماء الامصار ١٦٩ .

⁽ه) زرارة بن اوفى (ـ ٣ ه ه) من كبار التابعين ، ثقة ، عابد ، كان على قضاء البصرة: طبقات ابن سعد ٧/٩٠٨ .

الانصاري ''، عن عائشة '''، عن النبي عَلَيْكَ ، قــال : الذي يقرأُ القرآنَ وهو له حافظُ ، مع السَّفَرَةِ ، الكرام ، البَرَرَةِ . ومَثَلُ الذي يقرؤُ ، وليس بحافظٍ له وهو يتعاهَدُ ، فله أَجْرانِ .

قال: ثمَّ جعلَ تباركَ وتعالى قارئهُ في أعلا درجات الجِمَّاتِ، ومَنْ قرأ منه شيئاً ارتقى في دَرَجِ الجِنَّاتِ على عَدَدِ ما أَخَــذَ من آياتِهِ.

قال: حدَّ ثَنَا أَبُو نُعَيمُ (") قال: حدَّ ثنا سُفَيْن، عن عاصم، عن زرّ (') عن عبدِ الله بنِ عَمْرُو (')، عن النبيِّ عَلِيلِهِ قال: منزِلتُك عند آخِرِ آيةٍ تَقروهُها.

قال وحدَّ ثنا أبو النضر قال: حدَّ ثنا أبو خَيْثَمَة (٦) قـــال:

⁽١) سعد بن هشام بن عامر الانصاري : ابن عم أنس بن مالك . كان من عباد التابعين والمرابطين . قتل بأرص مكران غازياً : مشاهير علماء الامصار ٩١ .

⁽٢) عائشة بنت الصديق (٩ ق. ه - ٨ ه ه) أم المؤمنين : الاصابة ١٣٩/٨ .

⁽٣) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

⁽٤) زر بن حبيش (٠٠ ق. ه – ٨٢ ه) الاسدي ، أبو مريم ، ادرك الجـاهلية ، ولا صحبة له : مشاهير علماء الامصار ١٠٠٠ .

⁽ه) عبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق. ه – ه ٦ هـ) الصحابى الجليــل . غير أن زراً روى عن ابن مـــعود ، ولم يرو عن ابن عمرو : تهذيب التهذيب ٣٣١/٣ .

 ⁽٦) زهير بن معاوية (- ٤٧١ ه) الجعفي ، أبو خيثمة ، مولده بالكوفة ، وكان حافظاً
 متفناً : مشاهير عاياد الامصار ١٨٦ .

حدَّ ثَنا موسى الفَرَّاء (')، عن (أبي) عنبس ''، عن عمران بن حطان '')، قال : سأَلتُ أُمَّ الدرداء '' فَقُلْتُ : حَدِّ ثينا عن فَصْلِ القرآن فقالت : إِنَّ دَرَجَ الجنةِ على عَدَد آي القرآن ، وإنه يقال الصاحِب القرآن : إقرأ وارْقَه .

قال: وحدَّ ثنا يزيدُ بن هارون '' ، قال: أخبر اسماعيلُ بنُ أَبِي خالد '' ، عن أُبَيٍّ '' قال: حُدِّثتَ أَنَّ ثلاثةً على كُثبانِ المِسْكِ يومَ القيامةِ :

رُجُلُ وعى كتابَ الله جلَّ وعنَّ ، فأُمَّ به قوماً وهم به راضُون. ورجلُ يُوَّذِنُ بالصلواتِ في كُلِّ يوم خمسَ مرَّاتٍ في الليل

⁽١) موسى الفراء : ابن قيس الحضرمي ، أبو محمد الكوفي . لقبه عصفور الجنة . وثقة ابن معين وأحمد وأبو حاتم . وضعفه العقيلي لرفضه : تهذيب التهذيب ٣٦٧/١٠ .

⁽٢) أبو عنبس : حجر بن العنبس الحضرمي . قال ابن معين : ثقـة ، كوفي ، مشهور ، وفي الاصل « عنبس » تهذيب التهذيب ٢١٤/٢ .

⁽٣) عمران بن حطان (– ٨٤ ه) السدوسي ، البصري ، الحارجي . كان صدوقاً ، على كونه من أهل الاهواء : الميزان ٣/٥٧٠ .

⁽٤) أم الدرداء : إحدى زوجتي الصحابي أبي الدرداء. وهي هنا الصغرى ، واسمها هجيمة ولا تعرف لها صحبة : الاصابة ٨/٤٧ .

⁽ه) يزيد بن هارون : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

⁽٦) إسماعيل بن أبي خالد (– ه ١٤ ه) أبو عبد الله ، واسم أبي خالد سعد البجلي : مشاهير علماء الامصار ١١١ .

⁽٧) أبي (– ٣٠٠ هـ) ابن كعب الانصاري ، الصحـــابي ، الصدوق ، سيد القراء : الاصابة ١٦/١ .

والنهارِ يبتغي بذلك وَجْهَ اللهِ عزَّ وجلَّ والدارَ الآخِرة .

وعَبْدُ مُلُوكٌ ، لَم يَشْغَلُهُ رَقُّ الدنيا عن عِبادةِ رَبِّهِ .

قال: وحدَّ ثنا الحسن بن محمد قال: حددَّ ثنا شيبانُ ، عن قتادة في قوله: (آلر تلك آياتُ الكتابِ الْمبين) أُ قدال: أي والله مبين بركته ورشده. وقوله: (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) قال: إِنَّ المؤْمن ليشكُرُ نعمة الله عليه وعلى غيره. قال: وذكر لنا أنَّ أبا الدرداءِ كان يقولُ: يا رُبَّ شاكر نعمة غيرهِ.

قال: وحدَّ ثنا سَيَّار '``، عن قَتادةً في قوله: (لقد كان في قَصَصِهِمْ عَبْرةُ لأُولِي الأَّلباب) '`` إِلَى قوله: (ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه).

قال: القرآنُ مُصَدِّقُ الكتبَ التي قبله، ويشهدُ عليها قوله: (وتفصيل كُلِّ شيء)، قـال: فَصَّلَ اللهُ حلالَهُ وحرامَهُ، وطاعَتَهُ ومَعْصِيَتَهُ.

⁽١) سورة يوسف : ١

⁽٢) سيار (– ١٩٩ ﻫ) ابن حاتم العنزي البصري ، صالح الحديث ، وثقة ابن حيان : الميزان ٢٥٣/٢ .

⁽٣) يوسف: ١١١١.

قال: وحدَّ ثنا أبو النَّضْر قال: حَدَّ ثنا شُعْبَةُ ، عن عطاء بنِ السَّائب '' ، عن الأَحوص '' قال: كان عبد ُ الله يقول: تَعَلَّمُوا السَّائب ' ، عن الأَحوص ' قال: كان عبد ُ الله يقول: تَعَلَّمُوا القرآنَ ، وا تُلوهُ تُوَّجرُوا بِكُلِّ حَرْفِ عَشْرَ حسنات . أما إني لا أقولُ الم حَرْفُ ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف . وميم حرف .

قال: وحدَّ ثنا محمدُ بنُ جعفر (") قال: حدَّ ثنا وَرْقَاءَ (')، عن مجاهد قوله (النبأ العظيم) (") قال: القرآن. عن مجاهد قوله (النبأ العظيم) (") قال: وحدَّ ثنا عَمَانُ بن محمد (") قال: حدَّ ثنا عَقيلُ بنُ جابر (^)

⁽١) عطاء بن السائب (٣٨ – ١٣٦ه) أحد علماء التابعين، روى عن جماعة منالصحابة. حدث عنه سفيان الثوري وشعبة والفلاس . تغبر بأخرة ، وساء حفظه : المنزان ٧٠/٣ .

⁽٣) عوف بن مالك بن فضلة : أبو الاحوص الكوفي ، ررى عن أبيه ، وله صحبة ، وكان قاصاً ، قتلته الخوارج أيام الحجاج بن يوسف ، وثقة ابن معين : تهذيب التهذيب ١٦٩/٨ .

⁽٣) محمد بن جعفر : المدائني ، روى عن ورقاء وغيره ، روى عنه مسلم حديثاً واحداً : الميزان ٣/٩٤ .

^(؛) ورقاء بن عمر اليشكري : كوفي : نزل المدائن ، وثقة أحمد وشعبه وأبو داود، وضعفه يحيى القطان : ميزان الاعتدال ٣٣٢/٤ .

⁽ه) أبو نجيح (– ۱۰۹ هـ) اسمه يسار ، روى عن جهاعة من الصحابة، وثقه ابن معين: الشهذيب ۲۷۷/۱۱ .

⁽٦) النبأ : ٢ ٠

⁽٧) عنمان بن محمد (١٥٦ – ٢٣٩ هـ) بن إبراهيم العبــي ، أبو الحسن ابن أبي شيبة الكوفي ، صاحب المسند والتفسير ، روى عن هشيم وجرير بن عبد الحميد ووكيم وخلق . وروى عنه كثيرون ، وثقة الائمة : تهذيب التهذيب ١٤٩/٧ .

⁽ ٨) عقيل بن جابر : بن عبد الله الانصاري المزني ، روى عنه صدقة بن يسار ، وثقه ابن حبان : تهذيب التهذيب ٣٥٣/٧ ، وفي الاصل : ابن جبير .

عن هلال بن يَساف '' ، عن فَروة بنِ نوفل '' قال : حدَّثنا خَبَّابُ ابن الأَرت '' — و خر بُحتُ معه من المسجد _ فقال لي : إِن اللَّرَت '' — و خر بُحتُ معه من المسجد _ فقال لي : إِن استطعت أَن تَقَرَّبَ إِلَى الله عزَّ وجلَّ ، فإنك لا تَقَرَّبُ إليه بشيءٍ أَحبَّ إليه من كلامه .

قال: وفَضَّلَ الله جَلَّ وعزَّ أَهْلَ التَّلاوةِ للقرآنِ بِتِلَاوتِهِ، وأَخْبَرَ أَنهم يقُومُونَ بأَمْرِه، فقال: (إِن الذين يَتْلُونَ كَتَابَ الله، وأَقامُوا الصلاة ، وأَنفقُوا ممَّا رزْقنا هم سِراً وعلانِيَةً يَرْجُونَ يَجارةً لَنْ تَبور) "نَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ يَجارَتَهُمْ فِي الآخِرَةِ (هي) الرابحة وانها لا تَكْسَدُ عنده حتى يوفِيهُمْ أُجُورَهُمْ من الجَنَّةِ .

قال: حدَّثنا يحيى بن (أبي) بكير (أبي علي أنا شعبة أ

⁽١) هلال بن يساف الاشجعي الكوفي ، روى عن الحسن بن علي ، وجهاعة منهم فروة بن نوفل ، وثقه الائمة : ابن سعد ٢٠٨/٦ ، مشاهير علماء الامصار ١٠٩ ، تهذيب ٨٦/١١ .

⁽٣) خباب بن الارت (٢٦ ق. ه - ٢٧ ه) الصحابي القديم : الاصابة ٢/١٠١٠

⁽٤) فاطر : ٢٩ .

⁽ه) يحيى بن أبي بكير (– ٢٠٩ هـ) أبو زكرياء الكوفي ، سكن بفداد ، فروى عنه أهلها ، وثقة الائمة : تهذيب ١٩٠/١١ في الاصل : ابن بكير .

(٩٠) عن يزيد ((الر تلك » قال ، قال مطرف بن الشخير (() هذه آية القرآن : (إِنَّ الذينَ يَتلُونَ كتابَ الله، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا ممَّا رزقناهم سِرَّا وعلانِيَةً يَرْنُجونَ تجـارةً لن تَبور) إلى قوله (غفور شكور) (()

قال: وحدَّ ثنا القُثَمُ بنُ القُثَمَ ('' قال: حدَّ ثنا أَشَعبةُ ، عن علقمةَ بن مرْ ثَد ('' قال: سَمِعْتُ سعدَ بنَ عبيدة ('' يقول: ان علقمة بن مرْ ثَد ('' قال: سَمِعْتُ سعدَ بنَ عبيدة ('' يقول: ان أبا عبد الرحمن السلمي ('' (حدَّ ثه) عن عثمان بن عفان ('' رضي الله

⁽۱) يزيد بن حميد (– ۱۳۰ ه) أبو التياح الضبعي ، البصري ، روى عن خلق منهم مطرف بن الشخير ، وروى عنه كثيرون : ابن سعد ۱۳/۷ ، تهذيب التهذيب ۲۲۰/۱ .

⁽٢) مطرف بن الشخير (١١ – ٦٧ ه) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري ، أبو عبد الله ، من أهل العبادة والزهد والتقشف ، ممن لزم الورع الخفي : ابن سعد ١٠٣/٧ ، مشاهير علماء الامصار ٨٨ ، الحلمة ١٩٨/٢ .

⁽٣) فاطر : ٣٠٠

⁽٤) لا يعرف.

⁽ه) علقمة بن مرثد (– ١٢٠ هـ) الحضرمي ، أبو الحارث الكوفي . روى عن جماعة من التابعين . وعنه روى بعض كبار تابعيهم ، كشعبة والثوري ومسعر ، وثقه الائمـــة : ابن سعد ٢٣١/٦ ، تهذيب التهذيب ٢٧٨/٨ .

⁽٦) سعد بن عبيدة (ت ١٠٣ – ١٠٦ ه) السلمي، أبو ضمرة الكوفي . روى عن المغيرة وابن عمر والبراء بن عازب وابي عبد الرحمن السلمي ، وكان ختنه على ابنته . وعنه : الاعمش ومنصور وابن عتيبة وعلقمة بن مرثد : تهذيب ٧٨/٣ ؛ .

⁽٧) أبو عبد الرحمن السلمي (– ٧٧ ه) عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت . روى عن أبيه وبعض الصحابة . وعنه طاوس واباس وابن جبير وعطاء وسعد بن عبيدة . وثقه العلياء : ابن سعد ٢/٩/٦ .

⁽٨) عثان بن عفان (٦: ق. هـ ٥٠ ه) أمير المؤمنين ، انشهيد : الاصابة ٤/٤٠ .

عنه ، عن النبيِّ عَلِيْ قال : خيرُ كم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمَهُ ، قال أبو عبد الرحمن : فذاك الذي أَقعدني مقعَدي هذا .

قال : وحدَّ ثنا أبو النضر قال : حدَّ ثنا الهيثمُ بنُ جَّازُ '' ، عن أبي سلمـة بن عبد الرحمن (۱) قال :

⁽١) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث.

⁽۲) عبدة بن سليمان (–۱۷۸ه) ابو محمد الكوفي . يقال اسمه عبد الرحمن ابن سليمان بن حاجب بن زرارة . روى عن جماعة من الثقات . وعنه : أحمد واسحاق وابنا أبي شيية : تهذيب ۹/۲ ه ٤ .

⁽٣) الأعمش (٣٠ – ١٤٨ هـ) سليمان بن مهران الاسدي الكوفي . روى عن ابن أبي أو في وأبي وائل والكبار، وكان محدث الكوفة وعالمها . قال يحيى القطان : هو عــــلامة الأسلام . عرف بالتدليس ، مع الثقة والضبط والورع العظيم : ابن سعد ٢٣٨/٦ ، تاريخ ابن خيـــاط ٢/٥٥٦ ، مشاهير علماء الامصار ١١١ ، الميزان ٢/٤٢٢ ، العـــبر ١/٥٠١ ، تاريخ الاسلام ٢٢٢٥ ، البناية والنهاية ١/٥٠١ ، تهذيب التهذيب ٢٢٢٥ .

⁽٤) الهيثم بن جهاز : الحنفي البكاء . بصري معروف . روى عن يحيى بن أبي كثير . قال قال ابن معين : كان قاضيًا بالبصرة . ضعيف، متروك الحديث: ميزان الاعتدال ٣١٩/٤ .

⁽ه) يحيى بن أبي كثير (-١٢٩هـ) اليامي · أحد الاعلام الاثبات الا أنه كان يدلس: الميزان ٤٠٢/٤

⁽٦) أبو سلمة بن عبد الرحمن (-٤٠٠هـ) احد فقهاء المدينةالسبعة وهو ابن عبدالرحمن بن عوف كان من افاضل قريش وعبادهم وزهادهم ويقال ان اسمه كنيته وقدقين اسمه عبدالله : مشاهير علماء الامصار ٦٤

قال رسول الله عَلَيْ : أُعبدُ الناس أَكثُرُهُم تـالروةً للقرآن ، وإِنَّ أَفضل العبادةِ الدعاء .

قال أبو النضر عن شعبة ، عن سليان التيمي ('') ، قال سمعت أبا عُمَر ('') ، قال ، قال سليان : لو أنَّ رَ بُحِلً بات يَتْلُو كتاب الله ، وبات آخر ُ يُحْمَلُ على القِباب البيض ، لرأيت الذي بات يَتْلُو أَعلاهما أَجْراً .

قال وحدَّ تنا أبو النضر قال ، حدَّ تنا صالح الناجي "، عن قتادة ، عن زُرارة (،) بن أوفى ، قال : قام رَ بُحلُ إلى الذي عَيْلِيِّهِ، قال : يا رسول الله ، أيَّ العمل أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : الحالُّ المرتَحِل (، . . . قال : صاحبُ القرآن أن يضربَ من أولِهِ إلى الخالُ المرتَحِل ، ومن آخِرِهِ إلى أوَّلِهِ كُمَّا حلَّ ارتَحَل .

قَالَ : ثُمَّ أَكَّد الْحُجَّةَ على مَنْ تلاكتابَهُ وَحَفِظَــهُ ، وأَلزمهُمْ

⁽١) سليمان التيمي (-١٤٣هـ) ابن طرخان منعباد اهل البصرة وصالحيهم ثقـــة واتقاتا وحفظاً : مشاهير علياء الامصار ٩٠٠ .

⁽٢) ابو عمر: حماد بن واقد العيشي الصفار. كثير الوهم والخطأ:الميزان ١/٠٠٠

⁽٣) صالح المري (-١٧٢ه) الملقب بالناجي ، كان من عباد اهـــل البصوة ٠٠٠ وعرف. بالضعف : تهذيب ٤/٢/٤

^(؛) زرارة بن أوفي النخمي : له صحبة ماث في زمن عثمان الإصابة ٧/٣

⁽ه) هنا جملة ساقطة ربما كانت: ومن هو الحال المرتحل يا رسول الله ؟

من الفروضِ ما لم يلزم غَيْرَهُم ، فقال : (ما كان لِبَشَرِ أَن يوُتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحُكْمَ والنبوة ثم يقول للناس كونوا عِباداً لي مِنْ دونِ الله ولكن كونوا ربَّانيِّينَ بما كنتم تُعَلِّمُونَ الكتابَ وبما كُنتم تَدُرُسُونَ) (١) .

فأخبر جَلَّ وعزَّ ، أَنَّ كُلَّ مَنْ أَتَاهُ اللهُ الكتابَ والحَ مُهَ من النَّبِينِ ، أَنه أَمره ان يبلِّغَ قولَهُ ، أَنَّ الله جـلَّ وعزَّ ، أَمرهم أَن الله جـلَّ وعزَّ ، أَمرهم أَن يكونوا حُكماء علماء فُقهاء بما عُلموا من الكتاب وبما كانوا يدرسون.

وقال عزَّ من قائل (إِنَّا أَنزلنا التورية «التوراة» فيها هُدًى ونور يحكمُ بها النبيون الذين أسلموا (الله لله وكانوا عليه شهداء) فأوجب والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) فأوجب عليهم الحكم بما استحفظوا من كتاب الله وشهدوا انه الحق، ثم أو جب عليهم أن لا يَخْشَوْا عبادَهُ في القيام به فيهم، فقال: (فلا تخشوا الناس واخشون) (المه ثم قال: (إن كنتم مؤمنين) قد صدَّ قُتْم بي و بكتابي.

⁽۱) آل عمران ۷۹

⁽٢) المائدة ع

⁽٣) الماثدة ؛؛ .

⁽٤) المائدة ٤٤.

القسم الثاني

في فقه القرآن

قلت: قد علمت أنَّ في فهمه النجاة ، وفي الإغفال عنه الهلكة. فلو ذاب أهلُ السموات ، وأهلُ الأرضِ حين يسمعون كلام الله عزَّ وجلَّ ، أو ماتوا خُمُوداً (أجمعون؟) لكان ذلك حَقُّ لهم ، ولما كان ذلك كثيراً إذ تكلم الله عزَّ وجلَّ به تكليا من نَفْسِهِ من فوق عرْشِهِ ، من فوق سبع سمواته . فإذا عَظُمَ في صدرك تعظيمُ المتكلم به ، لم يكن عندك شيء أرفحُ ولا أشرف ، ولا أنفعُ ، ولا ألذُ ولا أحلى من استاع كلام الله جلَّ وعزَّ ، وفهم معاني قوله ، تعظيمً وحباً له وإجلالاً . إذ كان تعالى قائله ، فحُبُّ القول على قَله . وحباً له وإجلالاً . إذ كان تعالى قائله ، فحُبُّ القول على قَله .

وكذلك نَجِدُهُ في فِطرِ نَا فيما بيننا وبين الخَلْق.

نُحِبُّ قُولَ الأَّخِ والقرابَةِ والعالمِ والشريفِ على قَدْرِ محبتنا له ، ونُجِلُّ قُولَهُ ونُعَظِّمُ ونُرَدِّدُ ذِكْرَهُ ونتفهَّمُ معانِيَهُ ، على قَدْرِ حُبِّنا له وإجلالنا له . فكلامُ العالمِ عندنا أُحلى وألذُ وأرفعُ وأَجَلَ من كلامِ الجاهِلِ. وكلامُ مَنْ أحسن الجاهِلِ. وكلامُ الشريفِ من كلامِ الوضيع ِ. وكلامُ مَنْ أحسن إلينا (لا) كمن لا إحسان له إلينا . وكلامُ الناصحِ المتحنّن (أحسن) من كلام مَنْ لا ينصحنا ولا يتحنّن عليما ، حتى إنّ كلام الوالدةِ نَجِدُ له من اللّذَةِ والحلاوةِ ما لا نَجِدُ من كلامِ غيرها ، لعرفتِها ، و نصْحِها ، وتحنيها علينا .

فلا أُحدَ أعظمُ من اللهِ عزَّ وجلَّ عندنا قدراً ولا أشرف، بل لا شَرَفَ ولا قَدْرَ لمنْ لم يجعل اللهُ عَزَّ وجلَّ له الشَّرَفَ والقَدْرَ. ولا أَحدَ أعلمُ من اللهِ جَلَّ وعَزَّ (٩١)، ولا أَحدَ (أقرب) لنا ولا أرحم ولا أعظم تحنناً من اللهِ تعالى. بل لمَ يَرْحَمْنا راحِمْ ولم ينصحْنا ناصِحْ ولم يتحنن ، علينا مُتحَنِّن ، إلَّا بما استودعَ لنا في قلبه ، وسخَّرَهُ لنا بالرحمةِ والنُّصْحِ .

أَلَم تسمع قولَ عبدِ الله : مَن أَرادَ أَن يعلَمَ أَنه يُحِبُّ اللهَ عَزَّ وجلَّ فلينظر هل يُحبُّ القرآن ؟

وحدَّ ثنا يزيدُ بنُ هارونَ قال : حدَّ ثنا شعبةُ عن إِبي إِسحقَ ،

عن عبد الرحمن بن يزيد (العن عن عبد الله قال: مَنْ سرَّهُ أَن يعلَم أَنه يحبُّ الله ورسولَهُ فلينظر فإن كان يُحِبُّ الله ورسولَهُ فلينظر فإن كان يُحِبُّ الله ورسولَهُ .

حدَّ ثنا حُجَيْنُ بنُ الْمُثنَّى قال : حدَّ ثنا إِسرائيل عن أَبِي إِسحق عن عبد الله بنِ يزيد : لا يسأَلْ عبد عن نفسِهِ إِلَّا القرآن ، فمَنْ كان يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، فمن كان كذلك محباً له يحبُّهُ الله .

والله أحبُ إليه من نفسه ، ومن كلّ شيءٍ كان .

تلاوة القرآنِ وتفهُّمهُ أَلذُّ الأَشياءِ عنده ، وأَنفعُها لقلبه ، ولم يمل مِن تلاوتِهِ ، ولم يقنع بتلاوتِه دون أن يطلب الفهم لمعاني ما أراد الله عزَّ وجَـل ، من تعظيمِه وتبْجيلِه ومحبَّتِه ، وأَمْرِهِ ، ونَهْيهِ ، وإرشادِه ، وآدابِه ، ووعده ، ووعيده ، ويعلم أنه لا ينالُ منافع آخِرتِه ، ولا الفوز فيها ، والنجاة من هلكتها ، إلّا بالعلم الدَّال على كل نجاة ، والمنجي له من كلّ هلكة ، ولا نجاة له في آخِرتِه ، ولا اعتصام له في انتهائِه عمَّا يستوجب به عـداب ربّه ، إلّا بالعلم الدَّال على ذلك .

⁽١) عبد الرحمن بن يزيد (– ٨٣ هـ) بن قيس النخمي ، أبو بكر الكوفي . روىءن عثمان وعبدالله بن مسمود ، وعنه ابنه محمد ، وابراهيم النخمي وأبو اسحاق السبيمي وجهاعة . وثقة ابن سعد والعجلي والدارقطني : تهذيب التهذيب ٢٩٩/ .

فإذا عَلِمَ ذلك، رغبَ في العلم ليحركَهُ لطلبِ الفوز من عذاب الله تعالى، ومن سبيلِ كُحَبَّةِ النجاةِ ، الله تعالى، ومن سبيلِ كُلِّ هلكة ، ويدلَّ على سبيلِ كَحَبَّةِ النجاةِ ، عن بيانٍ ، وبصيرةٍ ، ويُجانِبُ (۱) طُرُقَ الردى ، بعد إيضاحِ واستبانةٍ لها .

فإذا رَغِبَ في ذلك، نَظَرَ بعقلٍ صحيح ان العلمَ أرفعُ المعقدار، وأُنفعُ للقلوب، وأَفتحُهُ لأَبصارِها.

فعلمَ أَنَّ العِلمَ على قَدْرِ العالمِ . فأيُّ العلماءِ أَعلَمُ ، كان طلبُ علمهِ أَحبَّ إليه من طلب علم من هو دونه في العلم .

ألا ترى انَّ الاستهاعَ من الرُّسُلِ عليهِم السلامُ والتفهُّمَ عنهم، أولى وأرفعُ عند الناس لعظيم قدرهم، لأنهم عن الله عزَّ وجلً أخذوا علمهُم، وأنهم معصومون من الخطإ من الله جَلَّ وعزَّ في دينهِ ، فقد لَزِمَ قلوبَ الموَّمنين الأَمانُ من الخطإ فيما أخذوا عنهم من العلم، وكذلك اتباع الرُّسُلِ أرفعُ في العلم ممن دونهم من التابعين.

فاعرف ذلك ، ثم اعرفِ القرآنَ كالرمَ مَنْ هُوَ . وهل أحدُ

⁽١) في الاصل : وتجانب ،

أَعلمُ مَن قَائِلِهِ وَالْمَتَكُلِّمُ بِهِ ؟ وَلا يَصِيبِ أَحَدُ عَلَماً إِلَّا مِن قَائِلِهِ وَهُو اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ جَلَّ ثناوَّهُ ، وتقدَّسَت ْ أَسَمَاوُهُ .

فإذا كان الله جَلَّ ثناوُه عندك أعلَمَ العاماءِ بل لا عِلْمَ لأَحدٍ إِلَّا من عامِهِ . أَلم تسمعه تعالى يقول : « وفوق كُلِّ ذي عِلْمٍ عليم » (١) . حتى ينتهي العلمُ إلى الله جَلَّ وعَزَّ .

وقد قال عبدُ الله : مَنْ أَحبَّ العلمَ فليقرأ (٢) القرآن ، فإنَّ فيه علمَ الأَواين والآخرين .

فإذا كان ذلك عندك لم تُوثِرْ على كلام الربِّ سبحانه علماً من العلوم ، ولم تجد له حلاوة ولا شاهداً لتلاوته ، وفهمه ، فيكون فهمه عندك ألذ الأشياء وأحلاها ، حبّاً لقائله ، وتعظياً وإجلالاً للمتكلم به الأنه كلام القديم الأول ، والعظيم الأجل ، والكريم الأعلى . أنزله على عباده ليعرفهم به تفسه ، ويذكّرهم به أياديه ، وينبّرهم به من رقدات الغافلين ، ويُحيي " قلوبَهم ، وينور به أبصارهم ، ويشفي به الصدور ، ويزيل جهلها ، وينفي شكوكها ،

⁽۱) يوسف ۷٦.

⁽٢) في الاصل : فليثور .

⁽٣) في الاصل : في

ويغسل به دَنسَها ، وزيفَها ، ويوضّح به سبيل الهدى ، ويكشف به العمى والشّبُهات ، ويُزيل نوازع الشيطان ، ووساوس الصدور، ويُغني به مَن فَهِمَهُ ، ويُقرّبَهُ من عقلِهِ ، ويَنْعَمَ با مَن كَرَّرَ تلاوَتَهُ، ويَوْضَى به عمّن اتّبَعَهُ .

هو طريقُ اللهِ المستقيمُ الذي مَنْ سلك ما دلَّهُ عليه أَو قَفَهُ على الرغائِب، وسلمه من جميع المهالِك في وأُوردَهُ رياضَ جوارِ الربِّ جلَّ وعزَّ، وخفَّف عنه أُهوالَ يوم العرضِ والنُّشورِ، و (علا) في درجاتِ جوارِ الربِّ جَلَّ ذِكْرُهُ منزلهُ ، وقرَّ بهُ من القَبولِ يوم الزُّلفَةِ لديه (٩٢).

هو حَبْلُ اللهِ المتينُ الذي لا انقطاعَ له . مَنْ تمسَّكَ به نجا ، ومن لها عنه عطب ، ومَن ابتغى في غيره صَلَّ ، ومَنْ فَهِمَهُ نطق بالحُكم ، وجرى لسائه بِحُسْنِ الموعِظةِ ، وكان من العلماء بالله جَلَّ وعَنَّ .

و مَنْ عقل عن اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا قَالَ ، فقد استغنى بـه عن كُلِّ شيءٍ ، وعزَّ به من كُلِّ ذُلِّ ، لا تتغيَّرُ حلاو تُـهُ ، ولا تُخْلِقُ كُلِّ شيءٍ ، وعزَّ به من كُلِّ ذُلِّ ، لا تتغيَّرُ حلاو تُـهُ ، ولا تُخْلِقُ جَدَّتُهُ فِي قلوبِ المؤمنين به ، على كثرةِ التَّرْدادِ ، والتَّكْر ارِ لِتِلاوته ، لأَنَّ قائِلَهُ دائم لا يتغيَّرُ ولا ينقُصُ ولا يحدُثُ بــه الحوادث .

وكذلك كلائمهُ لا يتغيَّرُ في قُلوبِ الموَّمِنينَ التَّالِّـُيْنَ ، على كَثْرَةِ التَّرْدادِ والتَّكرار ليَلَاوتِهِ .

و كُلُّ كلام من نبيٍّ أو صديقٍ أو خطيب بليغ أو قائل شِعْرٍ، فالقلبُ يملُّ من كثرةِ (تِلاوَةٍ) (() له. وذلك موجودٌ في الفِطْرَةِ ، لا يختلفُ فيه (أُولُوا) الألباب .

ولو كان الله جَلَّ ذِكْرُهُ وعَزَّ أَنْزِلَـهُ بلسان لا نَفْهَمُهُ ولا نعرف معانيه إذا تُلِي ، إِلَّا أَنَّا نعلمُ أَنه كلامُ الإِله جَـلَّ وعزَّ ، الله علم أَنه كلام الإله جَـلَّ وعزَّ ، الذي ليس كمثله شيء ، ثم ذُبنا وذاب أهـل الساء والأرض ، لحقَّ لنا ولهم ذلك .

بل لو ذَكَرَ الخلايقُ أَنَّ لله جَلَّ وعزَّ كلاماً تكلَّمَ بــه ولم يسمعوه ، ثم صُعِقوا (أَجمعون) هيبةً وتعظياً له ، لِعظيم ِ قَدْرِ المتكلِّم به ، لكان ذلك حقيقاً ، ولما كان كثيراً .

وكذلك إذا تلى التالي بالعربية ، ونحن نسمعُ الصوتَ ، ولا نفهمُ معانيَ ما يَتلُوهُ إِلَّا أَنَّا نعلمُ انه يتلو كلامَ ربِّنا جَــلَّ ربُّنا و تعالى ، لما كان عجيباً لو مِثنا (أجمعون) إجـلالاً و تعظياً له ،

⁽١) في الاصل : من كثرة له .

العِظَمِ قَدْرِ المَتكلِّمِ به سبحانه الذي لا يَعْدِلُ قَدْرَهُ شيء ، وذلك موجود عندنا في فِطَرِنا أَنَّا نسمع الكلامَ مَمَّن نُحِبُّ من الحَلقِ ، ومَنْ نُعَظِّمُ قَدْرَهُ فنسمَعُ صوتَهُ ولا نفهم ما يقول ، فترتاح لذلك قُلُو بنا ، ويَعْظُمُ ويَجِلُّ في صدورنا ، فكيف بكلام ربّن عَلَّم ثناؤه و تعالى ؟

الأوَّلُ بغير بَدهِ ولا مسبوق . وكيف ، وقد تكلَّمَ به بنفسهِ من فوق عرشه ، وأنزلَهُ مع الأَمينِ من ملايكته إلى أَمينِ أَهـــلِ الأَرض ، لئلا يرتابَ أَن يكونَ زيد فيه ما لم يَقُلُ ، أَو نَقَصَ منه حرف واحد .

يُتْلَى علينا بلسان عربي مُبين يَصِف لنا به نَفْسَه ، فلو كان ما أَنزلَ من كلامِه لم يَصِف لنا به نَفْسَه ، ولا ذَكَرَ لنا به نِعَمه ، ولا أَمرنا فيه بأَمْرِهِ ، ولا نَها فيه عما يكرهُه ، ولا أَدَّبنا فيه بأَدبِهِ ، ولا تو عَدنا فيه بعذاب ، ولا وعدنا فيه ثواباً ، إلا حديثاً على ما يُحَدِّث الرَّجل أَخاه به ، وصَغَى بأذن المستمع له ، ليس فيه عهد ولا عقد ولا سَعة في دين ولا دنيا ، إلا انه يحدِّثه بما علم ، ويخبره بما رأى وسمع ، فإذا كان للذي يُحدِّثك عندك قدر ، ولو أَضغَيْت إلى حديثه ، باستماع ما يقول و تفهم معاني ما يَصِف ، ولو

كان يحكيه لك عنه (حاكي) ، لفعلْتَ ذلك حبّاً منك لقاليهِ ، و تعظياً للمتكلِّم به ، وله أَطْلَعَهُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ على قَلْبِكَ ، وأَنت مُتَسَاعِلُ عنه لا تفهم عنه قولَهُ ، لَمَقَتَكَ وَعَلِمَ أَنك تَسْهُو عن حديثه، ولم تعبأ بفَهْم قولِه لقلة قَدْرِهِ ، وقَدْرِ حديثِهِ عندك .

ولو كان له عندكَ قَدْرْ ، لاستمعْتَ لحديثِهِ ولم تَلْهُ عن تَفَهُّمِهِ ، وإنما لهوْتَ عن حديثِ مَنْ حَدَّ ثَكَ من الخَلْق ، أَنه غاب عنهم عِلْمُ ضميرك . ولو كان لهم بادياً ما فيه ، لأحضرْت عقلَك إليهم ، وإلى حديثيهم ولم تَرْضَ لهم بالاستاع لحديثيهم دون الفهم له ، ولا بالفهم له دون تحبُّبهم على قَدْر حديثهم ، لِتُعْلِمَهُم أَنك قد فَهِمْتَ عنهم ، ولم تَرْضَ لهم بالجوابِ دون أَن تُوافِقَهُمْ ، فتعظّمَ مـا عظّموا ، وتستحسِنَ ما استحسنوا ، وتستقبح ما استقبحوا . هذا ، وأكثرُ حديثِهِمْ لَغُوْ وَلَمُوْ ، وليس فيه منفعةٌ ولا دنيا ، ولاحقَّ لهم (يُوَّكُدُوه) عليكَ بِقُوْلِهِمْ ، ولا يَرْضَوْنَ عنـك بفَهْمِهِ ، ولا تُحبُّ لهم أن يسخطوا عليك إِن لم تكن تفهمُهُ ، (و تقوم) به .

فكيف بالربِّ الكريم ِ الذي سَهَّلَ لك مناجاتَ ، وأُقبلَ عليك ولم يتكلَّم به لَغُواً ولا قالَهُ لَمُواً ولا عَبَثاً ، ولا خاطَبَ

به سَهْواً ، ولا تفكُّهاً ، ولا استراحةً إِليك . تعالى اللهُ جَلَّ وعزَّ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً .

و إِنمَا تَكُلَّمَ (٩٣) به مخاطِبُهُ قَصْداً وَارادةً ، وتوكيداً للحُجَّةِ عليك ، وعلى خَلْقِهِ ، إعذاراً إليهم وإنذاراً .

فكيف يَرْضَى عنك دون أن تسمَعَه ، وتُخْضِرَ عقلكَ ، وتفهمَ معانيَ قولِهِ ، وأن لا تتشاعَلَ بشيءٍ من الأشياء دون أن تستقصيَ معانيَهُ .

وكيف يرضى بذلك وإنما كَآمنا بعزائِم العُهودِ ، وأوكد المواثيق، وحقائق الأُمْرِ والنَّهْي، ولا يرضى منهم باستهاعِهِم (مواعِظَهُ) دون فهمِها ، ولا بفهمِها دون العَزْم على القيام بحقوقه فيها ، ولا بلعَزْم على القيام بحقوقه فيها ، ولا بلعَزْم على القيام بحقوقه في أوقات بالعَزْم على القيام بعقوقه في أوقات وجوبها ، بغير تسريف ولا تأخير ، لأنه كلام أقبل علينا به بجلاله وكبريانه ، مخاطبا لنا به ، فعر فنا به أنه لا إله غيره . ويأمُرنا بما يرضى به ويقربنا منه ، ويُوجِبُ لنا جوارة والقُرْب منه ، والنَّظَرَ إليه ، ويُوجِبُ لنا به إنْ ركبنا ما يُسْخِطُهُ ، عذا به الألهَ ، في خلودِ الأَبد الذي لا انقطاع له ، ولا زَوالَ ولا راحة .

و نَدَ بَنَا فيه إِلَى الأُخْلَقِ الكريمةِ ، والمَنازِلِ الشريفةِ ، وأَخَذ علينا الميثاقَ الموَّكَّدَ ، فكيف يرضى بتِلَاوتِهِ ، والقلبُ مشغولٌ بالدنيا ، وقد طَبَعَنا طَبْعاً ، لا نعرفُ ما نَتْلُو دُون أَن نَصْغِيَ إِلَيْهِ بأُسْمَاعِنا ، ولا نفهمُهُ وإِن أَصغينا إِليه ، حتى نحضرَ له عقو لَنا إِلَّا بقطعِها عن النَّظَر في كُلِّ شيءٍ سواه ، ولا نفهم ُ قولَهُ دون أن نَعَظَمَ مَا قَالَ فِي قَلُو بِنَا ، و نَعَظُّمَ قَدْرَ رَضَاهُ وَسَخَطِهِ . وَلا يَعَظُمُ ذلك عندنا مع طُول مُوالاتِنا بالدنيا ، والاشتغال بذكْرها ، وذكْر أَهلِها ، إِلَّا بِيَكْرارِ التَّلاقِ ، والدوامِ على تَقَصِّي العَقْل . تَقَصِّي ذلك والتيقَّظُ له ، حتَّى نفهَمَ مـا قال ، فينتبهَ العقلُ من غفلتِهِ ، ويشاهـــدَ علمَ الغيوب ببصرِهِ ، ويتوهم عظيمَ الجزاءِ ــ الثواب والعقاب _ بروُّيةِ بصره .

فعند ذلك يَعْقِلُ التالي عن ربّه عَزَّ و جَلَّ فيقول: ما قال عنك كرائي عينه، وما أقبل عبد على الله جَلَّ وعَزَّ إِلَّا أقبل الله عليه، وأسرع إليه الإجابة . فكذلك إذا أقبل على الله تعالى ، وذكرة بطلب الفهم ، أسرع إليه بالإفهام له . وكذلك ضين للمُقْبِلينَ إليه بعقولهم لفهم كلامِه عنه ، فقال عَزَّ وجَلَّ « إِنَّ في ذلك لذكرى.

لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبُ أُو أَلْقِي السَّمْعَ وهو شَهِيد » (''.

وقال مجاهد: شهيد ، شاهدُ القلبِ ليس بغايب. فعندهـا شاهد قلبُهُ الغيبَ ، كرائي العين.

و فَهْمُ كتابِ الله يور ثُهُ النفسُ الثابتُ في القلب. فإِه نَبتَ فكأَنه يُعاينُ ربَّهُ جلَّ وعزَّ ، ووعدَهُ ووعيدَهُ ، ومما يُبيِّنُ ذلك ما رُوي عن أُبيِّ بن كعب حسين سمع رجلاً يقرأ ، فأتى به النبي عَيْلِيْ فاستقرأهُ ، فقال أحسنت ، قال : وضرب صدري . وقال : اللهم أَذْهِب عنه الشّك . فارفضضت عرقاً ، وامتلاً جوفي خوفاً .

فإذا ثبت للنفس كان كالعَيان.

كَانَ العبدُ فِي الدنيا ببدنِهِ ، وقلبُهُ معلَّقُ باللهِ جَـلَّ وعَزَّ ، و بغَيْب مَعادِهِ .

فَاتَقِ اللهَ ، و لا تَجْعَلْ كَارَمَه منك بظهر ، وقلة اكتراث منك بفَهْمِ ما قال ، وذلك عليه فإنه يُجِلُّ مَنْ أَجَلَّ كَلاَمَهُ ، ويهونُ عنده مَنْ لَم يُعَظِّمْ كَلاَمَهُ .

فَمَنْ أَجَلَّ كَالِمُهُ آثَرَهُ عَلَى كُلِّ كَالِّم وَمُخْاطَبَةٍ ، وعلى كُلِّ

⁽١) ق: ٢٧ .

علم ، ليفهمَهُ عنه ، ويقوم بحقّه بمعرفة وقَهْم .

ولو عَقَلَ عن الله جَلَّ وعَزَّ فَهُمَ آيةٍ واحدةٍ (كَمَّ) كَفَتُهُ أَيامُ الحياةِ فِي القيام بحقِّ اللهِ فيها ، فكيف بما قال في كتابه من الدلائِلِ والشَّواهِدِ والأَّمثالِ والوصف له ، ولما في المعادِ من الثوابِ والعِقابِ . ويُبيِّنُ لك ذلك ما حَدَّثناهُ يزيدُ بنُ هارون قال: اخبرنا والعِقابِ . ويُبيِّنُ لك ذلك ما حَدَّثناهُ يزيدُ بنُ هارون قال: اخبرنا جريرُ بنُ حازم قال: أخبرنا الحسنُ عن صعصعة بن معاوية عمِّ الفرزدق أنه أتى النبيِّ عَلِيلِهُ وقرأ عليه « فَمَنْ يعملْ مثقال ذرةٍ خيراً يره ، ومَنْ يعملْ مثقال ذرةٍ شراً يره » (١) . فقال : حَسْي لا أُبالي ألّا أَسْمَعَ غيرها . فهذا رجلُ لم يُهاجِرْ ، ولم يلزم النبيِّ عَلِيلِهُ ؛

أَعرابيُّ لَم يَبْتَنِ فِي الإِسلام ، ولم يقرأ القرآنَ قبل ذلك ، أقرأَهُ الذيُّ عَلِيلِيَّةِ آيةً فَاكْتَفَى بَهَا ، (٩٤) وورَّ ثَنَّهُ الحياء من الله جلَّ وعَزَّ ، فكيف بِنْ وُلِدَ فِي الاسلام ، وعلَّمَهُ الله عَزَّ وَجلَّ كَتَابَهُ ، وسمِعَ تفسيرَهُ ، وكتب الآثارَ عن نبيه عَلِيلِةً وأوليائِكِ وأليائِكِ والسائِكِينَ ، لا يفهم كتابَ الله جلَّ وعزَّ ؛ يتلوهُ من أولِه إلى آخِرِهِ الصَّالِحِينَ ، لا يفهم كتابَ الله جلَّ وعزَّ ؛ يتلوهُ من أولِه إلى آخِرِهِ وذاك لأنه تلاهُ دارساً ، والقلبُ مشغولُ بغير فهمه ولا طَلَب معانيه ، وذلك لقلَّة تعظيمِه لقائِلهِ ، وإغفالِه الرحمة لنفسِهِ ، وقد معانيه ، وذلك لقلَّة تعظيمِه لقائِلهِ ، وإغفالِه الرحمة لنفسِهِ ، وقد

⁽١) الزلزلة : ٧ ٠ ٨ .

ضَمِنَ مَنْ لا يَخْفَى ضَمَا نُهُ ، وو عَددَ من لا يُخْلِفُ وعْدَهُ _ جَلَّ رَبُّنا _ أَنَّ مَا أَنْزِلَ مِن كَلَامِهِ شَفَاءٌ لما فِي الصَّدُورِ ، وَهُدَّى ورحمةُ للموُّمنين ، فيما أَحقَّ مَنْ أَغْفَلَ عن فَهِم كتابِهِ ، أَن يستحي من رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ويأْسَفَ على مــا مضى من عُمُرهِ ، ومرض قَلْبِهِ ، وهو لا يزدادُ إِلَّا سقماً ومَرَضاً ، وذلك لِقِلَّةِ مُبالا تِهِ بدا تُهِ، تَرَكَ طلبَ شِفائِهِ بما قال مولاهُ ، وتدبُّر ما تكلُّمَ به خالِقُهُ وقد رآهُ مولاهُ وهو يُعْنَى بفهم كتاب مخلوق وحديثِهِ ، وليس في كتا به وحديثِهِ إِياه خلودُ الأبدِ في النعيم ولا النجاةُ من عذابِ لا يَنْقَطِعُ بل لعلَّ ما فيه ما الاشتغال به ضرر (١٠) عليه، ومسخطةٌ لربِّهِ عزَّ وجلَّ، ولعلَّ فيه ما الاستغناء بغيره أولى ، أو لعلَّ فيه حاجةً لا قَدْرَ لها أو خَبَر ، بحيث أَن يُعْلِمَهُ من أخبار الناس ، أو حاجةٍ بكُلْفَةٍ لا يأْمُلُ لها مكافأةً ، ولا يُحُتُّهُ على القيام بها إِلَّا خوف عَذْله ولائمته .

وكيف يكونُ المَوْلَى تباركَ وتعالى وقد علم منّا أنّا قليلُ تعظيمنا له ، ونحن لا نعبأ بفهم كلامِهِ ، وتدبّر قو لهِ فيما خاطب به ، كا نعبأ بفهم كثب عبيده وحديثهم ؛ الذين لا يملكونَ لنا ضرّاً ولا نَفْعاً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً . تباركَ مَنْ

⁽١) في الأصل : ضرراً .

يَمِلِكُ ذلك كُلُهُ ، وذلك أنه قد رآنا يأتي أَحدَنا كتابُ من القرابة أو الأخ ِ أو العامِلِ أو الجارِ فلا يتمالكُ أن يقرأهُ ، ويقروهُ مِراراً مِنْ حُبِّهِ لصاحِبِهِ ، ولا يرضى بقراءة مُحروفِهِ دون الفهم بما كتب به إليه بإحضار عقل ، وفقه للحُرُوف ، ليفهم ما أراد ، وما الذي به أمر ونهى ، وما أوصى . فإنْ أشكل عليه استخراجُ بعض حروفِهِ استعان بغيرهِ على قراءتِهِ ليستخرجَ له ما لم يستخرجُهُ ، ليعرف بذلك ما معنى الذي كتب به، وما الذي أراد، وما الذي يُكنُ ، خوفاً ان يفوته فيه معنى منفعة ، أو عِلْمَ مَضَرَّة ليحْذَرَها.

وربما كَتَبَ إليه من لا يأمُلُ ذلك منه ، يكتُبُ بحاجة يطلُبُها ، أو شيءٍ أرادَ أن يَعْلَمَهُ فَمَا يَتُرُكُ أَن يستقصيَ فَهْمَ كَتَابِهِ ، ليفقة الحُروفَ مع فَهْمِ القلبِ معنى الذي أرادَ ، وكَتَبَ يبعثُنا على الحُروفَ مع فَهْمِ القلبِ معنى الذي أرادَ ، وكَتَبَ يبعثُنا على تأمُّلِ كتابِهِ محبةً منا إليه لِخَبر ، ورجاءً منا لخبرهِ أو جزعاً منا لخوف فَوْت منفعة ننالها منه آجلًا ، أو قربَ جواره أو تفهُما لسوًالنا حاجةً ، أو أملَ مكافأتِهِ أوجَبَت محمدَته ، أو خوفا أن يفوتنا ما يُريدُهُ فيلُو مَنا في تقصيرِنا ، أو حياءً منه أن نَقْدُمَ عليه. فيسألنا عن بعضِ ما كَتَبَهُ فلا تَقُوى قُلو بُنا ونسْتَحْيي أَنْ نُجِيبَهُ فيلًا لم نقرأ كتابَهُ ، أو أناهُ ولم نفهَمْ ما كُتِبَ به . لأنه بأنا لم نقرأ كتابَهُ ، أو أناهُ ولم نفهَمْ ما كُتِبَ به . لأنه .

يرى أن ذلك تَهاوُن '' منا به ، وقلة عناية منا بالمرة . فغداً نقدُمُ على الله جلّ وعزّ فنلقاهُ . ويُسائِلُنا عن كتابهِ الذي أَنزَلَ إلينا مخاطِباً لنا به . وكيف فهمْنا عنه وكيف عَمِلْنا به . وهل أجللناهُ ورهبْناهُ وهل قُمْنا بحقّهِ الذي أمرنا به . وجانَبْنا ما نهانا عنه . مع ما يفو نُنا من جوارهِ وما نَستَوْجبُ من عِقابهِ .

أَلَمْ تسمع مسائِلَهُ الجِنُّ والإِنسُ جميعاً يومَ القيامة بما أَقامَ عليهم به الحُجَّة في الدنيا من تِلاوةِ آماتِهِ عليهم من رُسُلهِ ، وأنه قطع بذلك عذرَهُمْ وأَدْحض به حجَّتَهُمْ . فقال يوم العرض : « يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنسِ أَلم يَأْتِكُمْ رُسُلُ منكم يَقُصُّونَ عليكم آياتي و يُنْذِرُو نَكُمْ لقاءَ يَوْمِكُمْ هذا » (٢) .

وقال عَزَّ وَجَلَّ : « أَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلَى عليكم » "" .

وقال تعالى « ولقد عثناهم بكتاب فَصَّلْناهُ على عِلْم فَدًى ورحمة لقوم يُومُ مِنونَ ، هل يَنْظُرونَ إِلَّا تأويلَهُ (٩٥) يوم يأتي تأويلَهُ يقول الذين نسوه » إلى قوله : « أو نرد فنعمل غير الذي كنَّا نعمل » (الآية).

(٣) المؤمنون : ٥٠٥ .

(٢) الانعام : ١٣٠ .

⁽١) في الاصل : تهارناً .

^(؛) الاعراف : ٥٠ ، ٥٠ .

فلمّا جاءَهُمْ تأويلُ ما قال عزّ وجلّ من الذي توعّد به نادَو الله بالندامة على نِسْيانِهِمْ ما جاءَتْهُمْ به رُسُلُهُمْ مِن كلام ربّهمْ عزّ وجلّ وتر كهم فَهْمَه ، و نادَو الله بالشفاعة أو بردّهم إلى الدنيا فيعقلوا عنه كلامَهُ ، ويقوموا بحقهِ .

قلت : فَهِل أَسْتَعَيْنُ عَلَى فَهُم ِ مَعَانِي مَا أَتْلُو أَو يُتْلَى عَلَيَّ ؟

قال: بإحضارِ عَقْلِكَ . فبذلك تفهم وتذكر ، أَلم تسمعُهُ عَنَّ وَجَلَّ يقول : « إِنَّ فِي ذلك لذكرى لمن كان لَهُ قَلْبُ أَو أَلقى السَّمْعَ وهو شَهِيد » (١) .

قال مُجاهد: أو أُلقى السمعَ لا يُحدِّثُ نَفْسَهُ بغير ما يسمع . وهو شهيد . قال : شاهِدُ القلب (٢) .

قلت فكيف أُحضِرُ عقلي حتى يكونَ شاهـداً لا يغيبُ عن فهم كلام ربِّي جلَّ وتعالى ؟

قال: بأن تجمع فهمَكَ حتى لا يكونَ فهمُك متفرِّقًا في شيءٍ غير طلب الفهم لكلام مولاك .

⁽۱) ق : ۳۷ .

⁽٣) الرعاية لحقوق الله ٢٠ : قال الله تبارك وتعالى : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال مجاهد: لا يحدث نفسه بشيء ، وليس بغائب القلب .

قلت : وكيف أجمعُ هَمِّي حتى لا يتفرَّقَ في شيءٍ سوى ذلك؟ قال : تمنعُ عقلَكَ من النَّظَرِ في شيءٍ سوى طلبِ فهم كتابِ ربِّكَ جلَّ و تعالى .

قلت : وكيف أُجمعُ عقلي ؟

قال: بأن لا تشغَلَ جوارَحَكَ بما لا يشتغِلُ به عقلُكَ ، وأن تستعملَ كُلَّ جارحَةٍ بما يُعينُكَ على الفَّهْم ، كَنَظَركَ في مُصْحَفٍ واسْتهاعِكَ إِلَى تلاوتِكَ أُو تـــلاوةِ غيرك ، وتمنع عقلَكَ من كُلِّ فكر وذِكْر ، يقوى طَلَبُ فهم كلم مولاك . لأنَّك إذا لم تشغَلَ جوارَحَكَ بشيءٍ غـــير ذلك ، ومُنِـعَ عَقْلُكَ عن النَّظَر والفِحْر في غير ذلك ، اجتمعَ هَمُّكَ وَحَضَر ، وإِذا حَضَر عَقْلُكَ زِكَا ذِهْنُكَ ، وإِذَا زِكَا ذَهُنُكَ قُو يُتَ عَلَى طَلَّبِ الفَّهُم ، واسْتَبَانَ فيه اليقينُ ، وصَفَا فيه الذِّكْرُ ، وقَوِيَ فيه الفِكْرُ ، وبذلك مَدَح المستمعينَ لتلاوةِ كتابِه بالفهم فقـال عزَّ وجلَّ : « فلمَّا حَضَرُوهُ قالوا انصِتُوا » (`` أي (`` قالوا : صـه أفلا نسمعُ اللهَ عزَّ وجلَّ ؟ مدحَهُم بِأَنْ سَكَتُوا عن الكلام لئلَّا يشتغِلوا عن

⁽١) الاحقاف : ٢٩ . (٢) في الاصل : إلى .

فَهْم ما يتلو نبيّه عليه السلام عليهم ، وهذا ولم يعلَموا ما فيه وما هو ، فلمّا قضى وفهموا عن الله عز وجلّ ما تلا عليهم نبيّه عليه السلام ولُوا إلى قومهم منذرين (تحدثوا) ؛ '' ، وفهموا من الله عزّ وجلّ ما سمعوا ، فقالوا : « يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم ، يا قو منا أجيبوا داعي الله ، وآمنوا به يغفر لكم من ذنو بكم '' ، وينجيكم من عذاب أليم ، ومن لا يُجِبْ داعي الله فليس بمعْجز في الأرض وليس له من دونه أولياء » وقالوا : « إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به » (الآيات) .

لقد نطقوا بالحُكم عن فهم بين ، وعن عقول ذكية في استماع آمات في مقام واحد ، فدعوا إلى إجابة الله عزَّ وجلَّ ، وأَمَّلُوا المغفرة والنجاة من العذاب الأَليم ، وأخبروا أنه مَنْ أعرض عما تلا نبينه على من كلام ربه عزَّ وجللَ لا يَعْرِفُ اللهَ ، وأَنَّ مصيرَهُ إليه .

هذا الأدبُ والفهمُ من استماع آيات في مَقام واحدٍ في أَقلِّ مِنْ ساعةٍ ، فكيف بمنْ وعى القرآنَ كُلَّه من صِغَرِه ، ويكرِّرُ

⁽١) في الاصل ؛ يحدد . (٢) الاحقاف : ٣٠ ، ٣١ .

وللوتَهُ من صِباهُ إِلَى كِبَرِهِ ، وعُمِّرَ السنين الكثيرةَ ، ويكرِّرُ تلاوتَهُ ، لم يعقِلْ عن ربِّهِ ، ولم يفهم كلامَ مولاةُ فيقومَ بحقُّهِ ، وكان أُوَّلَ ما تداعَوا الأُدبَ لاستماع ما (تلى) نبيه عليه السلام ، بتناهِيهِم عن الاشتال بالمحادثة عن كلام ربهم ، ولقد ذم مولانا عز وجل المتشاغلين - عند استماعِهم - بالمحادثة فقال تعالى: «نحن أُعلَمُ بما يستمعونَ به إِذ يستمعونَ إِليك واذ هم نجوى » (١) فاحرص أَن لا يكونَ فيك خُلُقٌ ، ذمّ الله عز وجل به كافراً ، وإن كنتَ مؤمناً ، فإنَّ من كمال الإيمان (مُخالفة)(٢) أَهْلِ الكُفْرِ بِالقَوْلِ والفِعْلِ فيما نهى اللهُ عَزَّ وجلَّ عنه . ولقد وَعَدَ ربَّنا عَزَّ وجَلَّ الرحمة ، وأَمَرَنا أَنْ نطلُبَها منه بالاستماع ِ ، والإِنْصاتِ لِفَهْم ِ كلامِهِ فقال : « وإِذا قُرىءَ القرآنُ فاستمِعوا لَه وأَنْصِتُوا لعلكم تُرْحَمون » (٣) يعني لكي تُرحَمُوا؛ فجعلَ الاستماعَ بتَرْكِ الكَلاَمِ لِتَفَهَّمِ كلامِهِ ، يُوجِبُ (٩٦) الرحمة ، قبلَ العَمَلِ بما يَسْمَعُ .

وقال عَزَّ وجَلُّ "فبشِّر عبادِ ، الذين يستمعونَ القول فيتَّبعون

⁽١) الاسراء ٧٤ . (٢) ني الأصل : مزايفة . (٣) الاعراف ٢٠٤ .

أَحسنَهُ. أَولئك الذين هداهُمُ الله وأَولئك هم أُولوا الأَلباب»(١). فمدحَهُمْ بِالهُدَى ، ووصفَهَمْ بِاللَّبِّ ، وأَثْنَى عليهم في آي من القرآنِ ، فإِذا أَحْضَرْتَ عَقْلُكَ بِجَمْعِ هَمُّكَ ، بنية صادقة مع أَمَلِ ورجاءٍ أَن تنالَ مَا قالَ ، وتُسارِعُ إِلى مَحَابِّهِ ، وتجتنبَ مَسَاخِطَهُ ، وتريده وحدَهُ ولا تُريدُ أَن تَفْهُم مِنْهُ مَا تَتَصَنَّعُ بِهِ عَنْدَ العِبَاد ؛ فَإِذَا نَظَرَ الله عزَّ وجلّ اليكَ وانتَ كذَلك، وعَلِمَ ذَلك مِنْ ضمِيركَ ، أَقبَلَ بِلْطْفِهِ ، ووليَ تقويمَ عَقْلِكَ بِفَهْمِ كِلامِهِ ، وَمَا فِيهِ مِن عِلْمِ الغُيوبِ ،ومكنون الوعيدِ ، فحينئذ تكونُ

الحُجَّةُ فيوضحُ اللهُ لَكَ به البرهانَ ، ويَمُدَّكَ بِالفوائِدِ ، ويُحَلِّي عنكَ ظُلَمَ الشّبهِ ، ويدلْكَ على مَحَجِّةِ المَهْتَدِيْن ، ويدلْكَ على مَحَجِّةِ المَهْتَدِيْن ، ويذيقُكَ الحَلاوةَ التي أَذاقَها أَهْلَ التقوى ؛ لأَن كلامَهُ ربيعُ قلوب الأَبْرار ، ويثقلُ فَهْمُهُ على مَنْ تعطَّلَ قَلْبُهُ ، وهو الذي هتك حُجُبَ قلوب الفَهمين ، فأهاجَ منهم الفؤادَ الذي هتك حُجُبَ قلوب الفَهمين ، فأهاجَ منهم الفؤادَ

للقرآن مُفْهماً ، فتستنطق منه عِلْمَ ما عَميتْ عليكَ فيه

والزفراتِ أَسفاً على ما فات من أعمارِهم ، وما أحصى

⁽۱) الزمر ۱۷ ، ۱۸ .

الله عليهم من ذنوبِهم ، وأشخص أبْصار قلوبِهِم إلى مَلَكُوتِ جِواره ، فطالَ حنينُهُم واشتياقُهُم إلى الخُلود في دار الأملِ في جوار بِ العالمين ، مع خوف الحرمان لِما سلف من جرائمهم .

فإنْ طلبْتَ الفهمَ بالصدقِ أَقبلَ عليك بالمعونة ؛ تصديقُ ذلك في كتاب الله عزْ وجل « إِنَّ الله مع الذين اتَّقُوا والذين هُم مُحْسِنُون » (۱) لا يَثْقُلُ فهمُ كلامِه إِلاَّ على مَنْ تعطّلَ قلبُهُ أَلاَّ يسمعَ ، وربَّنا جل وعز يقول : « ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأَسمَعَهُمْ ولو أَسمعَهُمْ لتولوا وهم مُعْرضُون »(۱) .

فأخبر انه لو عَلِمَ فيهم خيراً لأَفْهمهُمْ لأَنهم لم يكُونُوا « صُمَّاً » (٣) ، وكانوا يسمعون قراءَةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ولكن ضيَّعوا الفهم ! ألا تسمعُهُ يقول « لهم قلوبُ لا يفقهونَ بها ولهم أَعْيُنُ لا يُبْصِرون بها ، ولهم آَمْيُنُ لا يُبْصِرون بها ، ولهم آَمْلُ ولهم آَمْام بل هم أَصَلُ أُولئكَ كالأَنْعَام بل هم أَصَلُ أُولئكَ هم الغافلون » (١) .

⁽١) النحل ١٢٨. (٢) الانفال ٢٣. (٣) في الأصل: صم. (٤) الأعراف ١٧٩.

ألا تسمعُهُ يقول: « ما كانوا يستطيعونَ السَمْعَ وما كانوا يُبْصِرون » (۱) لا يعني أنهم كانوا صُمَّا ولكِن لا يفقهونَ ما يسمعونَ بآذانِهِم. الا تسمعُهُ يقول « وَترَاهم ينظُرُون إليك » (۱) فأَثبت النَظَرَ منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « وهم لا يبصرون » (۱).

يقول: لا يعقلون دلائل الله عزَّ وجلْ في نبوتِهِ عليه السلام، فإنْ عَلِمَ مِنَ التالي لكتابِه صِدْق ضمير، وعناية حتى يجمع همه للفهم، أَفْهَمَهُ. أَلا تسمعُهُ يقول: « إِنْ يعلم الله في قلوبِكم خيراً يوتِّزِكم خيراً هما أُخِذ منكم ويغفر لكم » (ن).

فإذا أَقبلْتَ على اللهِ تعالى بِصِدْقِ نيةٍ ورغبة لفهم كتابِهِ باجتماع هم متوكّلاً عليه أنّه هو الذي يفتحُ لك الفهم ، لا على نفسِكَ فيما تطلُبُ وَلا بما لَزِمَ قلبكَ من الذّكر ، لم يخيّبُكَ من الفَهم والعَقْلِ عنه إِنْ شاءَ الله .

⁽١) هود ٢٠ . (٢) الأعراف ١٩٨ . (٣) الاعراف ١٩٨ . (٤) الأنفال ٧٠ .

في المحكم والمتشابه

قلت: ما الذي ينبغي لي أن أعرفه قبل طلب الفهم الكتاب الله عز وجل ، لأن لا أغلط فأعتقد ما لا يُرضي الله على ثناوه من المعاني ، أو أنفي ما يرضيه من المعاني فاخطر عليه فأبتدع بدعة ، أو أوجب فرضا قد أسقط بالنشخ بعد وجوبه ، أو يشتبه علي تلاوته فيجد العدو موضع تزين للشك فيما اشتبه علي ، وأقدم ما أخره أو أؤخر ما قدم ، أو أعم خبراً أو فرضاً أو وعيداً خاصاً فأظنه ما قدم ، أو أخص خبراً أو وعيداً أو أمراً عاماً فاجعله عاماً ، أو أبدل محكماً متشابها أو متشابها مُحكماً .

قال : أَن تعلَمَ أَنَّ القرآنَ منه ناسخٌ ومنسوخٌ ، ومُحْكَمُ ومُتشابه ً ، وله وجوهُ :

فمنه مُتَشَابِهُ في التلاوةِ من غيرِ أَن يَنْسِخَ بعضُهُ بعضُهُ بعضًا . ومنه متشابه لاختلاف أوقاتِهِ في الواجِب وفي

الكائن مما أَخبَرَ الله انه كائن. ومنه مُتَشَابِهُ والمعاني مختلفةً. ومنه مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ. ومنه خاصٌ وعامٌ . ومنه (٩٧) موصولٌ ومفصول ، ومنه غريبُ اللغة . ومنه ما لا يُعْرَفُ معناهُ إلاَّ بالسنةِ أو بالإِجماع . ومنه ما لا يُعرفُ معناه إلاَّ بعد تلاوةِ ما يأتي في سورته ... وأمثال ... وغير ذلك .

حَدَّثَنَا القاسم بن سلام (") قال : حدثنا عبد الله بن معاوية بن صالح (") عن معاوية بن صالح (") عن علي بن (أبي) طلحة القرشي (") عن ابن عباس في قوله جل وعز : (هو الذي أنزلَ عليكَ الكتاب منه آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتاب وأخرُ مُتَشَابِهاتٌ » قال : المحكماتُ ناسخةٌ ، وحلالُهُ وحرامُهُ وفرائضُهُ ، وما يؤمَنُ به ويُعْمَلُ به ولا يُعْمَلُ به .

⁽١) أبو عبيد القاسم بن سلام : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ، ص ١٥.

 ⁽۲) عبد الله بن صالح البصري الجهني : أبو صالح . كاتب الليث بن سعد على أمواله. قال أحمد:
 كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بأخرة : الميزان ۲/۰٤٤ .

 ⁽٣) معاوية بن صالح (- ١٥٨ ه) الحضري، الحممي ، قاضي الأندلس . روى عن مكحول،
 وعنه ابن مهدي وابن وهب وأبو صالح : الميزان ١٣٤/٤ .

^(؛) على بن أبي طلحة القرشي ؛ مولى بني هاشم . واسم أبي طلحة سالم . كنيته أبو الحسن ، لم يلق أحداً من الصحابة . وهو الذي يروي عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره : مشاهير علماء الأمصار ١٨٢ . الأصل « على بن طلحة » .

حُدَّنَا أبو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي (۱) قال حدثنا سفيان (۱) قال حدثنا يحيى بن سعيد (۱) عن أبي حصين (۱) عن أبي عبد الرحمن السلمي ، أنَّ عليّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه مرّ بقاصً يَقُصُ فقال : هل تعلم الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكت وأهلكت .

وحدثنا القاسم ابن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة القرشي عن ابن عباس في قوله جل وعز : « ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً » (٥) فقال : المعرفة بالقرآنِ ناسخِهِ ، ومنسوخِهِ ، ومحكمِهِ ومتشابِهِهِ ، ومقدَّمه ومؤخّرِه ، وحلالِهِ

⁽١) عبد الرحمن بن مهدي (١٢٥ -- ١٩٨ هـ) الإمام الكبير ، أمير المؤمنين في الحديث . الثقة ، الثبت ، الحجة : تهذيب ٢٧٩/٦ .

⁽٢) سفيان (٩٧ – ١٦١ هـ) ابن سعيد بن مسروق الثوري: أمير المؤمنين في الحديث . كان ثقة، ثبتاً، مأموناً، كثير الحديث، حجة . ومن أعاظم علماء الاسلام في كل العصور : ابن سعد ٢٥٧/٦، تاريخ ابن خياط ٢٨٦/٣، مشاهير علماء الأمصار ١٦٩، تهذيب التهذيب ١١١/٤.

⁽٣) يحيى بن سعيد (– ١٤٣ هـ) الأنصاري ، المدني ، قاضي الحيرة ، الثقة ، الثبت ، روى عن أنس وجماعة من أقرانه . وروى عنه خلائق بينهم السفيانان : تَهذيب ٢٢١/١١ .

^(؛) أبو حصين (–١٢٨ ه) عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي، الكوفي، روى عن جماعة من الصحابة . وكان ثقة ثبتاً : تهذيب ١٢٦/٧ .

⁽ه) البقرة ١٦٩.

وحرامِهِ ، وأَمْثالِهِ . فأُمَّا قولُهُ « وما يعلم تَأْويلَهُ إِلَّا الله » (١٠٠ يعني يومَ القيامة لاَ يعلمُها إِلاَّ الله .

قال أبو عبد الله (۱) ورُوي عن أبي الأَحوص عن عبد الله قال : لِكُلِّ آيةٍ مِنْ كِتابِ الله ظَهْرُ وَبَطْنُ ، وحَدُّ ومَطْلَعُ .

قال أَبو عبدالله: أَمَّا ظاهِرُها فَتِلاوتُها ، وأَمَّا باطِنُها فتأويلُها ، وأَمَّا حَدُّها فَمُنْتَهَى فَهْمِها .

وعند هذه الخُلَّةِ فَرَّقَ اللهُ بين الصادِقِينَ والكاذِبِينَ ممّن تَلاَها أو مَنْ عَرَفَ تفسيرَها ولم يبلُغُ منتهى فَهْمِها ، الأَنَّ اقلَّ الصدقِ من المؤمن المؤمن المؤمن بلغ مُنْتَهَى فَهْمِها ، لأَنَّ اقلَّ الصدقِ من المؤمن المُريد بعد الإِيمانِ بالآيةِ أَن يفهمَها عن ربّه وأن يَعْمَلَ بها .

وانما قصر بالناس (٣) عن فَهْمِها قلةُ تعظيمهِم لقائِلِها. وأمَّا مَطْلَعُهَا فَمُجاوزةُ حَدِّها بالْغُلُوِّ والتعمُّق والفُجُور والمعَاصي. من ذلك قولُ الله جَلَّ وعَزَّ «تلك حُدُودُ الله فلا تعتدُوها » (١٠).

⁽١) آل عمران ٧ . (٢) أبو عبد الله : الحارث المحاسبي .

⁽٣) في الأصل: الناس. (٤) البقرة ٢٢٩.

وقال غيره (١) ورُوي عن ابن عباس – قال: أُنزل القرآنُ على أَربعة أَوْجُهِ: حلالٌ وحرامٌ ولا يسعُ جَهْلُهُ ، وتفسيرٌ يعلَمُهُ العُلماءُ ، وعربيةٌ تعرفُها العرب ، وتأويلٌ لا يعلمهُ إلاَّ الله يقول الراسخونَ في العلم آمنًا به كُلُّ ، وعند ربنا .

وكان ابنُ عباس يقرأُ «وما يعلمُ تأويلَهُ إِلاَّ الله والراسخون في العلم يَقُولُونَ آمنًا به » (٢).

وقال عَبيدةُ السَلْماني (٣): من أين يعلمونَ تأويله ؟ وانما انتهى علمُ الراسخين إلى أَنْ قالوا (آمنًا به كُلُّ مِنْ عِنْدِ ربِّنا ».

وقال قَتادةُ: المُحكَمُ ما يُعمَلُ به ، والمتشابِهُ المنسوخُ الذي لا يُعمَلُ به .

قال الكلبي: هو ألم وألمر وألمص وأشباهُ ذلك.

⁽١) يعني غير عبدالله بن مسعود ، الذي ذكر المحاسبي رأيه في الصفحة السابقة .

⁽٢) آل عمران ٧ .

⁽٣) عبيدة السلماني (– ٧٢ ه) قال ابن سعد : ابن قيس السلماني من مراد . وقال ابن حبان : ابن عمرو السلماني الهمداني أبو مسلم . أسلم قبل وفاة النبي بسنتين لكنه لم يلقه . أثبت الناس في علي وابن مسعود . وأحد خمسة هم أبرز تلامذة ابن مسعود : عبيدة وعلقمة ومسروق والهمداني وشريح : ابن سعد ٢/٦٢ ، مشاهير علماء الأمصار ٩٩ .

وقال ابن عباس : هو التقديمُ والتأخيرُ ، والمقطوعُ والموصولُ ، والمخاصُّ والعامُّ .

وقال مجاهد: « هُنَّ أُمُّ الكتابِ » (١) يعني ما فيه من الحلالِ والحَرَامِ ، وما سوى ذلك منه المُتَشَابِهِ .

وسئل مالكُ بنُ أُنس (٢) عن قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله) (٣) (الآية) أيعلم تأويله الراسخونُ في العلم؟ قال: لا ، وانما معنى ذلك أَنْ قال: وما يعلم تأويله إلا الله ، ثم أخبر فقال : (والراسخونَ في العلم يقولون آمنًا به كُلُّ من عند ربِّنا) وليس يعلمونَ تأويلَهُ ، والآيةُ التي بعدها ، أَشدُّ عندي ، قوله : (ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذْ هديتَنَا) هنا قال مالك : الراسخون في العلم هم العاملون عَلَموا المتبعينَ له .

⁽١) آل عمران ٧ .

⁽٢) مالك بن أنس (٩٣ – ١٧٩ هـ) أبو عبد الله ، من سادات أتباع التابعين ، الإمام ، العلم ، العلم ، العلم ، التقة ، الثبت ، أحد أركان هذا الدين . مؤلف الموطأ . وإمام دار الهجرة . قال الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم : تاريخ ابن خياط ٧١٩/٢ ، طبقات ابن خياط ٢٨٨/٢ ، مشاهير علماء الأمصار ١٤٠ ، العبر ٢٧٢/١ ، البداية والنهاية ١٧٤/١ ، تهذيب التهذيب مثاهير علماء الإمتاء لابن عبد البر ، وترتيب المدارك .

⁽٣) آل عمران ٨ .

قال أبو عبيدة (۱) وأُخَرُ مُتَشَابِهاتُ : يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضُهُ بَعْضاً (۲). وذُكِرَ عن مجاهد أنه قال : يعلمونه ، ويقولون «آمنّا به». وقال بعض أهل اللغة وانما معناه كأنه قال : والراسخون في العلم قائلون آمنّا به .

⁽١) أبو عبيدة (١١٠ – ٢٠٨ هـ) معمر بن المثنى التيمي البصري . استقدمه إسحاق بن ابراهيم إلى بغداد . كان علامة في اللغة وأيام العرب وأخبارهم . وأسند الحديث عن هشام بن عروة . وعنه أبو عبيد والمازني وأبو حاتم السجستاني وابن شبة في آخرين . وكان خارجياً ، شعوبياً ، يكره العرب ، ينقل عنه المحاسبي كثيراً في «فهم القرآن» : تاريخ بغداد ٢٥٢/١٣ .

⁽٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٨٦ : وأخر متشابهات : يشبه بعضها بعضاً .

القسيم الرابع

باب ما لا يجوز فيه النسنخ وما يجوز ذلك فيه صفات الله وأسماؤه:

اعلم أنَّ النسخ لا يجوزُ في معنييْن ومَنْ دان بأنه يجوزُ فيهما النسخُ فقد كفر . لا يَحلُّ لأَحَدِ أَن يعتقدَ أَنَّ مَدْحَ اللهِ ، جَلَّ ثَناوُّهُ ، ولا صفاتِهِ ، ولا أَسماءَهُ ، يجوزُ أَن يُنسَخ . جَلَّ وَعَنّ ؛ وَصَفَ نَفْسَهُ بصفاتِهِ الكاملةِ ، وامتدح (نَفْسَهُ) بِمدَحِهِ الطاهرةِ ، (٩٨)وبأَسمائِهِ الحسنى ، فَمَنْ أَجازِ النسخ فيها ، أجاز أن يُبدِّلَ أسماءَهُ الحسنى فيبدِّلَها قبيحة سوآى ، وصفاتِهِ الكاملة العلية فتكونَ دنيةً ناقصة شفلى ، وَمِدَحَهُ الطاهرة فتكونَ مذمومة دنيَّةً ، جَلَّ وتعالى عن ذلك عُلُواً كبيراً .

أخباره تعالى عما كان ويكون:

ولا يجوزُ النسخُ في أخبارهِ تعالى عمّا كان ويكون ، فيكون بذلك مُنْصَرفاً مِن الصِدْقِ إِلَى الكَذِبِ ، ومن الحَقِّ إِلَى الكَذِبِ ، ومن الحَقِّ إِلَى الكَذِبِ ، واللَّعِبِ ، وإنما يَنْسخُ أَخبارَهُ الكَذَّابُ او

المُخْبِرُ بِالظَّنِّ ، فيرجع عن قَوْلِهِ إِلَى أَن يكذب نفسَهُ ، ويبطل قوله ، وذلك كقولِ القائل : رأيتُ كذا وسمعتُ كذا . ثم يقول بعد: لم يكن ما أخبرتُ أني رأيتُهُ وسمعتُهُ .

وَنَجِدُ أَن شيئاً قد كَانَ ثم يُخْبِرُ أَنه لا يكورْ ، فيكذب نفسهُ فيما أخْبَر ، ويدُلُّ أَنه أَخبر بما لا يعلمه أو يكذب نفسه ، فيخبر أنَّ ما أخْبر به انه سيكون ، انما قال متعمداً للكذب أو قاله بالظَّنِّ ، وأنه كان جاهلاً به ، ثم رَجَعَ عن ظَنِّهِ ، وبذلك صِفةُ الكَذَاب .

وقد جو ترفريق من الروافض في أَخبارِ اللهِ جَلَّ ثَناوَّهُ التَّناسُخَ ؛ وهذا الكُفْرُ (١) . لا يَجُوزُ أَن يَنْسِخَ اللهُ خَبَرَهُ أَنَّهُ خَلَقَ آدمَ وأَسكنَهُ الجنةَ وأَمَرَ الملائكةَ أَن يسجُدُوا

⁽١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٥٣/٢ : وغلت الروافض في ذلك حتى زعمت أن الله سبحانه يخبر بالثيء ثم يبدو له فيه – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، المقالات ٢٥٣/٢ : وأنكره أكثر الناس ، وقالوا : لا يجوز النسخ في أخبار الله عز و جل ومديحه وأسمائه والثناء عليه .

وفرق الآمدي في إحكام الأحكام ١٣١/٣ بين نسخ الحبر نفسه ، ونسخ التكليف بالإخبار به ، فمنع الأول وأجاز الثاني . والمحاسبي يتفق في النسخ مع المعتزلة ، كما يبدو من قول الأشعري مم المعتزلة ، كما يبدو من قول الأشعري ١٨٥٥ : واتفقت المعتزلة على أن البارىء سبحانه ليس بذي علم محدث ... ولا يجوز على أخباره النسخ لأن النسخ لو جاز على الأخبار لكان إذا أخبرنا أن شيئاً يكون ، ثم نسخ ذلك بأن أخبر أنه لا يكون ، لكان لا بد من أن يكون أحد الخبرين كذباً ، قالوا : وإنما الناسخ والمنسوخ في الأمر والنهي ، وقد ذكر المحاسبي اتفاقه مع المعتزلة في النسخ فيما بعد .

له ، فَسَجَدَتِ الملائكةُ كُلُّها إِلاَّ إِبليسَ ، ولا أَخبارَهُ عَمَّا مضى من الرُسُل ، وعمّا كان في الدهور الخالية مما أخبر أنه كان ، فنجدُ أَنَّ ذلكَ لم يَكُنْ . وكذلك ما أخبر عَز وجَلَّ انه سيُقِيمُ القيامةَ وأَنه يبعثُ مَنْ في القُبور ، وأَنهُ يُصَيِّرُ فريقاً في الجَنَّةِ وفريقاً في السَعير . ولا ما يَقُولُ أَهْلُ الجَنَّة وأَهْلُ النَّارِ ، وأنه يخلِّدُ أَهْلَ الجنةِ فيها ، ويخلِّدُ المشركينَ في العَذَابِ الأَليم ، فَيُخبر خلافَ ذلك كُله ، لأَنَّ ذلك يُوجِبُ بالخَبَرِ الثاني لُزومَ الكَذِبِ في الأُوّلِ ، ولُزومَ البَراءَةِ ، وأنه أرادَ أن يفعلَ ، فاستبدلَ فأراد أن لا يفعل ، رُجوعًا عن قوله ، والرجوع عن القولِ ؛ الكذبُ . والبَدَاءُ من الجَهْل بالعواقب.

ومن ذلك حُدوثُ الإِراداتِ في ذاتِهِ بالذوات ، وذو البداوات جاهلٌ بِما يكونُ فيما يُستقْبَلُ (١) .

ولا جائزَ أَن يُخْبِرَ بِأَمْرٍ كَانَ ثُم يَخْبِرَ أَنه لَم يَكُنْ او يخبر أَنّه سيكونُ ، او يخبر أنّه سيكونُ ، او يخبر

⁽۱) مقالات الاسلاميين ۱۰۹/۱ : وافترقت الرافضة : هل الباري يجوز أن يبدو له إذا أراد شيئاً أم لا ؟ على ثلاث مقالات :

أنه لا يفعلُ ثم يُخْبر أنه سيفعلُ ، أو يخبر عن شَيءٍ انه لا يفعلُهُ ثم يخبر أنه يفعلُهُ. كما قال (عن) النبي صلَّى الله عليه وسلم (انه) خاتم النبيين ، فأخبر انه آخِرُ من يَبْعَث بعده نبياً ، او يبعث نبياً بعدما أخبر انه آخِرُ مَنْ يُبْعَث من النبيين .

وكما قال اللَّعراب: «قل: لن تَخْرُجُوا معي أَبَداً » (۱) فلما قالوا بعد خبره هذا: « ذرونا نَتْبِعْكُمْ » (۱) . قال الله جل وعز: « يريدون أَن يُبَدِّلوا كلامَ الله . قُلِ لن تَتَّبِعُونا كذلِكُمْ قال الله من قَبلُ » (۱) وقال: « لا مُبَدِّلَ لكلماته » (۱) جَلَّ عن الجَهْل والبَدَاوات .

وكذلك لا يَجُوزُ إِذَا أَخبر أَنَّ صفاتِهِ حسنةٌ عليا ، أَنْ يُخْبِرَ بعد ذَلك أَنها دَنِيَّةُ سُفْلَى ، او يصفَ نَفْسَهُ بأَنَّه جاهِلٌ بِبَعْضِ الغَيْبِ ، بعدما أُخبر انه عَالِمُ الغَيْبِ ،

ا - فالفرقة الأرلى منهم يقولون: إن الله تبدو له البداوات، و انه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات ثم لا يحدث لم من البدو...

٣ – والفرقة الثانية منهم يزعمون أنه جائز على الله البداء . . .

٣ – والفرقة الثالثة منهم يزعمون أنه لا يجوز على الله عز وجل البداء ، وينفون ذلك عنه تعالى .

⁽١) التوبة ٨٣. (٢) الفتح ١٥.

⁽٣) الفتح ١٥ . الكهف ٢٧ .

وأنه لا يُبْصِرُ ما قد كان، ولا يسمَعُ الأَصْوَاتَ، وأنه لا قُوَّة له ولا قُدرة على الأَشياءِ، ولم يتكلَّمْ بشيءٍ ولا الكلامُ كان منه ولا له الخَلْقُ والأَمْرُ، وأنه تَحْتَ الأَرض لا على العَرْش جَلَّ عن ذلك وتعالى عُلُوَّا كَبيراً.

فاذا عرفْتَ ذلك واستيقنْتَهُ فتَلُوْتَ آيةً في ظاهِرِ تلاوتها ، تَحْسَبُ انها ناسخةٌ لبعض أَخباره ، كقولِهِ في فرعون « حتى إِذَا أَدْرِكَهُ الغَرَقُ » (۱) وقال « فاليوم نُنجِيك بِبَدَنِكَ » (۱) . وكقوله : « يَقْدُمُ قومَهُ يوم القيامةِ فأورَدهُمُ النَّار » (۱) أَنه لم يُرِدْ به نجاةً من الغَرَقِ في الله جَلَّ ذكرُهُ عنى أَن ينجِيهُ ببدنِهِ من النار ، إِذ آمَن الله جَلَّ ذكرُهُ عنى أَن ينجِيهُ ببدنِهِ من النار ، إِذ آمَن عند الغَرَقِ ، وقالوا إِنما ذكر أَنَّ قومَ فِرْعُونَ يدخُلُون النار ولم يَذْكُر أَنَّه يدخل فرعون النار ، وانما قال : النار ولم يَذْكُر أَنَّه يدخل فرعون النار » ولم يقل فَيَرِدَها (" يقدُمُ قومه يوم القيامة فأوردهم النار » ولم يقل فَيَرِدَها

⁽١) يونس ٩٠ . في الأصل : فلما أدركه الغرق .

⁽۲) يونس ۹۲ .

⁽٣) هود : ۹۸ .

فِرعونُ وقال « وحاق بآلِ فرعونَ سوءُ العذاب » (١) (١) « فأَخذَهُ الله نكَالَ الآخرة والأَولى » (٣) .

وانما معنى قوله « ننجيك ببدنك» أَنَّ اللهُ جلَّ وعز لما غرق فرعونَ وقومَهُ لم توقِنْ بنو إسرائيلَ بذلك ، وقالوا : ما غَرِقَ فرعونُ وإننا نخافُ أَن يلحَقنَا فيُقَتِّلنَا . فأَمَر اللهُ جَلَّ شَأَنُهُ البحر (٩٩) فأَلْقَى بدنَهُ بغيرِ رُوح على ضفة البحر، ليستبينَ بنو إسرائيلَ بِغَرَقِهِ ، فَلَمَّا أَلْقَاهُ البَحْرُ ، نَظَرَتْ اليه بنو إسرائيلَ فجعلوا يُمَثِّلُونَ به (٤٠).

وكذلك اذا تلوت قوله «فليعلَمنَّ الله الذين صَدَقُوا» (") (الآية) وقوله «ولمَّا يَعْلَم اللهُ الذين جاهدوا منكم » (") (الآية) . . فَظَاهِرُ التِلاوةِ ، على استئنافِ العِلْم مِنَ اللهِ ، بِجِهادِ المُجَاهِدِيْنَ ، وَصِدْقِ الصادِقِيْنَ ، وكَذِبِ

⁽١) غافر : ٥٥ .

^{:(}٢) ها هنا سقط يرد به المحاسبي على أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى : فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، ثم يذكر الرأي الذي يتبناه .

[.] ۲٥ : النازعات : ۲٥ .

⁽٤) ابن كثير ٢/١٣ : قال ابن عباس وغيره: إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سوياً بلا روح ، وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض – وهو المكان المرتفع – ليتحققوا موته وهلاكه .

^{. (}٥) العنكبوت : ٣ . (٦) آل عمران : ١٤٢ .

الكَاذِبِيْنَ، وجَلَّ اللهُ أَن يستأنفَ عِلْماً بشيءٍ. وكيف؟! وكُلُّ شيءٍ يكون فهو يُكُوِّنهُ ؟ فلم يأت إلاَّ وقد تَقَدَّمَ العِلْمُ منه به ، وكيف يأتي وكيف يكون ، ولو لم يكن يعلم كيف يكون أن يكون أن يكون أبداً ، لأنه مَن يعلم كيف يكون أن يأخسن أن يكونه أبداً ، لأنه مَن ليس له عِلْمُ بما يُريدُ أَن يَصْنَعَهُ ، كيف يكون يُحْسِن أن يَصْنَعَهُ ، كيف يكون يُحْسِن أن يصنعه ، لم يقدر أن يصنعه .

وهذا نَجِدُهُ ضَرورةً في فِطَرِنا فلو لم نَرَ كِتاباً قطُّ ، ولم نُحْسِنْ أَن نَكْتُب ، لم يَجُزْ لَنَا أَن نَكْتُب كتاباً مؤلَّفاً بمعاني مفهومة بالتَخْمِين أبداً ، وكذلك جميع الصناعات مَنْ لم يَرَها فيعلمَها أو تُوصَف له فيعلمَها لم يُحْسِنْ أن يأتي بِها أبداً . فالله جَلَّ ذِكْرُهُ أَوْلَى بعلم ما يُكُونَّهُ قبل أَنْ يكونّهُ .

أَلم تسمعُهُ يقول « أَلا يعلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطيفُ. الخبير » (۱) وقد يستدل على ذلك من عقولنا ، أَنَّ من فعل شيئاً بحكمة ، فلم يفعلهُ حتى كان عالِماً قبل أَن.

⁽١) الملك ١٤ .

يفعله، فأتى به كما أراد أن يكون. وقد علم كيف يجيءُ. وقد امتدَحَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ بعلم ما قد كان وما سيكونُ وما لا يكونُ ، أو كان كيف كان يكون . فمدح نفسه بعلم جميع الغيوب ، فقال جل من قائل : « وردُكَ أعلمُ بمَنْ في السمواتِ والأرض » (۱) وقال : « وهو اللهُ في السمواتِ وفي الأرْضِ يعلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ » (۱) وقال : « وقال : « وقال : « وقال : « عالِمُ اللهُ أَنْكُم اللهُ أَنْكُم اللهُ أَنْكُم اللهُ أَنْكُم سَدَدَكرونهنَ » (۱) وقال ((علِمَ اللهُ أَنْكُم ستذكرونهنَ » (۱) وقال ((علم أنْ سيكونُ منكم مرضى)(((الآية)).

وأخبر بما لا يكون أو كان كيف كان يكون . فقال عز وجل : « ولو رُدُوا لعادوا لما نُهُوا عنه » وقال : « لئن أخرجوا لا يَخْرُجُون معهم ولئن قُوتلوا لا يَنْصُرُونهم » (١) فأخبر أنه قد علم انَّهم لو نَصَرُوهم لَولَوا الأَدبار وإنما قوله « حتى يعلم » و « لما يعلم أ » و « لما يعلم أ » و «لما يعلم أ الله لا جائز أن حتى يراه ، فيكون معلوماً موجوداً ، لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوماً قبل أن يكون ، ويعلمه أ موجوداً ، ويعلمه أ موجوداً يكون يعلمه أ موجوداً .

⁽۱) الاسراء ٥٥. (٢) الانعام ٣. (٣) الانعام ٧٣.

⁽٤) البقرة ٢٣٥ . (٥) المزمل : ٢٠ (٦) الحشر : ١٢ .

كائناً ، فيعلم في وقت واحد انه معدومٌ موجودٌ ؛ أنه قد كان وانه لم يكن بعد ، وهذا المُحال .

وانما لم يَجُزْ أَن يُقالَ: يعلمُ اللهُ أَنَّ الشيءَ قَد كان ، لأَنَّ الشيءَ لم يكُنْ بَعْدُ ، (فإِنّ) الله جَلَّ وعُزَّ لا يَجُوزُ أَن يكونَ جاهِلاً به انه سيكون ، وذلك موجودٌ فينا ونحن جُهَّالُ ، وعلمنَدَ ا مُحْدَثُ . قد علمنا أَنَّ كُلَّ إِنسانَ مَيِّتُ ، فكلما مات إِنسانُ قلنا: قد علمنا انه قد مات من غير أَن نكونَ قبل موته جاهِلِيْنَ انّه سيموت ، الا أَنَّا قد يحدُثُ لنا العلمُ ، موته جاهِلِيْنَ انّه سيموت ، الا أَنَّا قد يحدُثُ لنا العلمُ ، من الروية وحركة القلبِ اذا نظرُنا إليه مَيْتاً ، بأنه من شتُ .

والله جَلَّ ذِكْرُهُ لا تَحْدُثُ فيه الحَوادِثُ ، لأَنا لم نَجْهَلْ موتَ مَنْ مات أَنه سيكونُ ، وكذلك علمنا ان النهار سيكون صبيحة ليلتِنا ، ثم يكون ، فنعلم انه قد كان من غيرٍ جهلٍ منا تقدَّمَ أنه سيكونُ .

فكيف بالقديم الأزكي الذي لا يكونُ موت ولا نهار ولا شيء من الأشياء إلا وهو يَخْلُقُهُ ، ونحن لا نَخْلُقُ شيئاً ؟!

وكذلك قولُهُ جَلَّ وعَزَّ «لتدخُانُ المسجدَ الحرامَ إِنَ شَاءَ اللهُ آمِنينَ » وقولُهُ « وإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قريةً أَمرْنا مُنرَفِيها » (۱) وقولُهُ « انما أَمرنا لشيءٍ إِذا أَردناه أَن نقول له كن فيكون » (۲).

ليس ذلك ببدء منه لِحُدُوثِ إِرادة حَدَثَتْ له ، ولا أَنْ يستأنفَ مشيئةً لم تَكُنْ له ، وذلك فِعْلَ الجَاهِلِ بالعواقِبِ الذي يُريدُ الشيء وهو لا يَعْلَمُ العَوَاقِبَ .

البداوات وحدوث الارادات:

فلم يَزَلْ تعالى يُريدُ ما يعلمُ أَنهُ يكونُ ، لم يَسْتَحْدِثْ إِرادةً لم تَكُنْ ، لأَنَّ الإِراداتِ إِنَّمَا تَحْدُثُ على قَدْرِ ما لم يَعْلَم المُريدُ ، فأمَّا مَنْ لم يَزَلْ يعلمُ ما يكونُ وما لاَ يكُونُ من خَيْرٍ وشَرٍ ، فقد أَراد على عِلْم لا يَحْدُثُ له بَداءُ ، اذ كان لا يحدُثُ فيه عِلْم به .

وقد تَأُوَّلَ بعضُ مَنْ يَدَّعي السَّنَّةَ وبعضُ أَهْلِ البِدَعِ ذَلكَ على الحدوث!!

⁽١) الاسراء : ١٦ . (٢) النحل : ٤٠ .

فأمًّا من ادّعى السُّنَّةَ (١٠٠) فأراد إِثباتَ القَدرِ فقال: إِرادةُ الله جَلَّ وعَزَّ أَحْدَثُ من تقديره ؛ تقديرُهُ سابِقُ الإرادةُ .

وأما بعضُ أَهْلِ البِدَعِ ('' فزعموا أَنَّ الإِرادةَ انما هي خَلْقُ حَادِث وليست بمخلوقة ، ولكنَّ الله جل وعز بها كوَّن المخلوق ، فزعَمَتْ أَنَّ الخَلْقَ غَيْرُ المخلوق ، وأَنَّ الخَلْقَ هُو الإِرادةُ ، وأَنها ليست بصفةِ الله من نفسه . وجَلَّ الله أَن يكونَ شيءٌ حَدَثَ لِغيرِ إِرادةٍ منه ('' . وجَلَّ عن البداءَات وتقلُّب الإِراداتِ ('' .

فَأُمَّا قُولُهُ « لتدخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ إِن شَاءَ اللهُ » (١) فإِنَّه وَعَدَهُم الدُخولَ على عِلْمِ أَنهم يدخُلُون.

وأَمَّا قُولُهُ « اذا أَردْناه أَن نقول له كُنْ فيكون » (°). وقولُهُ « وإِذا أَردْنا أَن نُهْلِكَ قريةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها » (٢)

⁽۱) يقصد المحاسبي ببعض أهل البدع هنا المعتزلة ، وعلى الأخص معاصره المتكلم المعتزلي الكبير أبو الهذيل العلاف ، الذي كان يتول كما في مقالات الاسلاميين ٤٨/٢ : خلق الشيء ، الذي هو تكوينه بعد ان لم يكن هو غيره ، وهو إرادته له ، وقوله له كن .

⁽٢) هذه الفقرة رد على المعتزلة . (٣) وهذه الفقرة رد على الرافضة .

⁽٤) الفتح : ٢٧ . (٥) النحل : ٠٤ . (٦) الاسراء : ١٦ .

فإِنّه لم يَزَلْ يُريدُ ، قبل أَن يُحْدِثَ الشيءَ ، أَن يُحْدِثَهُ فِي الوَقْتِ المؤخّر ، فِي وقت إِحداثِه فِي الوَقْتِ المؤخّر ، فلم يَزَلْ يُريدُ إِحداثُهُ فِي الوَقْتِ المؤخّر ، فإِدا جاء الوقتُ فهو أيضاً يُريدُ أَنْ يُحدثُهُ فيه ، فبإِرادته أَحدثُهُ في ذلك الوقتِ الذي فيه أَحدثه.

فإِرادةُ الله جَلَّ وَعَزَّ دائِمةٌ لأَنَّه مُريدٌ قبل الوقتِ الذي يُحْدِثُ فيه المخلوقاتِ ، وفي الوقت الذي أَحْدَثَهُ فيه . فَأَرَادَ بِقَوْلِهِ جَلَّ وعَزَّ « اذا أَردناه »؛ إذا جاءَ الوَقْتُ الذي فيه ، وهو له قبل الوَقْتِ مُريد ، فَأُوقع (إذا) على الإرادة ، وإِنما أَرادَ الوَقْتَ وهو مُريدٌ له أيضاً في الوقت . والعَرَبُ تَفْعَلُ هذا في مُخَاطَباتِها . يقول الرجل لآخَرَ : متى تُريدُ أَنْ آتِيكَ ؟ فيقول : غداً . فيسألُهُ في ظاهِرِ المسألةِ عن وقتِ إِرادتِهِ ، وانما يُرِيدُ الوقتَ الذي فيه المجيءُ ، ويجيبُهُ بالوقت الذي يَجِيءُ فيه . ولو أَجابَهُ على ظَاهر مَسْأَلَتِهِ إِذَا قَالَ : منى تُريدُ أَجِيثُك ؟ لقال : الساعةَ أُريدُ أَن تجيئني غداً ، فأجابه عن وقت المجيء ، وانما سأله في الظاهر عن وقت الإِرادة ، وهو يُريدُ وقتَ المجيءِ ، فأَجابه عن معنى السؤال ولم يُجبُّهُ عن ظاهر المسألَةِ .

وكذلك اذا أَرادَ اللَّهُ جَلَّ وعَزَّ وقت كَوْن الشيءِ ، وأَنزلَ ظاهِرَ القُول على الإِرادةِ ، فقال جَلَّ مِنْ قائل: « وإِذَا أَرِدْنَا أَن نُهْلِكَ قريَةً » يعنى الوقت الذي أَرِدْنَا من قبلُ إِذا جاءَ الوقْتُ أَهلكْناها فيه . فإنما أراد بقوله : « اذا أَردنا » اذا كان الوقتُ الذي أَردْنا أَن نُهْلِكُهُمْ فيه ، لا على البَدْءِ منه بإِرادة أُخْرى ، وأَرادَ تَكُوينَ الشيءِ إِلى وَقْتِ معلوم لِم يزل يُريدُ أَن يُكُوِّنَهُ فيه ، فلم يَزَلْ مُريداً الهلاكَ للقُرَى في الأُوقات التي يُهْلِكُها فيها ، فإذا أَهلَكَهَا فبإِرادة متقدِّمة منه بِهَلاَ كِها في تلك الأَوْقاتِ التي أَخَّرَ هَلاَكُها إِليها ، وبإِرادة لم تَزَلْ أَخَّرَ هلاَكَ القُرى إِلى الوقت الذي لم يَزَلْ يُريدُ أَن يُهْلِكُهَا فيه .

السمع والبصر:

وكذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ " إِنَّا معكم مستمعون » (۱) ليس معناه إحداث سَمْع ، ولا تكلُّفُ لسَمْع ما يكونُ من المتكلِّم في وَقْتِ كلامِهِ ، وإِنَّما معنى " إِنَّا معكم مستمعون » « وِينَّما معنى " إِنَّا معكم مستمعون » « وسيرى الله عملكم » (۱) أي المسموعُ والمُبْصَرُ لن يخفى

⁽١) الشعراء ١٥ . (٢) التوبة ٩٤ .

على سَمْعي ولا على بَصَري أَنْ أُدركَهُ سَمَعاً وبَصَراً ، لا بِالحَوَادِثِ فِي الله ، جَلَّ وعَزَّ وتعالى عن ذلك . وكذلك قولُهُ «الحَوَادِثِ فِي الله ، جَلَّ وعَزَّ وتعالى عن ذلك . وكذلك قولُهُ «اعملوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ورسولُهُ » (الله يستحدث دم رأ ولا لَحْظاً مُحْدَثاً في ذاته ، تعالى عن ذلك !!

وقد ذهب قوم أنَّ لله جَلَّ وعَزَّ استماعاً حادثاً في ذاتِهِ (۱) ، فذهب إلى ما يُعْقَلُ من الخَلْق أنه يَحْدُثُ فيهم عِلَّةً لِسَمْع ما يكونُ من قَوْل عند سَمْعِهِ للقَوْل ، لأَنَّ المَخْلُوقَ إذا سَمِع الشيءَ حَدَثَ له عنه فَهْمٌ عما أدركَتْهُ أَذُنُهُ من الصَوْت ، وكذلك ذَهبَ إلى أَنَّ رؤيةً تَحْدُثُ له .

قال أبو عبد الله: وهذا خطأ . وانما معنى «سيرى » و « انا معكم مستمعون » أَنَّ المسموعَ والمُبْصَرَ لم يَخْفَ على عيني ولا على سمعي أَنْ أُدْرِكَهُ سَمْعاً وَبَصَراً ، لا بالحَوَادث في الله جَلَّ وعَزَّ . وَمَنَ ذهبَ إلى انه يحدُثُ له استِماعٌ مع حُدُوث المسموع ، وإبصارٌ مع حدوث المُبْصَر ، فقد ادّعى على الله عز وجَلَّ ما لم يَقُلُ . وانما على العبادِ التسليمُ كما قال ، وأنه عالمٌ سميعٌ بصيرٌ ولا على العبادِ التسليمُ كما قال ، وأنه عالمٌ سميعٌ بصيرٌ ولا على العبادِ التسليمُ كما قال ، وأنه عالمٌ سميعٌ بصيرٌ ولا

⁽١) التوبة ١٠٠ .

⁽٣) الذين قالوا بحدوث الصفات في ذات الله فريقان : الرافضه ، والمشبهة : «قالات الاسلاميين ٢/٠١٦.

يريدُ ما لَم يَكُنْ . وانما معنى «حتى يعلم »حتى يكونَ المعلومُ ، وكذلك حتى يكون المبصَرُ والمسموعُ . ولا يَخْفَى على الله عز وجل أَنْ يعلَمهُ موجوداً ويراهُ موجوداً ويراهُ موجوداً ويسمعَهُ موجوداً بغير (١٠١) حُدوثِ عِلْم في الله جَلَّ وَعَزَّ ولا سَمْع ولا بَصَر ، ولا يعني حدوثاً في ذاتِ الله ، جلَّ الله عن الحوادِثِ في نفسه ، وتعالى عن البداوات في عِلْمِهِ وإرادته عُلُواً كَبيراً .

العـــاو:

وكذلك قولُهُ جَلَّ وعَزَّ « وهو القاهِرُ فوقَ عبادِه » (۱) وقوله « الرحمنُ على العَرْشِ استوى » (۲) وقال « أَأَمِنْتُم مَنْ في السماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرض » (۱) وقال « إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَيِّبُ » (۱) وقال « يُدَبِّرُ الأَمْرَ من السَمَاءِ إلى الكَلِمُ الطَيِّبُ » (۱) وقال « يُدَبِّرُ الأَمْرَ من السَمَاءِ إلى الأَرْض ثم يعرج اليه في يوم كان مِقْدَارُهُ » (۱) (الآية) وقال لعيسى وقال « تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ » (۱) (الآية) وقال لعيسى

⁽۱) الانعام : ۱۸ . (۲) طه : ٥ . (۳) المثلث : ۱٦ .

⁽١) فاطر : ١٠ . (٥) السجدة : ٥ . (٦) المعارج : ٤ .

عليه السلام « إِنِي مُتَوَفِّيكَ ورَافعُكَ إِلَيَّ » (١) وقال « بل رَفَعُهُ اللهُ إِلَيَ » (٣) وقال « فالذين عندَ رَبِّكَ يُسَبِّحونَ له » (٣)

وذكر آلهةً لو كانوا لابتَغُوا إِلَى طلبهِ مُبيلاً - ثهر ، فقال « قل لو كان معه آلهةٌ -كما يقولون - إِذاً لابتَغُوا إِلى ذي العرش سبيلاً » (" وقال « سَبِّح اسمَ رَبِّكَ الأَعْلَى » (") فلن يَنْسخَ ذلك أَبداً ، فإذا تلوتَ ما يكونُ كأنَّه نُسِخَ أُو خِلاف الظَّاهر ، فاعلم أَنَّ ذلكَ ليس بِنَسْخ ٍ ولا بِمُضَادٍّ لهذا ، وذلك كقوله « وهو الذي في السماء إله وفي الأرْض إِلهُ » (٦) وقوله « وهُنَّ أَقْربُ إِليه مِنْ حَبْل الوَريد » (٧) وقوله « وهو الله في السموات وفي الأرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجهْرَكُمْ » (الآية) وقوله: « ما يكونُ من نجوى ثلاثة إِلاَّ هو رابِعُهُم » (٩) (الآيـة) فليس بناسِخ _ ولا ذلك ناسخٌ لهذا ولا هذا ضد ذلك ، ولكنّ معنى ذلك غيرُ معنى هذا .

هذه الآية معناها أَنَّ الله جَلَّ وعَزَّ لم يُردِ الكَوْنَ بذاتِهِ

⁽۱) آل عمران : ٥٥ . (۲) النساء : ١٥٨ . فصلت : ٣٨ -

 ⁽٤) الاسراء : ٢٢ . (٥) الاعلى : ١ . (٦) الزخرف : ٨٤ .

⁽V) ق : ۱٦ . (A) الانعام : ٣ . (P) المجدلة : ٧ .

في أسفلِ الأشياء ، وينتقلُ فيها لانتقالِها ، وينهضُ فيها على . أقْدارِها ، ويزولُ عنها عند فنائِها جَلَّ مولانا وتعالى عن . ذلك عُلُوَّاً كبيراً .

وقد ادعى بعض أهل الضلال: فَزَعموا أَنَّ اللهَ جَلَّ وعَزَّ فِي كُلِّ مَكَانِ بِنَفْسِهِ ، كائناً كما هو على العَرْش ، لا فَرْقَ بين ذَلِكَ عندهم (١) . ثُمَّ أَجابوا في النَفْي بعد تَثْبِيتِ مَا يَجُوزُ عَلِيهِم في قولهم مَا نَفُوا ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ شيئاً في المعنى ثم نفاهُ بالقول لم يُغْنِ عنه نَفْيُهُ بِلِسَانِهِ ، وقد تَدَيَّنَ لل يَلْزَمُهُ في المعنى - بما نفى ، كالنصارى زعمت انَهم يعبُدُونَ ثلاثةً وأَنَّ ذلك ليس بشرْكِ ، وأَنَّ معنى الثلاثة معنى واحد ، فلم يُغنِ عنهم نَفيهم الشِرْكَ بقولهم وقد دَانُوا به في المعنى . وكذلك جميعُ أَهْلِ الضَلاَلِ يَنْفُون الكُفْرَ ويتبروُّونَ منه وهم كافرون .

كذلك جميعُ أَهْلِ البِدَع يَنْفُونَ البِدَعَ بقولِهِم ويتبرووون

⁽۱) يشير بهذه الفقرة إلى الجهمية ، أتباع جهم بن صفوان (– ۱۳۰ هـ) الذي كان يقول بتنزيه الله عن الصفات كلها ، ويرى أن الله ليس على العرش بل في كل مكان : تاريخ الإسلام ٥/٥٠ ، وقد اختلط الأمر في القرن الرابع الهجري ، فقال بهذا القول متأخرة الأشاعرة ، والمعتزلة ، والصوفية ، على خلا ف بينهم في تحديد ذلك .

منها ، وقد خَالَفُوا ما دانُوا الله تَباركَ وتَعَالى بها . وكذلكَ هؤلاء في نَفْيِهِمْ بعد تثبيتِهِمْ معنى ما نَفُوا فاحتجُوا بهذه الآية (١) أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ شِيءٍ بِنَفْسِهِ كَائناً، ثم نفوا معنى ما تُبَّتُوا فقالوا: لا كاشيء ؛ في الشيء فأحَالُوا ، لَأَنَّ مَا كَانَ فِي الْأَشْيَاءِ فَهُو كَالشِّيءِ وَإِنْ نَفَوْهُ بِأَنْسِنَتِهِمْ . قلت : فبيِّنْ لي معنى ذلك كُلَّهُ . قال : أَمَّا معنى قولِهِ تعالى : « يعلم .. وسيرى الله ... وإنا معكم مستمعون » ... فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ حتى يكونَ الموجودُ فنعلمُهُ موجوداً ، ونسمعُهُ مسموعاً ، ونُبْصِرُهُ مُبْصَراً ، لا على استحداثِ عِلْم ولا سَمْع ولا بَصَر . وأما قولُهُ « إِذا أُردْناه » فمعناه اذا جاءَ وقت كون المراد فيه.

وأما قولُهُ «على العرش استوى» (۱) ... «وهو القاهر فوق عباده (۱) ... وأأمنتم من في السماء (۱) ... وإذاً لابتغوا إلى ذي العرش (۱) ... » فهذه وغيرُها مِثْلُ قولِهِ « إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ » وقوله « ثم يعرج اليه في يوم » (۱) فهذا

⁽١) قوله تعالى في سورة المجادلة « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » .

⁽٢) طه: ٥ (٣) الانعام: ١٨ (٤) الملك: ١٦

⁽٥) فاطر : ١٠ السجدة : ٥

مَقْطَعٌ يُوجِبُ أَنَّهُ فوقَ العرش ، فوقَ الأَشياءِ ، مُنزَّهُ عن الدُّخُول إ في خَلْقِهِ ، لا يَخْفَى عليه منهم خَافِيةٌ لأَنه أَبِانَ فِي هَذِهِ الآياتِ أَنَّ ذاتَهُ بنفسه فوقَ عباده لأنه قال : « أَأَمنتم من في السماءِ أَنْ يَخْسِفَ بكم الأرض » (١) يعني فوق العرش ، والعرش على السماءِ ، لأَنَّ مَنْ كان فوق شيءٍ على السماءِ فهو في السماءِ ، وقد قال مثل ذلك « فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ » (٢) يعني على الأَرض لا يريد الدخول، (١٠٢) في جَوْفها ، وكذلك قولُهُ « لأُصلِّبنَّكُمْ في جُذُوع النَخْل (٣) » يعني فوقَها . وقال : « أَأَمِنْتُم مَنْ في السماءِ » (١) ثم فَضَّل فقال : « أَن يخسِفَ بكُم الأَرْض » (°) ولم يَصِلْهُ بمعنى فَيَشْتبه ذَلِكَ ، فلم يَكُنْ لذلك معنى إذ فَصّلَ بقوله : « في السماءِ » - ثم استأنَفَ التخويفَ بالخُسْف _ إِلاًّ أَنَّه على العَرْشِ فوقَ السماءِ ، وقال: « يدبر الأَمَر من السماء إلى الأَرض ثم يعرج إليه في يوم » (١) (الآية) وقال « تعرج الملائكة والروح اليه » (٧)

⁽۱) الملك : ۱۹ (۲) الاسراء : ۲۶ (۳) طه : ۷۱

⁽٤) الملك : ١٦ (٥) الملك : ١٦ (٦) السجدة : ٥

⁽٧) المعارج : ٤

فبيَّنَ عُروجَ الأَمْرِ، وعُروجَ الملائكةِ، ثمَّ وصفَ صُعودَها بالارتفاع صاعدةً إليه ، فقال « إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ » (١) .

وقال: «ثم يعرج اليه» (١) ثم قان: «في يوم كان مِقْدَارُهُ. (٣) مقدار صُعُودِها ، وفصله من قوله اليه كقوب القائل: صعدت إلى فلان في يوم أو في ليلة ، وإنَّ صُعودَكَ الله إليه في يوم ، فاذا صَعدوا إلى العرش فقد صَعدوا إلى الله جَلَّ وعَزَّ، وإن كانوا لم يروه ، ولم يُساوُوهُ في الارتفاع في عُلُوه ، فإنهم قد صَعَدُوا من الأَرْضِ ، وعَرَجُوا بالأَمْرِ عَلَمُ اللهُ العُمُو الذي لله عزَّ وجَلَّ فَوقَهُ .

وقال: ﴿ إِليه يصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ (١) .

وكلامُ الملائكةِ أَكثرُ وأَطْيَبُ من كَلامِ الآدميّيْنَ ، فلم يَقُلْ يَنْزِلُ إِليه الكَلِمُ الطّيّبُ.

وقال (عن عيسى) «بل رَفَعَهُ اللهُ إِليه» ولم يَقُلْ عنده . وقال عن عيسى) «بل رَفَعَهُ اللهُ إِليه» ولم يَقُلْ عنده . وقال عن فرعون « لعلِّي أَبلُغُ الأَسبابَ ، أَسبابَ السمواتِ

⁽۱) فاطر : ۱۰ (۲) السجدة : ٥ (٣) السجدة : ٥ (٤) فاطر ١٠

فأطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ موسى (''). ثمّ استأنفَ فقال (واني لأَظُنَّهُ كاذباً فيما قال لي إِنَّه في السماء ، فَطَلَبَهُ حيثُ قال له موسى مع الظَّنِّ منه بموسى عليه السلام انه كاذبٌ ، ولو أَنَّ موسى عليه السلام أنه كاذبٌ ، ولو أَنَّ موسى عليه السلام أنه في كُلِّ مكان بذاته ، لطَلَبَهُ في عليه السلام ، أخبره أنه في كُلِّ مكان بذاته ، لطَلَبَهُ في الأَرْضِ أَو في بيته وَبَدَنهِ ولم يتعزَّ بِبُنْيَانِ الصَرْح.

وأمَّا الآياتُ الأُخرُ التي نَزعُوا بها فقد أَبَانَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي الأَشْياءِ بِنَفْسِهِ ، وَعَزَّ فِي الأَشْياءِ بِنَفْسِهِ ، إِذْ وَصَلَها ولم يَقْطَعُها كما قطع الكلامَ الذي أَرادَ به كُونَهُ فَوقَ عَرْشِهِ فقال عَزَّ وَجَلَّ : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فَي السَمَواتِ وما فِي الأَرْضِ » (٢) فبدأ بالعِلْم وأخبر أَنَّه مع كُلِّ مُنَاج حيث وُجِد ، وختم الآية بِالعلم وقال : « أَنَه بِكُلِّ مُنَاج حيث وُجِد ، وختم الآية بِالعلم وقال : « أَبَا العلم وحَتَم بالعِلْم . فَبَينَ أَنه أَرَاد أَنه يَعْلَمُهُمْ حيث ما كانوا لا يَخْفُونَ عليه فَبَينَ أَنه أَرَاد أَنه يَعْلَمُهُمْ حيث ما كانوا لا يَخْفُونَ عليه ولا يَخْفُونَ عليه مُناجاتُهُم ؛ تَفَرّدُوا او اجتمعُوا .

ولو اجتمع قوم في السُّفل ، وناظِرٌ إليهم في العُلو ويسمُع كَلاَمَهُم فقال إني لم أزَلْ مَعَكُم ؛ أراكم ، وأعلم

⁽۱) غافر ۲۷، ۲۷. (۲) المجادلة : ۷ (۲) المجادلة : ۷.

مُنَاجَاتَكُمْ كَانَ صادقاً ، وللهِ المَثَلُ الأَعْلَى عن شَبَهِ الخَدْق. وقد روى ابنُ مسعود ما يَدُلُّ على ذلك فقال: اجتمعَ ثلاثةُ نَفَر عند الكعبةِ فقال أحدُهُم: أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يسمعُ مَا نَقُولُ ؟ فَقَالَ بِعَضَّهُم : إِنْ كَانَ يَا مَعُ اذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسمعُ إِذَا أَخْفَيْنَا ، فأَنزل الله عز وجل « وما كُنتم تُستَتِر و نَ أَنْ يَشْهَدَ عليكمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبصارُكُمْ ولا جُلُودُكُم » (') ﴿ الآية ﴾ (الآية) (فإن أَبَوا إِلاَّ ظاهِرَ التلاوةِ وقالوا : هذا دَعْوى ، خرجُوا من قولِهِمْ في ظاهِرِ التلاوة ، لأَنَّ موضعَ الاثنين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك وأقل من ذلك الواحد فَهُو مَعَهُمُ لا فيهم ، وما كان مع الشيءِ فقد خَلاَ جِسمَّهُ منه ، وبانَ كُلُّ واحدِ منهما بنفْسِهِ عن الآخَر ، وهذا خُروجٌ عن قَوْلِهِمْ ، لأَنَّ عندَهُمْ لا يَخْلُو من الله سبحانَهُ شيءٌ أَنْ يكونَ فيه بنفْسِهِ ، فقد تَرَكُوا قولَهُمْ على ظاهِر ِ التِلاوةِ لأَنَّ اللهَ تعالى قال « معهم » ولم يَقُلُ « فيهم » .

١ : (١) فصلت : ٢٢

⁽٢) ابن كثير ٩٦/٤ ... عن عبد الله رضي الله عنه قال : كنت مستتراً بأستار الكعبة ؛ فجاء ثلاثة نفر : قرشي وختناه ثقفيان ، كثير شحم بطونهم ، قليل فهم قلوبهم ؛ فتكلوا بكلام لم أسمعه ؛ فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه ، وإذا لم نرفعه لم يسمعه . فقال الآخر : إن سمع منه شيئاً سمعه كله .

وكذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ : « ونحنُ أَقْربُ إِليه مِنْ حَبْل الوَريْد » . فقد بَيَّنَ ما أَرَاد بذلك فقال : « ولقدْ خلقْنا الإِنسانَ ونعلمُ ما تُوَسُوسُ به نَفْسُهُ» ثُمَّ قال « ونحنُ أَقْربُ إِليه مِنْ حَبْلِ الوَريد » (١) . أي بِعِلْمِهِ فتكونُ الإِحاطةُ بِالعِلْمِ أَقربِ من عِرْقِ قَلْبِهِ المُتَّصِلِ بِقَلْبِهِ . فإِن أَبُوا إِلاَّ ظاهِرَ التلاوةِ فإِنَّ ما قَرُبَ من الشيءِ ليس هو في الشيءِ ، وأَقربُ مَا يَكُونُ منه أَن يُلازِمَهُ . ولم يقل عَزَّ وجَلَّ : إِني فيكُم ، ولا إِنِّي في حبل الوريد ، ولا اني أَقرُب فيكم. من حبل الوريد ، لأنه لو كانَ في حَبْلِ الوَريد ، صار حَبْلُ الوريد أَقْرَبَ إِلينا ، لأَنَّ ما كانَ فيه شَيْءٌ فقد (١٠٣) حَواهُ ، و آخَر حواهُ وهو دُونَهُ ، كالرَجُل يكونُ في بيت في دار ، فَجدَارُ البيتِ أَقْربُ إلى الدارِ من هو في البيت ، ولو كان ذلك كذلك لكان آخِرُ حبلِ الوريدِ أَقربَ إِلَى قلوبنا منه ، ومُحالُ أَن يكونَ ما في الوريدِ أَقربَ إِلى الجسم مِنْ حَبْلِ الوريد ، وإنما يكونُ أقربَ إلى الجسم مِنْ حَبْلِ الوريد اذا لم يكن في حبلِ الوريد ، وكان خَارجاً

⁽۱) ق : ۱٦ .

منه أو كان بَعْضُهُ في حبلِ الوريدِ ، وبعضُهُ خارجاً منه إلى الجسم ، فذلك التبعيضُ ، ففي ظاهِر التلاوة ، على دعواهم ، مايكُلُ أنه ليس في حَبلِ الوريدِ كُلِّهِ ، وانما يكُلُّ على أنه إمّا خارجٌ منه أو بَعْضُهُ خارجٌ منه ، وكذلك يدُلُّ على أنه إمّا خارجٌ منه أو بَعْضُهُ خارجٌ منه ، وكذلك قولُهُ « في السماء إله وفي الأرض إله » فلم يَتُلُ في السرء ثم قطع كما قال « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض» (۱) فقال « في السماء إله ...» ؛ فأخبر أنه إله أهل الأرض.

وذلك موجودٌ في اللَّغَةِ إِذ يقولُ القائلُ: مَنْ بخُراسانَ ؟ فيقال : ابن طاهر (١) . وانما هو في موضع . فجايزً أَن يُقالَ : ابنُ طاهر أميرٌ في خُراسانَ ، فيكونُ أميراً في بَقالَ : ابنُ طاهر أميرٌ في خُراسانَ ، فيكونُ أميراً في بَلْخ وسَمَرْقَنْد وكلِّ مُدُنِها . هذا وإنما هو في مَوْضِع بللخ واحد ، يَخْفى عليه ما وراء بيتِه ، ولو كان على ظاهرِ اللفظ وفي مَعْنى الكون ، ما جاز أَنْ يقالَ أَميرٌ في البَلَدِ

⁽١) الملك : ١٦ .

⁽٢) ابن طاهر (١٨٢ – ٢٣٠ ه) عبد الله بن طاهر بن الحسين ، أمير المشرق . ولي خراسان سنة ٢١٤ ه ، ومصر سنة ٢٢١ ه . ثم عاد والياً على خراسان . كان جواداً ، شجاعاً ، شاعراً : وفيات الأعيان ٢٧١/٢ ، العبر ٢٠٦/١ ، البداية والنهاية ٢٠٢/١ .

الذي هو فيه لأنه في موضع واحد من بيته ، أو حيثُ كان ، إنما هو في موضع جُلُوسِهِ ، وليس هو في داره أميرٌ ولا في بيته كُلِّه ، وانما هو في موضع منه ، لو كان معنى هذا معنى الكون ، فكيف العالي فوق كلِّ شيءٍ؟! لاَ يَخْفَى عليه شيءٌ من الأَشياءِ يُدَبِّرُهُ ، فهر إله أَهْلِ السماءِ، وإله أَهلِ الأَرضِ لا إله فيهِما سواهُ ، فهو فيهما إلهُ أذ كان مُدَبِّراً لَهُما وما فيهِما وهو على عَرْشِهِ فوق كلِّ شيءٍ بَاقِ .

الحشوية والنسخ في الأخبار:

وأمّا الأَخْبارُ فقد قال بعضُ الروافض ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ ينسخ أَهْلِ السُّنَّةِ بَنْسْخ وجلَّ ينسخ أَهْلِ السُّنَّةِ بَنْسْخ الأَخْبار ، لا على التَعَمُّدِ منهم ولكن عن الإِغْفَالِ والسَهْوِ عن الفَحْص عن معنى ذلك ؛

فقال الكلبي (١) إنه لمّا نَزَلَتْ « إِنكم وما تعبُدُون من

⁽۱) الكلبي (–۱؛ ۱ه) محمد بن السائب ، أبو النضر . كان عالماً بالتفسير وأنساب الدرب وأحاديثهم ، ويقال انه كان من الشيعة الغالية ، أصحاب عبد الله بن سبأ . وهو شديد الضعف في ر واياته والمحاسبي يعتبره هنا من أهل السنة . روى عنه الثوري وابن إسحاق ، ثم تركاه . وأكثر من الرواية عنه ابنه هشام طبقات ابن سعد ٢٥٦، وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٤ ، نور القبس ٢٥٦ ، الميزان ٣/ ٣٥٥ .

دونِ الله حَصَبُ جهنَّم » (١) نسخها بقوله : « إِنَّ الذين سَبَقَتْ لهم منَّا الحُسنَى » (٢) ومعنَى ذلك لو كان نسخَها ، أَنَّ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ قال : « إِنكم وما تعبدون من دون الله حصبُ جهنم » أَنَّه أَرادَ به أَنْ يُعَذِّبَ عُزيراً والملائكةَ والمسيح ، فأُوجب عليهم العذابَ ثمَّ نَسَخَ ذلك بعدما أُوجَبَهُ ، كما أُوجب قِيامَ الليلِ ثم نَسَخَهُ ، وكما أُوجب تقديمَ الصَدَقةِ قبل نَجُوى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ثم نَسَخَهَا ، وكما أُوجبَ الصلاةَ إِلَى بيتِ المقدسِ ثم نسخَهُ ، ومعاذَ الله أَنْ يكونَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَرادَ وأَحَبُّ تَعذيبَ أُوليائِهِ من الملائكةِ ، ولا المسيح ولا عُزير ، وقد تقدَّمَتْ فيهم أُخبارٌ من الله جلَّ وعز بالوِلايةِ قبل أَنْ يُنَزِّلُ آيةً العذابِ في الآلِهة فلما أَنزل آية العذاب لم يُردْ بها مَنْ تَقَدُّم منه القولُ بِولايتِهِمْ ، وإنما أراد مَنْ عَبَدوا سوى أُوليائِهِ ، وكان خَبَراً خاصًا لا عامّاً كما قال اللهُ جَلَّ وعَزَّ " إِنَّ ربَّكَ لَذُو مَغْفِرةٍ للناسِ على ظُلْمِهِمْ » (") ولم يُرد الكافريْنَ إِذ لم يتوبوا ، لأنه قد تقدُّمَ فيهم أُخبارُ أَنه لا يُغْفَرُ لهم إِنْ لم يَتُوبوا .

⁽١) الأنبياء: ٩٨. (٢) الأنبياء: ١٠١. (٣) انرعد: ٦.

وقال الكلبيُّ ومتَّبِعُوهُ أيضاً قوله: « والملائكةُ يسبِّحون بِحَمْدِ ربِّهم ويستغْفرونَ لِمَنْ في الأَرْضِ » (۱) نَسَخَ ذلك بقوله: « فاغفِرْ للذين تابوا واتَّبعوا سبيلَكَ » (۲) .

ولو كان كما زعم لكان قوله « ويستغفرون لن في الأرض كُلِّهم الأَرض كُلِّهم من تاب منهم ومَن لم يَتُب ، ثم رَجَعَ فقال : انما استغفروا للذين تابُوا؛ وليس كذلك ، ولكنَّه أخبر أولاً بخبر كان ظاهِرُهُ على العُموم وهو خُصوص ، ولم يُرِدْ أوّلاً في خبره أنهم استغفروا لأهل الأرض كُلِّهم ، ثم رَجَع فأخبر أنهم أنهم استغفروا لأهل الأرض كُلِّهم ، ثم رجع فأخبر أنهم إنما استغفروا للتائبين دون غيرهم هم لم يستغفروا قط إلا للتائبين ، ولم يرد بخبره عنهم إلا التَّائبين . ولكنَّه أخبر أوَّلاً وكان ظاهِرُ خَبَرِه على العُموم .

وإنما أرادَ بقولِهِ «لِمَنْ في الأرض» من التائبين ، ثم بَيّن في الخَبرِ الثاني مَنْ أرادَ ، لأَنَّ الله عز وجل لا جائز أَنْ ينسخ الاستغفار للكافِرِيْن ، وقد أخبر أنه قال لا يَغْفِرُ لهم أبداً ، فيكون قد أمرهم أَنْ يَستغفِروا للكافرين ثم

 ⁽۱) الشورى : ٥ .
 (۲) غافر : ٧ .

نسخَهُ بنهْيهِ لهم ، فَيدَعُوا الاستغفارَ لِجميعِ النَّاسِ (دونأَن) يستغفروا للمؤمنين بعد ذلك ، لأَنَّه عز وجل يقول « ولا يشفعُونَ إلاَّ لمن ارتضى » (۱) ولا يُقَدِّمُون ، ن يقول « ولا يشفعُونَ إلاَّ لمن ارتضى » (۱) ولا يُقدِّمُون ، ن يدي الله ما لم يُؤمَرُوا به فَيُخَالِفوا مَحَبَّةَ مولاهُم فيسألوه أَنْ يَغْفِرَ للكافرين مع المؤمنين وقد أوجب ألاَّ يَغْفِرَ لهم أبداً وهو يُخبِرُ بأنهم لا يَشْفَعُونَ إلاَّ لمن رَضِيَ شفاعتَهُم أبداً وهو يُخبِرُ بأنهم لا يَشْفَعُونَ إلاَّ لمن رَضِيَ شفاعتَهُم أبداً وهو يُخبِرُ بأنهم لا يَشْفَعُونَ إلاَّ لمن رَضِيَ شفاعتَهُم أبداً وهو يُخبِرُ بأنهم لا يَشْفَعُونَ إلاَّ لمن رَضِيَ شفاعتَهُم أبداً وهم بذلك .

فإن احتَجَّ مُحْتَجُّ بأَنَّ إِبراهِمَ عليه السلامُ قد استغْفَر لأبيه ، ومحمداً صَلَّى الله عليه وسلَّم لِعَمِّهِ حَتَى نُهِي ، فذلك انما كان ابتلاءً مِن محمَّد صلى الله عليه وسلم حتى نَهَاهُ الله عَزَّ وجَلَّ ، لا أَنَّ الله تباركَ وتَعالى أَمره أَنْ يَسْتَغْفِرَ للمُشْرِكِيْنَ ثُمَّ نَسَخَهُ . والملائكةُ لاجائزَ أَن تَبتدى عبما لم تُؤْمَرْ به ، لأَنَّه عَزَّ مِنْ قائل يقول : « وَلا يشفعون إلاَّ لِمَن ارْتَضَى» (٢) .

فالناسخ والمنسوخ لا يجوزُ أَن يكونا إلا في الأحكام فالناسخ والمنسوخ لا يجوزُ أَن يكونا إلا في الأَحكام الدنيا ، في الأَمْرِ والنَهْي والحُدُودِ ، والعُقوباتِ في أحكام الدنيا ،

⁽١) الأنبياء : ٢٨ . (٢) الأنبياء : ٢٨ .

ولا يكونُ ذلك بَدَاواتٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وجل ، ولا استفادةَ عِلْم ولا ابتداءً عِلْم ولا رجوعاً عن صِدْق ، بنسْخ خَبَر ، ولا ابتداءً بِكَدِبِ ثم رجوعاً إلى صِدْق ؛ جَلَّ وتعالى عن ذلك .

ولكنَّه أَمَرَ بِأُمْرٍ وحَكُمَ بِحُكْمٍ ، وهو يُريدُ أَن يُوَجَّهَ إِلَى وقت ، ويُريدُ أَن يأمُرَ بِتَرْكِهِ بعد ذلك الوقتِ ؛ لم يَزَلْ مُريداً للفِعْلِ الأُوَّلِ إِلَى الوقت الذي أَراد نَسْخَهُ ، وإيجادَ بَدَلِهِ ، إِلاَّ من المأمورِ به والحكم ِ به ، وكلاهُما لم يَزَلْ يُريدُهُما ولم يُبَدِّلْهُ في الثاني بِبُدوٍّ ولا بِنَسْخ ِ أَمْرِهِ ، ولكنه ينسخُ المامُورَ به بمأمورِ به آخَرَ ، وكلاهُما وَقَعَ التبديلُ على المأمور به بمأمور به آخَرَ ، وكلاهما كلامُهُ لا رُجُوعًا عن قوله الاول أنه لم يكن حَقّاً وصدقاً منه وحكمةً ، وصلاحاً لِعِبَادهِ يستخْرِجُ مِنْهُمَا التسلمَ لأَمْرِه في وقت يكونُ ذلك مِنهما ، ويكونُ من إِبراهمَ القَصْدُ منه ، لِحديدةِ يذبحُ بها ابنَهُ ، وإضجاعَهُ ووضعَ السكين على حَلْقِهِ ، بالصَبْرِ والتَسْليمِ لأَمْرِهِ ، ويكونُ من إِسحقَ بِالطَوْعِ لِأَبِيهِ ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ ربِّهِ ، بِالتسليمِ لأَمْرِهِ ، ويكونُ من الكبش بدَلَهُ ، وكلاهما مُرانً له لم يزل في وقتَيْنِ مختلفَيْنِ ، فأراد أَنْ يُضْجِعَهُ ، ويقصدَ بحديدة لِنَدْجِهِ ، ويكونُ التسليمُ منهما ، ويأَهُرُهُ بالكَبش فيذبَحَهُ ، ولو أَرادَ اللهُ ذَبْحَ ابنِهِ لَذَبَحَهُ لا محالةَ لأَنَّه تعالى لا يُريدُ شيئاً إِلاَّ تَمَّ ، ولو أرادَ ذَبْحَ ابنِهِ لَذَبَحَهُ ، لا محالة ، ولأخبره انه ذابِحُهُ لا محالة ، لأنه لا يُخبِرُ بشيءٍ أَنه ولأخبره انه ذابِحُهُ لا محالة ، لأَنه لا يُخبِرُ بشيءٍ أَنه كائنٌ ثم لا يكونُ ، ولا يجوز أن يخبر انه يكونُ إلا كان .

كما أَمَرَ اللهُ تعالى مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يَصْفُحُوا عن المشركين ، ولا يقاتِلُوهُمْ ، ويَصْبِرُوا على أَذاهُمُ ، وهو يُريدُ أن يصفحوا عنهم ، إلى أنْ يَقُوى الإسلامُ ، ويُهاجِرُوا إلى المدينةِ ، وهو يُريدُ إذا هاجروا ، وقويَ المسلمون أنْ يأمُرَهُمْ بالقتال ، وكلاهُما لم يزالا مُراداً له .

أَرادَ أَنْ يُوجِبُ هذا إِلَى وقْت ، ثم يوجِبَ الآخَرَ بَدَلاً منه ، ويأَمْرَ بِتَرْكِ الأَوَّلِ كما أَمَرَهُم بالصلاةِ إِلَى بيتِ المقدِسِ ، ثم أَمَرَهُم أَن يتحوَّلُوا إِلَى الكعبةِ ، وذلك كثيرٌ في أَحكامِهِ ، أَبْدَلَ أَحَدَهُما بَدَلاً من الآخرِ في وقتينِ مختلِفيْنِ ، وكلاهُما كان مُريداً له .

هذا يُريدُ أَن يأمُرَ به إلى وقت ، وهذا يُريد أَن يأمُر بعد تَقَضِّي الوقت ، ويأمر بِتَرْكِ الأَوِّل من غير بدء ولا جَهْلٍ .

وكذلك كُلُّ حُكْم السَخَهُ حُكْمٌ آخَرُ ، فإنما جُعِلَ الثاني بدلاً من الأول ، وذلك موجودٌ بين العباد ، على تقدُّم ِ الإِّرادةِ منهم فيما أمروا به أُولاً ، ثم نَهُوا عنه ، وأَمروا بغيره من غير بَدْءٍ ولا جَهْلِ ، وذلكَ كأَن يَأْمُرَ الرجُلُ غُلامَهُ ليعمَلَ في أَرضِهِ وهو يُريدُ أَن يعملَ فيها وقْتَ الزراعة ، ثم يصرفَهُ بعد ذلك إلى خِدْمَتِهِ في مَنْزِلِهِ ، و كِلاَهُما قد تَقَدَّمَتْ به الإِرادةُ منه ، ويأَمُرُهُ أَن يَخْرُجَ معه إلى قريتِهِ ، وهو يُريدُ إِذَا بَلَغَ القَرية أَن يأمُرَهُ بالرجوع ﴿ إِلَى أَهله ؛ يقوم بحوائجهم ، ويكتفي هو بخدمةِ نَفْسِهِ فِي قريتِهِ ، أُو يُريدُ أَن يَرُدُّهُ إِلَى قريتِهِ ، أُو مدينتِهِ ، إِلَى عَمَل مِ يَعْمَلُهُ له من بناءٍ أَو عملٍ يَكْسبُ به ، أُو غير ذلك حتى لربُّما قالَ له : إعملْ كذا وكذا ، إلى الظُّهِرِ أُو إِلَى رأْسِ الشهرِ واذا انسلخ (١٠٥) الشُّهْرُ ، فَدَع ِ العَمَل ، واعمل كذا وكذا لعمل آخَرَ فتتَدَّمَ منه الأَمْرُ بالعَمليْنِ جميعاً في وقتيْنِ مختلِفيْنِ . أو يأمُرهُ بِأَحَدِ الْعَملِ الْعَملَيْنِ في وقت وهو كذلك يُربِدُ أَن يأمُرهُ بالعملِ الآخرِ بعد انقضاءِ الثاني ، فيكونُ الآخرُ بدَلاً من الأوّلِ ، لا نَوّلِ ، يبدأ بأحدِهِما إلى الوقتِ ، وقد أَمَرهُ أَنْ يَدَعَهُ إذا جاء الوقتُ ، ويعمل الآخرَ بدلاً من الأوّلِ من غير بَدْءِ منه ، ولا كذب ، ولا جَهلٍ ، فكيفَ بالإلهِ الواحدِ القَهّارِ ، الذي يَعْلَمُ عواقِبَ الأُمورِ كُلِّهِ الواحدِ القَهّارِ ، النكواتُ ، ولا تَبدُو له البَدَاواتُ ، ولا تَحِلُّ به الحَوادِثُ . ولاتعتقبهُ الزيادةُ والنعُصان .

القول بغلق القرآن:

ولقد جامَعنا (۱) قَوْمٌ من أَهْلِ الضَلاَلِ على ذَلِكَ ، لئلاَّ يَقَعَ النَسْخُ من الله عز وجل في أخباره ، ومِدَحِهِ ، وانما يقعُ النسخُ في أحكامه ، ثم جَهِلُوا ، إِذ أرادوا ان يقوُّوا قولَهُمْ بأن كلامَ الله مخلوقٌ ، فزعموا أنّ الله عزَّ وجل قد ينسخ كلامَهُ بِكلامِهِ فيما أَمَرَ به ، ونهى عزَّ وجل قد ينسخ كلامَهُ بِكلامِهِ فيما أَمَرَ به ، ونهى

⁽١) لسان العرب ٤٠٨/٩ : جامعه على الأمر : مالأه عليه ، واجتمع معه .

عنه ، وكان مما استدلُّوا به ، أنه كلامٌ مخلوقٌ انه يُنسَخُ بعضُهُ ببعضٍ .

قالوا: ولو لم يَكُنْ مخلوقاً ، ما جاز عليه النسخُ ولا التبديلُ .

وقد جهلوا المعنى ، وجاروا عن الحَقِّ ، لأَنَّ اللهَ جَلِ وعَزَّ لم ينسخ كلامَهُ بكلامِهِ ، وإنما ينسخُ مأموراً به بمأمور به ، فأَبْدَلَ أَحَدَهُما مكانَ الآخر وكلاهُما كلامُهُ . وانما ينسخ كلامَهُ الأُوّلَ بكلام منه (ثان ٍ) الكاذبُ الراجعُ عَمَّا قال ، فأما إذا كانا جمّيعاً منه فَهُمَا حَقٌّ وصِدْقٌ ، فانما أَمَرَهم بمأمور أوجبه ، ثم رَفَعه ، وبدَّله بمأمور آخَرَ أَلزمهُمُ القِيامَ به ، وكِلاَهُما كلامُهُ أَوْجَبَهُما في وَقْتَيْنِ مَخْتَلِفَيْنِ . فالله جَلَّ وعَزُّ لم يأَمُرِ العِبادَ أَنْ يفعلوا كلامَهُ ، ثم يأمُرُهم أن يفعلوا كلاماً له ثانياً بَدَلاً من الأُوَّلِ. وانما أُمرهم بعملِ يعملونَهُ ، ثم بَدَّلَ لهم عَمَلاً آخَرَ أَلزَمَهُمْ إِياهُ ، ونسخَ الأُوّلَ ، وجعلَ الثانيَ مبدولاً به ، أَلم تسمع الله عَزَّ وجَلَّ يقولُ : « لا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِهِ » (١٠

⁽۱) الانعام : ۱۱۵ ، الكهف : ۲۷ .

وقال « يُريدون أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ الله » (١) لأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال لهم: « لن تَخْرُجُوا معي أَبداً » ولم يقل: إِنَّ الله حَرَّمَ عليكُمُ الخُروجَ معي، ولم يَقُلْ «أَبداً» فيكونوا اذا أرادوا الخُروجَ مع النبي صلى الله عليه وسلم أَرادوا أَن يَعْصُوا الله ، ولا يكونوا مُبَدِّلِيْن كلامَ الله ، ولكنَّ الله جل وعز أَمَر نبيَّهُ أَن يُخْبِرَهُمْ انهم لا يخرُجُون معه أَبداً ، ولا جائز أَن يخرجوا معه أبداً ، لأنَّ هذا القول من الله عز وجل خبر منه انه لا يدعُهُم يخرجُون مع نبيُّه عليه السَلامُ أَبَداً ، ولا يأذنُ لهم في ذلك ، فلو خَرَجُوا ، كان ذلك تكذيباً لِخَبَر الله جَلَّ وعَزَّ ، ولو أَذِنَ لهم اللهُ لكان هذا تبديلاً لكلامِهِ الأُوَّل ، وكان هذا كَذِبًا ، وجُلَّ ربُّنَا وتعالى عن ذلك . فلمَّا سأَلُوا النبيُّ عليه السلام ، ان يخرجوا معه ، وكان في خروجهم تكذيبُ خبرِ الله ، وتبديلٌ لكَلامِهِ ، قال الله جل ثناوه لنبيه عليه السلام لمَّا سأَلوا أَن يخرجوا معه : " يُريدونَ ان يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ » (٢) فدَلَّ اللهُ عز وجل بذلك أَنَّ في

[.] ۱۰ : ۱۵ . (۲) النتح : ۱۰ .

تبديلِ كلام الله إيجابَ الكَذِبِ ، واللهُ جَلَّ وعَزَّ لاَ يُنسخُ وَلاَ يَنسخُ فَرْضَهُ ، وَإِنما ينسخُ فَرْضَهُ ، ويبدله بفرضِ غيرِه ، وكلاهُما كَلاَمُهُ .

ألا ترى ان كلَّ ما يُنْسَخ ، ويُبَدَّل ، فلا يَجوزُ فِعْلُهُ فِعْلُهُ لا يجوزُ فِعْلُهُ فِعْلُهُ ، كالصلاةِ إلى بيتِ المقدس ، وبعضُهُ لا يجوزُ فِعْلُهُ على الإيجاب له ، كَقِيام اللَّيْلِ وغيره ، وكذلك الوصيةُ للهرالِدَيْنِ ، ولمَنْ يَرِثُ لا يجوزُ أَن يُنَفِذَ الوصيَّةَ لهم .

والكلامُ الذي نهاهُمْ به أَوّلاً ، كَلامٌ له ، واجبٌ على العبادِ أَنْ يؤمنوا به أَنّه حَقٌ ، وأَنه من القرآنِ ، مَنْ كَفَرَ به فهو كافِرٌ ، وَمَنْ آمَنَ به فهو مُؤْمِنُ ، وأَنّ عليهم ألا يَخْرُجُوا جميعاً من حِفْظِهِ ، حتى يكونَ بعضُهُم يحفظُهُ ، ولا يجوزُ له أَن يُسقَطَ من القرآن ، فلا يُقرأُ ولا يُتلى ، وأنما سقط فَرْضُ الآية ، وثبتَ نصُّها ، والنص حَقُّ وصِدْقٌ ، وانما بَطَلَ الفَرْضُ ، ولم يَبْطُلِ والنص حَقُّ وصِدْقٌ ، وانما الوصيةُ أَن يَنْفُذَ ، فتجوز ، فسقط وَجُوبُ الفرضِ من الآية - وثبتَ نصُّها –: أَن تَجِبَ الوصيةُ وَجُوبُ الفرضِ من الآية - وثبتَ نصُّها –: أَن تَجِبَ الوصيةُ للوالِدَيْنِ ونحْوِهَا ، ولم يسقط كلامُهُ بذلك أنه حقُّ للوالِدَيْنِ ونحْوِهَا ، ولم يسقط كلامُهُ بذلك أنه حقُّ قَرْمَ عَلَى المُهُ بذلك أَنه حقُّ

وصِدْقٌ ، وانه ليس بين الآية الناسخة للمأمور به ، وبين الآية التي نسخ منها المأمور به ، فرقان في الايمان بهما ، والكفر بهما ، وانهما جميعاً حقٌ وصدقٌ وانما افترق الحُكْمَان بهما .

فمن زعم أنَّ الحُكْمَ (١٠٦) المنسوخَ واجب بعد علم ، فقد كفر . وان الثاني المُبدل به ليس بواجب فقد كفر ، فجائزٌ أن يُقال قد أبطل الله الصلاة إلى بيت المقدس ، ولا يقال قد أبطل الله قولَه ، فيكونُ كلامُ الله باطلاً . فالكلامُ الذي نُسخَ به حَقُّ ، والكلامُ المنسوخُ الحُكْمُ منه حَقَّ ، فيقال قد أبطل الله جل وعز وجوب الوصية ، منه حَقَّ ، فيقال قد أبطل الله جل وعز وجوب الوصية ، وأبطل الله الصلاة إلى بيت المقدس ، أن يكون واجباً .

ولا يقولُ مؤمِنُ : قد أَبطل عز وجل الآياتِ التي كانت هذه الأَحكامُ كلُّها فيها واجباتٌ ، فيكونُ كلاماً باطلا . فالكلامُ الذي نُسِخَ منه الحُكْمُ ، والكلامُ الذي ثبت به الحكمُ الذي ألله حقُّ وصدقُ ، لا باطِلَ ولا كذبَ ، وأَحَدُ الحُكْمَ الله عقُّ وصدقُ ، لا باطِلَ ولا كذبَ ، وأَحَدُ الحُكْمَيْنِ سَاقطُ ، ومَنْ دَانَ به بعد علم علم

فقد دانَ بالضَهلالِ والبَاطِلِ ؛ أَن يكون واجِباً على عِبَادِ الله . وكان مما احتجُّوا علينا به في ذلك ، قولُ الله جَلَّ مِنْ قائل : « ما نَنْسخُ من آيةٍ او نُنْسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مِثْلَها » (۱) .

فقالوا: ما جاز أن يكونَ بعضُهُ خَيْراً من بعضٍ ، فقد فهو مَخْلُوقٌ ، لأَنه اذا كان شيءٌ هو خَيْرٌ من شيءٍ ، فقد فَضَلَهُ ، والآخَرُ منقوصَ ، وقال : « او مثلها » قالوا وما كان له مِثْلُ ، فهو مَخْلُوقُ ، لأَنَّ المثل يشتبهُ بمثله ، وما جاز أن يأتي به الله جل وعز فيحدثُهُ فهو مخلوقٌ ، وكُلُّ مخلوقٍ فَمِثْلُهُ مخلوقٌ ، لأَنَّ حُكْمَ المِثْلِ حُكْمُ وَكُلُّ مخلوقٍ فَمِثْلُهِ .

وجهلوا التأويل!! انما قولُهُ جل وعز « نأتِ بخيرٍ منها » بخيرٍ بمأمورٍ به (۲) ، هو أوسعُ لكم وأخفُ عليكم ، او مثلُهُ في الخِفةِ والسَعةِ . وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ : « مَنْ جاءَ بالحَسنَةِ فله خيرٌ منها » (۳) لا يعني خيراً من التَوْحِيدِ ،

⁽١) البقرة : ١٠٩.

⁽٢) مجاز القرآن ١ / ٥٠ : أي نأتيك منها بخير .

⁽٣) القصص : ٨٤ ، النحل ٨٩ .

وانما يعني له منها حَيْرٌ ، كما يقال : الدراهم خَيْرٌ من المال ، لا يُريدُ : الدراهم من المال ، وانما يُريدُ : الدراهم من المال خَيْرٌ ، فإن قالوا بِظَاهِرِ التِلاَدِة ، فقد جامعونا انَّ الله جلَّ وعَزَ (عندما)أمر بالوصية للوالدين؛ أمرَ بمأمور به أوسع من الأول ، وجامعونا أنَّ الله جَلَّ وعَزَّ ، لمَّا أمر بالمال لورثة معلومِيْنَ ، فالمأمورُ به الآخرُ أوسع ، وما نَسَخَ الله جل وعزَ من قيام الليل ، ونحو ذلك ...

و مما يَدُلُّ على بُطْلانِ قولِهِمْ أَنَّ قائلا لو قال: تَرْكُ قيامِ الليل أَن يكونَ علينا واجباً ، هو أَرْفَقُ بنا ، وأوسعُ لنا من قبلِ اتساعِهِ لنا ، كان صادقا . ولو قال إِنَّ قوله « فاقرؤوا ما تيسر منه »(۱) خيرُ من قوله « يا أيها المُزمِّلُ؛ قُم اللَيْلَ إِلاَّ قَلِيلا » (۱) . فأراد أَنَّ الكلامَ الآخرَ من اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، خَيْرٌ وأَفْضَلُ ، والكلامُ الأَوِّلُ انقصُ وأَدْنى ، كان كافراً بالله عَزَّ وجَلَّ ، إِذ ازدرى كَلامَ الله ، وزعم أنه منقوصٌ دَنِيٌ .

⁽١) المزمل : ٢٠ . (٢) المزمل : ١٠

مع المعتزلة: دفاع والزامات

دفاع عن أهل السنة

دعوى المعتزلة

وقد ادّعى علينا بعض أَهْلِ البِدَعِ من المعتزلةِ ، أَنّا نَوْعُمُ أَنَّ الله عَزَّ وجلَّ ينسخُ أَخْبارَهُ ، وصفاتِهِ ، فقالوا : إِنَّ الله عَزَّ وجلَّ ، أخبرَ أَنه يعذّبُ القاتِلَ ، والزاني ، وشارِبَ الخَمْرِ ، و آكِلَ مالِ اليتيم ظُلماً ولم يَستَثنِ منهم أَحداً ، فزعمتُم أَنه جَائزُ أَن يغفرَ اللهُ لبعضِ أَهلِ الكبائِرِ ، وأَنه لا يغفرُ لبعضِ أَهلِ الكبائِرِ ، وأَنه لا يغفرُ لبعضِ أَهلِ الكبائِرِ ،

وقال بعضُهُم إِنه يَغْفَرُ لهم كُلهُمْ.

وأَخبر أَنَّ الفُجَّارَ لاَ يَغيبِونَ عن النارِ ، فزعمتُم أَنَّ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ يُخْرِجُ قوماً من الفُجَّارِ المقِرِّيْنَ ، بعدما احتَرقُوا ، ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ .

وزعم بعضُكُمْ ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُخْرِجُ كُلَّ فَاجِرٍ مُقِرِّ قَاتِلٍ كَان ، أو زان ، أو سارق ، أو مَنْ أتى بأعظم الذُنوب ، إلاَّ بالكُفْر باللهِ جَلَّ ثناؤُهُ .

وزعمتم أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعزَّ نَسَخَ خَبَرَهُ ، وأَخْلَفَ وعيدَهُ . وأَكْفَ وعيدَهُ . وأَكذَبَ قولَهُ ، في بعضِ ما أخبر أنه معذَّبُهُ ، وبعضِ مَنْ أَخبر أَنه معذَّبُهُ ، وبعضِ مَنْ أَخبر أَنّه مُخَلَّدٌ في النار ، وهذا تكذيبٌ وخُلْفُ من القول .

وكذلكَ قالوا في الصِفاتِ؛ قالوا: زعمتم أَنَّ اللهَ جلَّ وعَزَّ امتَدَحَ بأَنَّ الأَبْصار لا تُدركُهُ. ثم زعمتُم أَنَّ هذه المِدحة تُبَدَّلُ في الاخرة ، فتراه العُيون ، وهذا نَسْخُ المَدْح ، لأَنه امتَدَحَ بأَنَّ الأَبْصارَ لا تُدْركه ، ولم يَستثنِ في الدنيا ، فزعمتم أَنها تُدركه في الآخِرة نظراً.

قالوا: ولو جازَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لأَهْلِ الكبائرِ بعد ما قال ، إنِّي معذَّبُهُمْ ، وان جزاءَهم النارُ لَجَازِ أَن يَغْفِرَ لأَهْلِ الكُفْر ، لأَنَّه كذلك قال إني أُعذَّبُهُم ، وإنَّ جَزَاءَهُمُ النارُ . ولو جَازَ أَن تَرَاهُ الأَبْصارُ بعدما نفى الرؤية لَجَازَ في النارُ . ولو جَازَ أَن تَرَاهُ الأَبْصارُ بعدما نفى الرؤية لَجَازَ في قولِه « وهو يُطْعِمْ ولا يُطْعَمُ » (۱) أَن يطعِمَ في الآخِرة ولا يطعِمَ (۱۰۷) في الدنيا ،

وكذلك قولُهُ: (لا تأخُذُهُ سَنِةٌ ولا نَوْمٌ » (٢) لجاز أن.

⁽١) الانعام ١٤. (٢) البقرة ٥٥٠.

تَأْخُذَهُ السِنَةُ والنومُ في الآخِرةِ ، وقولُهُ « لا يخفى عليه شيءٌ » ، أَنَّه يخفى عليه في الآخِرةِ لا فُرْقَان بينَ ذَلِكَ _ زعموا !!

في الوعد والوعيد:

وقال أبو عبدالله رحمه الله: وقد أَبْعَدُوا القِيَاسَ ، وادَّعَوْا علينا ما لم نَقُلْهُ مَعاذَ الله أَن نقول : إِنَّ أَخبارَ الله وَمِدَحَهُ تُنْسَخُ ؛ وهو الصَادِقُ في كُلِّ حال ، والكامِلُ لم يَزَلْ ، ولا يزولُ ، ولكنَّا نقولُ : إِنَّ لله جَلَّ ذِكْرُهُ أَخباراً عامَّةً ، وإِن اتَّفقَ ظاهِرُ تلاوتِها في العُمومِ ، فهو مختلِفُ في معاني الخُصوص ، والعُموم .

فأمّا ما ادَّعَوْا علينا في الوعيد ، فهذه دعوى باطل . ولكنّ الله جَلّ وعَزّ أوجَبَ لآكِلِ مالِ اليتيم ، والزاني ، والسارق ، وشارب الخَمْر ، والقاتل ، وهو يُريدُ أَنّ ذلك عليهم أَجمعين واجب ، وأنّهم له مستحقُّون ، ولم يُرِدْ أَنْ يعذّبَهُمْ أَجمعين ، ولو أَرادَ أَن يعذّبَهُمْ أَجمعين ، في عَلْبه بعدلِه ، فإنْ أَرادَ أَن يعذّبه بعدلِه ، فإنْ أَرادَ أَن يعذّبه بعدلِه ،

ويغفو عن بعضِ مَنْ وَجَبَ عليه ، فيعفو عنه بِفَضْلِ رحمتهِ لِزَلاَّتِهِ ، يقول : « إِنَّ الله لا يَغْفِرْ أَنْ يُشْرَكَ به وَيغفِرُ مَا دون ذلك لِمَنْ يَشَاءُ » (۱) .

فأخبر أنه لا مشيئة له في مَغْفَرةِ أَحَدِ من السُّرْ بْنَ ، وله المشيئة فيما دون الشِرْكِ بالمَغْفِرةِ عمن يشاء منهم ، فأخبر انه لم يُرِدْ أن يعذّبهم كُلَّهُم ، وأن يغفر لبعض مَنْ يشاء منهم .

وأخبر أنهم جميعاً مستحقون للعذاب ، وأنّ له مشيئة في بعض من استحق منهم العذاب ، الذي وجب عليهم في حُكْمِهِ ، ولم يُعْلِمْنَا مَنْ يُغْفَرُ له ، فقطعنا بما قَطَع ، وأيسنا مِنْ عَفْوهِ عمن آيسَنَا منهم من المغفرة للمُشْركين ، وأوقفنا ما أوقف من عذاب المستحقين من المؤمنين ، والا وقف من عذاب المستحقين من المؤمنين ، والا أنّا نعلم أنه سيعذّب بعضهم ، ولا يكذب قوله ، لأنّه أخبر أنه يعذّب ، وأنّ له مشيئة فيهم ، فيمن يشاء منهم أن يغفر له .

فكان ما أَخبر اللهُ جَلَّ وعزَّ به من عذابِ الموحِّدين.

⁽۱) الناء : ۸ ع .

خصوصاً ، لا عُموماً ، اذ أخبر انه يَغْفِرُ لمن يشاءُ منهم ، وأَنَّ خَبَرَهُ أَنهم مستوجِبون عمومٌ .

وإذا أَخْبَرَ أَنَّه له مشيئةٌ فيمكن مشيئتُهُ فيمن استوجَبَ العذابَ منهم .

وأما ما ادعوا به علينا ، فزعموا أنه يَلْزَمُنَا أَن نَشُكُّ فِي عَذَابِ الكُفَّار ، فلا ندري يَغْفِرُ لبعضِهم ؟ لأَنَّه قال لليهودِ والنصاري « بل أَنتم بَشَرُ مَمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يشاءُ ويعذَّبُ مَنْ يشاءُ » (۱) .

فقالوا: قد استَثْنَى في هاتينِ الآيتينِ كما استَثْنى فيما دُونَ الشِرْكِ فإنه يُقالُ لهم: أَبعدْتُمْ في القياسِ والتمييز. إنَّ الله جلَّ وعز لم يَقُلُ لليهودِ والنصارى « بل أَنتم بَشَرُّ مَن خلق يَغْفِرُ لمن يشاءُ » منكم ، فيكُون قد استَثْنى بعضَهُمْ فيلزمُنا ذلك فلو قالَ ذلك ، كان يلزمُنا كما قلتم ، بعضَهُمْ فيلزمُنا ذلك فلو قالَ ذلك ، كان يلزمُنا كما قلتم ، وكذلك قولُهُ عزَّ وجلَّ « يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ » عمومٌ ، لم يخصَ قوماً بأعيانِهِمْ فقد عرفنا مَنْ يشاءُ مغفِرتَهُ بعد يخصِ هذا الخَبر ، بأخبار خاصةً ؛ ولولا الأخبارُ الخاصَّةُ عموم هذا الخَبر ، بأخبار خاصةً ؛ ولولا الأخبارُ الخاصَّةُ

⁽۱) المائدة : ۱۸

بعد ذلِكَ لكان علينا أَن نَقِفَ حتَّى نعلَمَ مَنْ يَشاءُ عذابَهُ ، فلمَّا أَخبَرَنَا انه لا يَغْفِرُ لِمَنْ أَشْرِكَ ؛ قطعنا بذلك.

وأَخبَرَنا أَنه يغفِرُ لِمَنْ يشاء (ممن) تَابَ ، قال تعالى : « وإِني لغفَّارٌ لمن تابَ و آمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى (١) وقال تعالى « ولله ما في السموات وما في الأَرْض يَغْفِرُ لِمَنْ يشامُ ويعذِّبُ مَنْ يشاءُ » (٢) فقطَعنا بذلك ، وعلِمنا أنه قد شَاءَ عَذَابَ الكَافريْنَ ، وشاءَ مَغْفِرَةَ التائبيْنَ ، ولمّا أَرْخَى (كذا) مغفرتَهُ مَنْ يَشَاءُ من المُصِرِّيْنَ من الموحِّدِين ، وقفْنا ، ولم نَقْطَعْ ، وعلِمْنا أَنه يشاءُ أَن يَغْفِرَ لبعضِهِمْ ، وأَنه يعذِّبُ بعضَهُم ، إِذ أَخبر انه سيعذِّبُهُم إِلاَّ مَن يشاءُ مغفرتَهُ منهم ، فجعل مشيئتَهُ في مغفرةِ بعضهم خصوصاً ، والآخرونَ معذَّبونَ بقولِهِ : أُعذِّبُ وأَغَفِرُ ، لِمَنْ شئتُ منهم . فعلِمْنا أَنَّ من يَشَاءُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ بعد قولِه « يغفر لمن يشاءُ ويعذب من يشاء » (٣) أَن يعذِّبَهُم ، وأَن يغفِر لَهِم . ولم نَعْلَمْ مَنْ يغفرُ له مِنَ المُصِريْنَ من الموحِّدِين ،

[.] AT : 4 (1)

⁽٢) آل عمران : ١٢٩.

⁽٢) آل عمران ١٢٩.

ولا مَنْ يعذَّبُ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنَّه سَيْعَذَّبُ بعضَهُمْ ، ويغفِرُ لمن يَشَاءُ منهم .

وأما قولهم لا يخلو من ثلاث خلال:

إِمَّا أَن يكونَ قال أُعذِّبُهُم ، وهو يعلمُ انه سيعذِّبُهُم . أو كان لا يَعْلَمُ من يعذِّبُهُ منهم .

أُو كان يعْلَمُ أَنه يعذِّبُهُمْ .

فَالشُّكُّ فِي عِلْمِ عِذَابِهِم كُفْرٌ.

وقولُهُ أُعَذِّبُهُمْ وهو يَعْلَمُ (١٠٨) أَنه لا يعذِّبُهُمْ كَذِبِّ.

فقد جامَعْنَاهُمْ على ذلك إِلاَّ الفَصْلَ الأُوَّلَ ، وهو قولُهُم إِنَّه قال ذلك ، وهو يعلَمُ أَنه يعذِّبُهُم .

فجوابنا أنه قال ذلك وهو يَعْلَمُ أنه سيعذّب بَعْضَهُم ، ويعفُو عمن شاء أن يعفُو عنه . وكذلك استَثْنى لِما عَلِم ، ولا يلحَقُهُ في ذلك شكُ ، ولا كَذِب ، ولا خُلْف ، والآية في الاستثناء مَنْ شاء أن يغفِر له من الموحّدين ، لا يخلُو من أنْ تكونَ الآيةُ من أوَّلِها إلى آخِرِها في المُصّريْنَ أو في التَّائبِيْنَ ، أو هِي مخصّصة أَ وَلَها و آخِرُها في التَّائبيْنَ ، أو هِي مخصّصة أَ و أَوَّلُها و آخِرُها في التَّائبيْنَ ،

وقولُهُم إِنَّ آخِرَهَا فِي التائِبِيْنَ ، فلو كان كذلك لم يَكُنِ التائِبونَ مَغْفوراً لهم أَجَمعِين ، إِنَّما الغُفْران (ان) يَغْفِرَ لبعضِهم ؛ لِمَنْ شاءَ منهم ، لأَنَّ الله جَلَّ ثَنَاوُهُ استَثْنى خصوصاً ، ولم يَعُمَّ ، وقد عَمَّتْهَا الأَخبار عنه أَنه يَغْفِرُ للتَّائِبِيْنَ جميعاً ، ولم يَخُصَّ أَحداً منهم بالمغفرةِ دون أحد ، كما خص فيما دون الشِرْكِ انه يَغْفِرُ ما دونَ ذلك لمن يشاء .

فَإِنْ أَبُوا فِي آياتِ الوعَيدِ إِلاَّ ظاهِرَ التَّلاوةِ؛ أَنَّ اللهُ عَزِّ وجَلَّ أَخبر انه معذِّبُ جميعَ مَنْ فَعَلَ ذلك ، وكُلُّ مَن

فعله منهم ، فهو في ظاهرِ التّلاوة معذّبُ ، وأنه إنما استَثْنى في آية الاستثناء مَنْ يأتي دون غيرهم (كذا) وأنه مَنْ أخبر أنه معذّبُهُ من الموحدين فالخَبَرُ فيه عَامٌ ، ولم يُرد بعضاً دون بعض ، فعليهم في الظاهرِ مثلُ ذلك إنْ كان أراد أن يعذّب من قال: إنّي أُعذّبُهُ على العُمُوم ، ولم يُرد بعضاً دون بعض ، فقد قال الله جَلَّ وعَزَّ: « ومَنْ يَعْصِ يُرد بعضاً دون بَعْضِ ، فقد قال الله جَلَّ وعَزَّ: « ومَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّم» (١) وقال : « والله لا يُحِبُّ الظالمين (١) » وقال : « إنّ الظالمين في عذاب مُقيم » (١) الظالمين (١) » وقال : « إلسّيئة فَكُبّت وُجُوهُهُمْ في النّارِ » (١) وقال : « وَمَنْ جاءَ بالسّيئة فَكُبّت وُجُوهُهُمْ في النّارِ » (١) .

فكُلُّ مَنْ جاء بسيئة ، أو ظَلَم نفسهُ بذنب صغير ، ومات مُصِرًا عليه ، أو عَصَى بذنب كبير ، وتاب منه ، فَهُوَ في النار ، لأنه لم يَسْتَثْنِ في هذه الآي تائباً من مُصِرً ، لا من كبيرة ، ولا من صغيرة .

فان قالوا: إنه لا يُريدُ التائِبينَ ، ولا المُجْتَنِبينَ للكَبائِرِ ، ولا النبيِّينَ ، قيل لهم : تركْتُمْ ظاهِرَ التِّلاوةِ .

⁽٣) الشورى : ٥١ .(٤) النحل : ٩٠ .

وكذلك قلنا: نحن لم نُردْ مَنْ شَاءَ أَن يغفِرَ له من أَهْلِ الكَبائر والصغائرِ المُصِرِّيْنَ.

وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ « كُلَّما أُلْقِيَ فيها فوجُ سأَلهم خزنتُهَا» (١) إلى قوله « فكذَّبْنَا وقُلنا ما نَزَّل اللهُ مِنْ شيءٍ ١) ». وكُلُّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ ، فقد كَذَّبَ بما أَنزلَ اللهُ جَلَّ ثناوُهُ .

وقالوا: مَا أَنزلَ الله على بَشَوِ مِن شَيْءٍ ، فلن يَدْخُلَ النارَ أَبداً (كذا) على قول مَنْ حَمَلَ الآية على ظاهِرها ، ولا مَنْ قال : ما أَنزل الله على بَشَو مِنْ شيءٍ ، وكَذَّبَ النُذُرَ ، وأنه لا يدخُلُها أَحَدُ مِنْ أَهْلِ الكبائرِ المُقِرِّيْنَ الله ورسولِهِ ، فإنْ قالوا ذلك ، ضادُّوا قولَهُمْ ، وكَذَّبوا الله تعالى فِيما سِوى ذلك من الأَخْبار .

وإِنْ قالوا إِنَّمَا أَراد المَكذِّبِين خاصَةً ، قُلنا لهم : هذا أَبْيَنُ فِي العُموم من الآياتِ الموجبَاتِ للموحِّدين على الذنوبِ النارَ لأَنه قال : « كلما أُلْقِيَ فيها فوجٌ » (") فَعَمَّ كُلَّ فَوْجٍ ، يُلْقَى فيها ، وكذلك قولُهُ « لا يصلاها فَعَمَّ كُلَّ فَوْجٍ ، يُلْقَى فيها ، وكذلك قولُهُ « لا يصلاها

⁽١) الملك : ٨ . (٢) الملك : ٩

إِلاَّ الأَشْقَى الذي كَذَّبَ وتولَّ » (") وقد نفى أَنْ يَصْلاها إِلاَّ مَنْ كَذَّبَ وتَولَّ . وأُوجَبَ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ لا يدخُلُها وإِنْ أَتَى بِكُلِّ ذَنْبٍ ، لأَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ نفى أَنْ يَصْلاَها إِلاَّ مَن كَذَّبِ وتولى .

فإِنْ قالوا : إِنَّمَا عنى به باباً من أَبُوابِها دون غيرِهِ من ِ الأَبُوابِ .

قيل لهم: فهذا على غَيْر ظاهرِه، كما قُلْتُم في الآياتِ الموجِبات لمن أَدْنَبَ من أَهلِ التوحيد، وقد قال جَلَّ وعَزَّ: « مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ منها ، وهم مِنْ فَزَع يومئذ آمِنُون » (٢) وقال جَلَّ مِنْ قائل : « واللهُ يُحِبُّ يُوسِنُ المُحْسِنِين » (٣) وقال : (١٠٩) « إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحسنَ عَمَلاً » (٤) ؛

وأحسن' الأعمال ِ التوحيد'

فإِنْ قالوا: أَراد مَن اجتَنَبَ الكبائِرَ من الموحِّدِينَ ..

⁽۱) الليل ١٥، ١٦. (٢) النمل : ٨٩.

⁽٣) آل عمران ١٣٤ ، ١٤٨ ، المائدة : ٩٣ . (٤) الكهف ٣٠ .

قيل لهم: هذا غيرُ ظاهِر التلاوةِ (١٠.. فإِنَّ اللهُ تعالى يقولُ «انما يتقبَّلُ الله من المتَّقين » (١٠).

قيل لهم: فَهَذَا عليكم، لأَنَّ كُلَّ مَن اتَّقَى الشِرْكَ فَقَد وَقَعَ عليه اسمُ المُتَّقِيْنَ ، كما مَنْ فَجَرَ فَجْرَهُ فَقَد وَقَعَ عليه اسمُ الفَاجِرِيْنَ ، فقد لَزِمَكُمُ القَولُ بأَنَّ اللهَ تعالى ، يَنْسَخُ أَخبارَهُ ، لأَنَّا نقولُ : زعمتم في دعواكم علينا أَنَّ أخبارَ الله جل وعز تتَنَاسَخُ لأَنه يقول : « إِنَّ علينا أَنَّ أخبارَ الله جل وعز تتَنَاسَخُ لأَنه يقول : « إِنَّ علينا أَنَّ أخبارَ الله جل وعز تتَنَاسَخُ لأَنه يقول : « إِنَّ فَلِيْ الطَالِمِيْنَ اللهُ مَن النبيينَ ، والصِّدِيقِيْنَ ، وأصحابِ فَكُلُّ مَنْ عَصَى الله من النبيينَ ، والصِّدِيقِيْنَ ، وأصحابِ الأَنبياء ، فقد ظَلَمَ نَفْسَهُ .

وقال موسى عليه السلام: «ربّ إني ظلمْتُ نفسي » (°) وقال يونُسُ عليه السلام: «إني كُنْتُ من الظالمين » (°) . وقال يونُسُ عليه السلام: «ربّنا ظلمْنا أَنْفُسَنَا (۷) . وقال الله جل وعز « مَنْ يعمَلْ سُوءاً يُجْزَ به ولا يجِد لَهُ مِنْ دونِ

⁽١) هنا سقط ، ربما كان : فان قالوا إن الله تعالى يقول ...

^{. (}۲) المائدة : ۲۷ . (۳) آل عمران : ۲۵۷ ، ۲۵۷ . (٤) الشورى : ٤٠

⁽٥) النمل : ٤٤ . (٦) الأنبياء : ٨٧ .

الله وَليَّا ولا نَصِيرا » (() ومَنْ عَصَى الله) فقد عمِلَ سوءاً ، لأَنَّ المعصية سوء كائنة ما كانت ، فإنْ قالوا : لم يُردِ النبيين ، ولا التائبين ، ولا من اجتنب الكبائر ؛

قيل لهم: فلو عَارَضَكُمْ مُعَارِضٌ فَقال : إِنَّما أَرادَ بقولِهِ إِلاَّ مَنْ تاب مِنْ أَصحابِ النبيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّم ، دون غَيْرِهِمْ ، لأَنَّ الآية عليهم أُنزلت فهي لهم خاصة ما كُنتم تردُّون عليه ؟ فإنْ قالوا : أَراد كُلَّ تائب . قيل لهم : يقولُ لكم كذلك أَراد كُلَّ مَنْ أَذْنَبَ ذَبا دون الشرك ، مُصرّاً كان أو غَيْره ، ويقال لهم : أَرأيتم لو قال لكم قائل : إِنَّ قولَهُ ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنهُوْنَ عنه ﴾ (١) ؟ لكم قائل : إِنَّ قولَهُ ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنهُوْنَ عنه » (١) ؟ إنما أَراد به مَن اجْتَنبَهَا ، فلم يعمَلُها قَطُّ ؛ يُريدُ مَنْ لَم يكُنْ له صَبُوةٌ ، واحْتَجّ بِظَاهِرِ التِّلاوة عَلَى الذي يَحْتَجُونَ عليه عليه .

فإِن قالوا: قد استَثنى مَنْ تاب . قِيل لهم: وكذلك قد استَثنى مَنْ الذُّنوبِ ، فقد ذهبتُم إِلى ما خص دون ما عَمَّ .

⁽۱) النساء: ۱۲۳ . (۲) النساء: ۳۱ .

ولو قال لكم قائل : بل إنما أرادَ به مَنْ لم يرتَكِبْ كَبيرةً قَطُّ ، فإِن كانت منه كبيرةٌ ، ثُمَّ تاب ، ثم لَقِيَهُ بِالصِّغَائِرِ مُصِرًّا عليها ، غَفَرَ له ما تابَ منه منَ الكبائر ، كما قال تعالى : « وإِنِّي لغفَّارٌ لِمَنْ تارَ و آمَنَ وَعَمِلَ صالحاً » (١) ، وأَخَذَهُ بالصَّغائِرِ ، لأَنه إِنما أراد أَن يغفِرَ الصغائِرَ اذا لم يَتُبُ منها ، ممن اجتنبَ الكَبَائِرَ ، فلم يَأْتِها قطُّ، (فمن) قال بِظَاهِرِ الآيَتَيْنِ أَوجَبَ المَغْفِرَةَ لَمن لَقِيَهُ مُصِرّاً عليها، وهذا ظَاهِرُ الآيَتَيْن. فإِنْ قالوا: أَراد منَ اجتنب الكبائِر بالتَوْبة ، ومن لم يكن له صغيرة ، قيل : إِنَّ ظَاهِرَ الآيةِ إِنما هو على الاجْتِناب ، وهو أَلاَّ يكونَ أَتاها قَطُّ ، فقد تركْتُم ظاهِرَ التِّلاوةِ ، والعُموم ، فَإِنْ كَانَ مَنْ رَجَا لَمَنْ استثنى الله جَلَّ ذِكْرُهُ مشيئةً مغفرتِهِ ، قال بَتَنَاسُخِ الأَخْبار فقد قلم بتَنَاسُخِ الأَخبار ، وأَنتم عِبْتُم تَرْكَ ظاهر التلاوة في الآياتِ الموجباتِ على الكبائِر لأهل التوحيد (النار) ، وتركتم ظاهِرَ الآيةِ في استثناءِ كُلِّ ما دونَ الشِرْكِ من الذُّنُوبِ، فزعْمْتُمْ أَنه أَرادَ التائبيْنَ مِمَنْ أَخطأً مِمَنْ قال بمثلِ ما عابَ على غَيْرِهِ ، فقال:

⁽۱) طه : ۸۲ .

يَغْفِرُ لِبعضِهِم ، فقلتم : يَغْفِر لِكُلِّهِمْ ، هو ظاهِرُ الاستِثْنَاءِ لِكُلِّهِمْ ، هو ظاهِرُ الاستِثْنَاءِ لِمَنْ شَاءَ ، فَخَصَّ ولم يَعُمَّ فَاحكُمُوا على أَنْفُسِكُمْ أَنكم تقولون بتناسُخ ِ الأَخبار .

وقد قال بعضُ الامّةِ بغير قولِنا ، وقولِكُمْ ، قالوا : إنما أَرَادَ بالوَعيدِ على الكَبَائِرِ (المشركين) ولم يُرِدِ المؤمنين ، لأَنَّ المؤمنينَ مَغْفورٌ لهم ، لأَنه يقُول : « ومن يؤمِنْ بربِّهِ فلا يخافَ بَخْساً ولا رَهَقاً » (ا) وقال عز وجل : « وبشِّرِ المؤمنينَ بأَنَّ لهم مِنَ الله فَضْلاً كبيراً » (۱) وقال عزّ وجال عزّ وجال : « والذينِ بأَنَّ لهم مِنَ الله فَضْلاً كبيراً » (۱) وقال عزّ وجال : « والذينِ آمنوا بالله ورُسُله أولئكَ هم الصِّدِيْقونَ والشُّهَداءُ عند رَبِّهِمْ » (۱) .

فكل من أقر فقد آمن .

وقولُكُم إِذَا أَتَى كَبِيرةً فليس بِمؤمِنٍ دَعْوى منكم ، لا بُرْهَانَ لَكُمْ عليها . وقد قَالَتِ الخَوَارِجْ إِنَّه إِنما أَرادَ به مَنْ أَتَى كَبِيرةً فهو كَافِرٌ ، فما دعواكم إِلاَّ كَدَعْوَاهُمْ ، أو تَرجِعونَ جَميعاً إِلَى قولِ أَهْلِ الحَقِّ فتَقْطَعُونَ بِما قَطَعَ اللهُ جَلَّ وعَزَّ من عذابِ للجاحِدِين ، ومغفرةِ للتائِبين ، الله جَلَّ وعَزَّ من عذابِ للجاحِدِين ، ومغفرةِ للتائِبين ،

⁽۱) الحن: ۱۳ . (۲) الأحزاب: ۷۷ . (۳) الحديد : ۱۹ .

والوُقُوف عندَ مَنِ استَثْنَى من الموحِّدِين ، فيما دون الشَّرْكِ ، وإلاَّ كُنتُم مُدَّعِينَ مُبْطِلِيْنَ ، ونحن نسألُكُم عن معنى قولكم حتى نُقَرِّركم بأنَّ قولكم خلاف الكتابِ والسنةِ ، وإجماعكم معهم .

امتناع الخوف والرجاء:

فنقولُ لكم : أَرأيتُم يخلُو العِبادُ أَجمعونَ من أَنْ يكونَ لا ينفكُ أَحَدُ مِنْهُمْ أَن يكونَ صاحِبَ كبيرةٍ ، أُو صَاحِبَ صغيرةٍ مُجْتَنِباً للكبائر ؟ فإِنْ (١١٠) قالوا لا ، قلنا : فَمَنْ كان منهم صاحبَ كبيرةٍ هل يَجِبُ عليه واجبٌ أَن يعلَمَ أَنَّه إِنْ ماتَ عليها ، ولم يَتُب ، أَنَّه في النار لا مَحَالَة ؟. (فإن) قالوا كذلك يَجبُ عليه. قيل لَهُمْ: هل يَجِبُ عليه أَن يَخَافَ الله عز وجل إِنْ مات عليها أَن يعذَّبَهُ بعدَ موتِهِ ؟ (فإن) قالوا نعم. قلنا: إنما الخَوفُ على الشُّكُّ ، فأُمَّا مَنْ عَلِمَ أَنه معذَّبٌ لا مَحالَةَ ، فلا مَعْنَى لخوفِهِ لأَنَّهُ مُستيقِنٌ بالعذاب لا شَكَّ فيه ، فكيف يكونُ خائفاً أَن يعذُّبَ وهو مُستيقِنٌ بالعَذَابِ إِنْ مات على ذَلِكَ ؟

ولو جَازَ له ذَلِكَ لَجازَ أَنْ يقولوا : إِنَّا نَخَافُ أَنْ يعذِّبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِرْعُونَ وهامانَ . قالوا لا يجوزُ ذلك لأَنَّا مُستيقِنونَ بعذابِ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ .

وقيل: يجوزُ أَن يقولوا: إِنْ ماتَ الكَافِرُ مُصِرًا ، خِفْنا عليه العَذَابَ ، فإِن قالوا: لا يَجُوزُ لأَنَّا مُستيقِنونَ ذلك ، قيل لهم: فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الكبيرةِ ، لا يَجُوزُ أَن يَخُونُ أَن يَخُونُ الله عَلْ عَر وجل أَن يعذّبه عليها ، فيكونُ شاكًا في وَعيدِ الله عليها فَيكُفُر.

ويُقالُ لهم: هل يَجُوز أَن يرجُو َأَنْ يَعْفُو اللهُ عنه ، وهو مُصِرُّ عليها ولم يَتُب بَعْدُ ؟ فإن قالوا لا ، لأَنَّ رجاءَهُ أن يعفُو الله عنه ولم يَتُب بَعْدُ أَن يعفُو الله ، وصِدْقِه ، وَرَجَا أَن يعفُو الله عنه ولم يَتُب بَ شَكُّ في وعيدِ الله ، وصِدْقِه ، ورَجَا أَن يُخْلِف وعْدَهُ ، ويَكْذِب قولَهُ . قيل لهم: فالخَوْفُ والرجاءُ من صاحِبِ الكَبِيرةِ ضَلاَلٌ إذن .

ويُقالُ لهم : أَرأيتُم إِنْ كَانَ مُجْتنِباً الكبائِرَ هل يَجُوز أَن يخافَ ؟ قالوا : نعم عليه أَن يخافَ الله . قيل لهم : يخافُ الله أَن يعذّبه وهو وَعَدَهُ المغفرة والرِضَى والمَدْخَلَ الكريمَ (و) هو الجَنّة ؟

فَإِن قَالُوا : لَا يَخَافُ أَن يَعَذَّبَهُ اللَّهُ إِذَا لَقَيهُ بِالضَّغَائِرِ مَجَنِبًا للكَبَائر .

قلنا فلو جَوِّزْتُمْ له الخَوْفَ أَنْ يعذَّبَهُ اللهُ وقد لَقِيهُ مُجْتنِباً للكبائرِ لكان خوفُهُ ضَلالاً ، لأَنَّ ذلك يُوجِبُ عليه الشَّكَ في وَعْدِ اللهِ تعالى ، ولا يأمَنُ أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَه ، ولا يأمَنُ أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَه ، ويكذب قوله . جل وعز عما يقولُ الظالمون عُلواً كبيراً.

ويقالُ لهم: يَجُوزُ أَنْ يرجُو أَنْ يُكَفِّرَ اللهُ عنه سَيئاتِهِ ، ويُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وهو مُجْتَنِبٌ للكَبَائِرِ والصَّغائِرِ ، ولو الجنب الكبائِر والصَّغائِر لكان مَغْفُوراً له فنسأَلُكُمْ (كذا) عنه ، ولو اجتنب الكبائِر ، وأتى الصَغَائِر أو كان مُجْتنِباً للذنوب كُلِّها ، هل يَجُوزُ له أن يرجُو العَفْو والمَغْفِرة من الله جَلَّ وَعَز ؟

فإِنْ قالوا لا يَجِبُ ذَلِكَ عليه ، فقد زعموا أَنَّهُ لا يَنْبغي لأَحَد أَن يَرْجُو المغفرة من الله ، لأَنَّ صاحِبَ الكبائرِ عندهم مُؤْيسٌ من رحمةِ الله عَزَّ وجَلَّ ، وصاحِبُ الصغائر ، وَمَنْ لم يأتِ شيئاً من الذُنُوبِ مُوقِنٌ بمغفرةِ ، فلا ينبغي لأَحد أَن يخافَ الله ، ولا يَرْجُوهُ بزعْمِهِمْ ، فإِنْ قَالُوا : لأَحد أَن يخافَ الله ، ولا يَرْجُوهُ بزعْمِهِمْ ، فإِنْ قَالُوا :

لا ينبغي له أن ييأس من الله ، قيل : إِنَّ الرجاءَ عندكم لا يكونُ إِلاَّ على الشَّكِّ ، لا على اليَقِيْنِ ، فكيف يَجُوزُ أَن يَرْجُوَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ له ، ويُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وقد وَعَدَهُ ذلك ؟ لئن جازَ له ذلك ليجوزَنَّ لك أَن تَرْجُوَ اللهَ أَن يُدْخِلَ رُسُلَهُ الجَنَّةَ وأَن يُؤَاخِذَهُم بِذُنوبِ غيرِهِمْ ، ويَرْجُوَ أَن لا يعذِّبَهُمْ بِكُفْرِ غيرِهم من الكُفَّارِ ، ويَرْجُو أَن لا يعذِّبَكُمْ على الكُفْرِ به وأنتم به مُؤْمِنونَ . ولو جاز ذلك لَجَازَ أَن يَرْجُوَ أَن يكونوا رجالاً ، وأَن يكونوا نِساءً ، وهذا كُلُّهُ غيرٌ جَائِزِ عندهم ، لأَنَّ الرجاءَ والخوفَ عندهم ، لا يكونُ إِلاَّ على الشَّكِّ ، ولا يكونُ على اليَقين ، فإِنْ قالوا : لا يجوزُ ذلك لأَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنه مُدْخِلُ رُسُلَهُ الجَنَّةَ ، وأَنه لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ، وأَنه لا يُجْزَى العِبادُ إِلاَّ بما كَسَبُوا، ولا يُعَذِّبُهُمْ بما لم يُذْنِبُوا.

قيل لهم : وكذلك المُجْتَنِبُ للكَبَائِرِ لا يَجُوزُ له أَنْ يَرْجُوَ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ له وقد وَعَدَهُ ذلك ، بل يَسْتَيْقِنُ أَنْ يَرْجُوَ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ له وقد وَعَدَهُ ذلك ، بل يَسْتَيْقِنُ ذلك ، والموحِّدُون لا يَخْلُو أُحدُّ منهم من أَن يكونَ مُجْتنِباً

للكبائرِ، أو مُصِرًا على بَعْضِ الكَبَائرِ، أو دونَ ذلك، أو كِلاهُما، فحرامٌ عليهم على قولِكُمُ الرجاءُ، والخوف، فحرامٌ على العِباد كُلِّهِمْ بزعْمِكُمْ الرجَاءُ والخوفُ لأَنَّهُ لا يَخْلُو على العِباد كُلِّهِمْ بزعْمِكُمْ الرجَاءُ والخوفُ لأَنَّهُ لا يَخْلُو أَحدٌ منهم من أن يكونَ من إحدي المنزِلتين . وهذا الخُروجُ من الكِتَابِ والسُّنَّةِ وإجْماع ِ الأوّلين والآخرين !!

امتناع العفو:

وَكَذَلِكَ العَفْوُ فِي الآخِرَةِ لا يَجُوزُ أَنْ يكونَ مِنَ الله جَلَّ ذِكْرُهُ على مَذْهَبِكُمْ لأَنه لا يَلْقَى الله إلا صَاحِبُ كبيرة ، قد أُوجَبَ فِي الدنيا ألاَّ يَعْفُو عنه ، وذلك عندكم كُفْرُ إِن اعتقدهُ لأَنَّ الله جَلَّ ذِكْرُهُ ، قد آيسَهُ من ذلك ؛

أو صاحبُ صغيرة غَيْرُ مُصِرِّ (١١١) على كَبيرة ، يُعَدُّ مُجْتنِباً للكبائر كُلِّها فقد عفى (عفا) الله عنه في الدُّنيا ، وقد مات يومَ مات ، وهو مَغْفُورٌ له من أَهْلِ الجنة ، فلا يحتاجُ إلى العَفْو والصَفْح عنه في القِيامة ، وقد فَعِلَ ذلك به في الدُّنيا . وهو في الدنيا يوم مات ،

لأنه قد لَقِيَ اللهَ عز وجل ولا ذَنْبَ له تَجِبُ عليه به العُقوبةُ في الآخرة . وإنما العَفْوُ والصَفْحُ في الآخرة عمن لَقِيهُ ، وهو مستحقُّ للعُقُوبة ، فَصَفَحَ عنه تفضُّلاً عليه ، وذلك عندكم كذب منه لو فَعَلَه. فأمَّا مَنْ لَقيهُ ولا ذَنْبَ له يستوجِبُ به العُقوبة ، فلا يَحْتاجُ إلى العَفْو ، والله عزَّ وجلَّ لا يَلْقاهُ في القيامةِ كافِرٌ ، ولا موحِّدٌ ، إلا صاحِب كبيرة ، او مُجْتَنِبُ لها ، والعَفْوُ في القيامةِ عن صاحِب كبيرة ، او مُجْتَنِبُ لها ، والعَفْوُ في القيامةِ عن هذَيْنِ ساقِطٌ ، فلا عَفْوَ للهِ جَلَّ ذِكْرُهُ في الآخِرةِ على مَذْهَبِكُمْ هَا أَحَد .

وهذا الخُرُوجُ من الكتابِ والسنةِ ، وإِجْماعِ القرونِ من الأَوِّلِيْن والآخِرين .

امتناع شيفاعة النبي:

وكذلك شفاعةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم ، لا تَجُوزُ على قولِكُمْ في الآخِرَةِ ، لأَنَّ صاحِبَ الكبيرةِ ؛ اللهُ معذّبهُ لا مَحَالَةَ ، ولا يَسْتَحِلُّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يَشْفَع فيه ، فيكونُ يطلُبُ إلى اللهِ عَنَّ وجَلَّ ان يُخْلِفَ قَوْلَهُ ، وَيَكُونُ يطلُبُ إلى اللهِ عَنَّ وجَلَّ ان يُخْلِفَ قَوْلَهُ ، وَيَكُونُ يطلُبُ إلى اللهِ عَنَّ وجَلَّ ان يُخْلِفَ قَوْلَهُ ، وَيَكُونُ يطلُبُ إلى اللهِ عَنَّ وجَلَّ ان يُخْلِفَ قَوْلَهُ ، وَيَكُونُ يطلُبُ إلى اللهِ عَنَّ وجَلَّ ان يُخْلِفَ قَوْلَهُ ، وَيَكُونُ يطلُبُ إلى اللهِ عَنَّ وجَلَّ ان يُخْلِفَ قَوْلَهُ ،

وكذلك المجتنبُ للكبائِرِ ، يَلْقَى اللهُ وقد استوجَبَ الإِجارةَ من العَذَابِ ، وقد غَفَرَ اللهُ له ، وأَخبَرَهُ أَنه مُدْخِلُهُ الجَنَّةَ وعداً عليه مؤكَّداً ، فلا يَحْتَاجُ إِلَى الشَّفاعَةِ ، وإِنما يَحْتَاجُ إِلَى الشَّفَاعَةِ المستوجبُ للعذاب ، فـ مَنْ ضَمِنَ اللَّهُ له المَغْفِرَةَ ، وأخبره أنه من أوليائِهِ ، وأنه مُدْخِلُهُ الجَنَّةَ ، وأنه لا يُعَذِّبُهُ ، فلا يَحْتَاجُ إِلَى الشفاعةِ ولو جاز أَن يَشْفَعَ في هذا ، لَجَازَ أَنْ يَشْفَعَ في إِبراهيمَ عليه السَّلامُ أَلاَّ يُعَذَّبَ ، وفي مُوسى ويَحْيى وجميع ِ رُسُلِهِ . واختصَّ محمَّداً بِأَفْضَلِ الصَّلاةِ والتَّسْلِيمِ ، لأَنَّ الوَعْدَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ للمُجْتَنِبِ للكَبَائِرِ ، وَلِرُسُلِهِ أَكْبَر دَرَجَاتِ في الجَنَّةِ ، وأعظم مَنْزِلةٍ عندَ الله جَلَّ ذِكْرُهُ ، قد وَعَدَهُمْ جميعاً أَلاَّ يعذِّبَهُمْ ، ويُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ ، وقد تَولا هُمْ أَجمعين ، فلا شفاعة للنَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلم في القِيامةِ على قَوْلِكُمْ . وهذا رَدُّ للآثار المستفيضةِ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم . والأُمَّةِ كُلُّها جاهِلها وعالِمهِا ، كُلُّهُم يَرْجُونَ شفاعةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ولا يَجُوزُ في قَولِكُمْ ، لأحد في الدنيا (أَن) يَرْجُو شفاعة النبي عليه السَلاَمُ ، ولا أَن يسأَلُها ، لأُنَّه إِنْ كَانَ صَاحِبَ كَبِيرة ،

فعليه أَن يَعْلَمَ أَنَّ النبيَّ عليه السَلاَمُ ، لا يَشْفَعُ إِلَى الله عز وجل فيه ، لأَن (في) ذلك طلباً ان يكْذِبَ قَوْلَهُ ، ويرجعَ عن وعيده .

و إِنْ كَانَ مُجْتَنباً للكبائرِ ، لم يَجُزْ له ذلك لأَنَّ عليه أَنْ يَعْلَم أَنَّ شفاعة النبيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّم في القِيامة لا تَجوزُ بزعمِكُمْ ، وحرامٌ على أحد من العِبادِ ، أَن يَرْجُوَهَا ، أَو يَطْلُبَهَا إِلَى الله عَزَّ وجَلَّ في قولِكُمْ .

فإنّما أنتُمْ قومٌ عَلِطْتُم فجعلتُمُ الخَاصِّ عاماً ، والعَامَّ خَاصًا ، وادَّعَيْتُم على مَنْ خَالَفَكُمْ ، أَنه قد وَصَفَ الله جَلَّ وعَزَّ أَنَّ أَخباره تَتَنَاسَخُ ، وقد دخلتُمْ في مثل ما عِبْتُم ، وَجَوَّزْتُمْ تَعْذَيبَ الرُسُلِ عليهمُ السَلاَمُ والتائبينَ ، عَبْتُم ، وَجَوَّزْتُمْ تَعْذَيبَ الرُسُلِ عليهمُ السَلاَمُ والتائبينَ ، لأَنه وَعَدَ مَنْ عَصَاهُ النَّارَ ، ولم يُسْتثن أَحَدُ ، إلاَّ أَنْ يَقُولُوا إِنَّه أَخبر في آياتٍ أُخرَ أَنَّه لا يعذِّبُ الرُسُلَ عليهم السلامُ ، ولا التَّائبين من المُذْنبِيْنَ. فيُقالُ لَكُمْ : وكذلِكَ قد أَخبر أَنه يَعْفِرُ ما دون الشَرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ من المُذنبيين ، وقد قُلْتُمْ فيمن أَوْجَبَ الله لهم العذاب على الظُلْمِ ، الله لم يُردِ الرُسُلَ عليهم السلامُ ، ولا التَّائبِينَ الله لهم العذاب على الظُلْمِ ، الله لم يُردِ الرُسُلَ عليهم السلامُ ، ولا التَّائبِينَ

ولا أَهْلَ الصُّعَائِرِ ، وان كانت الآية ُ في ظاهِرِ تِلاوتِها عامَّةً ، فلم يَعُمُّهُم ، إِذْ أَخبر في آياتٍ أُخَرَ أَنه لا يُعَذِّبُهُم . وكذلك قولُهُ : « ما على المُحْسِنِين مِنْ سَبيل » (١) وقولُهُ : " إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً » (٢) فَلَزِمَكُمْ آ ا مَنْ أَحْسَنَ مِنْ جميع ِ الخَلْقِ ، ولو مثقالَ ذَرَّةِ ، أَنَّ اللَّهَ يُدْخِلُهُ الجَنَّةَ ، فقلتم : إِنَّ الله قد أُخبر أَنه إِنما يتقبَّلُ اللهُ من المُتَّقِيْنَ ، فقيل لكم : فَمَنِ اتَّقاهُ بِأَقَلِّ التَقْوى ، فقد دَخَلَ في العُمُوم بالقول. (فإِنْ) قُلْتُم: إِنَّما أَرادَ التائبينَ. قيل لكم : وكذلك إنما أراد أن يعذُّب على الكبائر مَنْ يَشَاءُ ، أُو يَغْفِرُ له ، لأَنه قد أُخبر بَعْدَ خَبَرِهِ عن عذابِهِمْ أَنَّه يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ أَنْ يَغْفِرَ له منهم ، ولم يُعْلِمْنَا بهم ، فَمَن استَثْنَاهُ فهو لا مُحَالَةً مَغْفورٌ (١١٢) له ، وإِن كان الاستِثْنَاءُ لم يَقَعْ على أُحدِ بعينِهِ ، إِلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّا بَعْضَهُمْ يُغْفَرُ لهم كما قال، فعلينا أَنْ نَقْطَعَ بما بيَّنَهُ، ونوقِفَ مَا أُوقَفَهُ ، وهو عالِمٌ بِمَنْ يَشَاءُ مَغْرَتُهُ ، ومَنْ يَشَاءُ عَذَابَهُ .

⁽۱) التوبة : ۹۱ . (۲) الكهف : ۳۰ .

القسم السادس

ذكر الناسخ والمنسوخ في الاحكام

فَأُوَّلُ ذَلِكَ معرفةُ السُّورَ المَكِّيةِ والمَدَنيّةِ ، لِيُعْرَفَ أَنَّ ما فيها مِنَ الأَمْرِ ، والأَحْكَامِ نَزَل بمكَّة (أَو بالمدينة (١) فَإِذَا اخْتَلَفَ ، كَانَ الذي نَزَلَ بالمدينةِ هو النَاسِخُ ، لأَنَّه الآخرُ في النُزُول.

حَدَّثَنَا شُرِيحُ بِنُ يونس (" قال : حَدَّثنا أَبو مُعاوية (") عن هشام بِنِ عُروة (") عن أبيه (الله عن أبيه الله عن على عن الله عن أبيه الله عن أنزَلها الله عن وجل بالمدينة ، وما كان من فِي وَلُو الأَمْم والقُرُونِ أُنزِلَ بِمكّة .

⁽١) في الأصل : بمدما نزل بمكة .

⁽٢) شريح : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ، ص ١٦.

⁽٣) أبو معارية (١١٣ – ١٩٥ هـ) محمد بن خازم التميمي السعدي ، مولاهم : أبو معاوية الضرير الكوفي . روى عن خلق منهم هشام بن عروة . وكان ثقة ثبتاً ، و إن شكا المحدثون من إرجائه : تهذيب التهذيب ١٣٧/٩ .

⁽٤) هشام بن عروة بن الزبير (٣٠ – ١٤٥ هـ) أبو بكر . جالس ابن الزبير ، ورأى جابراً وابن عمر . من حفاظ أهل المدينة ومتقنيهم ، ومن الفقهاء السبعة ، وأهل الورع والدين : مشاهير علماء الأمصار . ٨٠

⁽ه) عروة بن الزبير (٢٨ – ٩٤ هـ) ابن العوام ابن خويلد . أمه أسماء بنت أبي بكر ، رضي الله عنهم . كان فقيه المدينة، وعالمها ، ومن أفاضل التابعين، وعباد قريش . كان يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً بالتدبر والتفكر فيذهب فيه عامة يومه : مشاهير علماء الأمصار ٢٤، ، طبقات ابن خياط ٢٠٣/٢ .

قال: وحدّنَنَا شُريح ، قال: حدّثنا سُفيانُ عن مَعْمَوٍ ، عن قَتَادَةَ قَال: السُّورُ المدنيَّةُ: البَقَرَةُ ، وآلُ عِمْرَانَ ، والنِساءُ ، والمائِدةُ ، والأَنْفَالُ ، والتَوْبَةُ ، والرَّنُ ، والنِساءُ ، والنَحْلُ ، والنُورُ ، والأَحزَابُ ، وسورةُ محمَّدِ والحِجْرُ ، والنَحْلُ ، والفَتْحُ ، والحُجُراتُ ، والحَديدُ ، والمُجَادَلةُ ، والمتحنةُ ، والصَّفُّ ، والحُجُراتُ ، والمنافِقونَ ، والمُجَادَلةُ ، والنَساءُ القُصْرَى . ويا أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحِرِّمُ ، (۱) ولمُ أَحَدُ ، (۱) وقُلْ هُوَ ولم يَكُن (۱) ، وإذا جاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ ، (۱) وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ ، (۱) وهو يَشُكُ في أَرأَيْتَ (۱).

حَدِّثَنَا عبدُ الله بنُ بكر قال : حَدَّثَنَا سعيدٌ عن قَتَادَةَ قال : إِنَّ الذي أُنزِلَ بالمدينةِ : البقرةُ ، وآلُ عِمْرانَ ، والنِساءُ ، والمائدةُ ، وآيةٌ مِنَ الأَعْراف « واسأَلْهُمْ عن القَرْيَةِ التي كانت حاضِرَةَ البحر » (١) والأَنْفَالُ ، وبراءَةُ ، والرَعْدُ ، غير آيةٍ منها مَكِّية « ولو أَنَّ قرآناً سُيِّرَتْ به والرَعْدُ ، غير آيةٍ منها مَكِّية « ولو أَنَّ قرآناً سُيِّرَتْ به الجِبالُ » (٧) إلى آخِرِ الآية . ومن إبراهيم إلى قوله :

١)٠ سورة التحريم . (٢) سورة البينة . (٣) سورة النصر .

 ⁽٤) سورة الاخلاص . (٥) سورة الماعون . والشاك قتادة .

^{«(}٦) الاعراف: ١٦٣. (٧) الرعد: ٣١.

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً » (") إِلَى آخِرِ الآيةِ ، والحجُّ (٢) ، غير أُربع ِ آياتِ منها مَكِّيَّةِ أُوَّلُهُنَّ. « وما أَرْسَلنَا من قَبْلِكَ من رسولِ ولا نبي إلا اذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَيْطانُ في أُمنِيَّتِهِ » (٣) إلى عذابِ يوم عقيم ، والنورُ ، وعشرُ آياتِ من العَنْكَبُوتَ ، والأَحْزابُ ، وسُورةُ مُحمَّدِ صَدَّى الله عليه وسَلَّمَ ، والفَتْحُ ، والحُجُراتُ ، والرحمنُ ، والمُجَادَلَةُ ، والحَشْرُ ، والمتحنةُ ، والصَّفَّ ، والجُمْعَةُ ، والمُنَافقُون ، « ويا أَيُّها النَّبيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِساء » (١) ويا أَيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ، (٥) ولم يَكُنْ الذين كَفَرُوا من أَهْلِ الكِتَابِ (٦) ، وإذا زُلْزِلَت ، (٧) وإذا جَاءَ نَصْرُ الله ، (^) ، وبقيةُ السُّور مَكِّي ()

قال وحَدَّثَنَا عبد الله (١٠) قال : حَدَّثَنَا أُسامةُ (١١) عن

ابراهیم : ۲۸ . (۲) أي سورة الحج . (۳) الحج : ۵۲ .

⁽١) الطلاق : ١ (٥) التحريم : ١ (٦) سورة البيئة

⁽٧) سورة الزلزلة (٨) سورة النصر

⁽٩) الإتقان ١١/١ : نزلت بالمدنية سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والرحمن والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويا أيها النبي لم تحرم إلى رأس العشر ، وإذا زلزلت واذا جاء نصر الله ، وسائر القرآن نزل بمكة .

⁽١١) أسامة بن زيد الليثي (٧٩ – ١٥٣ هـ) أبو زيد المدني. روى عن جماعة من التابعين. وروى. عنه الا 'ممة ، الا أنه حفظه تغير في آخر عمره . قال ابن حبان : يخطى، ، وهو مستقيم الأمر ، صحيح الكتاب : تهذيب التهذيب ٢٠٨/١ .

الأَعْمَش عن المُسَيِّبِ (١) ، عنِ عَلْقَمَة قال : ما كان في القَّر آنِ « يا أَيُّها النَّاسُ » فهو مكِّيُّ ، وما كان « يا أَيُّها الذين آمنوا » ، فهو مَدَنيُّ .

قال : ذَكَرَ سُفيانُ ، عن الأَعْمشِ ، عن ابراء، ، عن عَنْ ابراء، ، عن عَلْقَمَةً ، بِنَحْوه .

قال: حدثنا شُريح قال: حدَّثنا مروانُ بنُ معاوية (") عن سلمة بن نبيط (") عن الضّحَّاكِ (") ، قال: كُلُّ آية أُنزِلَتْ: «يا أَيُّها الذين آمنوا » بالمدينة ، و «يا أَيُّها الذين آمنوا » بالمدينة ، و «يا أَيُّها الذين آمنوا » بِمَكَّة (٥) .

华 华 华

 ⁽١) المسيب بن شريك : أبو سعيد التميمي الشقري الكوني . عن الأعمش. تركه يحيى وأحمد والبخاري ومسلم والدارقطني . روى بعض المناكير : ميزان الاعتدال ١١٤/٣ .

^{·(}٢) مروان بن معاوية (– ١٩٣٠ هـ) ابن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي ، نزيل دمشق . وثقه أكثر الأئمة : تذكرة الحفاظ ٢٩٥/١ .

⁽٣) سلمة بن نبيط : بن شريط الأشجعي ، عن أبيه . قال البخاري : يقال اختلط بأخرة . وقال وكيع وجماعة : ثقة . وقد لحقه أبو نعيم وكان يفتخر بلقيه . روى عن جماعة بينهم الضحاك بن مزاحم : ميزان الاعتدال ١٩٣/٢ .

⁽٤) الضحاك بن مزاحم (- ١٠٥ هـ) مختلف في سماعه عن الصحابة . وثقة الأئمة . واشتهر بالتفسير . وروى عنه البخاري في تفسير قوله تعالى : ثلاثة أيام إلا رمزاً ، وكان معلم صبيان . ابن سعد ١٠١/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ١٩٤ ، تهذيب ٤٧٥٤ ، المحبر ٤٧٥ .

⁽٥) الإتقان ١٧/١ : قال ابن الحصار : اعتلى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث ، واعتمدوه على ضعفه، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنية، وأولها يا أيها الناس، وعلى ان الحج مكية وفيها =

فأما الناسخ والمنسوخ في الأحكام فهُو على وُجوهٍ شَتَّى ، منها خُصوصٌ ، ومنها عُمومٌ ، حدّثنا سعيد قال : حدّثنا أبو سُفيان ، عن مَعْمر ، عن قَتَادَةَ في قولِهِ عَزّ وجَلَّ : «نأَت بخيرٍ مِنْها أو مِثْلَهَا» (١) يقول : فيها تَخْفيفٌ ، وفيها رُخْصةٌ ، وفيها أَمْرٌ ، وفيها نَهْيٌ .

قال: وحدَّنَنَا حَجَّاج عن ابن جُرَيْج ، عن مُجَاهِد في قولِهِ تعالى: « مَا نَنْسِخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا » (") نُتْبِتُ خَطَّها ، ونُبدِّلُ حُكْمَها.

فالباب الأول: ما رُفِعَ رسمُهُ من الكِتاب ، ولم يُرفَعُ حفظُهُ من القُلُوب ، فأَثْبت حُكْمَــهُ بِسُنَّةِ نَبيّهِ يُرفَعُ حفظُهُ من القُلُوب ، فأَثْبت حُكْمَــهُ بِسُنَّةِ نَبيّهِ عليه السلام ، مِنْ ذلكَ آيةُ الرَجْم. قال عُمَرُ رَضِيَ الله عنه: إِنَّا كُنَّا نَقْرأُ : « الشيخُ والشَيْخةُ إِذا زَنيَا فارجُمُوهُما أَلِنَّة » .

يا أيها الذين آمنوا ... وقال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان سماعي وقياسي. فالسماعي: ما وصل الينا نزوله بأحدهما . والقياسي : كل سورة فيها يا أيها الناس فقط ، أوكلا، أو أولها حرف تهج سوى الزهراوين والرعد، وفيها قصة آدم و إبليس؟ سوى البقرة ، فهي مكية ، وكل سورة فيها فريضة أوحد مدنية .

⁽١) سورة البقرة : ١٠٦.

⁽٢) سورة البقرة : ١٠٦ .

قال: وحَدَّنَا مُعاوية (١) ، عن أبي إسحاق (٢) : عن الأوزاعي (٣) عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة (٤) : قال : سَمِعْتُ أَنَسَ بنَ مالِك (٥) يقول : كُنَّا نقولُ فيما نُسِخَ (أَنْ بَلِّغُوا إِخُوانَنَا أَنَّا قد لَتِيْنَا رَبَّا فَرَضِيَ عَنَا ، ورضِيْنا عنه . »

وقولُهُ : « إِنَّا أَنْزَلْنَا هذا المَالَ لإِقامِ الصَلاَةِ ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ . »

⁽۱) معاوية (۱۲۸ – ۲۱۶ هـ) ابن عمرو بن المهلب الأزدي الكوفي ، أبو عمرو البغدادي . روى عن جملة من الثقات . وعنه: البخاري وكثيرون منهم الحارث المحاسبي. وأخطأ ابن حجر فقال : الحارث بن أبي أسامة : تهذيب التهذيب ۲۱۰/۱۰ .

⁽٢) أبو إسحاق الفزاري (- ١٨٨ هـ) ابراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، أبو إسحاق الكوفي . كان مولده بواسط . سكن الشام ، ورابط في المصيصة . روى عن مالك وشعبة والثوري والأوزاعي ... والأوزاعي تبادل معه الأخذ والعطاء ، كان ثقة ، ثبتاً ، حجة : مشاهير علماء الأمصار ١٨٨٠ ، تهذيب التهذيب ١٥١/١ .

⁽٣) الأوزاعي (٨٨ - ١٥٧ هـ) عبد الرحمن بن عمرو . والأوزاع : بطن من همدان ، وهو من أنفسهم . كان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلا خيراً ، كثير الحديث والعلم والفقه ، حجة . سمع من خلق من الثقات . وكان شديدا في دينه . وابط في بيروت . وتوفي فيها . وقبره مشهور يزار : طبقات ابن سعد ١٨٥/٧ ، طبقات ابن خياط ٢٨٠/٢ ، تاريخ ابن خياط ٢٨٦٦٢ ، مشاهير علماء الأمصار ١٨٠ ، حلية الأولياء ٢٥٥٦ ، ميزان الاعتدال ٣/٠٨٠ ، تاريخ الإسلام ٢/٢٧١ ، تذكرة الحفاظ ١٧٨١ ، العلو للعلي الفغار ١٠٠ ، العبر ٢٢٧١ ، البداية والنهاية ١١٥/١ ، تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ ، حسن المساعي في مناقب الأوزاعي لأبي يوسف .

⁽٤) اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة (– ١٣٢ هـ) الأنصاري . من حفاظ أهل المدينة ، ومات بها . روى عنه خلق منهم الأوزاعي : مشاهير علماء علماء الأمصار ٦٧ .

⁽ه) أنس بن مالك (٨ ق . ه – ٣ ٩ ه) خادم رسول الله (ص) وأحد المكثرين في الرواية عنه : الإصابة ٧١/١ .

وفي مُصْحَفِ عائِشَةَ قَبْلَ أَن يُغَيِّرَ عُثمانُ رَضِيَ الله عنهُما المَصَاحِفَ ، إِلَى مُصْحَف واحِد « إِنَّ الله وملائكته يُصَلُّون على الصَّفِّ ، (١١٣) الأَوَّل » بعد قوله « وسَلِّموا تَسْلِيماً » (١) .

وقال كُنَّا نَقْراً « لا تَرْغَبُوا عن آبائِكُمْ ؛ فإِنَّه كُفْرُ ؛ فإِنَّه كُفْرُ ؛ فإِنَّه كُفْرُ ؛ فإن ذلك ما رُوي : « النَّبِيُّ أُولَى بالمؤمنينَ من أَنفُسهِم – وهو أَبُ لهم – وأزواجُهُ امَّهاتُهم » وكانت فيما أُسقِط ، وفي حرف أُبَيٍّ : وهو أَبُ لَهُمْ ، فليس ذَلِكَ في الرَغْبةِ ، وإنما ذلك في وهو أَبُ لَهُمْ ، فليس ذَلِكَ في الرَغْبةِ ، وإنما ذلك في الولايةِ ، ولا يكونُ في الرغبةِ إلاَّ ما كان مِنْ صُلْبِ الرَجُلِ . وقال النبيُّ عليه السلامُ « مَنْ تَرَكَ مالاً فِلوَرَثَتِهِ ، وقال النبيُّ عليه السلامُ « مَنْ تَرَكَ مالاً فِلوَرَثَتِهِ ،

وقوله: اللَّهُمَّ إِنَّا نستعينُكَ ، ونستهديْكَ ونَسْتَغْفِرُكَ : إلى قولِهِ « الجِدّ » (٢) ، ولو أن لابن آدَمَ وادِيَيْنِ مِنْ مالٍ

وَمَنْ تَرَكَ كَلاًّ فَعَلَىَّ » .

⁽١) الاحزاب : ٥٦ .

⁽٢) فتح القدير ٣٠٦/١ : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك . اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد؛ نرجو رحمتك، ونخاف عذابك . إن عذا بك الجد ، بالكفر ملحق .

﴿ لَابْتَغَا ﴾ إِليهما ثَالِثاً . وكان بعد ذلِكَ هذا الكلامُ مُثْبَتاً فِي مُصْحَفِ أُبِيً . وقوله : « حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ والصَلاَةِ الوُسْطَى » ، صلاةِ العصر .

وفي مصحف عائشة رضي الله عنها: « وجاهِدُوا في الله حَق جِهادِهِ » ، كما جاهَدْتُم أُوَّلَ مَرَّة . فَنُسخ ذلك كُلُّهُ وأَبْدَلَ أَحكامُهُ بالسُّنَّة .

ثَبَت الرَجْمُ بالسُّنَّة . وأُوجَبَ النبيُّ عليه السلامُ على أُمَّتِهِ ، أَلاَّ ينتفيَ أَحدُ من والدِهِ ، فقال « من انتفَى من أُمَّتِهِ ، أَلاَّ ينتفي أَحدُ من والدِهِ نقال « من انتفَى من أبيه أو ادّعي إلى غير موالِيهِ فعليه لَعْنَهُ الله » .

ونهى عليه السلامُ عن الحِرْصِ الذي يُخْرِجُ إِلَى طَلَبِ مَا لا يَحِلُّ . وقوله « انَّا نستعينُكَ ونستغفِرُك » يقنُتُ بها المُسْلِمونَ في صَلاَتِهِمْ . وكذلك «وجاهِدُوا في الله حَق جهادِه » وأوجَب على العِبَادِ أَن يَفْعَلُوهُ ، وأن يقوموا بذلك لله جَلَّ ذِكْرُهُ ، وقد جاءَتْ بذلك أحاديثُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسَلَّمَ أَنَّهم شَهِدوا أَنَّ هذهِ الآياتِ ، كانت مما أَنْزَلَهَا الله عَليه وسَلَّمَ أَنَّهم شَهِدوا أَنَّ هذهِ الآياتِ ، كانت مما أَنْزَلَهَا الله عَليه وسَلَّمَ أَنَّهم شَهِدوا أَنَّ هذهِ الآياتِ ،

قال وحدَّنَذَا شُريحُ ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيى بن أبي

بُكير ، عن فُضَيل بن مرزوق (١) ، عن شَقيقِ بن عُقْبة (١) ، عن البراء بن عازب (٣) قال: أُنزلَتْ هذه الآيةُ «حافظوا على الصَلُواتِ وصلاة العصر » وقرأناها على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما شاء الله أنْ نقرأ ثم نَسَخَها ، فأَنزل الله : « حافِظُوا على الصلواتِ والصلاةِ الوُسْطَى » (٤) فحفظَتْهَا الأُمّةُ . فَمِنْهُم مَنْ قال : نَزَلَتْ ، ثم رُفِعَتْ ، وهي ثابتَةٌ في السُّنَّةِ أَنها صلاةُ العَصْرِ ، ومنهم مَنْ يَقولَ: بِل رُفِعْتُ ، وصلاة الوسطى غيرُها ، ثُمَّ اختلفوا أَيَّ صلاةٍ هي : إِلاَّ أَنه قد رُويَ عن عليٌّ ، وعبدِ الله ، عن َّالنبي صَلَّى الله عليه وسَلَّم ، أَنَّها صَلاَةُ العَصْر .

وقال « وجاهِدُوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ» كما جاهدْتُم أُوّلَ مَرَّة . فالجهادُ ثُنابِتُ ، والحَكْمُ به ثابتُ ، والرَسْمُ من الكِتابِ مَرْفوعُ .

 ⁽١) فضيل بن مرزوق : الأغر الرقاشي . الكوفي ، مولي بني عنزة . روى عن السبيعي وعطية العوفي
 وشقيق بن عقبة . وعنه خلق . أخرج له مسلم ، ووثقه أكبر الأئمة : تهذيب التهذيب ٢٩٨/٨ .
 في الأصل : ابن مروان .

⁽٢) شقيق بن عقبة العبدي الكوفي: روى عن البراء وقرة بن شريك. وعنه الأسود بن قيس وفضيل بن مرزوق ومسعر . له في مسلم هذا الحديث الذي رواه الحارث . وثقه أبو داود وابن حبان : تهذيب التهذيب ٣٦٣/٤ .

 ⁽٣) البراء بن عازب (١١ ق . د - ٧٢ ه) شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) باستثناء بدر الصغرى : الإصابة ١٤٧/١ .

⁽٤) البقرة : ٢٣٨ .

قالَ وحَدَّثَنَا ابنُ أبي مَرْيم (۱) ، عن نافع بن عُمَر (۱) ، عن البن أبي مُلَيْكَة (۱) ، عن المِسْور بنِ مَخْرَمَة (۱) ، أنَّ عمر (۱) قال لعبد الرحمن بنِ عَوف (۱) : ألم تَجِدْ فيما أنزلَ اللهُ أَنْ (جاهِدُوا كما جاهدْتُم أوّلَ مرة » ؟ قال بلى ، ولكن أسقط من القرآن.

والباب الثاني: أَن يُرْفَعَ حُكْمُهُ مِن الآيةِ بِآيةِ أُخرى ، ويَبْقَى رَسْمُهُ فيما أُسْقِطَ ثابتاً في كتاب الله عَزَّ وجلَّ ، من ذلك قولُهُ عَزَّ وجلَّ : « وصيةً لأَزواجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الحول غيرَ إِخْرَاجِ » (» . ومنه « إِنْ يَكُنْ منكم عِشرونَ صَابِرُون » (»)

⁽۱) ابن أبي مريم : نوح بن جعونة المروزي ، أبو عصمة القاضي ، المعروف بنوح الجامع ، أخذ عن أبي حنيفة ، وولي القضاء في حياته . قال الحليلي : أجمعوا على ضعفه ، وكذبه ابن معين : تهذيب التهذيب ٤٨٩/١٠ .

 ⁽۲) نافع بن عمر الجمحي : الحافظ المكي . روى عن جماعة بينهم ابن أبي مليكة . وعنه يزيد بن
 هارون وابن المبارك والقطان . وكان إماماً ، ثبتاً ، حجة : تهذيب التهذيب ٤٠٩/١٠ .

 ⁽٣) ابن أبي مليكة (– ١١٧ ه) عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة التيمي المكي . كان قاضيا لابن الزبير ومؤذناً له. روى عن العبادلة الأربعة . وأدرك أربعين من الصحابة . وأخذ عنه خلق بينهم نافع بن عمر الجمحي ، وثقه الأممة : تهذيب التهذيب ٣٠٩/٥ .

⁽٤) مسور بن مجنرمة (٢ – ٧٤ هـ) حج مع النهي صلى الله عليه وسلم ، وحفظ جوامع أحكام الحج ، واستوطن المدينة ، وتوفي فيها : مشاهير علماء الأمصار ٢١ .

⁽ه) عمر بن الخطاب (٤١ ق . ه – ٢٢ ه) أمير المؤمنين ، منشىء الدولة الإسلامية ، أحد العشرة المبشرة ين بالجنة : مشاهير علماء الأمصار ه .

⁽٦) عبد الرحمن بن عوف (٤٧ ق . ه – ٢٨ ه) الصحابي الجليل . أحد العشرة : مشاهير علماء الأمصار ٨ .

⁽v) البقرة : ۲٤٠ . (A) الانفال: ٦٥ .

﴿ الآية) . وقوله ﴿ فأَمسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ » (١) . وقولُهُ : ﴿ تَلاثَة قُرُوء » (١) ، ﴿ وأُولاتُ الأَحمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يضعْنَ حَمْلَهُنَّ » (٣) ، وقولُهُ : ﴿ إِنْ تَرَكَ خيراً الوصيّة للوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِيْنَ » (٣) . وقولُهُ : ﴿ إِنْ تَرَكَ خيراً الوصيّة للوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِيْنَ » (٤) .

وَكَذَلِكَ قوله: « فَذَرْهُم » و « اصفَحْ عنهم » و « أَعْرِضْ عنهُم » و « ما أرسلناك عليهم و كيلا » (٥) و « ما أرسلناك عليهم و كيلا » (٥) و « ما أرسلناك عليهم و كيلا » (٥) و « الست عليهم بمسيطر (٧) » ، وقولُهُ عليهم حَفِيظاً »(١) و « لست عليهم بمسيطر (٧) » ، وقولُهُ عزّ وجَلَّ: « فإن اعتزلُوكُمْ فلم يُقاتِلُوكُمْ ، وألقوا إليكم السَلَمَ فما جَعَلَ اللهُ لكُم عليهم سبيلاً » (٨) فَنَسَخَ ذلك قُولُهُ تبارك وتعالى « واقتُلُوهم حيث وجدْتُمُوهُمْ »(١) » ، وقاتِلوا الذين لا يؤمِنون بالله ولا باليوم الآخر (١٠) » ، «وقاتِلوا الذين يُقَاتلُون بأنَّهُم ظُلِمُوا » (١١) .

والباب الثالث: أَن يُرْفَعَ رَسْمُهُ من الكِتابِ ، ويُرفَعَ حِفْظُهُ مِن الكِتابِ ، ويُرفَعَ حِفْظُهُ مِنَ القُلُوبِ وَحُكْمُهُ ، فمن ذَلِكَ ما حدّثنا اسمعيلُ

⁽١) النساء: ١٥ . (٢) البقرة : ٢٢٨ . (٣) الطلاق : ٤ .

⁽٤) البقرة : ٨٠ . (٥) الاسراء : ٥٥ . (٦) النساء : ٨٠ ، الشورى ٤٨ .

⁽v) النساء : ۹۰ . (۱) النساء : ۹۰ . (۱) النساء : ۸۹ .

⁽١٠) التوبة : ٢٩. (١١) الحج : ٣٩.

بنُ سليمانَ بنِ داود الهاشمي (۱) قال : حدّثنا ابنُ جعفر ، عن المُبارَك (۱) ، عن عاصِم عن زرِّ عن أبي قال : قال لي أبي نا زر إنْ كانت سُورَه الأَحزابِ لَتَعْدِلُ سُورة البَقَرة .

قال: وحدَّثَنَا حَجَّاجُ بنُ حَمَّادِ بن سَلَمَةً ، عن علي بن زيد (۱) ، عن أبي الأَسْودِ (۱) ، عن أبي مُوسى الأَسْعريِّ (۷) ، قال: أُنزِلَتْ سُورةٌ نَحْوَ بَرَاءَةً ، ثُمَّ رُفِعَتْ ، وحُفِظَ منها: إِنَّ الله سيؤيِّدُ هذا الدِّينَ بقوم لا خَلاَق لَهُمْ .

⁽١) لا يعرف .

 ⁽۲) المبارك (- ۱۹٤ ه) بن فضالة القرشي ، مولي عمر بن الخطاب . من صالحي أهل البصرة وقرائهم ، وكان رديء الحفظ : مشاهير علماء الأمصار ۱۵۸ .

 ⁽٣) زر بن حبيش (٣٧ ق . ه – ٨٣ ه) مخضرم ، لقي عمر وعلياً وابن عوف وأبياً . وكان.
 ثقة ، كثير الحديث : ابن سعد ٧١/٧ ، تذكرة الحفاظ ٧/١٥ .

على بن زيد بن جدعان (- ١٣١ هـ) أبو الحسن القرشي التيمي البصري . أحد علماء التابعين .
 روى عن أنس وأبي عثمان النهدي وسعيد بن المسيب . وعن شعبة وعبد الوارث وخلق . ضعف في .
 آخر عمره : الميزان ١٢٧/٣ .

⁽ه) أبو حرب (– ١٠٨ هـ) ابن أبي الأسود الدؤلي البصري . روى عن أبيه و جماعة . وعنه قتادة والقطان وابن جريج . قال ابن عبد البر : هو بصري ثقة : تَهذيب التهذيب ٦٩/١٢ .

 ⁽٦) أبو الأسود (– ٩٩ هـ) الدؤلي . ظالم بن عمرو بن سفيان . روى عن الصحابة كعمر وعلى وابن عباس وأبي موسى. هو الشيخ الأول لرجال النحو المسلمين . وثقه الأعمة : مشاهير علماء الأمصار ٩٤ .

⁽٧) أبو موسى الأشعري (٢١ ق . د - ٤٤ ه) الصحابي الحليل ، ولي البصرة والكوغة زماناً :. مشاهير علماء الأمصار ٣٧ .

حَدَّثَنَا القَاسِمُ بن سَلاَّم قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ صالح ، (١١٤) عن ليث (۱) ، عن عُقيل (۱) ، عن ابنِ شهاب (۳) ، عن أمامة (۵) ، أنَّ رجُلاً كانتُ معه سورةٌ فقام يقرأ من الليلِ فلم يَقْدِرْ عليها ، وقام آخر يقروُها فلم يقدِرْ عليها ، فقال النبيُّ عليه السلامُ : إنها نُسِخَتِ البَارِحَة .

وحدَّثَنَا شُريح (٥) قال : حدَّثنا بكَّارُ بنُ عبدِ الله

 ⁽١) الليث (٩٤ – ١٧٥ هـ) بن سعد الفهمي ، المصري . كان أحد أثمة الدنيا فقهاً وورعاً وفضلا وعلماً ونجدة وشجاعة وسخاء . روى عن خلق منهم عقيل وهو من أقرانه : مشاهير علماء الأمصار ١٩١ .

 ⁽۲) عقيل (– ۱۶۲ هـ) بن خالد الايلي القرشي الأموي : مولي آل عثمان بن عفان . من متقني أصحاب الزهري وصالحي الايليين : مشاهير علماء الأمصار ۱۸۳ .

⁽٣) ابن شهاب (٥١ – ١٧٤ هـ) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله المدني الزهري . سمع من سعد وأنس بن مالك وخلق . كان من أحفظ أهل زمانه للسنن ، وأحسنهم لها سياقاً ، وكان فقيهاً فاضلا : طبقات ابن خياط ٢٧/٢، ، تاريخ ابن خياط ٢٣٠/٣، ، مشاهير علماء الأمصار ٦٦ ، العبر ١٥٨/١ ، تاريخ الإسلام ١٣٦/٥ ، البداية والنهاية ٩/٠٤٠ ، تهذيب التهذيب ١٩٥٥ .

⁽٤) أبو أمامة (٢٠ ق . ه – ٨٦ ﻫ) صدي بن عجلان الباهلي، الصحابي المدروف . العبر ١٠١/١

 ⁽٥) شريح (٢٩ ق . ه – ٧٩ ه) القاضي ابن الحارث بن قيس الكندي . ولي قضاء الكوفة من أيام عمر ، إلى أيام الحجاج . كان علماً ، ثقة ، ثبتاً ، شديدا في أمر الله ، حلو الروح : طبقات ابن سعد ٢/٠٠ ه – ١٠٠٠ .

الرَبَذي (۱) ، عن موسى بن عبيدة (۱) قال : سَمِعْتُ محمَّد بن كَعْب (۱) يقولُ في هذه الآيةِ : « يَمْحُو الله ما يشاءُ » قال : ما أُنْسِيَ النبيُّ صَدَّى اللهُ عليه وسَدَّم والمُسْلِمُونَ بعدما قَرَؤُوهُ .

والباب الرابع: أن يُرفَعُ رسمُهُ من الكِتاب ، ويبقى حِفْظُهُ فِي القُلُوب ، ويُرْفَع حُكْمُهُ ، من ذلك ما رَوَتْ عائِشةُ أَنه كان فيما أَنزلَ اللهُ أَلاَّ يُحَرِّمَ إِلاَّ عَشْر رَضَعَات ، والأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ أَنَّ حُكْمَ العَشْرِ رضعات غيرُ لازم في الكتاب ، ولا في السُّنَّة ، وإنما اختلف العُلماءُ في رَضْعة أو خمس رضعات ، ولم يَقُلْ أَحدُ ما فوقَ الخمسة .

قال : وحدَّثَنَا عبدُ الغَفار بن داود (١) ، عن ابنِ

⁽١) بكار بن عبد الله الزبدي : عن عمه موسى بن عبيدة . لا بأس ببكار ، لكنه ضعف من أجل عمه موسى بن عبيدة : الميزان ٣٤١/١ . وفي الأصل : الزيدي .

 ⁽۲) موسى بن عبيدة (– ۱۵۳ هـ) الربذي : عن نافع و محمد بن كعب القرظي . وعنه شعبة ، وروح بن عبادة وعبيد الله و جماعة . قال يعقوب بن شيبة : صدوق. ضعيف الحديث جداً : ميزان الاعتدال ۲۱۳/۳ .

 ⁽٣) محمد بن كعب (- ١٠٨ ه) بن سليم القرظي ، من عباد أهل المدينة ، وعلمائهم بالقرآن :
 مشاهير علماء الأمصار ٥٠ .

⁽٤) عبد الغفار بن داود (١٤٠ – ٢٣٤ هـ) البكري، أبو صالح الحراني . ولد بإفريقية ، ونشأ وتعلم بالبصرة . روى عنه ابن لهيعة والليث وحماد بن سلمة وابن عيينة و جماعته . وعنه : البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه : تهذيب التهذيب ٣٦٥/٦ .

لهيعة (۱) ، عن عَمْرو بنِ دينارِ (۲) (النبيُّ أولى بالمؤمنينِ من أَنْفُسِهِم . وهو أَبُّ لهم » ثم قال : وكانت فيما أُسْقِط .

قال: وحدَّثَنَا سُنيد (٣) قال حَدَّثنا أَبو سُفيان عن مَعْمَر عن الزُّهريِّ قولُهُ تعالَى: (النَّبيُّ أُولى بالمؤمِنينَ من أَنْفُسِهِمْ _ وهو أَبُ لهم _ وأَزواجُهُ أُمَّهاتُهُم »

قال وحدَّثَنَا حَجَّاجٌ عن ابن جُريج عن مُجَاهد: «النبيُّ أولى بالمؤمنينَ من أَنفُسِهِم - وهو أَبُّ لهم ». فالأُمّةُ اليومَ مُجْمِعةً أَنَّ النبيَّ عليه السلامُ ليس بأب للمؤمنين. وقد قال اللهُ عز وجل: «ما كان محمدٌ أَبَا أُحدٍ من رجالِكم » (٤) (الآبة).

والباب الخامس: أَن يُرفعَ الرسمُ ، ويُرفَعَ الحُكْمُ ،

⁽۱) ابن لهيمة (۷۰ – ۱۷۶ هـ) عبد الله بن لهيعة الحضرمي . أبو عبد الرحمن المصري . روى عن خلق ، وروى عنه كثيرون . ضعفه أكثر الأعمة ، لحطئه ونسيانه لا لكذبه : تهذيب التهذيب ۳۷۳/۵ .

 ⁽۲) عمرو بن دينار (۲۶ – ۱۲٦ هـ) الأثرم ، كنيته أبو محمد ، من متة في التابعين ، وأهل الفضل
 في الدين : مشاهير علماء الأمصار ٨٤ .

⁽٣) سنيد بن داود : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ، ص ١٦ .

^(؛) الأحزاب : ٠٠ .

إذا كان الحُكْمُ لِعِلَّة ، فانْقَضَتْ تلك العِلَّةُ . وذلك كقولِهِ عَزَّ وجَلَّ : « وإِن فاتكم شَيْءٌ مِن أَزواجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُم » (() (الآية) . فكان إذا جاءَتِ امرأة من الكُفَّارِ إِلَى المؤمنين أعطى النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم زوجَها صَدَاقَهَا ، من الغَنَائِم ، وذلك قولُه تعالى : « وإِن فاتكُم شَيْءٌ من أَزواجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الذين ذهبت أَزواجِهُم مثل ما أَنفقوا » (() فإن عاقبتُمْ يعني إِنْ غنمتم ، وذلكم فأعطوا زَوْجَها مثل ما ساق إليها من الصَّداق ، وذلكم الشُّه عليه وسلم وكُفَّارِ الله عليه وسلم وكُفَّارِ الله عليه وسلم وكُفَّارِ مَكَةً

وقال جَلَّ مِنْ قائل « اذا جاءَكم المؤمناتُ مُهاجِراتِ فامتحِنُوهُنَّ » (٣) إِلَى قوله « ذلكُم ْ حُكْمُ الله يَحْكُمُ بينكُمْ » (٤) وهذا في الصَّلْح بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وكُفَّارِ أَهْلِ مكَّة ، فَنُسِخَ ذلك إِذ زالَ الصَلْحُ ، وفَتِحَتْ مكة ، فأيسِخَ ذلك إِذ زالَ الصَلْحُ ، وفَتِحَتْ مكة ، فأيسِخ فلك إِذ زالَ الصَلْحُ ، وفَتِحَتْ مكة ، فأيسِخ فلك إِذ زالَ الصَلْحُ ، وفَتِحَتْ مكة ، فأيسِخ فلك إِذ زالَ الصَلْحُ ، وفَتِحَتْ مكة ، فأيسَا من المُشْرِكين لم يَجِبْ أَن يُعطُوا زَوجَهَا شيئاً ، وكذلك الكُفَّارُ ليس واجباً في الحُكْم أن يعطُوا في عطُوا

 ⁽١) المتحنة : ١١ . (٢) المتحنة : ١١ . (٢) المتحنة : ١٠ . (٤) المتحنة : ١٠ .

أَزُواجَ مَنْ هرب إِليهم من المسلمين.

ومنه تَوْقيتُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ للنبيِّ عليه السَّلامُ استغفارَهُ لبعض مَنْ كان أَظْهَرَ له الإِيمَانَ ، وأَسَرَّ النِفاقَ ، ثم نَسَخَهَا الله فنهاهُ عن الاستِغْفارِ لَهُمْ .

⁽۱) عاصم بن عدي (۷۰ ق . ه – ۴۰ ه) العلوي العجلاني . كان سيد بني عجلان . شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) عدا بدرا ، اذ و لاه الذي بعض نواحي المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره : الإصابة ٤/٥ .

⁽٢) المنمق ٤٦٧ : أسماء المنافقين ... منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله « لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ومعتب القائل يوم الأحزاب : يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته ، وهو الذي اتجه إلى كاهن عندما دعاه المسلمون للاحتكام إلى رسول الله في نزاع معه .

ولم نجد من المنافقين من أسمه الحكم بن يزيد ، بل هناك رافع بن زيد ، ويزيد بن جارية ، وبشير بن زياد . راجع ابن هشام ٢٠/٢ه .

⁽٣) التوبة : ٨٠.

السلامُ: لا تستغفِرْ قَدْ نهاكَ الله ، فقال النبيّ عليه السلامُ: يا عم أُولاً أستغفر إحدى وسبعين مرة ؟ وكان ظاهِرُهُم ظاهِرَ الإسلام فاطُّلع اللهُ على نِفَاقِهِمْ ، وليس احدُّ يعلمُ ذلك بعد النبيِّ عليه السلام لأَنه وَحْيٌ من الله جَلَّ ثَمَاوُهُ فهكذا كَانَ ، ثُمَّ انْقَضَى حُكْمُهُ فَنُسِخَ التَخْييرُ للنَّبيِّ في أَكثر من السَّبْعين ، إِذ حُرِّمَ عليه أَنْ يستَغْفِر لهم سبعينَ مَرَّةً ، ولم يَنْهَهُ عن أَكْثَر من ذلك ثُمَّ نَهَاهُ اللهُ عزَّ وجلّ بعد ذلك عن الاستِغْفار أَلبتَّة بقوله : « سَواءٌ عليهم أَستخفَرْتَ لهم ، أَمْ لم تستخفِرْ لهم لن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ » (١) وهذا لا يَجُوزُ أَن يكونَ لأَحَدِ بعد النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسُلَّم.

ومنه ما اختلفوا في الآية الثانية (هل هي) زيادة حكم المعرق أم ناسِخة لأولى من ذلك ما أنزل من الهجرة ثم أنزل بأمره بالقِتال عليها. فقال قوم نُسِخَت بعد الهجرة بغير قِتَال عَرَض للمُهَاجِر ولا رُخْصَة له في الرُجُوع ، وكانَت له رُخْصَة أُولاً.

⁽١) المنافقون : ٦ .

حدَّثنا يوسف ، عن شَيبان ، عن قَتَادَةً . وحدَّثَنَا شُريح قال : حَدّثنا أَبو سفيان ، عن معمر ، عن النبيُّ عليه السلام قال: لما نزلت آية الهجرة ، كتب بها المُسْلِمون من المَدِينةِ إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِمكَّةَ فَخَرَجُوا ، حَتَّى. إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَرِيْقِ أَدركَهُمُ المُشْرِكُونَ فردُّوهُم ، فأَنزل اللهُ عزّ وجل « أَلم أَحَسِبَ الناسُ أَن يُتْرَكُوا أَن ا يقولوا آمنًا وهم لا يُفْتَنُون » (١) عَشْرَ آيات من أُوّل السُّورةِ ، فَتَعَاهَدُوا فخرجوا ، فتبِعَهُمُ المُشركونَ فاقْتَتَلُوا ، فمنهم مَنْ قُتِلَ ، ومنهم مَنْ نجًا ، فنزلَتْ فيهم : « ثمّ إِنَّ رَبُّكَ للذين هَاجَروا من بعدِ ما فُتنوا » (١) إِلَى قولِهِ : « لَغَفُورً رحيم » . وقال بعضُهُم : بل يَعْني هي زيادةُ حُكْم ِ ثُانِ لا ناسِخة .

⁽۱) العنكبوت : ۲ . (۲) النحل : ۱۱۰ .

وتابَ الله عليكم فَأَقِيموا الصَلاَة » (۱) (الآية) فَنَسَخَ هذه الأَحكامَ فلم يُبْقِ لنا منها حُكْماً في كتابِهِ - لأَنَّ صُلْحَ النبي صلى الله عليه وسلم مع أَهْلِ مَكَّة قد مضى وانتهى ولا يعلمُهُ إلاَّ الله جلَّ ذِكْره ٬٬.

والنهيُ للاستغفار عمن أَظهرَ الإسلامَ ، وأسرَّ النِفاقَ ، ولم يَنْهَ عن ذَلِكَ ، إِذ كُنَّا لا نَعْرِفُ ما في قلبِه بِوحْي يَنْزِل ، فلنا أَن نستغفِر لِكُلِّ مَنْ أَظهر الإسلامَ ، وَنَكِلً سَريرتَهُ إِلَى اللهِ عز وجَلَّ ، ولا نبيَّ بعد محمّد عليه السلام ، وقد مضى النبيُّ عليه السلام ، وتابَ اللهُ على المؤمنين فيما كان أوجَب عليهم مِنَ الصَدَقَةِ ، فَنَاجَوا الرسولَ من غير أَن يُقَدِّموا قبل مناجاتِهم صَدَقةً .

والباب السادس: أَنْ يَفْعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم فِعْلاً ، أَو يَأْمُرَ أُمِّتَهُ بِفَعْلِ لِيس بنص في كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ ، فينسَخه اللهُ بِحُكْم أَنزلَهُ في كتابِه ، فَيَثْبُتُ وجَلَّ ، فينسَخه اللهُ بِحُكْم أَنزلَهُ في كتابِه ، فَيَثْبُتُ الحُكْمُ في الكتاب بالفَرْض ، وأَبَاحَ ما كان مُحَرَّماً (كذا) ؛ الحُكْمُ في الكتاب بالفَرْض ، وأَبَاحَ ما كان مُحَرَّماً (كذا) ؛

٠(١) المجادلة : ١٣.

⁽٢) الفقرة الأخيرة عاد فيها المحاسي ليعلل نسخ الآية السابقة على آيات النجوى ، وهي التي تتحدث عن الهجرة .

مِنْ ذلك صَلاتُهُ إلى بيتِ المَقْدِسِ ، وإِنْ كان قد قال بعضُ من مضى ، ان الله افترض الصلاة أولاً إلى بيتِ المقدس بقوله «فاينما تُولُّوا فَشَمَّ وجْهُ الله» (() لولم تُجْمِع الأُمَّةُ على هذا القول ، إلاَّ أنها مجمِعةُ أَنَّ الله أوجَبهُ ، الأُمَّةُ على هذا القول ، إلاَّ أنها مجمِعةُ أَنَّ الله أوجَبهُ ، بما أمرهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا يكونُ بما أمرهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا يكونُ إلاَّ عن الله عز وجلَّ وإنْ لم نَجِدْ نَصَّهُ في كتابِ الله ، فنسخَ الله عز وجل ذلك بقولِهِ «فولِّ وجهكَ شَطْرَ المسجِدِ. الله عز وجل ذلك بقولِهِ «فولِّ وجهكَ شَطْرَه » (٢) .

ومنه استِغْفارُهُ لِعَمِّهِ فَنَسَخَ ذلك « ما كان للنبيِّ والذين. آمنوا أَن يستغفِروا للمشركين » (٣) (الآية).

ومنه كلامُهُ في الصلاةِ المَفْروضةِ فروى زيدُ بن أَرقم ('' أَنَّ اللهُ عز وجل نَسَخَ ذلك بقوله: (وقُوموا لله قانِتِيْن) (') . وروى ابنُ مسعود ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الله أحدث مِنْ أَمْرِهِ أَلاَّ تَكَلَّموا في الصلاة ، ولم يَبيِّن أَنها بعينِها نَزَلَتْ لذلك .

⁽١) البقرة : ١١٥ . (٢) البقرة : ١٤٤ . (٣) التوبة : ١١٣ .

^(؛) زيد بن أرقم (– ٦٥ ﻫ) الصحابي ، الأنصاري ، أبو عمرو : مشاهير علماء الأمصار ٤٧ ..

⁽٥) البقرة : ١٣٨ .

ومن ذلك أيضاً أنه كان (محرَّماً) عليهم ، بغير نص أنَجِدُهُ في الكتاب ، إذا ناموا في ليالي رمضان أَلاًّ يأكلوا ولا يَشْربوا ولا ينكحوا إلى دُخولِ الليل من القَابِلَةِ ، ولهم أن يفعلوا من ذلك ما أحبُّوا قبل أنْ يناموا ففعل ذلك غيرٌ واحدِ منهم ، فَرَفَع ذلك عنهم . رحمةً بهم ، وعرَّفهم ، مع رفعِهِ إِياه عنهم ، أَنَّ ما أُوجِب من ذلك كان يصنعُهُ بعضُهُم . فقال عز من قائل : « أُحلُّ لكم ليلة الصيام الرَفَثُ إلى نسائِكم » (١) إلى قوله « حَتَّى يتبيَّنَ اكُمُ الخيطُ الأَبيضُ من الخيطِ الأَسودِ من الفَجْر » (١) فَرَفَعُهُ وَنَسَخَهُ وقرَّرهم بخيانَتِهِم أَنفُسَهُمْ ، وعفا عنهم خيانتهم أَنْفُسَهُمْ ، فيما كان نَهَاهُم عنه فَفَعَلُوهُ .

وكان (١١٦) يُؤْذِنُ بعضُهم بعضاً بالصلاةِ ، فَنَسَخَ ذلك برؤيا عبدِ الله بن زيد الأنصاريِّ الأَذَانَ . وأكَّد رُؤياهُ « واذا نادَيْتُم إلى الصَّلاة » (٣) .

والباب السابع: أَنْ يختلِفوا في الآيتَيْنِ أَنَاسِخةٌ إِحداهُما اللَّحري أَم لم تنسخها ؟ وإِن أَجْمَعُوا أَن يستعمِلوا التي

⁽١) البقرة : ١٨٧ . (٢) النساء : ٢٣ . (٣) المائدة : ٥٨ .

اختَلَفُوا فيها منسوخةً أم لا على التَجَوُّز والاحْتِياط ، لا على القَطْع . مِنْ ذَلِكَ قولُهُ « وأَن تَجْمَعُوا بين الأُخْتَيْنِ على القَطْع . مِنْ ذَلِكَ قولُهُ « وأَن تَجْمَعُوا بين الأُخْتَيْنِ إلاَّ ما قد سَلفَ . إِنَّ الله كان غفوراً رَحيماً » (۱) . ثم قال جل ثَنَاوَهُ في الآيةِ الأُخْرى : « إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ » (۱) فقال عَلِيُّ: أَحَلَتْهَا آيةٌ وحرَّمَتُها آية . وقال عُثْمَانُ نحوذلك . فقال عَلِيُّ: أَحَلَتْهَا آيةٌ وحرَّمَتُها آية . وقال عُثْمَانُ نحوذلك .

وكذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ: " وإِذا رأيتَ الذين يَخُوضُونَ في آياتِنا " ("). إلى قوله تعالى " لعلَّهم يتقون " هذه مكِّيةُ ثم نزلَتْ بالمدينةِ " وقد نزّل عليكم في الكِتاب أَنْ إِذا سمعتُم آياتِ اللهُ يُكْفَرُ بها ويُستهزأُ بها فلا تقعُدُوا معهم حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنكم إِذاً مثلُهُم. إِنَّ الله جامعُ المنافقينَ والكافِرِين في جهنَّم جميعا " (").

قال وحدثنا شُريح قال: حدّثنا إسحاقُ بنُ يوسف (٥) ،

⁽١) النساء: ٢٤. (٢) النساء: ٢٤. (٣) الانعام: ١٨. (٤) النساء: ١٤٠.

⁽ه) إسحاق بن يوسف (١٢٠ – ١٩٥ ه) أبو محمد الأزرق ، المخزومي بالولاء . منمتقني الواسطين : تاريخ واسط ١٥٦ .

عن سُفيان ، عن السُّدي () عن سعيد بن جُبير () ، وأبي مالك () (واذا رأيت الذين يخوضُون في آياتِنا () نسخَتُها الآيةُ في النساءِ (وقد نَزَّلَ عليكم في الكتابِ أَنْ إِذا سمعتُم آياتِ الله يُكْفَرُ بها ((الآية)

حَدَّثَنا شُريحُ قال : حَدَّثنا يَحْيَى بنُ زكريا (١) ، عن المُتعَةُ الحَجّاجِ ، عن أصحابِ عبد الله (٧) . قال : المُتعَةُ

⁽١) السدي (– ١٢٧ هـ) اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب الأعور ، السدي الكبير : كوفي ثقة : مشاهير علماء الأمصار ١١١

⁽٢) سعيد بن جبير (٤٥-٩٤ ه) الكوفي المقرىء، الفقيه المفسر، أحد الأعلام، من أثبت الناس في ابن عباس وابن عمر . خرج مع القراء على الحجاج بن يوسف سنة ٨٠ ه . وكان يأمر بقتال الأمويين ويقول : قاتلوهم على جورهم في الحكم ، وخروجهم من الدين ، وتجبرهم على عباد الله ، وإماتتهم الصلاة ، واستذلالهم المسلمين : ابن سعد ١٧٨/٦ ، مشاهير علماء الأمصار ٨٢ ، العر ١٢/١١.

⁽٣) أبو مالك (– ١٤٠ هـ) الأشجعي ، الكوفي : سعد بن طارق . روي عن أبيه وأنس وابن أبي أوفى . وعنه جماعة بينهم يحيى بن زكريا . رضيه أكثر العلماء : تهذيب التهذيب ٢٧٢/٣ .

⁽٤) البقرة : ٢٣٧ .

⁽٥) النساء : ١٤٠ .

⁽٦) يحيى بن زكريا (١٢١ – ١٨٤ هـ) الهمداني ، أبو سعيد ، من المتقنين : مشاهير علماء الأمصار ١٧٤ .

⁽٧) هو عبد الله بن مسعود . وأكبر أصحابه من التابعين : علقمة والأسود بن يزيد ، ومسروق، والربيع بن خيتُم ، وأبو وائل ، وشريح القاضي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ومنهم : الحجاج بنمالك الأسلمي، فربما كان هو الراوي هنا : تهذيب التهذيب ٢٧/٦ .

منسوخة "، نسخَتْها الطلاق ، والعِدّة ، والميراث .

وحدَّنَنَا يُونسُ بنُ مُحمد (۱) قال : حَدِّنَنَا شَيبانُ عن قَتادَة عن سعيدِ بنِ المسيِّب (۲) ثم نَسَخَ هذا الحرفُ المُتْعَة (وان طلقتموهُنَّ من قَبْلِ أَن تمسُّوهُنَّ وقد فرضتُم لهنَّ فريضةً فنصف ما فرضتُم » (۳) .

واختلفوا في قولِهِ عزَّ وجل : « وللمطلَّقات مَتَاعُ بالمَعْروف » (*) قال بعضُهم : نُسِخَتْ بقوله : « فنصف ما فرضْتُم » وقال : إِنَّ في النِصْفِ لها لَمَتَاعاً حَسَناً . وقال بعضهم : هي ثابتة لم تُنْسَخْ ، وليست بواجبة ، لمَن شاءَ مَتَّع ، ومَنْ لم يَشَأْ لم يُمَتِّع ، وقد مَتَّع عبدُ الرحمن بنُعوف ، والحَسَنُ (*) ، وعليٌّ ، وغيرُهُمْ ، والواجبة التي لم يُسَمِّ لها صَدَاقاً ولم يَدْخُلْ بها .

⁽۱) يونس بن محمد (- ۲۰۷ ه) ابن مسلم البغدادي الحافظ . وثقه الأئمة : تهذيب التهذيب (۱) يونس بن محمد (- ۲۰۷ ه)

⁽٢) سعيد بن المسيب (١٤ – ٩٣ هـ) ابن حزن المخزومي المدني الفقيه ، أحد الأعلام . قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه . أبى أن يبايع الوليد بن عبد الملك ، فضرب بالسياط : الميزان ١١/١ هـ، مشاهير علماء الأمصار ٢٣، طبقات ابن خياط ٢١١/٢ تاريخ ابن خياط ٢١٧/٢، لليزان ١١٠/١ تاريخ ابن خياط ٢١٠/١ ، وفيات الأعيان ٢١٠/٢ ، تذكرة الحفاظ، العبر ١١٠/١ ، ابن كثير ٩٩/٩ ، تهذيب التهذيب ٨٤/٤ ، وفيات ابن الخطيب ٨٨ .

⁽٣) البقرة : ٢٣٧ . (٤) البقرة : ٢٤١

⁽٥) الحسن بن علي(٣-٥٠ه) أميرالمؤمنين، سبط رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة: العبر ١/٥٥.

حدَّثَنَا يونُسُ بنْ محمَّد قال : حدَّثنا شَيبانُ ، عن قَتَادَة عن سعيد بنِ المسيِّب أَنَّ المتعة نسخَها قولُهُ تعالى « فنصفُ ما فرضْتُم » .

والباب الثامن: أنْ يختلِفُوا في الآيتينِ أَناسِخُ حداهما الأُخرى أم لا ؟ ويُجْمِعُوا على إِثْباتِ حُكْمِهما في معنييْنِ مختلِفَيْن ، من ذلك قولُهُ جَلَّ وعز: « والمطلَّقاتُ يتربَّصْنَ بأَنْفُسِهِنَّ ثلاثةَ قُروء »(۱) قال مُجَاهد: نَسَخَ منها عِدَّةَ التي لم يُدْخَلْ بها . قال : « يا أَيها الذين آمَنُوا إِذا نكحتم المؤمناتِ ثم طلقتُموهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عليهِنَّ من عِدّةِ تعتدُّونَها » (۱) .

وحدَّننا شُريح قال : حدَّننا هُشَم ، قال : حَدَّننا هُشَم ، قال : حَدَّننا يُونُس ، عن الحَسَن قال : نَسَخَ من القُرءِ امر أَتَيْنِ « والَّلائي يُونُس ، عن الحَسَن قال : نَسَخَ من القُرءِ امر أَتَيْنِ « والَّلائي يَعِشْن » (٣) يَعِشْن من المَحيضِ من نِسائِكُم ... والَّلائي لم يَحِضْن » (٣) يَعِشْن من المَحيضِ من نِسائِكُم ... والَّلائي لم يَحِضْن » (٣) قال وحدَّثنا الحَسَنُ بنُ موسى (١) ،

⁽١) البقرة : ٢٢٨ . (٢) الأحزاب : ٩٩ . (٣) الطلاق : ٤ .

 ⁽٤) الحسن بن موسى (- ٢٠٩ هـ) الأشيب، ويكنى أبا على. ولي قضاء حمص والموصل للرشيد .
 كان ثقة ، صدوقاً في الحديث : ابن سعد ٧٩/٧ .

عن وَرْقاء (١) ، عن مُجَاهِد ، ثُمَّ نَسخَ من القُرْءِ عِدَّةَ مَنْ المُرْءِ عِدَّةَ مَنْ المُرْءِ عِدَّةَ مَن

وقال الحسن: قُرء امر أتينِ ؛ اللَّائي يئسن من المَحيض ، واللائي لَم يَحِضْنَ ، وأبى ذلك أكثرُ العلماءُ وقالوا: نحن نرُدُّ إِلَى قُولِهِ بِقُولُه "ثِلاثةَ قُرُوءُ» اللائي لم يَحِضْنَ وقد دُخِلَ بهن ً . وقوله « إِذَا نكحتُم المُؤمناتِ » وقوله : « واللاَّئي يَئِسْنَ من المَحيضِ » حُكْمَيْنِ مخصُوصَيْنِ لم يُدْخِلْهُمُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي الأَقْراءِ ، ولكن خَصَّ آيةً الأَقْراءِ في ذَوَاتِ الحَيْضِ المَدْخول بهنَّ ، وخَصَّ كُلَّ آيَةِ من الآيَتَيْنِ الآخِرَيَيْنِ كُل واحدةٍ منهما بِحُكْمٍ سِوى الأُخرى . واختَلَفُوا في هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الآخريين ، والامةُ مُجْمِعةٌ أَنَّ عِدَّةَ الآيسةِ من المَحيض والتي لم تحض ثلاثةُ قروءُ .

⁽۱) ورقاء بن عمر بن كليب اليشكري : أبو بشر الكوفي، نزيل المدائن . وثقه أكثر العلماء: تهذيب التهذيب ١١٣/١١ .

وعن ابن أبي ليلي (۱) ، عن عطاء (۲) عن أبي هُريرة (۳) قال : صَلَّىْنَا مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فخافَتَ وجَهَرَ وخافَتْنَا فيما خافَتَ لها « وما كان ربُّك نسيًا » (۱)

حدّثنا جرير (°) عن ليث عن مُجاهِد في الدّع، عن أبيه قال : وقال أبو همّام (°) عن هِشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة في الدُّعاء ؛ حدّثنَا عَبّادُ بنُ العَوَّام ، عن الأَشعث (۲) عن عائشة في الدُّعاء ؛ حدّثنَا عَبّادُ بنُ العَوَّام ، عن الأَشعث وكُون عن عِكرِمة (۵) ، (۱۱۷) عن ابن عَبّاسٍ ، كانوا يقولُون اللَّهُمُّ اغْفِرْ وارحَمْ .

⁽۱) ابن أبي ليلى (– ١٤٨ ﻫ) أبو عبد الرحمن محمد بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى، يسار، الكوفي. فقيه، قاض. ولي قضاء الكوفة لبني أمية، وبني العباس، شغل بالقضاء فساء حفظه، لذا فلا يحتج به: ميزان الاعتدال ٨٧/٣، وفيات الأعيان ٣١٩/٣.

⁽٢) لا يمكن أن يكون المقصود بابن أبي ليلى عبد الرحمن (– ٨٣ هـ) لأن عطاء (٢٧ – ١١٧ هـ). هنا هو ابن أبي رباح : الثقة الثبت ، أحد تلامذة أبي هريرة : مشاهير ١٨١.فلا يمكن أن يكون راوياً عنه لفارق السن الكبير بينهما ، لذلك رجحنا أنه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

⁽٣) أبو هريرة (– ٥٨ ه) عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، الصحابي الجليل : تهذيب ٢٦٢/١٢ .

⁽٤) مريم : ٦٤ .

⁽ه) جرير (١٠٨ – ١٨٨ هـ) الضبي ، عالم أهل الري ، صدوق ، يحتج به في الكتب ، الا أنه تغير في آخر عمره : ميزان الاعتدال ٣٩٤/١ .

⁽٦) أبو همام : الوليد بن شجاع ، ترجمنا له .

⁽v) أشعث بن سعيد البصري : أبو الربيع السمان . قال البخاري : ليس بمرّ وك وليس بالحافظ عندهم : تهذيب ٢٥١/١ .

 ⁽٨) عكرمة (- ٥٠٥ هـ) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله المدني ، مولى ابن عباس . من كبار التابعين ، ومن أعلم الناس بالتفسير والمغازي . تكلموا فيه لأنه كان خارجي الرأي : وفيات .
 الأعيان ٢٧/٢ ، تهذيب الأسماء ٢٠/١ .

حدَّثَنَا هُشيم ، عن أبي بِشْ (۱) عن سعيد بن جُبير عن ابنِ عَبّاس في قولِهِ جَلَّ وعَزَّ : « ولا تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ ولا تُخَافِتْ بها » (۱) قال : كان الذي صلى الله عليه وسلم متوارياً بمكَّة إذا قرأ القرآن رَفَعَ صَوتَهُ ، فإذا سَمِعَهُ المُشْرِكُونَ سبوا القرآنَ وَمَنْ جاء به ؛ فأنزل الله عز وجلَّ «ولا تَجهر بِصَلاتِكَ ولا تُخافِتْ بها » عن أصحابِك ، فلا يستطيعونَ أن يأخُذُوا عليك .

حدثنا هُشيم قال: حَدَّثَنَا منصور ""، وعوف (") ، وعوف (") عن الحسن: « ولا تجهر بصلاتِك ولا تُخَافِتْ بها » قال: لا تُرائِي في العلانية ولا تُسِي بها في السِّرِ . والأُمَّةُ مُجْمِعةُ أَنَّ للمصلِّي أَن يرفَعَ صوتَهُ ، وله أَنْ يُخَافِتَهُ ويُسْمِعَ أَذُنيه ، وأَجمعوا أَنه لا يجوزُ أَن يُرائي بصلاتِهِ .

وكذلك قولُهُ عز وجل: « وآتيتُم إِحداهُنَّ قِنطاراً فلا تأخُذُوا منه شيئاً » (°) (الآية) فقال بعضُهم نَسَخَتْها

⁽١) أبو بشر : هو ورقاء بن عمر اليشكري ، وقد ترجمنا له . (٢) الاسراء : ١١٠ .

 ⁽٣) منصور بن النعمان اليشكري الربعي أبو حفص . من أهل البصرة : سكن مرو مدة ، ثم تحول إلى بخاري وسكنها ، ثن صحب أبا مجلز وعكرمة وسواهما من التابعين : مشاهير علماه الأمصار ١٩٨.

⁽٤) عوف (٩٥ – ١٤٦ هـ) ابن أبي جميلة العبدي البصري : ثقة ، كثير الحدّيث : ابن سعد ٢١/٧

⁽٥) الناء: ٢٠.

" إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَنْ لا يُقيما حُدُودَ الله » (١) إِلَى قولِهِ « فلا جُنَاحَ عليهما فيما افتَدَتْ به » (٢).

وقال بعضُهُم: كِلتَاهُما مُحْكَمَتَانِ لِيسَت إِحْدَاهُما بِنَاسِخَة للأُخْرى . تحريم أَخْذِ القِنْطارِ على الظَّام بغيرِ الحق ، وأَخْذُهُ منها تَفْدِي به نَفْسَهَا لِيَخْلَعَهَا ثم تَأْخُذُ فَهَا تُفْدِي به نَفْسَهَا لِيَخْلَعَهَا ثم تَأْخُذُ فَهَا خُصوص وهذه مخصوص .

والباب التاسع: أنَّ أصحاب محمَّد عليه السلامُ اختلفُوا في آيتيْنِ هَلْ نَسَخَتْ إِحداهُما الأُخرى؟ وحُكْمُهُما جميعاً ثابِتان . ثُمَّ أَجْمَعَتِ العُلماءُ بعد عَصْرهمْ من التَّابِعِيْنَ وَمَنْ بعدَهم عن سُنَّةِ النبيِّ عليه السلام أنَّ إِحدَاهُما نَسَخَتِ الأُخْرَى ، وأنها مُبَدِّلةٌ لبعضِ حُكْمِها ، من ذلك قولُ الله عز وجل « والذين يُتَوفُّون منكم وَيَذَرُونَ أَزُواجاً يترَّبصْنَ بأَنْفُسِهِنَ أَربعةَ أَشهُرٍ وَعَشْراً » (٣) وقولُهُ : « وأولاتُ الأَحْمَالِ أَجلُهُنَّ أَن يضعْنَ حَمْلَهُنَّ » (٥) . فاختلف زيدُ ، وابنُ مسعود ، وابنُ عَبَّاس ؛

⁽١) البقرة : ٢٢٩ . (٢) البقرة : ٢٢٩ .

⁽٢) البقرة : ٢٣٤ . (٤) الطلاق : ٤.

فقال ابنُ مسعود: انَّ سُورةَ النِساءِ القُصْرى أُنْزِلَتْ بعدُ . وقال عُتبة (۱): تربَّصُ آخِرَ الأَجلَيْنِ .

والأُمة مُجْمِعةُ اليوم أَنَّ الآيةَ في الحامِلِ قد تُبَتَ حُكْمُها ، وأَنها لا تَرَبَّصُ آخِرَ الأَجَلَيْنِ ، وذَلَك أَنه تُبَتَ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَنَّهُ أَمر سبيعةَ أَن تتزَّوجَ بعد وفاةِ زوجِها بأربعينَ يوماً .

ومنه أيضاً المملوكة ؛ يكونُ لها زَوْجُ يُريد المولى أن يعْزِلَ عنها زوجَها وينكحَهَا فأجمعوا أَنَّ ذلك جائزٌ في بعضِ الممالِيكِ واختلفوا في بعضِهِمْ ؛ فرأى جابر (") ، وأنس أَنْ بَيْعَهَا طَلاقها ، فرأوا أَن يَنْكِحَها المُشتَري ، ويعزلَ زوجَها عنها ، ولا ينكِحها الأوَّلُ الذي هو زوجُها .

ورأى ابنُ مَسْعود أَن ينكِحَها زوجُها ، واحتجَّ بقولِهِ « والمُحْصَنَات من النِساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ » (٣) ، والمُحْصَنَات من النِساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ » وأبي ذلك أكابِرُ أصحابِ محمَّد صلى الله عليه وسلم ، عمرُ ،

⁽١) عتبة : ابن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود . مات قبل أخيه عبد الله : مشاهير علماء الأمصار ٤٨

 ⁽۲) جابر (۱٦ ق . ه – ۷۸ ه) ابن عبد الله الانصاري السامي ، أحد المكثرين عن رسول الله
 (ص) : الإصابة ۲۲۲/۱ .

⁽٣) النساء: ٢٤.

وعُثمانُ وعليٌ ، وعبدُ الرحمن بنُ عوف ، وسعد (١) ، رُضِيَ الله عنهم .

وقالوا: لا يجوزُ للمَوْلَى أَن يَذْكِحَ أَمتَهُ إِذَا كَانَ لَهَا زَوْجٌ ، وإِن كَانَت ذِمِّيَّةً تحت ذِمِّي ، وأَجمعوا جميعاً بعد ذلك أَنَّ ذَواتَ الأَزواجِ إِذَا سُبين يَنْكِحُهُنَّ مَنْ مَلْكَهُنَّ ، وأَنَّ اللهَ جَلَّ ذَكْرُهُ نَسَخَ ذواتَ الأَزُواجِ من النساءِ بقوله: « والمُحْصَنَات من النساءِ إلاَّ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُم » (1).

قال أبو سَعيد الخُدْرِيُّ ، نَزَلَتْ في سَبَايا أوطاس (٣). والأُمةُ مُجْمِعةٌ اليومَ أنه لا يَحِلُّ للمَوالي أَنْ ينْكِحُوا الأَزواج سوى السبايا ، وأنَّه قد ثَبَتَ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه خَيَّر بَريرةَ من زوجِها بعدما بِيْعَتْ وأُعْتِقَتْ بعد البَيْع ، ولو بعد البَيْع ، ولو البَيْع يُزيلُ نِكاح وجها ، ولو كان البيع مُزيلَ النِكاح فكان بيعُها طَلاَقها لكانت حين

⁽١) سعد بن (- ٥٥ هـ) أبي وقاص : مالك بن أهيب . أسلم قديماً . من كبار الصحابة : الإصابة ٢١/٨

⁽٢) النساء : ٢٤ .

⁽٣) معجم ما استعجم ٢١٢/١ : واد في ديار هوازن ، وهناك عسكرت دوازن وثقيف ، إذ أجمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتقوا بحنين . وانهزم المشركون ، وإلى أوطاس تحيز فلهم بعد أن انهزموا ، ومنهم من تحيز إلى الطائف .

باعَها مولاها من عائشة رضي الله عنها واشترتْها منهم وقبضَتْها كان قد زال نِكَاحُها بالبيْع ، وبانَتْ منه.

وقد كان بعضُ مَنْ مضى يرى أَنَّ آيةَ الاستئذان مَنْ مضى يرى أَنَّ آيةَ الاستئذان مَنْسوخةٌ ، والعُلَمَاءُ اليوم مُجْمِعَةٌ أَنَّها ثابِتَةٌ ، إِلاَّ أَنَّ بعضَهُم رأَى أَنَّ دَقَّ البابِ يَجْرِي من الاستيذانِ .

وكذلك قولُهُ « لا إِكْراهَ في الدِّيْن » (۱) . قال بعضُهُم : ليست بِمَنْسُوخَة ، ولكنَّها ثابتةٌ في أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا أَدُّوا الجِزْيَةَ لَم يُكْرهُوا . ورُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قال لِغُلام رومي : الجِزْيَةَ لَم يُكْرهُوا . ورُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قال لِغُلام وقال قوم : أَسلِم ! فأبى ، فقال عُمَرُ « لا إكراه في الدين » . وقال قوم : هي منسوخة نسخَتها آية السيف ؛ قولُه عز وجل « أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بِأُنَّهُم ظُلِمُوا ، وإِنَّ الله على (١١٨) نَصْرهم للذين يُقَاتَلُون بِأُنَّهُم ظُلِمُوا ، وإِنَّ الله على (١١٨) نَصْرهم لَقَدِير » (١١٨) نَصْرهم الآي .

ومن ذلك قولُهُ تعالى « يا أَيُّهَا الذين آمنوا عليكُمْ أَنفُسكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهتَدَيْتُم » (") قال بعضُهم: نَزلَتْ في أَهْلِ الذِّمَّةِ ناسِخةً لِقِتَالِهِمْ مِنْ بين الكُفَّار. وقال بعضُهم: أُريدَ بها آخِر الزمان في الأَمْرِ بالمعروفِ ،

⁽١) البقرة : ٢٥٦ . (٢) الحج : ٢٩ . (٣) المائدة : ١٠٥ .

والنَهْي عن المنكر لأهل الاسلام ؛ اذا غَلَبَتِ الأهواء ، والنهي عن المُنْكرِ مِنَ ولم تَقْبَلِ العامة الأَمْر بالمعروف ، والنهي عن المُنْكرِ مِن الأَمْر . وقال بعضهم : لم تُنسَخ ، وإنما معنى قولِهِ تعالى الأَمْر . وقال بعضُهم » أهل دينِكم يأمُر بعضُكُم بفضا ، شما تم عَزّاهم فقال « لا يضركم من ضل» (أي لا تضركم) ضلالة الضّالين فائتمروا بالمعروف ، وتَناهوا عن المُنكر كما أمرتُكم . وكذلك قوله عز وجَل « فتول عنهم فما أنت بملُوم » (١) .

حدَّثنا شُريح ، قال حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيم ، عن أَيُّوب السِّخْتياني (٢) ، عن مجاهد : قال : خرجَ عليُّ معتجراً ببُرْد مشتمِلاً فقال : لمَّا نَزَلَتْ (فتولّ عنهم فما أنت بِمَلُوم » (٣) أُحْزِنًا ، وقُلنا أُمِرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم أن يتولَّ عنّا حتى نَزَلَتْ (وذكر فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين » (٥) وقال بعضُهُم : لم تُنسَخُ وإنما أُمِر تنفعُ المؤمنين » (١) وقال بعضُهُم : لم تُنسَخُ وإنما أُمِر أن يتولَّ عن الكافريْن وَيُذكر المؤمنين .

⁽١) الذاريات ٥٥.

⁽٢) أيوب السختياني (٦٨ – ١٣١ ه) هو أيوب ابن أبي تيمية ، واسم أبي تميمة كيسان . كان ،ن سادات أهل البصرة ، وعباد أتباع التابعين ، وفقهائهم . ممن اشتهر بالفضل والعلم والنسك والصلابة في السنة ، والقمع لأهل البدع : العبر ١٧٢/١ .

⁽٣) الذاريات : ٥٥ . (٤) الذاريات : ٥٥ .

وكذلك قولُهُ تعالى « ويستَغْفِرون لِمَنْ في الأَرْض » (۱) حَدّتَنَا سنيد ، قال حَدّتَنَا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، «ويستغفرون لمن في الأَرض » قال : للمؤمنين . وقال أَكثرُ العلماء : لم يَأْذَنْ للملائكةِ أَن يستغفروا للْكُفَّار ، وإنَّما معناهُ لِمَنْ في الأَرْضِ خُصوصٌ يَعْني المؤمنين ، ثُمَّ وإنَّما معناهُ لِمَنْ في الأَرْضِ خُصوصٌ يَعْني المؤمنين ، ثُمَّ بيَّنَ في المؤمن ما أَبْهَمَهُ في قولِهِ « لِمن في الأَرض » فقال «ويستغفرون للذين آمنُوا » .

والباب العاشر: أن يُجْمِعَ العُلماءُ على نَسْخِ آية ثم يختلفون في الناسِخةِ ، ماذا أُوجَبَتْ من الحُكْم ، فيُجْمِعوا على حُكْم أَنَّها أُوجَبَتْهُ ، ونَسَخَتْ ما قبلَهُ ، ويختلِفُون في غيرهِ أَنَّها أُوجَبَتْهُ ، ونَسَخَتْ ما قبلَهُ ، ويختلِفُون في غيرهِ أَنَّها أوجَبَتْهُ أم لا ؟ من ذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ « والذين آمَنُوا ولم يُهاجِرُوا ما لكُم من ولايتهِمْ من شيءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا » (١) ، وكان الأعرابيُ لا يَرِثُ قريبَهُ من المُهاجِرين ، وكانوا يتوارَثُون بالهِجْرَةِ ، حَتَّى نَزَلَتُ « وأُولُو الأَرحام بعضُهم أَوْلَى ببعض » (٣) ، فأجمعوا أنَّ الله جَلَّ ثناوُهُ أَثبت الميراثَ الآيةَ الأُولَى منسوخة ، وأنَّ الله جَلَّ ثناوُهُ أَثبت الميراث

⁽۱) اأشورى : ه . (۲) الانفال : ۲۲ .

بالقرابة للمؤمنين ، لا بالهِجْرة ممّن سَمّى الله له الميْراث ، وممن لم يُسَمّ له الميراث كالخالة ، والعَمّة ، وابنة الأخ ، وما أشبه ذلك فرأوا ألا يُرد على الوارث ما فَضَلَ من المال بعدما يُعطَى ما سَمَّى الله جَلَّ ذِكْرُهُ ، وما خلا الرأة وال و جَ إذا لم يكونوا قرابة . ورأوا إن لم يترك قرابة ممن سمّى الله جَلَّ ذِكْره ، وترك قرابة ممن لم يُسَمّ الله جل ذكره الله جَلَّ ذِكْره ، وترك قرابة ممن لم يُسَمّ الله جل ذكره الله عيراث ، ورّثوهم على مَنازل قرابتهم من الميت ،

يري ذلك أهْلُ العراق ، وأبى ذلك مالِك وأهلُ المدينة فقالوا: لا يُردُّ على وارث ممن سَمَّى الله عَزَّ وجَلَّ ولا يُورَّتُ من لم يُسَمِّ الله جَلَّ ذِكْرُه ؛ يَرتُ الميِّتَ المسلمون ما فَضَلَ عمن سُمِّي له الميراث ، وما ترك مَنْ لم يدع وارثاً له مُعيَّناً ميراثاً ، فبيتُ المال أحقُّ به ؛ قاله زيدُ بنُ ثابت (۱) ، وقالَ القولَ الأُوّلَ عدةٌ من أصحابِ زيدُ بنُ ثابت (۱) ، وقالَ القولَ الأُوّلَ عدةٌ من أصحابِ محمَّد صَلَّى الله عليه وسلم ؛ عمرُ ، وعليٍّ ، وابنُ مسعود . وحدَّثَنَا شُريح : قال حَدِّثنا أَبُو سفيان ، عن مَعْمَر ، وعلى قَتَادَةَ : « والذين آمنُوا ولم يُهاجروا » (۱) قال: كان

⁽١) زيد بن ثابت (١١ ق . ه - ه ؛ ه) النسخابي . الأنصاري ، المقرى، : العبر ٧/١ ه ه .

⁽٢) الانفال : ٧٧ .

المسلمون يتوارَثون بالهجرة والذين (آخا) النبيُّ صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالإسلام والهِجْرَةِ ، فكان الرَجُلُ يُسْلِمُ ولا يُهَاجِرُ فلا يَرِثُ أَخَاهُ فَنَسَخَ ذلك : « وأُولوا الأَرْحام بعضُهم أُولى ببعضٍ في كِتَابِ الله من المؤمنين والمُهَاجِرِين » (۱) .

والباب العادي عشر: أن يختلف الصدر الأوّل من أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وسلم في الآيتين ، أنسخت إحداهما الأخرى أم لم تنسخها ، ثم يُجْمع العُلَمَاء بعد أنَّ إحداهما هي المُحْكَمة ، فمن ذلك قوله « والزانية أنَّ إحداهما هي المُحْكَمة ، فمن ذلك قوله « والزانية لا ينكِحُها إلا زان » (۱) – رُوي ذلك عن عائشة رضي الله عنها – ثابتة لم تُنسَخ ، وأنه لا يَحلُّ ان يَنْكِحَ الزنية إلا زان . ورُوي عن ابن مسعود مثل ذلك . وقد رُوي عنه خلاف ذلك – أنَّه سئل عن ذلك فقراً « وهو الذي يقبل خلاف ذلك – أنَّه سئل عن ذلك فقراً « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيِّئات » (۱) .

⁽١) الانفال : ٥٥ .

⁽٢) النور : ٣.

⁽٣) الشورى : ٢٥.

وحدَّنَا سُنيد ، قال حَدَّنا هُشيم ، قال حَدَّنا أَبو خُبَاب (۱) ، عن بكر بن خُنيس (۲) ، عن أَبيه قال : أُتيتُ ابنَ مسعود ، فسأَله رجُلٌ عن رَجُلٍ زَنَى بامرأَة فَحُدَّا ثَيتُ ابنَ مسعود ، فسأَله رجُلٌ عن رَجُلٍ زَنَى بامرأَة فَحُدَّا ثَيم تابا وأصلحا أيتزَّوجُها ؟ فتلا هذه الآبة (١١٩) « وهو الذي يقبلُ التَوبة عن عباده ويعفُو عن السيئات ويعلمُ ما تَفْعَلُون » (٣) .

وحدَّثنا هُشيم ، قال حدِّثنا مُغيرة (1) ، عن ابراهيم ، (0) عن علقمة (1) ، أنه سُئل عن ذلك فَتلاً هذه الآية إلى آخرِها . وقال قوم : نسخَتها «وانكحوا الأيامي منكم » (1) وهن من أيامي المسلمين .

⁽١) أبو خباب : لا يعرف .

 ⁽٢) بكر بن خنيس (- ١٧٠ هـ) الكوفي العابد ، نزيل بغداد . قال ابن معين : ليس بشيء :
 ميزان الاعتدال ٣٤٤/١ . في الأصل : بكير بن الأخس .

⁽٣) الشورى : ٢٥.

⁽٤) مغيرة بن مقسم : إمام ثقة . روى عن إبراهيم النخعي وأبي وائل والشعبي ومجاهد . وعنه شعبة وهشيم وابن فضيل و جرير . اتهم بالتدليس عن إبراهيم : ميزان الاعتدال ١٦٥/٣ .

⁽ه) إبراهيم النخعي (٧٧ – ٩٦ هـ) ابن يزيد بن الأسود . كان إماماً ، ثقة ، زاهداً . روى عن خلق ، وروى عنه خلق : طبقات ابن سعد ١٨٨/٦ .

 ⁽٦) علقمة بن قيس (٣٢ ق . ه - ٦٢ ه) النخعي : من أكبر تلامذة ابن مسعود . روى عن على
 وسعد وعمر وعثمان وابن مسعود و جماعة . وعنه خلق أشهرهم ابراهيم : ابن سعد ٣٧/٥ .

⁽٧) النور : ٣٢ .

حدَّ ثنا سُنيد ، قال حدَّ ثنا ابنُ جُريج ، وأخبرني يحيى بنُ سعيد (۱) ، عن ابن المُسيِّب مثله ، قال : إِنهن من أيامي المسلمين . وقال ابنُ عَبّاس : لم يُردُ بهما تحريم التزويج ، إِنما وصفَ الزانياتِ أَنه لا ينكحوهن (كذا) يعني لا يقع لَهُنَّ إلاَّ زانِ مثلُهُنَّ ، وإِن كان مسلماً أو مشركاً مستحلاً لذلك ؛ فليست بمنسوخة ولكنها خُصوصً في الزاني ألاَّ يتزوّج وهو مُحْرِم ، وفي المُشْرِك المستحلِّ لذلك . وقال قومُ يتزوَّجُهَا الذي زَنَا بها لأَنَّه هو الذي يُحْصِنُها ولا يتزوَّجُها غيرهُ . وذهب قومُ إِلى أَنَّها منسوخة للتائب لا غيره .

والأُمَّةُ اليومَ مُجْمِعةٌ أنه لا بأَسَ أَن يتزَّوجَها هو وغيرُهُ ، لأَنَّ أُولَهُ حرامٌ و آخِرَهُ حلالٌ فلا بأَسَ أَن يتزوَّج العفيفُ والزّاني الزانية .

و كذلك قولُهُ « وأَشهِدوا إِذا تبايعْتُم » (٢) فكان ابن

⁽۱) يحيى بن سعيد (۱۲۰ – ۱۹۸ ه) ابن فروخ القطان . مولي بني تميم ، كنيته أبو سعيد . كان من سادات أهل البصرة وقرائهم ، ممن مهد لأهل الحديث طرق الأخبار ، وحثهم على تتبع العلل للآثار ، وعنه تعلم رسم الحديث أحمد بن حنبل و يحيى بن معين وعلي ابن المديني واسحاق بن ابراهيم ، وسائر أئمتنا : مشاهير علماء الأمصار ١٦١ .

⁽٢) البقرة : ٢٨٢.

عُمَر ، يُشْهِدُ إِذَا باع وإِذَا اشترى ويرى أَنها ثابتةٌ لم تُنسَخْ . وحدَّثنا شُريح ، قال حدّثنا هُشيم ، قال حدَّثنا الله عيل السماعيل (ا) قال قُلتُ للشعبي (ا) : أَرأيتَ الذي يَشْتري من الرَجُلِ شيئاً حَتْماً عليه أَن يُشْهدَ ؛ قال : أَنَمْ تَهُ إِلَى قولِهِ تعالى (فَإِنْ أَمِنَ بعضًكُم بعضاً » فنسَخَ ما كان قبله . قال حدَّثنا ابن أبي زائدة (ا) ، قال حدَّثنا ابن أبي زائدة (ا) ، قال حدَّثنا الحكم (ا) ، قال (فَإِنْ أَمِنَ بعضُكُم بَعْضاً » (ا) . فيسَخَتْ هذه الشهودَ . والعُلماءُ اليوم مُجْمِعةُ أَنها منسوخةٌ ؛ نَسَخَتْها (فَإِنْ أَمِنَ بعضُكُمْ بعضاً » .

وثُبَت عند العُلماءِ: أَنَّ النبيَّ علَيه السلامُ بايعَ رجُلاً فرساً بغير بيِّنةٍ لأَنه سأَلَ الرجُلُ البيِّنةَ فلم تكُنْ له،

⁽١) اسماعيل (– ١٤٦ ه) ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم . من تلامذة الشعبي . كان لا يروي إلا عن ثقة : تهذيب التهذيب ٢٩١/١ .

⁽۲) الشعبي (۱۹ – ۱۰۶ ه) عامر بن شراحيل بن عبد ، أبو عمرو الكوفي ، من شعب همدان . روى عن علي وسعد وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وعبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة و جرير البجلي والنعمان بن بشير . وعنه خلق كثيرون . قال ابن المديني : ابن عباس في زمانه ، وسفيان الثوري في زمانه ، والشعبي في زمانه : ابن سعد ١٧١/٦ ، العبر ١٢٧/١ ، تذكرة الحفاظ ٢٩/١ تاريخ ابن خياط ٤٧٩/٢ ، تهذيب التهذيب ٥/٥٠ .

⁽٣) ابن أبي زائدة : يحيى بن زكريا ، الذي ترجمنا له : تهذيب ٢٩٥/١٢ .

⁽٤) الحكم (~ ٢١٣ هـ) ابن محمد، أبو مروان الطبري . نزيل مكة . روى عن ابن أبي زائدة، وروى هو عنه ، وثقه العلماء : تهذيب ٣٨/٢ .

^{. (}٥) البقرة : ٢٨٣.

فجاء خُزيمةُ بنُ ثابت (١) يشهدُ للنبِّي صلى الله عليه وسلم ، ولم يَحْضُرْ مصدِّقاً للنبي عليه السلام . وقال بعضُهُم : لم تكن واجبةً أَن يَشْهد ، وإنما هي دلالةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ لهم على أَن يَسْتُوْثِقُوا من أَمُوالِهِم بالكتابِ والسُّنَّةِ لا على الوُجُوبِ . وكذلك قولُهُ عزّ وجَلَّ « يسألونَكَ عن الشّهر الحَرَامِ (١) ، قتالِ فيه ». فقال عطاء : هي ثابتةٌ لم تُنسَخْ. وقال جابر: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إِلاَّ أَن يُغْزَى . وحدَّثَنا شُريح ، قال حدَّثنا أَبو سُفيان ، عن معمر ، عن قتادة قال : أُمروا أَلاَّ يقاتِلُوا في الشهر الحرام ؛ فنسخَها « فاقْتُلُوا المشركين حيث وجِدْتُمُوهُم (٣)» ؛ (لا تُحلُّوا شعائِرَ الله ولا الشَّهْرَ الحرامَ ولا الهَدْيَ ولا القلائِدَ ولا آميِّنَ البيتَ الحَرامَ » (1) ؛ فنسخَ اللهُ جَلَّ ذَكْرُهُ تحريمَ القِتالِ في الشَّهْرِ الحَرامِ ، وقتالَ مَنْ أَحْرَمَ من المشركينَ ، أَو قَلَّد مُحْرِماً وهو مُشْرِكُ ، فَأَبَاحِ قِتَالَ هُؤُلاءِ كُلِّهِم إِلاًّ أَن يُسْلِمُوا ، أُو يكونوا أَهْلَ كِتَابِ فَيُعَطُّوا الجزيةُ .

⁽۱) خزيمة بن ثابت الأنصاري: الصحابي ، ذو الشهادتين. قتل في موقعة صفين: مشاهير علماه الأمصار ٥٤. (٢) البقرة: ٢١٧. (٣) التوبة: ٥. (٤) المائدة: ٢.

وقال سَعِيدُ بنُ المسيِّب وَسُلَيمانُ بن يسار (۱) ، وغيرهما : هي منسوخةٌ نَسَخَهَا ((فاقتُلُوا المشركينَ حيث وجدْتُمُوهُم (۱) والامّةُ مُجْمِعةٌ أَنَّ الغَزْوَ في الشهرِ الحرام وغيرِه حلالٌ وطاعةٌ . حدَّثنا عليُّ بنُ عاصم ، عن يمان (۱) ، عن عامر (۱) ، قال : لم يُنسَخْ من المائدةِ شَيْءٌ قال : لا .

وقد أَجمَعَتِ الأُمّةُ اليومَ أَنَّ قولَهُ « لا تُحِلُّوا شعائِرَ الله ولا الشهرَ الحرام ولا الهدي ولا القلائِد ولا آمِّينَ البيتَ الحرام » (°) على نَسْخِهَا بقولِهِ : « اقتُلُوا المشركين حيث وجدتُمُوهُم » (°).

وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ ﴿ إِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُم أَو تُخفُوه يُحاسِبُكُم بِه اللهُ ﴾ (٧) (الآية)، فكان ابنُ عمر (ۖ) تُخفُوه يُحاسِبُكُم بِه اللهُ ﴾

⁽١) سليمان بن يسار (٣٤ – ١٠٩ ه)كان من فقهاء المدينة وعقلائهم وعبادهم . وهو مولى أم. المؤمنين ميمونة بنت الحارث : مشاهير علماء الأمصار ٢٤ . (٢) التوبة : ٥ .

 ⁽٣) يمان : ابن أبي اليمان . واسم أبي اليمان عامر بن عبد الله بن لحي الهوزني الحمصي . ذكر
 ابن حبان أبا اليمان في الثقات . والعلماء على أنه لا يعرف لهما حال : تهذيب التهذيب ٥/٥٧ .

 ⁽٤) عامر : والديمان . (٥) الماثدة : ٢ . (٦) التوبة : ٥ . (٧) البقرة : ٢٨٤ ..

⁽٨) ابن عمر (١١ ق . ه – ٧٣ ه) عبد الله بن عمر بن الخطاب . لم يشهد بدراً ، وعرض على .
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه و لم يره بلغ . كان من
صالحي الصحابة وقرائهم و زهادهم . اعتزل الفتن وقعد في البيت عن الناس : مشاهير علماء
الأمصار ١٧ .

يري أنها ثابتةٌ بعد النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (وبكا) من ذلك لَمّا (قرأها) .

قال وحدَّنا يزيد (۱) ، قال سُفيانُ بن حُسين (۱) ، قال سُفيانُ بن حُسين (۱) عن الزُّهْرِيِّ ، عن سَالِم (۱) ، أَنَّ أَباهُ قرأ (وإِنْ تُبدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُم أَو تُخفُوه يُحَاسِبْكُم به الله (۱) فدمَعَتْ عيناهُ فبلغ صُنْعُهُ ابنَ عَبّاس ، فقال : يرحمُ الله أَبا عبدِ الرحمن ، فسلغ صُنْعُهُ ابنَ عَبّاس ، فقال : يرحمُ الله أَبا عبدِ الرحمن ، فسلخَتْها (۱۲۰) لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ (١٢٠) لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ (١٢٠) .

وحدّثنا سُليمانُ بنُ داود ، قال حَدّثنا إِبراهيم ، عن سعد (٥) ، عن ابنِ شهاب ، عمن سَمِعَ سَعيدَ بن مُرجانة (١) يتحدّث أنه بينما هو جالِس مع عبدِ الله بنِ عمر إِذ تلا عبدُ الله بنُ عمر هذه الآية « وإِنْ تُبدُوا ما في أَنفُسِكم أَو عبدُ الله بنُ عمر هذه الآية « وإِنْ تُبدُوا ما في أَنفُسِكم أَو

⁽١) يزيد بن هارون : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ص ١٦ .

⁽٢) سفيان بن حسين (مات في خلافة الرشيد) أبو محمد الواسطي . روى عن اياس وابن عتيبة ، وابن سيرين وعبد الله بن عمر والزهري وغيرهم . وعنه جماعة منهم يزيد بن هارون . كان ثقة، لكنه يخطى، في الحديث : تهذيب التهذيب ١٠٧/٤ . في الأصل : ابن حصين .

⁽٣) سالم (- ١٠٦ ه) ابن عبد الله بن عمر . كان زاهداً يشبه بعمر بن الخطاب : العبر ١٣٠/١ .

⁽٤) البقرة : ٢٨٤

⁽ه) سعد بن ابراهيم (ه٥ – ١٧٢ هـ) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري . كان قاضي المدينة . وراوي الحديث – إبراهيم – هو ابنه . وثقه العلماء : تهذيب ٤٦٣/٣ .

⁽٦) سعيد بن مرجانة (- ١٢٠ ه) لا يصح له عن صحابي سماع : مشاهير ١٤٣ .

تُخْفُوه » (() (الآية) ثم قال: والله إِن أَخَذَ بهما لتهلكَنَ ، ثُمَّ بكى حتى سمعَ نشيجَهُ ابنُ مُرجانة - فقُمْتُ حتَّى أَتيتُ ابنَ عَبّاس ، فذكرْتُ ما تلا ابنُ عُمَرَ من هذه الآية . فقال ابنُ عَبّاس : يغفِرُ اللهُ لأبي عبدِ اللهِ من لقد وَجَدَ المسلمون فيها وَجْداً حين نزلَتْ مثلَ ما وَجَدَ عبدُ الله فأنزل اللهُ بعدها « لا يكلِّفُ الله نفساً إلاَّ وُسْعَهَا ، لها ما كسبتْ وعليها ما اكتسبت » قال ابن عباس : فكانت هذه الوسوسةُ ما لا طاقة للمسلمين به .

فصار الأُمْرُ إِلَى قضاءِ الله عز وجل : أَنَّ النَّفْسَ لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ في القَوْلِ والعَمَل .

وأَبِي ذلك ابنُ عَبَّاس وغيرُهُ ، وقالوا : منسوخة .

وحدَّننا حَجَّاج ، عن ابن جُريج ، عن الزَّهريِّ ، عن الزَّهريِّ ، عن ابن عَبّاس : لَمَّا نزلَتْ ضَجَّ المُسلمون منها ضجَّة . وقالوا يا رسولَ الله نتوبُ عن عملِ اليدِ والرجْلِ واللسانِ ، فكيف نتوبُ من الوسوسة ؟ كيف نمتنعُ منها ؟ فجاء فكيف نتوبُ من الوسوسة ؟ كيف نمتنعُ منها ؟ فجاء جبريلُ بهذه الآية « لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا » إِنكم

⁽١) البقرة : ٢٨٤

لا تستطيعونَ أَن تمتنِعوا من الوَسُواسِ – لها ما كَسَبَتْ . وعليها ما اكْتَسَبَتْ (الآية) .

وقال حدَّثَنَا شُريح ، قال حَدَّثَنَا هُشِم ، قال حَدَّثَنَا هُشِم ، قال حَدَّثَنَا هُشِم شيبانُ عن الشَّعبيِّ قال : لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ « وإِن تُبدُوا ما في أَنفُسِكُم أَو تُخفُوه » نزلت « لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ » (الآية) .

حدَّثنا مَروانُ بنُ شُجاع قال حدَّثنا خُصيف ، عن مُجَاهد ، نحوه .

وقال قومٌ من أهلِ الآثارِ : إِنَّ هذا لا يجوزُ أَن يُنسَخَ لأَنها خَبَرُ والخَبَرُ لا يُنسَخُ .

وقال سائرُ العُلماءُ: هذا وإِن كَانَ خبراً فانه إِيجابُ حُكْمِ مَنْ واخَذَهُ بحديثِ النفس ، ثم رحِمَ اللهُ جَلَّ اسمهُ خَلْقَهُ ، فرفَعَ عنهم الحُكْمَ بالمواخذةِ لأَنه حُكْمُ والحُكْمُ يَجُوزُ نَسْخُهُ . وإِنَّما معنى « يحاسِبكم » يواخذكم به اللهُ ، ثم رُفِعَ الحُكْمُ بذلك .

والأُمَّةُ مُجمِعَةً أَنَّهَا منسوخةً .

وسُئل النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم عما يَجِدُ العبْدُ من الوسوسةِ مع ما يُظْهِرون من الكراهةِ (١) لِمَا يجدون فقال: ذَلِكَ صَريحُ الإِيمان.

وقال : تَجَاوَزَ اللهُ لأُمتي عَمّا حَدّثَتْ به نُفُوسَها .

وكذلك قولُهُ تعالى « وإذا حَضَرَ القسمةَ أُولُوا القُربى واليتامى والمساكين فارزُقُوهم منه » (١) فرأى بعضُهُم أَنها ثابتةٌ ؛ فرأى أَنْ يُعْطَى من الميراثِ الذين لا يَرِثُون .

وحدَّننَا شُرَيح ، قال حدثنا هُشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، في قوله (وإذا حضَرَ القسمة)هذه الآية (اختلف) (٣) الناسُ فيها .

وحدَّننا هُشيم قال حدَّننا منصور ، عن قَتادة ، عن يَدُد مَد يَحْد يَ عَن عَتَادة ، عن يَحْد يَ عَن يَحْد يَ عَن يَحْد وَ مَال يَحْد يَ مَد كَمات ضَيَّعهُنَّ يَحْد يَ مِن الناس ؛ منهن هذه .

⁽١) في الأصل: يظهر من الكرامة.

⁽٢) النساء : ٨ .

⁽٣) في الأصل : دون .

^(؛) يحيى بن يعمر (قاضي مرو من قبل قتيبة بن مسلم) من أهل البصرة . كان من فصحاء زمانه ، مع العلم والورع : مشاهير ١٣٦ .

حدَّثنا هُشيم ، عن أبي إسحاق عن مُجاهد قال : محكمة وليست بمنسوخة .

حدَّثنا شُريح قال : حدَّثنا هشيم ، عن مغيرة (۱) ، عن سيّار (۱) عن إبراهيم ، قال نسخَتها العُشْر ونصفُ العُشْر . حدَّثنا هُشيم ، قال حدَّثنا جُبير (۱) ، عن الضَّحَّاك ، والكلْبي ، عن أبي صالح (۱) ، قال : هي منسوخة . وروي عن سعيد بن جُبير ، وغيرِه أنها نسَخَتْها آية الزَّكاة .

والعلماءُ اليومَ مُجْمِعون أن المِيراتُ لأَهلهِ ولا يُجِبُ إعطاؤهم إلاَّ أنْ يكونَ الوارثُ بالغاً فيتطوَّع فيتصدَّق على أَقْرِبائِهِ . ورأى بعضُهم أنها ثابتةٌ لم تُنْسَخْ . وإنما أريد بها الزكاةُ لا التَّطوُّع .

وحدثنا شُريح ، قال حدثنا هُشيم عن حَجّاج ، عن

⁽١) مغيرة بن مقسم : ثقة مأمون . حديثه في الصحيحين : الميزان ١٦٥/٤ .

⁽٢) سيار : أبو حمزة الكوفي . ذكره ابن حبان في الثقات : تهذيب ٢٩٣/٤ . وفي الأصل : سيال .

 ⁽٣) لم أجد فيمن روى عنهم هشيم أحداً اسمه « جبير » ، وربما كان الاسم محرفاً عن « منصور »
 بن زاذان (- ١٣١ هـ) وهو أكبر أساتذة هشيم : تذكرة الحفاظ ٢٤٩/١ .

⁽٤) أبو صالح : مولى طلحة ، ويقال مولي أم سلمة . ذكره ابن حبان في الثقات . وروى عنه الكلبي. وغيره : تهذيب ١٣٢/١٢ .

سالم المكي (۱) ، عن ابن الحنفية (۱) ، (يومَ حَصَادِهِ) قال: العُشْر ونصفُ العُشْر.

حدَّثَنَا شُريح ، عن ابن عُيبنة (٣) ، عن ابن أبي نَجِيح (١) ، عن مُجَاهِد : وعندَ ذِرايَتِهِ .

وكذلك قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ « إِنْ تَرَكَ خيراً الوصيّةُ للوالِدَيْن والأَقربِيْنَ » (°) ، فَزَعَمَ قومٌ من الصَدْرِ الأَوّلِ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذَكْرُهُ نَسَخَ الآية كُلَّها فَنَهَى عن الوصيةِ لِمَنْ يَرِث ، وأَنَّ الواجِبَ للأَقربِيْنَ الذين لا يَرِثون في الثُلُث ؛ قال ذلك طاوسُ (٦) والضَّحَّاكُ.

وقال بعضِهُم : هِيَ تَطَوَّعُ إِلاَّ أَنه ليس له أَنْ يُوصيَ إِلاَّ فِي الذين لا يَرِثُون .

 ⁽١) سالم المكي (- ٩٦) مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، وهو ابن خباب . أبو عبد الرحمن .
 مات سنة ست وتسعين : مشاهير علماء الأمصار ٧٣ .

 ⁽۲) ابن الحنفية (۲ – ۸۲ هـ) محمد بن علي بن أبي طالب : كان عالماً فاضلا . ويرى الكيسانية
 من الشيعة أنه لم يمت ، بل هو مقيم بجبل رضوى عنده عسل وماء : العبر ۹۳/۱ .

⁽٣) ابن عيينة (١٠٧ – ١٩٨ هـ) سفيان، الهلالي، مولاهم. أصله من مكة، ومولده بالكوفة. سمع الزهري والكبار. قال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز : العبر ٢٢٦/١.

 ⁽٤) ابن أبي نجيج (- ١٣١ ه) هو عبد الله بن يسار . سكن المدينة ثم مكة . كان من العلماء
 بالقرآن : مشاهير علماء الأمصار ١٤٥ .

⁽٦) طاوس (– ١٠٠١ ه) بن كيسان الهمداني الخولاني . أمه من أبناء فارس ، أبوه من النمر بن قاسط . كنيته أبو عبد الرحمن . من فقهاء اليمن وعبادهم وخيار التابعين وزهادهم . مرض بنجد وتوفي بمكة : مشاهير علماء الأمصار ١٢٢ .

وقال قوم : له أن يوصِي بِثُلْثِهِ في الأَقْربِيْنَ فيمن شَاءَ . وقال جُلُّ الناس : لم تُنْسَخْ ، وإنما أرادَ بها الوالدَيْنِ والأَقربِينَ الذين لا يَرِثُون مِن الكُفَّار المماليك ، ومَنْ لم يَرِثُون مِن الكُفَّار المماليك ، ومَنْ لم يَرِثُ من القَرَابةِ .

والأمَّةُ اليومِ مُجْمِعَةٌ أَنها ليست بواجبةٍ ، وإِن أَراد (١٢١) أَن يَتَطوَّعَ فله أَن يوصيَ لِمَنْ أَحبَّ .

وكذلك قُولُهُ « ومن يَقْتُلْ مؤمناً متعمِّداً » (") فقال ابنُ عَبّاس : مُحْكَمة ، وأَنَّ قولَهُ « متعمِّداً » أُنزلت بعد (التي) في الفُرْقان بِسَنَة (") . وقال أبو هريرة : لا يدخُلُ الجَنَّة . وقال الضَّحاك : نزل قولُهُ الأُوّل « مَنْ تاب » قبل قوله « متعمِّداً » بسبع سنين . وروى الحَسَنُ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « نازلتُ ربي في قاتِلِ المؤمنين أن يجعل له توبةً » (") .

⁽۱) النساء: ۹۳

⁽٢) الآية انتي في الفرقان قوله تعالى (٢٧ – ٧٠ : والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، و لا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهانا . الا « من تاب » وآمن وعمل عملا صالحاً . فأولئك يبدل الله سيرتاتهم صفات ، وكان الله غفوراً رحيماً) .

⁽٣) القرطبي ٣٣٢/٥ : وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نازلت رببي في شيء ما نازلته في قتل المؤمن فلم يجبني .

والعُلماءُ اليوم مُجْمِعةً أَنها نَسَخَتْها التَوْبة ؛ فَمَنْ تابَ أَجمَعَتْ جميعُ الأُمّةِ موافِقُها وَمُخَالِفُهَا (على قبول توبته) إلاَّ رَجُلُ واحدُ فإنه خَرَجَ عن الإِجْماع (١).

والباب الثاني عشر: أَنْ تختلِفَ الأُمّةُ في الدين المُّمَةُ في الدين المُّخرى ؟ أُولِها و آخرِها في آيتين هل نَسَخَتْ إحداهما الأُخرى ؟ ثُمَّ لا يُجْمِعُونَ على واحد من القولين . من ذلك قولُه عَزَّ مِنْ قائِلٍ في أَهْلِ الذِّمَّةِ « فإنْ جاؤك فاحكم بينهم أو أَعْرض عنهم » (٢) ؟

(فاختلف) في ذلك العُلماءُ .

فقال قَومٌ من أَهْلِ العِراق: الآيةُ محكَمةُ لم ينسخْها شيءٌ ، ورويَ ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه كَتَبَ إلى محمد بن أبي بكر " في نصرانية زَنَتْ أن ادفَعْهَا إلى أهلِ دينِها ، فرأى أَنَّ آيةَ التخيير ثابتةٌ ، فلذلك أمره أَن يَتْرُكَ الحُكْمَ فيها ويدفَعَها إلى أَهْلِ دينِها فلذلك أمره أَن يَتْرُكَ الحُكْمَ فيها ويدفَعَها إلى أَهْلِ دينِها

⁽۱) هو عبد الله بن عباس . ففي القرطبي ٣٣٣/٥ : روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : اختلف فيها أهل الكوفة ، فرحت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال : نرلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً ...) وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء . (٢) المائدة : ٢٢ .

⁽٣) محمد بن أبي بكر (١٠ – بعد صفين) أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، وكان يكنى أبا القاسم . قتل في و لاية علي بن أبي طالب في مصر . قتله رجال معاوية : مشاهير ١٩ .

وأَبِي ذلك كَتُيرٌ من العُلَمَاءِ ، وقالوا: ليس للمَوَالِي إِذَا ارتفعوا اليه إِلاَّ أَنْ يحكُم بينَهم. وقالوا: نسخَتْها بعدَها قولُهُ « وأَن احكُمْ بينَهم بما أَنزل اللهُ ولا تتَّبِعْ أَهواءَهم » ° قال ذلك الشعبيُّ ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وقَتَادةُ ، وغيرهُمُ . حدَّثَنَا شُريح قال : حدَّثنا هُشيم ، عن منصور (١) ، وغيرِهِ عن الحَكَم ، ومُجاهِد في قوله تعالى « وأَنِ احكُمْ بينهُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ » قال : نَسَخَتْ ما كان قبلَهَا « فاحكُمْ بينهم أو أُعرِضْ عنهم». حدَّثنا شُريح قال: حدثنا وكيع (٣) عن سفيان ، عن الساري (١) ، عن عكرمة (فإِنْ جاوكَ فاحكُمْ بينهم أو أُعْرِضْ عنهم » نسختها « وأنِ احكُمْ بينهم بما أَنْزَلَ الله » إليك .

واخْتَلَفُوا في قوله « واذا خاطبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سلاَما » (°). فقال أَكثرُ العلماءِ: لم تُنْسَخْ ، وقال أَقَلُّهُمْ:

⁽١) المائدة : ٤٩ .

 ⁽۲) منصور (– ۱۳۱ هـ) ابن زاذان . من الصالحين المتقشفة ، بمن تفرغ للعبادة ، وتلبس جلباب الزهادة ، و رفض الناس وما هم بحذافيره : مشاهير ۱۷٦ .

⁽٣) وكيم (١٢٩ – ١٩٦ هـ) ابن الجراح الرؤاسي ، أبو سفيان . من الحفاظ المتقنين وأهل الفضل. في الدين . ممن رحل وكتب و جمع و صنف وحفظ وحدث و ذاكر و بث : مشاهير علماء الأمصار ١٧٣ .

^(؛) الساري : لم أجد بين شيوخ سفيان أحداً بهذا اللقب . (ه) الفرقان : ٦٣ .

نَسَخَ منها في الكُفَّارِ قَوْلَهُ « واقتُلُوهُمْ حيثُ وجدْتُمُوهُمْ » (١).

حَدَّثَنَا شُريح ، قال : حدَّثنا هُشيم ، عن عَبّاد ، عن الحَسَن « وعبادُ الرحمنِ الذين يَمْشُون على الأَرْضِ هَوْناً ، وإذا خاطَبَهُمُ الجاهلون قالوا سَلاَماً » (٢) .

قال : نُسِخ في براءَةَ ، وأُمِرَ بالقتال .

وأبى ذلك العلماء إلا أنّه أثنى على المؤمنين بالحِلْم ، ولم يُرِدْ بذلك قتالَ المشركين. والامة اليوم مجمعة (أنها ليست بمنسوخة) إلا الحسن فيدخل في الباب الذي أجمعوا ؛ (لا أنّ) آخِرَ الأُمّةِ غلِطَتْ فيه (٣) .

وكذلك قولُهُ تعالى « وعلى الذين يُطيقونَهُ فدْيةٌ طَعَامُ مسكين » (3) . فقال بعضُ العلماءِ : نزلت فيمَن يُطيقُ الصِيامَ ، فخيَّرَهُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ صَامَ ، وإِن شَاءَ أَفطر ، وأَطعم مسكيناً ولم يَصُمْ ، فَنَسَخَ الله جَلَّ شَاءَ أَفطر ، وأَطعم مسكيناً ولم يَصُمْ ، فَنَسَخَ الله جَلَّ

⁽١) النساء : ٨٩ .

⁽٢) الفرقان : ٦٢ .

⁽٣) في الأصل : وأنها ليست بمنسوخة . والامة اليوم مجمعة الا الحسن يدخل في الباب الذي أجمعوا ، آخر الأمة غلطت فيه .

⁽٤) البقرة ١٨٤.

وعَزّ هذه الآية بقولِهِ « فَمَنْ شَهِدَ منكُمْ الشَهْرِ فليصُمْهُ » (١). وقرأً مَنْ قال ذلك بالتخفيف وهو أكثَرُ العلماءُ فقرأً « وعلى الذين يطيقونه » خفيفة.

حَدَّثَنَا شُريح قال: حدَّثنا بكار بنُ عبد الله الرَبَذي (٢٠) عن موسى بن عُبيدة ، عن محمَّد بن كعب (٣) « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين » فنسخَتْها « فَمَنْ كان منكم مريضاً أو على سَفَرٍ فَعدَّة من أيام أُخر » (٠) وقالت فرقة : ليست بمنسوخة ، إنما أُنزلَهَا الله في الشَيْخ الكبير والحَامِلِ والمُرْضِع ، وَمَنْ به العَطَشُ ، مِمَنْ يكونُ الصوم عليه شديداً ، فجعل الله له أن يُطْعِم مسكيناً ؛ إلا أَنهم مُجْمِعُون على اختلافِهِمْ في الشَيْخ أَنَّ يُفطِر ويُطْعِم .

(ومن) ذلك قولُهُ تعالى « خُذِ العفْو وأْمُرْ بالعُرْف» (°) ،

⁽١) البقرة ه١٨.

⁽٢) في الأصل: الزيدي. وقد ترجمنا له.

 ⁽٣) محمد بن كعب (- ١٠٨ ه) بن سليم القرظي ، أبو حمزة . من عباد أهل المدنية ، وعلمائهم بالقرآن : مشاهير علماء الأمصار ٦٥ .

⁽٤) البقرة ١٨٥.

⁽٥) الأعراف ١٩٩.

حدّثنا شُريح ، قال حدّثنا اسماعيلُ بن ابراهيم (١) ، عن ليث عن مُجَاهد (خُدِ العَفْو » قال : خُدْ ماعفا لَكَ من أَخُلاقِهِمْ .

وكذلك قولُهُ تعالى «وفي أَمْوالِهِمْ حَقَّ معلومٌ . وسَّائل والمَحْروم » (١) واختلفوا فيه ؛ فقال أَكْثَرُهُم : نُسِخَ بالزكاة . وقال الكلبيَّ : كان هذا قبل أَن يُؤْمَرَ بالزَّكاة ، ثُسِخَتْ بالزكاة .

وكذلك قوله تعالى « فإما مَنَّا بعدُ وإمّا فِدَاءَ » (٣) قال بعضُهُم : نَسَخَتْها « فإمّا تثقفنَهم في الحربِ فشرِّد بهم مَنْ خَلْفَهُم » (١) قاله (٥) قتادة .

حدَّثَنَا سَعِيد (أ حَدَّثَنَا وكيع ، عن سُفيان ، عن جابِر قال : يُمَنُّ على الأَسير (١٢٢) أو يُفَادَى . حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، حدثني رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر قال : ما رأيت عمر قتل الا أسيراً

⁽١) اسماعيل بن ابراهيم (– ١٦٩ هـ) ابن عبد الرحمن المخزومي القرشي : مشاهير ١٣٠.

⁽٢) المعارج ٢٥ . (٣) محمد : ٤ . (٤) الأنفال : ٧٥ . (٥) أي القول السابق .

 ⁽٦) سعيد بن عامر الضبعي (١٢٢ – ٢٠٨ ه) أبو محمد البصري . روى عن جماعة من الثقات .
 وعنه خلق بينهم الحارث المحاسبي . وأخطأ ابن حجر فذكر الحارث ابن أبي أسامة . وثقه الأئمة :
 تهذيب التهذيب ٤/٠٥ .

واحدا . حدثنا مُبَشِّ الحلبيُّ (۱) ، عن أبي بكر بن عبد العزيز الله بن أبي مريم (۱) ، قال : أُتِي (۱) عُمَرُ بنُ عبد العزيز برَجُلٍ من أهْلِ فارس فبينما هو يُحاوِرُهُ إِذ قال الأسيرُ : أمَّا والله لَرُبُّ رَجُلٍ من المسلمين قد قَتَلْتُهُ ، قال : فأمر به فضربَتْ عنقُهُ ، وقال : لا أستَبْقيه على ما قال .

حدَّثَنَا مُبَشِّر ، عن صَفُوان بنِ عمرو ('' عن الأَزهر بن عبد الله الحرازي ('') ، أَنَّ الأَسيرَ كان معه فلم يقتُلُهُ ، وأَب وسُفيان عن مَعْمَر ، عن الحَسَن ، قال : لا يُقتَلُ الأَسيرُ إِلاَّ في الحرب .

أَبو سُفْيان عن مَعْمَر عن قتادة « فامّا مَنَّا بَعْدُ » قال نَسَخَتُها « فإمّا تَثْقَفَنَهُمْ في الحَرْبِ فَشَرِّد بهم مَنْ خَلْفَهمْ »

⁽۱) مبشر الحلبي (– ۲۰۰ هـ) ابن اسماعيل ، أبو اسماعيل الكلبي مولاهم. روى عن جماءة من الشاميين ، وعنه جماعة من البغداديين ، وكان ثقة ، مأموناً : طبقات ابن سعد ۱۷۳/۷ .

 ⁽۲) أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم : الغساني . كان كثير الحديث ، ضعيفاً ، وقد رويت عنه
 رواية كثيرة ، وكان عابداً : ابن سعد ١٧٠/٧ .

⁽٣) في الأصل : أوتي .

⁽٤) صفوان بن عمرو (- ١٥٥ ه) بن هرم السكسكي الحضرمي ، أبو عمرو ، من صالحي أهل الشام وخيارهم ومتقني أتباع التابعين وأبرارهم . يقال انه أدرك أبا أمامة الباهلي ، وفي ذلك نظر : مشاهير علماء الأمصار ١٧٩ .

⁽ه) الأزهر بن عبد الله الحرازي : الحمصي . روى عن بعض الصحابه . وهو ثقة إلا أنه سيء المذهب : تهذيب ٢٠٤/١ . و في الأصل : الأزهر بن مالك بن عبد الله الختمي ؟

وكَرِهُ قَتْلُه الحَسَن وعطاء وغيرُهُ قال : إِنْ شَاءَ الإِمام مَنَّ ، وإِنْ شَاءَ فادى .

وقال ابن عَبّاس : هو مخيّرٌ إِنْ شاءَ قَتَلَ ، وإِن شاءَ فادى ، وإِن شاءَ مَنَّ .

وكذلك القولُ ؛ لأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم قد قَتَل ومَنَّ وفادى .

وكذلك قولُهُ تعالى « ولا تجادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إِلاَّ بِالتِي هِي أَحْسَنُ » (۱) . حدَّثنا شريح ، قال : حَدَّثنا أبو سُفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، « ولا تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إِلاَّ بالتي هِي أَحْسَنُ » قال نَسَخَتْها « فاقتلُوا المشركين» ولا مُجَادِلُوا أَشد من السَيْف .

حدَّننا يحيى بنُ بُكير ، عن سالِم عن سَعيد – أَو مِحاهد « ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إِلاَّ بالتي هي أَحْسَنُ إِلاَّ الذين ظَلَموا منهم » (٢) أَهْل الحربِ ، فجادِلُوهُمْ بالسَيْف (٣) .

⁽١) العنكبوت: ٢٦.(١) العنكبوت: ٢٦.

 ⁽٣) الطبري ٢/٢١ - ٣ : ١ - حدثني علي بن سهل قال ثنا يزيد عن سفيان عن خصيف عن مجاهد
 في قوله : و لا تجادلوا ... قال : من قاتل و لم يعط الجزية .

الباب الثالث عشر: الناسخُ والمنسوخُ الذي أَجمَعَتْ عليه الأُّمةُ أَنه ناسخٌ فَمنْسوخٌ لا يَخْتَلِفُونَ في ذلك. وهو مُثْبَتُ (في) الكتابِ؛ (من) ذلك ما نُسِخَ حكمه كقولِهِ عُزَّ وجَلَّ « وأَعرِضْ عن الجاهِلِين » (١) ، «واصفح الصَّفْحَ الصَّفْحَ الجميل » (٢) ، « فاصفَحْ عنهم وقُلْ سَلاَمٌ » (٣) « وامهِلْهُم رُويداً » (¹⁾ « وذر الذَين اتَّخذوا دينَهُم هُزُواً وَلَعِباً » (⁰⁾ ، « فَذَرْهُم فِي غَمْرتهمْ حَتَّى حين » (١) « قُلْ للذِين آمَنُوا يَغْفِروا للذين لا يَرْجُون أَيَّامَ الله » (٧) « وما أَرْسلْناكَ عليهم حَفِيظاً » (٩) ، « وما أنتَ عليهِمْ بِوَكيلْ » (^) « فاعرضْ عنهم وانْتظِرْ » (١٠) وما أَشبهَ ذلك نَسَخَهُ الله بقولِهِ « أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بأنَّهم ظُلِموا ، وإِنَّ اللهَ على نَصْرهم لَقَدير » (١١).

ب - حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد : و لا تجادلوا أهل الكتاب ... قال : أهل الحرب من لا عهد له ، جادله بالسيف ... وأولى هذه الأقوال. بالصواب قول من قال : عنى بقوله : الا الذين ظلموا منهم . الا الذين امتنعوا عن أداء الحزية ، ونصبوا دونها الحرب .

⁽١) الأعراف : ١٩٩ . (٢) الحجر : ٨٦ . (٣) الزخرف : ٨٩ .

⁽٤) الطارق : ١٧ . (٥) المائدة ٥٧ . (٦) المؤمنون : ٤٤ .

⁽٧) أَلِحَاثَية ١٤. (٨) النساء ٨٠. (٩) الانعام ١٠٧، الشورى ٦، الزمر ٤١..

⁽١٠) السجدة ٣٠ . (١١) الحج ٣٩ .

ومن ذلك قولُهُ « لا ينْهَاكُمُ اللهُ عن الذين لم يُقاتِلُوكُمْ في الدِّيْنِ » (١) وقولُهُ « فإِن اعتزلُوكُم فلم يُقاتِلُوكُم ، وأَلقوا إِليكم السَلَم فما جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عليهِم سَبيلاً » (١) نَسَخَ ذلك قولُهُ تعالى « اقتُلُوا المشركين حيثُ وجدتُهُوهُ » (٣) وَأَمَّا قُولُهُ « ولا تقاتِلُوهم عند المسجِدِ الحرامِ حتَّى يُقاتِلُو كم فيه»(١) فإِن اللهَ عَزَّ وجَلَّ نَسَخَها ساعةً من نهار لنبيِّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثم أعاد تحريمَهَا كما كان ، فَلا يَحِلُّ قِتالُها أَبداً ، إلا أَن يبتدىء المُشركون فيها بِالقِتال ، فيحلّ القتالُ للمُسلم إِذَا بِدُوُّوهُ لقولِهِ « ولا تُقاتِلوهم عند المسجِدِ الحرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُم فيه » (٥) (الآية) فنسخَها اللهُ لنبيِّهِ ساعةً من نهارٍ بقولِهِ « فقاتِلوا أَئِمَّةَ الكُفر إِنهم لا أَيمانَ لَهُمْ » (١) إلى قولِهِ « وهم بدوُّوكُم أُوَّلَ مَرّة » (') إِلَى قولِهِ « وَيَشْفِ صُدورَ قوم ٍ مؤمنين » (٨) يعني خُزَاعَةَ من بني بكر ، حلفاءِ قُريش ،

 ⁽۱) المتحنة ٨ .

⁽٣) التوبة ه . (٤) البقرة ١٩١ .

⁽ه) البقرة ١٩١ . (٦) التوبة ١٢ .

فَقَاتَلَتْ بنو بَكْرِ خُزاعَة ، وكان بين أَهل مَكَّةَ وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صلح (١) ، فأرسَلَت قُريش من أَمْل مَكَّةَ إِلَى بني بكر (فطال ؟) (" كان ذَلِكَ نَكْثاً لِعَهْدِهِمْ ، فَأَذِنَ اللهُ لنبيِّهِ أَنْ يِأْتِيَهُمْ فِي الحَرَم ، ويبدأ هُم بالقِتال ، فسار إليهم النبيُّ عليه السلامُ فقاتَلَهُمْ في الحَرَم ، فلمَّا فَتَحَ لنبيِّه عليه السلام مَكَّةَ وفَرَغَ من قتالِهِم قال « لا قتال بين أَحَد » فنقول لهذا : أَحلُّها لرسولِ الله صَدَّى الله عليه وسَدَّم . وإِنَّما أَحلُّها ساعةً من نهارٍ ، ثُمَّ عادَتْ كما كانت لا يَحِلُّ فيها قِتالٌ ولا (يُخْتَلا) خَلاَها، ولا يُعْقَرُ صيدُها، ولا يُعْضَدُ شَجَرُها ؟

وقد رُوِيَ عن قتادة انه نَسَخَ قولَهُ « ولا تقاتِلُوهم عند

⁽١) في الأصل: صلحاً.

⁽۲) ابن سعد ۹۷/۲ : كلمت بنو نفاثة – وهم من بني بكر – أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح ، فوعدوهم و وافوهم بالوتير متنكرين متنقبين، فيهم صفوان بن أمية وحويطب . . فبيتوا خزاعة ، فقتلوا منهم عشرين رجلا .

و في سيرة ابن هشام ٣٩٠/٢ : ورفدت بني بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قاتل ، من قريش بالليل مستخفيا ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم .

و في عيون الأثر ٢/٤/٢ : ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل مالليل مستخفياً .

المسجد الحرام » (۱) بقولِهِ « اقتُلُوا المشركين حيثُ وجدتُمُوهُم » (۲) فليس كما قال . ما زالَ أَصحابُ محمَّد صلى الله عليه وسلم والتَّابِعونَ إلى عَصْرِنا (مُجْرِعِيْن) (۳) أَنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم والتَّابِعونَ أَلَى عَصْرِنا (مُجْرِعِيْن) (۳ أَنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم أخبر أنه قد عادَتْ حُرْمَتِها .

حدَّثَنَا أَبو إِسحاق ، عن عُثمان بن عطاء (') ، عن. أبيه عن ابنِ عَبّاس قال : قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (فإِن تَوَلّوا فَخُذُوهُم واقتُلُوهُم حيث وجدتُمُوهُم ولا تَتَّخِذُوا منهم وليّاً ولا نَصِيراً إِلاّ الذين يَصِلُون إِلى قوم بينكم وبينهم (') وليّاً ولا نَصِيراً إِلاّ الذين يَصِلُون إلى قوم بينكم وبينهم (') الله قوله (سُلْطاناً مُبيناً » (') ، قال : (لا ينهاكُمُ اللهُ عن الذين لم يُقاتِلُوكُم في الدين » (') إلى قوله (فامتحنوهُنَّ » ثم نسخ هؤلاء الآياتِ فأنزل : (براءة من الله ورسولِه » (') إلى قوله (ونقصل الآياتِ لقوم يعلمون » وأنزل (وقاتِلوا المشركين كافَّةً » (') إلى قوله يعلمون » وأنزل (وقاتِلوا المشركين كافَّةً » (') إلى قوله وله

⁽١) البقرة ١٩١ . (٢) التوبة ٥ . (٣) في الأصل : مجمعون .

 ⁽٤) عثمان بن عطاء (– ١٥٥ هـ) بن أبي مسلم الحراساني . ضعفه أكثر العلماء . يروي عن أبيه .
 وغيره . وعنه ابنه محمد وابن شعيب : الميزان ٤٨/٣ .

⁽c) النساء ٩٨ ، ٩٠ . (٦) النساء ٩١ . (٧) المتحنة : ٨ .

 ⁽A) التوبة: ١.

" المُتَقين » ، " وإِن جَنَحُوا للسّلم فاجْنَحْ لها » (" ثُمَّ نَسَخَ هذه بقولِهِ " قاتِلوا الذين لا يُؤمِنون باللهِ ولا باليوم الآخِرِ ، ولا يُحَرِّمونَ ما حُرِّمَ اللهُ ورسولُهُ » (").

وأَمَّا قولُهُ « ويسأَلونَكَ ماذا يُنْفقون » ؟ (٣)

فحد ثنا شريح (أ) قال : حَد ثنا (مروانُ بنُ) مُعاوية (أ) وقال : حَد ثنا ابنُ أبي ليلي (أ) عن الحَكم (ألا) عن مِقسم (ألا) عن ابنِ عَبّاس في قولِهِ (ويسألونكَ ماذا يُنْفِقون قُل العَفْو) (أ) قال : العَفْو ، الفَضْلُ عن العِيال . ثُمّ نَسَخَ ذلِكَ بالزّكَاة .

 ⁽۱) الأنفال : ۲۱ . (۲) التوبة : ۲۹ . (۳) البقرة : ۲۱۹ .

⁽٤) هو ابن يونس : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث : وضبطه ابن حجر في التهذيب ٤٥٧/٣ : سريج ، وشيخه مروان بن معاوية .

⁽ه) مروان بن معاوية (– ١٩٣ هـ) ابن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن ، أبو عبد الله الكوفي الحافظ . سكن مكة ودمشق . روى عنه ابن مدين وابن حنبل وابن راهويه وابن يونس وابن المديني وسعيد بن منصور . ثقة ثبت ما حدث عن المعروفين : تهذيب ٩٧/١٠ وفي الأصل : معاوية .

⁽٦) عبد الرحمن بن أبي ليلي (١٨ – ٨٣ ه) من كبار التابعين . ثقة ، ثبت : مشاهير علماء الأمصار ١٠٢ .

 ⁽٧) الحكم بن عتيبة (٥٠ – ١١٥ هـ) أبو عمرو الكوفي . كان في أصحابه كالزهري في أصحابه .
 وكان ثقة ، فقيهاً ، عالماً ، عاليا ، رفيعاً ، كثير الحديث : ابن سعد ٢٣١/٦ .

⁽٨) مقسم : ابن مجرة ، أبو القاسم ، روى عن ابن عباس وعائشة وعبد الله بن عمرو وأم سلمة وجماعة . وعنه الحكم بن عتيبة وميمون بن مهران وآخرون . لا بأس به ، لكن المحدثين شكوا في سماع الحكم بعض الأحاديث عنه : تهذيب ٢٨٨/١٠ .

⁽٩) البقرة : ٢١٩.

وكذلك قولُهُ تعالى « واللذان يأتيانِها منكم فآذُوهُما فَإِنْ تَابَا وأَصلحا فأَعرضوا عنهما (١)» وقوله «فأَمْسِكُوهُنَّ في البيوت حَتَّى يتوفَّاهُنَّ الموتُ أَو يجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبيلا » (") فأُنزل اللهُ « الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلُّ واحد منهما ب، تُم جلدة » (٣) فنسخ الله حَدّ البِكْرَيْنِ من الأَذى والحَبْس والجَلْدِ ، بالتَّبْييْنِ بما بيِّن النبيُّ عليه السلام عَن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لأَنَّ اللهِ تبارك وتعالى قال : « حَتَّى يتوفَّاهُنَّ الموتُ أُو يجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبيلا » (٤) فأُمرهم بانْتِظارِ السبيل ، فقال النبيُّ عليه السَّلامُ « خُذُوا عني قد جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سبيلاً ، البكرُ بالبكرُ جَلْدُ ماية ورجْمُ بالحجارة » وقال عُمَرُ رضى الله عنه: كُنَّا نقرأً فيما أَنزل اللهُ « الشيخُ والشيخةُ إِذا زَنَيا فارجُموهُما أَلبتَّه » فَنسَخَ حَدّ البكْرَيْن بِالجَلْدِ ، ونسخ الثِّيبَيْنِ بِما كان نَزَلَ في القرآنِ من الرَجْم ، ثم رُفِعَ رَسْمُهُ من الكتاب وبقي وُجوبُهُ .

وقولُهُ « ما أَدْري ما يُفعل بي ولا بِكم » ؟

حدَّثنا شُريح ، قال حدَّثنا أبو سُفيان عن مَعْمَر قال :

⁽١) النساء: ١٦. (٢) النساء: ١٥. (٣) النور: ٢. (٤) النساء: ١٥.

قد بَيَّنَ ؛ قد غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأخَّر .. وأَبى أَكْثَرُ العُلماءِ ، وقالوا : إِنما أَرَاد ما يُفْعَلُ بي. ولا بكم ، ما أدري ما أومَرُ به أنا وأنتم .

وكذلك « إني أَخَافُ إِنْ عصيتُ ربِّي عَذابَ يوم ٍ عظيم » (١) .

حدثنا شُريح قال : حَدَّثنا سُفيان عن مَعْمَر عن قَتَادَةَ قَادَةً قال : نَزَلَتْ على النبيِّ عليه السلامُ « ليغفِرَ لك اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِك وما تَأَخَّرَ » (٢) بين مَكَّة والحُديبية .

وقال بعضُهُم: إنما عَنَى بذلك ما أدري أن يحدث من أَمْرٍ أَو حُكْم فِي وفيكم ؟

والعُلَمَاءُ على أنها منسوخةٌ.

ونَسَخَ قُولَهُ: « ويسأَلُونَكَ عن الخَمْرِ والمَيْسِ قُلْ فيها إِنْمُ كَبِير » (٣) ، وقُولَهُ « لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأنتم شكارى حَتَّى تعلموا ما تقولون » (١) ، بقولِهِ عَز وجَلِ

⁽١) يونس : ١٥ . (٢) الفتح : ٢ . (٣) البقرة : ٢١٩ . (٤) النساء : ٣ ؛ .

« إِنما يُرِيدُ الشَيْطانُ أَن يُوْقِعَ بِينكُم العداوةَ والبغضاء في الخَمْرِ والمَيْسِرِ » (١) إِلَى قوله « فَهَلْ أَنتَم مُنْتَهُونَ » .

وكذلك قولُهُ « وصيةً لأَزواجِهم مَتَاعاً إِلَى الحَوْل » (٣) نقسم نَسخَ اللهُ ذلك بقولِهِ « وَلَهُنَّ الربعُ مِمّا تركْتُم » (٣) نقسم اللهُ لهنّ الميراث ، ونسخَ الوصِيَّة لَهُنَّ . وقال بعضُ العُلَمَاء : نسَخَهُ اللهُ بقولِ النبيِّ عليه السلامُ « لا وصيَّة لِوَارِث » ، ونسَخَهُ اللهُ بقولِ النبيِّ عليه السلامُ « لا وصيَّة لِوَارِث » ، ونسَخَ ما كان عليها من العِدَّةِ إلى الحَوْل بقوله « يتربَّصْن بأَنْفُسِهِنَّ أَربعة أَشْهُرٍ وعشراً » .

وقال بعضُهُم: لم يوجِبِ اللهُ عَزَّ وجَلَّ العِدَّةَ فِي الحَوْل ، إِنها كان أباحَ لها الوصية اذا كانت من الزوج (على) أن تَسْكُنَ إِلَى الحَوْل فَنَسَخَها بالمِيراث (١).

وكذلك قولُهُ عَزّ مِنْ قائل « يا أَيُّها الهُزمِّلُ قُم اللَّيلَ إِلاَّ قَليلا » (°) فقام النبيُّ عليه السلامُ وأصحابُهُ حَوْلاً

⁽١) المائدة : ٩١ . (٢) البقرة : ٢٤٠ . (٣) النساء : ١٢ .

⁽٤) القرطبي ١٧٤/٣ : أكثر العلماء على أن هذه الآية ناسخة لقوله عز و جل « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » لأن الناس أقاموا برهة من الاسلام إذا توفي الرجل ، وخلف امرأته حاملا أوصى لها زوجها بنفقة سنة و بالسكنى ما لم تخرج فتتزوج ، ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر و بالميراث .

كاملاً حتى تورَّمَتْ أَقدامُهُم فنسخها الله جَلَّ ثناوُهُ بقولِهِ « فاقرُءُوا ما تَيَسَّرَ منه » (١) .

وكذلك قوله عز وجل « إذا ناجيتُمُ الرسولَ فقدِّمُوا بينَ يَدَيْ نَجُواكُم صَدَقَة » (٢) فنسخَهَا بقوله « فإذْ لم تفعلوا وتابَ اللهُ عليكُم » (٣)

وكذلك قوله « إِنْ تَركَ خيراً الوصيَّةُ للوالِدَيْنِ وَالأَقْربِينِ » (١) نسخَها اللهُ فاختَلفُوا ؟

فمنهُمْ منْ قالَ بآياتِ المواريثِ (°) ، ومنهم مَنْ قال بقول النبيّ عليه السلامُ « لا وصيَّةَ لوارث » (۲) . وقال بعضُ من يتَفقَّهُ : لم تَجبْ قطُّ فَتُنسَخ ، إِنَّما عَنَى الله جَلَّ ذِكرُهُ بقولِهِ « للوالِدَيْنِ والأقربِيْنَ » العبيدَ والكُفَّار جَلَّ ذِكرُهُ بقولِهِ « للوالِدَيْنِ والأقربِيْنَ » العبيدَ والكُفَّار

⁽١) المزمل : ٢٠ . (٢) المجادلة : ١٢ .

⁽٣) المجادلة : ١٣ . (٤) البقرة : ١٨٠ .

⁽ه) الجصاص : أحكام القرآن ١/١٥/١ : عن ابن عباس في هذه الآية « إن ترك خيراً ... » قال : نسختها هذه الآية « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر ؛ نصيباً مفروضاً »... وقال آخرون : نسخها ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا وصية لوارث ... وورود هذا الخبر من عدة جهات ، جعله عندنا في حيز التواتر لاستفاضته وشهرته في الأمة ، وتلقي الفقهاء إياه بالقبول ، واستعمالهم له . وجائز عندنا نسخ القرآن بمثله إذكان في حيز ما يوجب العلم والعمل من الآيات .

⁽٦) رواه ابو داود والدارمي

من الاخوان (۱) (۱۲٤) الذين لا يَرِثُونَ ؛ فالوصيَّةُ لهم جائِزَةٌ على حالِها ، لم تُنْسَخْ ؛ ولم يَقُلْ هذا القَوْلَ أَحَدُّ ممن مضى.

وقال بعضُ التَّابِعِيْنَ : نُسِخَ منها كُلُّ مَنْ يَرِثُ ، وَبقِيَ منها القرابةُ الذين لا يَرِثون ، فالوصيَّةُ لهم واجِبةٌ إلا أَنهم مُجْمِعُون أَنَّ الوصية لا تَجُوز إلاَّ للأَقربِينَ الذين لا يَرثُون ، ولا تَجُوزُ لِمَنْ يَرثُ ".

وكذلك الخَمْرُ نَسَخَ قولهُ « فِيهِما إِثْمُ كَبيرُ » (")
ولم يُحَرِّمُهَا ، ونَسِخَ مِنْ قولِهِ « لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأنتم
سُكارى » (ن) فَنَسَخَ ذلك بقولِهِ « فاجتنبوهُ لعلَّكُم
تُفْلِحُون » (۰) .

و كذلك قولُهُ « فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحَرَامِ » (١)

⁽١) القرطبي ٢٦٢/٢ : قيل : هي محكمة ، ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الوالدين اللذين لأ يرثان كالكافرين والعبدين ، وفي القرابة غير الورثة . قاله الضحاك وطاوس والحسن ، واختاره الطبري .

⁽٢) أحكام القرآن ١٩٥/١ : وقالت طائفة : قد كانت الوصية واجبة للوالدين والأقربين ، فنسخت عمن يرث ، وجعلت للوالدين والأقربين الذين لا يرثون .

⁽٣) البقرة : ٢١٩ . (٥) المائدة : ٩٠ .

⁽٦) البقرة : ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

نَسَخَ اللهُ بها صَلاَتَه إِلى بيتِ المَقْدِس.

وكذلك قولُهُ ﴿ إِنْ يَكُنْ مَنَكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائتَيْن » إِلَى قولِهِ « لا يَفْقَهُونَ »(١) فَكَتَبَ عليهم بهذه الآيةِ ، أَلاَّ يَفِرُّ واحِدٌ مِن عَشرةٍ ولا قَوْمٌ من عشرةِ أَمْثالهم ؟ وَوَعَدَ النَّصْرَ أَن يَنْصُرَ الواحِدَ على العَشرةِ ، والقومَ على عشرةِ أَمثالِهم إِنْ صَبَرُوا ، فَجَبُنُوا عن ذلِكَ ، وضعَفُوا عنه فَنَسَخَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ ذلك ، وخَفَّفَ عنهم ، ورَفَعَ عنهم من ضمانِهِ لِنَصْرِهِمْ على قَدْرِ ما خَفَّف عليهم في الآيةِ الناسِخة ، فأنزل الله « الآن خَفَّفَ اللهُ عنكُم ، وعلِمَ أَنَّ فيكم ضَعْفا » (٢) إلى قوله « بإِذْنِ الله » فَوجَبَ عليهم أَلاَّ يَفِر الرجُلُ من الرجُلَيْنِ ، ولا القومُ من مِثْلِهمْ ، وَوُعِدُوا أَن يَنْصُرَ الواحِدُ على الاثْنَيْن ، والقومُ على مِثْلَيْهمْ ، إِذَا صَبَرُوا .

ونَسخَ قولَهُ « وإِنْ جَنَحُوا للسَّلْم فاجْنَحْ لَهَا » (٣) بقولِهِ عَزِّ مِنْ قائِلٍ « قاتِلُوا الذين لا يُؤمِنونَ باللهِ ولا باليَوْمِ الآخِرِ » (٤) إلى قولِهِ « صاغِرُون » .

 ⁽١) الانفال : ٥٠ . (٢) الأنفال : ٦٦ . (٢) الأنفال : ٦١ . (٤) التوبة : ٢٩ .

ونسخ قوله « ولا تَنْكِحُوا المشركاتِ حَتَّى يؤمِنَ » (۱) بقوله « والمُحْصَنَات مِن الذين أُوتوا الكتاب مِنْ قَبْلِكُم » (۲) فلم تَزَل الأُمَّةُ مُجْمِعَةً أَنَّ نِكاحَ نساءِ أَهْلِ الكِتاب حلال ، إلاَّ ابن عُمَر فإنه كَرِهَهُ وكرِهَهُ عُمَرُ وغيرُهُ بِغَيْرِ التحريم ، خوفاً أَن تكونَ الذَّمِيَّةُ ليست بِعَفِيفةِ (۳) .

وكذلك قولُهُ تعالى: « لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ ولا الشَهْرَ اللهِ ولا الشَهْرَ الحرامَ ولا الهَدْيَ ولا القَلائِدَ ولا آمَيْنَ البيتَ الحَرامَ يَتَبغُونَ فَضلاً من ربِّهِمْ » (ن) فَنَسَخُه بقولِهِ: « إِنَّما المُشْرِكُون نَجَسُ فلا يَقْرُبوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بعد عامِهِمْ هذا » (٥) وبقولِهِ: « ما كان للمُشْرِكِيْنَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله » (١)

⁽١) البقرة : ٢٢١ . (٢) المائدة : ه .

⁽٣) كره عمر وابن عمر زواج المسلم من الكتابية، لكنهما اختلفا في تعليل ذلك . أما عمر فحمل قوله تعالى « والمحصنات » على أنهن العفائف : أحكام القرآن ٣٢٤/٢ ، وقال حذيفة : أخاف أن تواقعوا الموسات منهن !!

أما ابن عمر ، فكان يرى أن الكتابيات مشركات ، ويقول : لا أعلم من الشرك شيئاً أعظم من أن تقول : ربها عيسى بن مريم ، وقرأ الآيتين الكريمتين « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، « و لا تنكحوا المشركات حتى يؤين » فلما رأى الآيتين في نظامهما تقتضي إحداهما التحليل والأخرى التحريم ، وقف فيه و لم يقطع بابإحته : القرطبي ١٨/٣ .

⁽٤) المائدة : ٢ .

⁽٥) التوبة : ٢٨.

⁽٦) التوبة : ١٧.

وكذلك قولُهُ: « فَسيحُوا في الأَرض » (١) نَسَخَهُ بقولِهِ: « ما كان للمشركِيْن أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله » (٢) وكذلك قولُدهُ : « فسيحوا في الأَرضِ » فَأَجَّلَهُمْ أَربعةَ أَشْهُر (يسِيحُونَ) (٣) في الأَرْضِ بقيَّةَ عَهْدهِمْ ، وآذَنَهُمْ بالحرب بعد انقضاءِ الأَربعةِ أَشْهُر.

وقال ابنُ عَبّاس : وأَجُّلَ الذين ليس لهم عَهْدُ خَمْسِينَ ليس لهم عَهْدُ خَمْسِينَ ليس لهم عَهْدُ خَمْسِينَ ليلةً ؛ انسِلاخَ الأَشْهُرِ الحُرُم يسِيحونَ فيها حيثُ شاوًا .

وقال عَزَّ وجَلَّ « فإِنْ تابوا وأقاموا الصَّلاة وآتُوا الزكاة فَحَلُّوا سبيلَهُم » (١) قال: فأَمَرَهُم الله إذا انسلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ الْحُرُمُ الله يَذْخُلُوا في الإِسْلام ، أَن يَضَعَ السيفَ فيمَنْ عَاهَدَ إِنْ لم يَدْخُلُوا في الإِسْلام ، ونَقْضُ ما سَمّى لَهُمْ من العهدِ والميثاقِ أَذَهَبَ الشَّرْطَ الأَوّلَ . ثم قال عزّ وجل « إِلاَّ الذين عاهَدْتُم عند المسجِدِ الحرام » (٥) يعني أَهْلَ مكَّة « فما استَقَامُوا لكم فاستقيموا الحرام » (٥) يعني أَهْلَ مكَّة « فما استَقَامُوا لكم فاستقيموا لهم . إِنَّ الله يُحِبُ المُتَقِين » (١) فأرسل النبيُّ عليه السلامُ ،

⁽١) التوبة : ٢ . (٢) التوية : ١٧ .

⁽٣) في الأصل: يسيحوا (٤) التوية: ٥.

⁽ه) التوية : ٧ . (٦) التوية : ٧ .

أَبِهِ بِكُر ، وعليًّا رَضِيَ الله عنهما فَأَذَّنُوا لأَصحابِ العهدِ أَن يأَمنُوا أَربعةَ أَشْهُرٍ _ وهي الأَشْهُرُ الحُرُمُ _ ولا عَهْدَ لَهُم .

قال : وهيَ الحُرُمُ من أَجْلِ أَنهم أُمّنُهِ العَمْ حَتَّى يسيحوا فيها ، فأَذَّنَ للناسِ كُلِّهِم إِنْ لم يُؤْمِنوا ؛ فَنَسَخَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِبَرَاءَةَ في قولِهِ « إِلاَّ الذين يَصِلُون إِلى قومٍ بينكم وبينهم مِيثاقُ » (١) إلى قوله : « فما جَعَلَ اللهُ لكم عليهِم سَبِيلاً » (٢) ، ونَسَخَتْ قولَهُ : « لاينهاكُمُ اللهُ عن الذين يقاتِلُوكُم في الدِّيْنِ ، ولم يُخْرِجُوكُم من ديارِكُم أَن تَبَرُّوهُم وتُقْسِطُوا إِليهم » (٣) فَنَسَخَ ذلك كُلَّهُ ببراءَة . وقال عَزّ وجَلَّ « انفِروا خِفاقاً وثِقالاً » (¹⁾ فأُوجَبَتْ هذه الآيةُ على الأُمّةِ الجهَادَ . وقال ابنُ عَبّاس : فنسخَها قولَهُ : « وما كان المؤمنونَ لينفِروا كَافَّةً فلولا نَفَرَ من كُلِّ فِرقةِ منهم طائفةٌ » (°) قال ابن عَبّاس : فتنفِر طائفةٌ ، وتمكُّث طائفةٌ مع النبيِّ عليه السلامُ ، والماكِتُون

⁽۱) النساء : ۹۰ . (۲) النساء : ۹۰ . (۳) المتحنة : ۸ .

 ⁽٤) الترية : ٢١ .

يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّين ، ويُنْذِرُوا قومَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِليهم مِنَ الغَزْو ، وبما أَنزل اللهُ وكتابه وحُدُوده . (١٢٥) ورُوي عنه أَيضاً ، أَنَّ السرايا هي التي تَرْجِعُ فيتعلَّمونَ من القاعِدِيْنَ مع النبيِّ عليه السلام .

وأمر الأنفال اذا جُمِعَتِ الغنائمُ بغير مبادرة ولا نَفْلِ بِشَرْط ، قبل الخروج ، ولكن الغنائمُ التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة ، قال ابن عبّاس : فذلك قولُهُ تعالى : «قل الأنفالُ لله والرسول » (۱) وكانت لرسول الله صلّى الله عليه وسكّم ليس لأَحَد فيها شيءٌ . ثم أَنزل الله بعد « واعلموا أَنَّما عَنِمْتُم من شَيْءٍ فإنَّ لله خُمسه » (۱) الآية) ، فَقسم الله الخُمسَ الذي كان للنبيّ عليه السلامُ خاصَّة ، يُنفِّلُ منه على خمسة أخماسٍ ، وجعل الأربعة الأخماس الباقية لِمَنْ شَهدَ الوَقْعَة .

وكذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ « والذينَ عقدَتْ أَيمانُكُم فآتُوهم نَصِيبَهُم » (٣) كان الرجُلُ يُحَالِفُ الرَجُلَ بِقَوْل : تَرِثُني وأَرِثُكَ ، ويَرْضَيَانِ بذلك ويتعاقدَان ، وعلى ذلك

⁽١) الأنفال : ١ . (٢) الأنفال : ١١ . (٣) النساء : ٣٣ .

ابنُ عَبّاس . وقال ابنُ المسيّبُ : نزلَتْ في الأَدْعِياءِ ، كانوا رجالاً يَتَبَنَّوْنَ رجالاً يَرِثُونَهُمْ .

وأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَسَخَ مِيرِاثَ الحُلَفَاءِ وَالأَدْعِياءِ ، بقولِهِ : « وأُولوا الأَرْحَام بعضُهم أُولى بِنَّ فَ فَكُوا فِي كِتَابِ الله مِنَ المؤمنين والمُهَاجِرِيْنَ ، إِلاَّ أَنَّ تَفْعَلُوا إِلَى أُوليائِكُم معروفا »(۱) قال ابنُ عَبّاس : إِلاَ أَنْ يَصِلُوا أُولياءُ هُمْ الذين عَاقَدُوهُم وصِيّةً لَهُمْ .

قال ابنُ المسيِّب : فَجَعَلَ الأَدْعِياءِ الوصيَّةَ ، ونَسَخَ ميراتَ الأَدْعِياءِ .

وحدَّثَنَا شُريح قال : حَدَّثنا أَبو سُفيان ، عن مَهْمَر ، عن قَتَادَة ، قال : ثُمَّ نَسَخَ ذلك بالمِيراث .

وأنزل عَزَّ وجَلَّ: « إِنَّ الذين يَأْكُلُون أَمُوالَ السِتامي ظُلْماً إِنما يَأْكُلُون في بطونهم ناراً وَسَيَصْلُونَ سَعِيرا » (٢) فتحرَّجَ قومٌ من مُخَالَطة اليتامي ، وشَكُوْ اذلك إلى النبيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّم ، فقالوا: إِنَّا نَخْلُطُ طَعَامَهُمْ بطعامِنا ؛ فأَذزل الله شويساً ويسألونك عن اليتامي قُلْ إصلاحٌ لَهُم خير ، فأَذزل الله « ويسألونك عن اليتامي قُلْ إصلاحٌ لَهُم خير ،

[.] ١٠ : الأنفال : ٢٥ . ٧٥ . النساء : ١٠ .

وإِن تُخَالِطُوهم فإِخوانكُم » (١) فقالتِ العُلماءُ: إِنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَخَ التشديدَ عليهم ، بالرَّخْصَةِ في المُخَالَطَةِ على غير تَعَمَّدِ لِظُلْم كما يَصْنَعُ المسلمونَ في أَسْفارِهِمْ ، وقد يُصيبُ بعض ، وَرَخَصَ الله يُصيبُ بعض ، وَرَخَصَ الله لهم في ذلِكَ على المخالطة من غير تعمَّد لِظُلْم شيءٍ مِن العِداءِ من غير تعمَّد لِظُلْم شيءٍ مِن مالِهِ بعَيْنِهِ .

الباب الرابع عشر: اختلفُوا فيه: أَمنْسوخُ هُو ؟ أَم استِثْنَاءُ خُصوص مِنْ عُموم؟ كَمُولِهِ: «فاجلدُوهم ثمانينَ جَلْدَةً ولا تَقْبَلُوا لَهم شَهادةً أَبداً » (٣) فَأَجْمَعُوا أَنه أَسْقَط الفِسْقَ بالتَوْبةِ ، فقال بعضُهم: نَسَخَهُ ، وقال بعضُهم: للفِسْقَ بالتَوْبةِ ، فقال بعضُهم: نَسَخَهُ ، وقال بعضُهم: لم يُردْهُ ، وإنما أَرَادَ مَنْ لم يَتُبْ.

فقال بعضُهُم: لم يُرِدْ للتَّائِبِ في تَرْكِ قَبولِ الشَّهادةِ ... ثُمَّ اختَلَفُوا في الشَهَادةِ .

وقال بعضُهُم: نَسَخَ الشهادةَ والفسْقَ بالتَوْبةِ.

فقال مالِك رَحِمَهُ اللهُ وَمُتَّبِعُوه : إِذَا تَابَ قُبِلَتُ شَهَادتُهُ .

وقال أَهْلُ العِرَاق: لا تُقْبَلُ شهادتُهُ أَبداً تابَ أَم لم يَتُب.

⁽١) البقرة : ٢٢٠ . (٢) النور : ٤

وكذلك قولُهُ تعالى « إِنها يستأذِنُكَ الذين لا يُؤْمِنون بالله واليوم الآخر » (۱) فقال قومُ : نَزَلَتْ فِي المُنَافِقِيْنَ (وعفور ؟) المؤمنين . وقال ابن عبّاس : نَسَخَتْها « وإذا كانوا مَعَهُ على أَمْرٍ جامِع لم يَذْهَبُوا حَتَّى يستأذِنُهِ هُ » (۱) إلى قولِه تعالى « فإذا استأذُنُوكَ لبعض شأنِهِمْ فأذَنْ لِمَنْ شِعْتَ منهُم واستغفر لهم الله » (۱) .

وكذلك قولُهُ « ليس على الأَعْمى حَرَجٌ » (*) إِلَى قولِهِ تَعَالى : « أَو صَدِيقكم » (°) .

ورُوي عن ابنِ عَبّاس أَنه قال: لمَّا نَزَلَت « لا تأكُلُوا أَمُوالَكُم بينكُم بالباطلِ » (1) قالوا: لا يَحِلُ لنا أَنْ نأكُلَ عند أَحَد . فأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ تَنَاوُهُ: « ليس على الأَعْمَى حَرَجٌ » (1) (الآية). وقال مُجَاهِد نَحْو ذلك .

وقال عبدُ الله بنُ عبيد الله (٢) : تَحَرَّجُوا بعد الإِذْنِ وقالوا لم تَحِدِّ لَنَا (٩) .

 ⁽١) التوبة: ٥٤.
 (٢) النور: ٦٢.
 (١) النور: ٦٢.

⁽ه) النور : ۲۱ . (۲) النساء : ۲۹ . (۷) النور : ۲۱ .

 ⁽٨) عبد الله بن عبيد الله (- ١١٨ هـ) قاضي ابن الزبير ومؤذنه. ثقة، كثير الحديث . ترجمناله
 سابقاً . وفي الأصل : عبد الله بن عبد الله .

⁽٩) القرطبي ١٥٢/٥ : روى أبو داود عن ابن عباس في قوله تعالى « لا تأكلوا أموالكم بينكم

وقال عِكْرَمَةُ نحو ذلك . حَدَّثَ يعقوبُ بنُ إِبراهيم بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَة (١) ، وابنُ المسيِّب أنه كان رِجالٌ مِنْ أَهْلِ العلم يُحَدِّثون أَنَّما نَزَلَتْ هذه الآية _ بقولِ الله عَزّ وجَلَّ « ليس على الأُعمى حَرَجُ » (") (الآية) _ كُلُّها أَنَّ المسلمِين كانوا يَرْغَبُون (١٢٦) في النفيرِ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمُ ، فَيُعطُون مفاتيحَهُم ضُمَّنَاءَهُم ويقولون لهم: قَدْ أَحْلَلْنا لكم أَن تأكُلُوا ممّا في بيوتِنا ، فيقولُ الذين استودعُوهم: والله ما يَحِلُّ لنا (ما) في بيوتِهِم وانما (هي) أَمانةٌ أَو ثمنٌ ، حَدَّى أَنزلَ اللهُ هذه الآية ، فطابَتْ أَنفُسُهُم بما أَحَلَّ الله ، وَنَسَخَتْ قولَهُ : « لا تأكُلُوا أَموالَكُم بينكم بالبَاطِلِ » (٣) . وَرُوِيَ عن ابن عَبّاس .

وذهَبَ قومٌ أَنْ الله جَلَّ ذِكْرُهُ أَحَلَّ لهم طَعَامَ مَنْ

بالباطل ... » فكان الرجل يحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية ، فنسخ ذلك بالآية الأخرى التي في « النور » فقال « ليس على الأعمى حرج و لا على الأعرج حرج و لا على المريض حرج و لا على أنفكم أن تأكلوا من بيوتكم » إلى قوله « أشتاتاً » فكان الرجل النبي يدعو الرجل من أهله إلى طعامه فيقول : إني لأجنح أن آكل منه – والتجنح الحرج – ويقول: المسكين أحق به مني ا ه. و في الأصل : تحرجوا بعد الإذن ما لم تحدوا لنا .

⁽١) يعتموب بن ابراهيم بن عبد الله بن عقبة : لا يعرف .

⁽٢) النور ٦١ . (٣) النساء : ٢٩ .

ذَكَرَ في الآية بغيرِ إِذْنِهِمْ ، وقالوا: لو كان من بعد إِذنِهِ لهُوَلاءِ ، ما كان مَعْنَى خصوص إِذ كان يَحِلُّ الطعامُ لِكُلِّ الخَلْقِ عن إِذنه ؛ قاله قتادةُ والحَسَنُ .

حدَّثنَا يونُسُ بن بشر (۱) عن شَيْبان ، عن قَتَادَة ، في قوله (او صَدِيقِكُم (۱) قال : أَحَلَّ (لغير) مُوَارثيهم أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ طعامِهِم .

ورأَى الحَسَنُ مَنْ كان (لا؟) يَرِثُ بِغَيرِ إِذْنِهِ ، فقيل له . فقال : يا لُكَع ، إِقرأ « أَو صديقِكم » والصدِيقُ مَن استَرَاحَ إِليه القَلْبُ .

وقال قوم : لم يُردِ الله أن يُحِلُّ لهم أن يأكلوا بإذن ولا بغيرِه ، ولكنَّ الأَعرَجَ والأَعمى والمريض ، لا يُمكِنهُم أن يَسْأَلُوا من الطعام مسأَلة الصحيح ، فتحرَّجَ المسلمون لَمَّا نَزَلَتُ هذه الآية (لا تأكلُوا أموالكُم بينكم بالباطل "")

⁽۱) يونس بن بشر : لم نجد راوية عن شيبان بهذا الاسم ، بل ليس بين رواة الحديث رجل اسمه. يونس بن بشر ، وهناك رجلان : أحدهما اسمه يونس بن ميسرة (- ١٣٢ هـ) و لا يمكن أن يكون تلميذاً لشيبان المتوفي (- ٢٠٦ هـ) والثاني : يونس بن بكير (- ١٩٩ هـ) وتلمذته على شيبان أكثر احتمالا .

⁽٢) النور: ٢١. (٣) النساء: ٢٩.

كما تَوَعَّدَ فِي أَكْلِ مالِ اليتيمِ فقال « إِنَّ الذين يأكُلُون أَمْوَالَ اليَتَامِي ظُلْماً » (١) فَسَأَلُوا النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلم، فَأَنْزِلُ الله « وإِن تُخَالِطُوهم فإِخوانُكُم (٢)» (الآية) . وقال : لُغَةُ العَرَبِ فِي ذلك جائزةً ، يُريدُ المفعولَ به فَيُسَمى الفاعل ، وأَرادَ جَلَّ ذِكْرُهُ ، الإِذْنَ في مُخَالَطَتِهمْ في المُوَاكَلَةِ ؛ فَسَمَّى الأَعْرِجَ والأَعْمَى والمَريضَ وهو يُريدُ مَنْ يُخَالِطُهُمْ ، فرخُّصَ لهم كما رُخُّصَ للناسِ في أَسفارِهِمْ إِذَا سَافَرُوا ، وَبَعْضُهُم يُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ أَكْثُرَ مِنْ بَعْضٍ . وكذلك قولُهُ عَز مِنْ قائل: « فاتقُوا الله ما استطعْتُم » (") نَسَخَتْ قُولَهُ « اتقوا الله حَق تُقاتِهِ ».

حَدثَنَا أَبو سُفيان عن مَعْمَر عن قَتَادَةَ « فاتقوا الله مَا استَطَعْتُم » ، نَسَخت قولَهُ « اتقوا الله حَق تُقاتِهِ » (*) وقال ابن عَبّاس : لم تَنسَخْها ولكن « حق تُقاته » أن يُجاهِدُوا في الله حَق جِهادِهِ ، ولا تَأْخُدهم في الله لَومة لأئِم ، ثم أمروا أن يقوموا بالقِسْطِ ولو على أَنْفُسِهِمْ وآبائهم .

⁽١) النساء : ١٠ . (١) البقرة : ٢٢٠ . (٣) التغابن : ١٦ . (٤) آل عمران : ١٠٢.

وقال ابنُ مسعود . «حتّ تُقاته » أَن يُذْكَرَ فلا يُنْسى ، وأَن يُشكَرَ فَلاَ يُكْفَر .

وكذلك قولُهُ عَز وجَل « وليست النه بهُ للدين يَعْمَلُون السِّيئات » (١) (الآية) .

ورُويَ عن ابن عَبّاس أَنّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى أَنزل بعد ذلك « ان الله لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به ويغفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشَاءُ » (٢) فَحرّمَ المَغْفِرَةُ على مَنْ تَابَ عِنْدَ المه ت وهو كَافِرٌ ، وأَرجاً التَوْبة لأَهْلِ التَوْحيدِ إلى مشيئتِهِ فلم يُوئِسْهُمْ من المَغْفِرة .

وقال بعضُهم: حَرَّمَ التوبة على الكافرِ والمُوحدِ المُوحدِ المُوحدِ المُوحدِ عند الموت أن يَقْبَلَها منهم ، ثُم نَسَخَ من ذلك تَوْبة المُوْحد فأَطْلَقَهَا له بقولِهِ « إِنْ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به ».

وقال آخَرُون : لم تُنْسَخْ ، ولم يُردِ الله عَز وجَلّ بها إلا وَقْتَ الغُرْغَرةِ ، وهو وقْتُ مُعَايَنةِ الرُسُل فلا تَوبَةَ مقبولةٌ بإيجاب المغفرة ، لأَنهُ قَدْ عَايَنَ ، و آمَنَ الكافِرُ ،

⁽۱) النساء : ۱۸ . (۲) النساء : ۱۸ .

وتاب الموحِّدُ المُصِرُّ ضرورةً بما عاين من أعْلام الآخرة ، فارتَفَعَت المِحْنَةُ ، وزالَ البَلْوى والاختِبَارُ ، والتوبةُ مبسوطة لضَمَانِ المغفِرة لِكُلِّ مُذْنِبٍ كافِرٍ او مُؤمنٍ ما لم يُغَرُغِر .

وقد رُوي عن النبيِّ عليه السلام قال: التَوبةُ مقبولةُ ما لم يُغَرِّغِر. فإذا غَرْغَر لم تُقْبلُ مَغْفِرة ، وروي: إِنْ تَابَ قبل موتِهِ بِفواقِ ناقةٍ. يعني ما بينَ الحلْبتَينِ .

ورُوي عن إبراهيم: ما لم يؤخذ بِكَظْمِهِ ، فالتوبةُ مقبولةٌ ما لم يُغْرُغِر ، فإذا غَرْغر لم يُغْفَر للكافر ذُنُوبُهُ مقبولةٌ ما لم يُغْرُغِر ، فإذا غَرْغر لم يُغْفَر للكافر ذُنُوبُهُ إِذَا تَابِ فِي ذَلِكَ الوقتِ ، ولم تُقْبلِ التوبة من المُوحِّد ، ليضمانِ المغفرةِ ، وكان كَمَنْ مات من الموحِّدين ولم يتُب ، فأرجاهُ الله للمغفرةِ إِنْ شاءَ رحِمه بِفضْلِهِ ، أو يعذِّبه بما استحق ، وَوَجَبَ له بعَدْلِهِ .

وكذلك قولُهُ « وإِني لَغَفَّارٌ لِمَنْ تاب » ، (۱) فقالَ بعضُهُم : نَسَخَ ذلك في آخِرِ الزمان ، إذا طَلَعَتِ الشَّمْسِ مَنْ مَغْربها فقال « لا يَنْفَعُ (١٢٧) نفساً إِيمانُها » (۱) (الآية) .

⁽۱) طه : ۸۲ . (۲) الانعام : ۱۵۸ .

وقالَ بعضُهم: إِنما أَراد الكافِرِين لا المُؤْمِنِين.

الباب الغامس عشر: ومما اختلفُوا أَنَّه مَنْهُ وخُ ، ولا يجوزُ عند أَهْلِ النَظرِ أَن يكونَ الكَتابُ والدنةُ منسوخاً ، من ذلك ، قولُهُ عَزَّ وجَلَّ : «إِنكم وما تعبُدُون من دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتم لها واردون » (۱) .

شُريح عن الكَلْبِيِّ أَنه قال : نَسَخَتْها : « إِنَّ الذين سَبَقَتْ لهم منَّا الحُسْنَى أَولئك عنها مُبْعَدُون » (") وهذا لا يَحِلُّ لأَحَد أَن يَظُنَّهُ دون أَن يَقْطَعَ به ؛ أَنَّ الله (جل) ذكره إن يَعْ فَي الآيةِ الأُولى عَذَابَ الملائكةِ ، وعيسى ، وغيرِه مِن وليائِه فأَخْبَرَ عِبَادَهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ ، ثم نَسَخَ من ذلك خِصْلَتَيْن :

إِحْداهُما ، أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ لَم يُرِدْ عَذَابَ أُوليائِهِ قَطُّ بِذَلِك لأَنَّه ما زال يُريدُ أَن لا يعذِّبَهُم .

والثانيةُ ، أَنه كان تَقَدَّم من الله عَزَّ وجلَّ في المسيح ، والملائكةِ ، وفي عزير ، أَخبارُ أَنهم مِن أَهلِ الجَنَّةِ قبل نُزُولِ هذه الآيةِ ولا جائِزَ أَن يكْذِب الله عَزَّ وجلَّ خَبَرَهُ

⁽١) الانبياء : ٩٨ . (٢) الانبياء : ١٠١ .

الأُوّل ، وإنما حاج النبي صلى الله عليه وسلم ابدن الزّبَعْرى (۱) ، لَمّا عَلِم أَنَّ النبي صَلّى الله عليه وسلم قد أُنْزِلَ عليه قبل ذلك في الملائكة والمسيح وعُزير أنهم أولياوُه ، فاراد أن يكذّب النبي عليه السلام ، ولم يَتقدم مِن الله جل ذكره في المسيح والملائِكة أخبار في أوليائه ، ما كان الله ليخبِر بعذابِهِم ، ثم نسخه بقوله (إنَّ الذين سَبقَتْ لهم مِنَّا الحُسْنى) (۱) .

فَمَن زَعم أَن الله جل ذِكْرُه نَسَخ خَبَرَهُ فقد وَصَف الله سبحانه بالكذب .

وقوله في الملائكة ، قول الله جلَّ وعَزَّ « ويستغفرون لِمَنْ في الأَرْض » (٣) ثمَّ نَسخَهَا « فاغفِر للذين تَابوا واتَّبَعُوا سبيلَكَ » (٤) فزعم أَنَّ الملائكة استغفرت أولاً للمشركين ، وهذا كَذِبُ لأَنَّ الله جَلَّ وعَزَّ يقول « ولا يَشْفَعُون إِلاَّ

⁽۱) عبد انته بن الزبعري : ابن قيس بن عدي بن سعد السهمي ، التمرشي . وغو أحد شعراء قريش المعدودين . وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كنار قريش في شعره ، ثم أسلم بعد ذلك . ففبل النبي صلى الله عديه وسلم إسلامه ، وأمنه يوم الفتح : الأغاني ٥٤/١٥ ، المؤتلف والمختلف ١٩٤ ، الاستيعاب ٩٠١/٣ .

 ⁽۲) الأنبياء : ۱۰۱ . (۳) الشوري : ٥ . (٤) غافر : ٧ .

لِمَن ارتَضَى » ، ولم يكن المَلائِكَةُ يَشْفَعُون لِمَنْ في الأَرض ممن قد عَلِموا أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ له أَبَداً.

وقولُهُ عَزَّ وجلَ (لا أَسأَلُكُم عَلَيه أَجْراً » () (الآية) . و (قُلْ مَا سَالْتُكُم مِن أَجْر » () نسخَتْها (قُلْ لا أَ الْكُم عليه أَجْراً » () (الآية) . قد أَجِدُ الله عَزَّ وجَلَّ استَثْنَى عليه أَجْراً » () (الآية) . قد أَجِدُ الله عَلَّ ذِكْرُهُ أَرَادَ أَنَّ لهم المَودَّةَ وأَعوذُ بالله أَن يكون الله جَلَّ ذِكْرُهُ أَرَادَ أَنَّ المُودَّةَ فِي القُربي أَجْر له على دُعائِهِ إليه ، ولكنْ قولُهُ المُودَّة فِي القُربي أَجْر له على دُعائِهِ إليه ، ولكنْ قولُهُ (قل لا أَسأَلُكُم عليه أَجْراً » () منقطع ثم استأنف () . هذا تسميه (العربُ) استثناء الخُلْفِ وإنما هو استئناف () . هذا تسميه (العربُ) استثناء الخُلْفِ وإنما هو استئناف () .

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى مودَّةِ القَرَابةِ فأَرادَ أَن يذكِّرَهُمْ حَقَّ الرَّحِمِ فلا يُؤْذَي (٧) .

وَمَنْ ذَهَبَ (إِلَى المَوَدَّةِ فِي الدِّينِ فَأَرادَ) أَنْ يَودُّوا اللهَ بِطَاعَتِهِ !!

⁽١) الانعام : ٩٠ . (٢) سبأ : ٤٧ .

⁽٣) الشورى : ٢٣ ، وبقية الآية « إلا المودة في القربى. ومن يقتر ف حسنة نزد له فيها حسناً ، إن الله غفور شكور » . (٤) الشورى ٢٣ .

⁽ه) القرطبي ٢١/١٦ : قال الزجاج : « إلا المودة » استثناء ليس من الأول ، أي إلا أن تود و ني لغرابي فتحفظوني .

⁽٦) كتاب سيبويه ٣١٩/٣ : هذا باب يختار فيه النصب لأن الآخر ليس من نوع الأول .

⁽٧) صحيح البخاري ١٦٢/٦ : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعنمر ، حدثنا شعبة بن عبد الملك بن مسرة ، قال : سممت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله « الا المودة في القربي » فقال سعيد بن جبير : قربي آل محمد صلى الله عليه وسلم . فقال ابن عباس : عجلت ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني و بينكم من القرابة .

القسم السابع

في أساليب القرآن

باب التقديم والتأخير:

وممّا كَلَّم اللهُ جلّ ذِكْرُهُ به عِبَادَهُ مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ ، لأَنَّ العَرَبَ قد كَانَتْ تَفْعَلُ ذلك في تَرَاجُعِها بينها ، وَمُخَاطَبَتِها قَبْلَ أَن يَنْزِلَ الكِتَابُ على نَبيّهِ عليه السَّلاَمُ ؛

فمن ذَلِكَ قولُهُ عَزَّ وجَلَّ « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُر » فبدأ بالعَذَابِ قَبْلَ النُّذُر ، وكان قبلَ العَذَابِ لأَنَّ اللهَ المُذَرِون بجلَّ اسمُهُ يقولُ : « وما أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لها مُنْذِرُون ؛ فركرى » (۱) .

وقال في عِقابِ الأُمَم « فانظُرْ كيف كان عاقِبة المُنْذَرِين » (٢) فأخبر أنهم أنذروا فلمّا كُذّبوا كان آخِر أمرهم العَذَابُ . وقال تعالى « فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرين » (٣) غَيْرَ أَنَّ العذاب صَبَّحَهُمْ بما نَقَمَهُمْ إِذ أُنْذِروا فلم يُؤْمِنوا ، وإن كان قد قَدَّمَ في التنزيلِ العذابَ قبل النُذُر ، فإنه بدأ فأخبر أنه أنذرهم قبل أن يُعَذّبَهُمْ ، ثُمَّ قال في عقبِ فأجبر أنه أنذرهم قبل أن يُعَذّبَهُمْ ، ثُمَّ قال في عقب

⁽١) الشعراء ٢٠٨. (٢) يونس: ٧٣ ـ (٣) الصافات: ١٧٧.

ذلك « فكيف كان عذابي ونُذُر » (۱) فقال : « كَذَّبَتْ قومُ قومُ لُوطِ بِالنُذُر » (۲) ، « كَذَّبَتْ ثمود » ، « كَذَّبَتْ قومُ لوطِ بِالنُذُر » (۱) وقال « ولقد جاء آلَ فِرعون النُذُر ، كَذَّبوا بِآياتِنا كُلِّها فَأَخَذْنَاهم أَخْذَ عَريزٍ مُقْتَد ٍ » (۱) وقال « وقال « وقال عزَّ وَجَلَّ « وما كذا معذّبين حَتَّى نَبْعَثَ رسولاً » (۱) .

ومن ذلك قولُهُ تعالى « مِنْ بعد وَصِيّة يُوْصِي بها أو دَيْن » (١) فبدأ في التَذْزيلِ بِالوصيّةِ قَبْلَ الدين ، وقَضَى النبيُّ عليه السَّلامُ بالدَّيْنِ قبل الوَصِيّة .

والأُمَّةُ مُجْمِعةٌ أَلاَّ وصيةً إِلاَّ فيما فَضَلَ مِنْ بعدِ قَضَاءِ اللَّيْن . وكذلك رُوي عن عليّ بن ابن طالب رضي الله عنه أنه قال : إِذكم تَقْرُونَ « من بعدِ وصيةٍ يُوصي بها أو دين » (١٢٨) وإِنَّ النبيّ عليه السلامُ قضى بالدَّين قبل الوصية ، ولولا سُنَّةُ رسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم ،

⁽۱) القمر ۱۲ ، ۲۱ ، ۲۱ ، ۳۰ .

 ⁽٣) الشعراء: ١٦٠ . (٥) القمر : ٤١ . (٥) الاسراء: ١٥ .

⁽٦) الناء: ١١ ، ١٢ .

لكان على العبادِ ان يبدُّوا بما بدأً اللهُ به ؛ الوصيةُ قبلِ الدَّين ، كما قال : «اركعوا واسجُدُوا » (١) .

وقال عَزَّ وجَلَّ ﴿ إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾ (٢) . فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم: نبدأ بما بدأ اللهُ به. ثُمَّ قام على الصَفَا .

و كَذَلك قُولُهُ عَزَّ وجَلَّ « يَا أَيُّهَا النبيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمِن التَّبَعَكَ مِن المؤمِنِين » (٣) فقُرِىءَ في ظاهرِ التنزيلِ أَنَّ اللهَ حَسْبُهُ والمُؤْمِنِين ، وإِنَّمَا حَسْبُكَ الله ، وَحَسْبُ مَنِ النَّهَ مَن المؤمنين الله .

وكذلك « واللهُ ورسولُهُ أَحقُّ أَن يُرضُوه » (¹⁾ معنى يُرضُوا رسولُهُ .

وكذلك « إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلزالها ، وأَخرجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وقال الإِنْسانُ مَالَهَا » (°) ولم يبِنْ مَا أَرْضُ أَثْقَالَهَا » (وقال الإِنْسانُ مَالَهَا » (وإنما هو أَرادَ بقولِهِ « مالها » ، ولا أَبَان ما أُصيبَ به ، وإنما هو في ظاهِرِ التِّلاوة . وقال الإِنسانُ يومئذٍ مالَهَا ، تحدِّثُ في ظاهِرِ التِّلاوة . وقال الإِنسانُ يومئذٍ مالَهَا ، تحدِّثُ

⁽١) الحج : ٧٧ . (٢) البقرة : ١٥٨ . (٣) الانفال : ٦٤ .

 ⁽٤) التوبة : ٦٢ .
 (٥) الزلزلة : ١ .

أَخبارَها . قيل له إِنَّ ربَّكَ أُوحى لها . وهو كقول القائل : قال فلان : مالك يومئذ ؟ وإنما يُريدُ قال فلان يومئذ مالك يومئذ مالك . وهو تقديم وتأخير وفي بعضه إضمار وهو قيل «بأنَّ ربَّكَ أُوحى لها » .

وقولُهُ عزّ وجَلَّ « سمّاعُون للكَذِبِ ، سَمّاعُون لقوم آخَرين لم يأتُوكَ » (۱) .

ومن ذلك قولُهُ عَز وجَلَّ: « ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطان » (٢) وإنما معناه « وإذا جاءَهم أَمْرٌ من الأَمْنِ أَو الخَوفِ أَذاعُوا به (٣) إلاَّ قَلِيلاً » إلى قولِهِ « لَعَلِمَهُ الذين يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إلاَّ قليلا (١). فقاتِلْ في سبيلِ الله لا تُكلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ » (٥).

وكذلك قولُهُ: « وإِنَّ منكم لَمَنْ لَيُبَطِّئَن فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصيبةٌ قال قد أَنعم اللهُ عليّ إِذ لم أَكُنْ مَعَهُم شهيداً. ولئن أَصابَكُمْ فَصلُ من الله ليقولَنَّ – كأَنْ لم يكن بينكم

⁽۱) المائدة : ٤١ . (۲) النساء : ٨٣ . (٣) النساء : ٨٣ .

⁽٤) النساء : ٨٣ .

وبينه مودةً _ يا ليتني كُنْتُ معهم فأفوزَ فَوْزاً عَظِيماً » (۱) فهذا مُقَدَّمٌ ومؤخَّرٌ ، وإنما معناه : ولئن أصابتْكُمْ مُصيبهُ ليقولَنَ قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة ، حين قال هذا القول . ولئن أصابكم فَصْلُ من الله ليقولَن يا ليتني كُنْتُ معهم فأفوز قوزاً عظِيماً .

وكذلك قولُهُ « إِنه من سُلَيمان وإِنه بسم الله الرحمن الرحيم » (٢) قال: هو أُعلمُ باللهِ عَزّ وجَلَّ من أَن يبدأ باسم سليمانَ قبل اسم الله عز وجل. وإنما معناه: الكتابُ جاءني من سُلَيمان وإنه بسم الله الرحمن الرحم ، فأخْبَرَتْ مِمَّن الكتاب ، وأنَّ أُوَّلَ صَدْرِ الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم بدأً باسم ِ الله عزُّ وجلَّ قبل اسمِهِ ، وقد كان النبيُّ عليه السلام أُوّلاً يكتُبُ: باسمك اللَّهُمَّ ، فلما نَزَلَتْ « إِنه من سُلِيمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » (٣) فكتب النبيّ عليه السلامُ بعد ذلك فبدأ باسم الله عَزّ وجَلَّ ، فَدَلَّ بذلك أنَّه اتَّبع ما أُخْبَر (الله) عن سليمان، فهذا دليلُ قولِهِ

⁽۱) النساء : ۷۲ ، ۷۲ ، ۷۳ . (۳) النمل : ۳۰ . (۳) النمل : ۳۰ .

" إِنه من سليمان » وانه مقدَّمُ ومؤخَّرُ . لأَنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ يَقُولُ لنبيِّهِ عليه السلامُ : « فَبِهُدَاهُمُ اقتدِه » (١) .

ولم تَزَلْ كُتُبُ الأَئمَّةِ العُدُولِ وعلماءِ الأُمَّةِ إلى عَصْرَنَا هذا يُبْدَأُ باسمِ الله أَوَّلُ كُتُبِهِمْ.

وكذلك قولُهُ عَز وَجَلَّ « لَهُم غُرَفٌ مِنْ فَوقِها غُرَفٌ مِن فَوقِها غُرَفٌ مِن مَن فَوقِها غُرَفٌ مَبنِيَّةٌ مِن مَبنِيَّةٌ مِن مَبنِيَّةٌ مِن مَعْدَاهُ: لَهُمْ غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ مِن فَوقِها غُرَفٌ ، وكذلك فَسَرَها أَهْلُ التَفْسير .

وكذلك قولُهُ عَز وجَل «أَلَمْ تَرَأَنَ اللهَ يُزجِي سَحَاباً ثُمَّ يؤلِّي مَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلهُ رُكَاماً » (٣) مقدَّما ومؤخَّراً ، في يؤلِّف بَيْنَهُ ثَمَّ يَجْعَلهُ رُكَاماً » (٣) مقدَّما ومؤخَّراً ، إنما هو «أَلَمْ تَرَأُنَّ اللهَ يُرْجِي سَحَاباً ثم يجعلُهُ رُكاماً ثُمَّ يؤلِّف بينهُ » (۵) لأَنَّ الأَركام لا تُؤلَّف بالاستواء ، إنما يُجْعَلُ بعضُهُ فوق بعضِ ثم يَبْسُطُهُ مؤلَّفاً .

وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ « قُل هل أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذلك مثوبةً عندَ الله؛ مَنْ لَعَنَهُ الله وَغَضِبَ عليه وَجعَلَ منهم القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغوت » (٥) (الآية) .

 ⁽۱) الإنعام : ۹۰ .
 (۲) الزمر : ۲۰ .

 ⁽٤) النور : ٣٤ .

وكذلك « ورَفَعَ أَبَويهِ على العَرْش وَخَرُّوا له سُجَّداً » وَرَفَعَ أَبَويْهِ على العَرْش. إنما العرشُ سَريرُ يوسُف عليه السلامُ ، فلم يرفعْهُمْ على السرير ثُمَّ سَجَدُوا له ، إنما سجدوا له تَحيةً وإِكْرَاماً لا عِبادةً له ، ثُمَّ رَفَعَهُما على سريرهِ بعدما سَجَدُوا له ، وأَجْلَسَهُم معه ثُمَّ رَفَعَهُما على سريرهِ بعدما سَجَدُوا له ، وأَجْلَسَهُم معه على فِرَاشِهِ ، كذلك فَسرَّها المُفْسِّرون .

وكذلكَ قولُهُ تعالى: « ولقد آتَيْنَاكَ سَبْعاً من المَثَاني والقرآنَ (١٢٩) العظيمَ. لا تَمُدّنَّ عينَيْكَ إِلَى ما مَتَّعْنا به أَزْواجاً منهم » (") (الآية) . إنما معناه : ولقد آتَيْنَاكَ سَبْعاً من المثاني ، والقرآن العظيم ، كما أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِيْنَ الذين جَعَلُوا القُرآنَ عِضِين ، فوربِّكُ لنسألنَّهم أَجمعين عَمَّا كانوا يَعْمَلُون ، لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنَا به أَزْواجاً منهم ، ولا تَحْزَنْ عليهم ، واخفِضْ جَنَاحَكَ للمؤمنين ، وقل إِني أَنَا النذيرُ المُبين ، فاصدَعْ بما تُؤْمَر وأَعْرِضْ عن المُشْرِكِيْنَ .

وكذلك قولُهُ سُبْحَانَهُ « وبَرَزُوا لله الواحِدِ القَهَّار ،

⁽۱) يوسف : ۱۰ . (۲) الحجر : ۸۷ .

وَتَرَى المُجْرِمِيْنَ يومئذ مُقَرَّنِيْنَ فِي الأَصْفَاد » ('' إِنَّمَا مَعْنَاهُ: وَبَرَزُوا للهِ الواحِدِ القَهَّار ، لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسِ مَعْنَاهُ: وَبَرَى اللهُ كُلَّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ وتَرَى المُجْرِمَيْنَ يومئذ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ. سرابيلُهُم مِنْ قَطْرَان ('' (الآية). يومئذ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ. سرابيلُهُم مِنْ قَطْرَان ('' (الآية). وكذلك قولُهُ «سَيُؤْتِيْنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ورسولُهُ ('' » وكذلك قولُهُ «سَيُؤْتِيْنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ويؤتينا رسولُهُ من فَضْلِه ، ويؤتينا رسولُه ، ويؤتينا رسولُه ، ويؤتينا رسولُهُ من فَضْلِه ، فالفضْلُ للهَ وَحْدَهُ .

و كقولِهِ « إِذَا قُمْتُم إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» (٤) إِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَن يَغْسِلُوا وُجُوهَهُمْ قبل أَنْ يقومُوا إِلَى الصَّلاةِ إِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَن يَغْسِلُوا وُجُوهَهُمْ قبل أَنْ يقومُوا إِلَى الصَّلاةِ ثُمَّ يَقُومُوا إِلَى الصَّلاةِ ثُمَّ مِن يَتُومُوا إِلَيها . فقال بعضُهُم : يَعْني إِذَا قُمتُم من النَّوْم .

وقال عَزَّ وجَلَّ: « فَأَهَدُوهُم إِلَى صراطِ الجَحِيمِ » (°). إنما معناه وقفوهم إِنهم مَسْتُولُون. ثم اهدُوهُم إِلَى صِراطِ الجحيم.

وكذلك « فإذا قرأت القُرآنَ فاستعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ » (١) مُقَدَّمُ ومؤخَّر ، إنما هو فاستعِذْ بالله واقراً .

 ⁽۱) ابراهیم : ۸۱ ، ۹۹ . (۲) ابراهیم : ۸۱ ، ۹۹ . (۳) التوبة : ۹۹ .

⁽٤) المائدة : ٦ . (٥) الصافات : ٢٣ . (٦) النحل : ٩٨ .

القرآن ، فكان معناهُ: فإذا استعذت بالله فاقرأ القُرآن . المَعنى من الله جَلَّ ثَنَاوُهُ : إذا أردْت أن تقرأ فاستعِذ قبل أنْ تَقْرأ ، فقدَّمَ القراءَة قبل الاستِعاذة .

وقولُهُ ﴿ قُلْ لُو أَنتُم تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ (١) مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ وإنما هو في المعنى . ولو تَمْلِكُون أَنتُم خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . رَحْمَةِ رَبِّي .

وقولُهُ « نأتِ بخيرٍ منها أو مِثْلَهَا » (٢) مقدم : نأتِ منها بِخَيْر .

وقولُهُ « فاذهَبْ أَنت وربُّكَ فَقَاتِلا » (٣) معناه : اذهَبْ أَنت فَقَاتِلا » (٣) معناه : اذهَبْ أَنت فَقَاتِل ، ويُعينُك ربُّك ولم يَعْنُوا أَن يَذْهَبَ اللهُ فَيُقَاتِل ، ولو كان ذلك معناهُ كَفَرُوا .

وقولُهُ : « مَنْ قَتَلَ نفساً بغيرٍ نَفْسٍ او فسادٍ في الأَرْض» (١٠) معناه بغيرٍ فسادٍ .

وقوله « فريقاً كَذّبوا وَفَريقاً يَقْتُلُون » (٥) معناهُ :

⁽١) الاسراء: ١٠٠ . (٣) البقرة : ١٠٦ . (٣) المائلة : ٢٤ .

٠(١) المائدة : ٢٣ . (٥) المائدة : ٧٠ .

وفَريقاً يقتُلُون فريقا . كِلاَ الكلمتَيْنِ مقدمةُ مؤخرةُ . « ثُم الذين كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُون » (١) مَعْنَاهُ : يَعْدِلُون بِرَبِّهِمْ .

« وأَجَلُ مُسَمَى عِنْدَه » (٢) مؤخَّرة : وعنده أَجلُ مُسَمَى وقولُهُ تعالى « وَعِظْهُم وقُلْ لهم في أَنْفُسِهِم قَوْلاً بَلِيغا » (٣) وإِنما معناهُ: وعِظْهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقُلْ لهم قَوْلاً بليغا .

وقولُهُ « خلق الانسان من عجل » (٤) معذاه خُلِقَ العَجَلُ من الإِنسان ، وهي العَجَلَةُ ، لأَنَّ آدَمَ عليه السلام أَرادَ أَنْ يقومَ قَبْل أَن تَصِيرَ الرُّوحُ إِلَى رِجْلَيْهِ (٥) ، فقالَ جَلَّ. ثَنَاوَّهُ « خُلقَ الإِنْسانُ من عَجَل » (٦) لأَن العجل فِعْلُ الإِنسان بَعْدَمَا خُلِقَ ، وكذلك قولُهُ « وكان الإِنْسَانُ عَجُولاً » (٧) .

و كذلك قولُهُ تعالى « ما إِنّ مفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَة » (٠٠٠ إِنما هو ان العُصْبَة لَتَنُوعُ بِمَفَاتِحِهِ .

 ⁽۱) الأنعام : ۱ .
 (۲) الأنعام : ۲ .
 (۳) النساء : ۳۳ .

⁽٥) تفسير ابن كثير ١٧٨/٣ : قال مجاهد : خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار من يوم خلق الخلائق ، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس . (٦) الأنبياء : ٣٧. (٧) الإسراء : ١١. (٨) القصص : ٧٦.

وقولُهُ « فما أَصْبَرَهُم على النار » (۱) معناه فما الذي صَبِّرَهُم على النار ») ...

وقولُهُ «يَضْرُبون وجوهَهُمْ وأَدْبارَهُم وذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيق . الحَرِيق .

وكذلِكَ قولُهُ « نَاكِسوا رَوُّوسِهم عند رَبِّهم رَبَّنا أَبْصَرْنا وسمِعْنا . أبصرْنا وسمِعْنا . وقال « واسأَلْ مَنْ أَرسَلْنَا » (٥) إنما هو : واسأَلْ مَنْ أَرسَلْنَا » (٥) إنما هو : واسأَلْ مَنْ أَرسَلْنَا » (١) إنما هو . وأسأَلْ مَنْ أَرسَلْنَا » (١) إنما هو . وأسأَلْ مَنْ أَرسَلْنا إليهم مِنْ قَبْلِكَ .

وقولُهُ « إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّه سَبيلا » (١) مُضْمَرُ مَعْنَاهُ إِلاَّ أَنَّه مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ .

وقولُهُ « فإنهم عَدُو لي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِين » (۱) لا عَدُو لي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِين » (۱۳۰) .

⁽١) البقرة ١٧٥ .

⁽٢) القرطبي ٢٣٦/٢ : قيل : ما ، استفهام معناه التوبيخ ؛ قاله ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، ومعناه : أي أي شيء صبرهم على عمل أهل النار ؟! وقيل : هذا على و جه الاستهانة بهم ، والاستخفاف بأمرهم . وفي الأصل: أصرهم . والتصحيح من: مجاز القرآن ٢٤/١.

 ⁽٣) الانفال: ٥٠. (٤) السجدة: ١٢. (٥) الزخرف: ٥٤. (٦) الفرقان: ٥٧. (٧) الشعراء: ٧٧.

 ⁽٨) القرطبي ١١٠/١٣ : قال الكذبي : إلا عابد رب العالمين ؛ فحذف المضاف ... وقال الجرجاني تقدره : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون إلا رب العالمين ، فإنهم عدو لي . وواضح أن في كلام الأصل نقصاً .

وقولُهُ « ما كان يَنْبغي لَنَا » (١) مقدمٌ ،مؤخرٌ : ما كان لَنَا يَنْبغي .

وقولُهُ « وغَرَابيبُ سُود » (٢) مقدمٌ ومغِخرٌ: سودٌ غَرَابيبُ ، لأَنه يُقالُ أَسْوَدُ غِرْبيبٌ .

باب الاضمار:

وقال : أَبو عبدِ الله : ومن كلام اللهِ عَزّ وجَلَّ « وأُشربوا في قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِم » (") وإنما هو حُبُّ العجل .

وكذلك قولُه « فأما الذين اسودت وجُوهُهُم أَكَفَرْتُم » () إنها هو : فيقولُ لهم أَكفرتُم بعد إيمانِكُم .

وقولُهُ « وأَسأَلِ القرية » (°) أَهْلَ القريةِ « واسأَل العِير » (^{۲)} أَصحَابَ العِيْر « و كَمْ مِنْ قرية » (^{۲)} .

⁽١) الفرقان : ١٨ .

⁽٢) فاطر : ٢٧ .

⁽٣) البقرة : ٩٣.

⁽٤) آل عمران : ١٠٦ .

⁽٥) يوسف : ٨٢.

⁽٦) واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها : يوسف ٨٢.

⁽٧) الاعراف : ٤.

ومِنْ كلام الله عَزّ وجَلَّ الشيءُ مُسَمَّى باسم يُشْبِهُ لَا للهِ عَزِّ وجَلَّ الشيءُ مُسَمَّى باسم يُشْبِهُ لا باسمِهِ ، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تعالى « كَمَثَلِ الذي يَنْعَقُ بما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً ونِداءً » (۱) فأراد المَنْعُوقَ وهي الغَنَمُ ، فَسَمَّى النَاعِقَ وهو الصّائِحُ بالغَنَم .

الحروف الزوائد:

ومِنَ الحُروفِ زَوَائِدٌ فَمِنْ ذَلِكَ "غَيْرِ المغضوبِ عليهم ولا الضَّالِّين » (٢) إِنمَا معناهُ غيرُ المَغْضوب عليهم والضَّالِّين . وكذلك قولُهُ " خَلَقَكُم والذين مِنْ قَبْلِكُم » (٣) مِنْ رَائدة ، إِنما هو والذين قَبْلَكُم .

وكذلك قولُهُ « ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذ أَمرْتُكَ » (*) معناهُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ؛ «لا» مِنَ الزَّوائِدِ تأكيدُ لانَفْيُ. معناهُ ما مَنعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ؛ «لا» مِنَ الزَّوائِدِ تأكيدُ لانَفْيُ. وكذلك « ما نهاكما ربُّكُما » (*) معناهُ (إلاَّكراهية) أَنْ (*) . تقولُ العَرَبُ : ما عِنْدَكَ نَفْعُ ولا دَفْعُ .

 ⁽۱) البقرة : ۱۷۱ . (۲) الفاتحة : ۷ . (۳) البقرة : ۲۱ .

^(؛) الاعراف : ١٢ : أبو عبيدة : مجاز القرآن ٢١١/١ : مجازه : ما منعك أن تسجد ، والعرب تضع (لا) في موضع الايجاب ، وهي من حروف الزوائد .

⁽ه) الأعراف : ٢٠ ، تكملة الآية « عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » .

⁽٦) في هذا الموضع نقص ، واختلاط في السطور ، والإصلاح من : تفسير الترطبي ٨٧٨/٨ .

وقولُهُ تعالى « إِنَّ الله لا يستحيى أَن يضرب مثلاً ما بعوضَةً فما فوقها » (١) ، انما معناه أَن يَضْرِب مثلاً بعوضةً فزاد قولَهُ « ما » توكيداً .

وكذلك قولُهُ « فَبِها نَقْضِهِمْ » (٢) « ما » زائدة معناهُ فبنقضِهِم مِيثاقَهُمْ .

وكذلك قولُهُ «له معقباتُ من بين يديهِ ومن خَلْفِهِ يحفظونَهُ من أَمْر الله » (٣) انما هو يحفظونَهُ من أَمْر الله » (١) انما هو يحفظونَهُ بأمر الله .

وكذلك قولُهُ تعالى « قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أَبْصارهِمْ» إنها هو يَغُضُّوا أَبْصَارَهُمْ .(١)

وكذلك قولُهُ « ما وجَدْنا لأَكْثَرهِمْ مِنْ عَهْدٍ » (°) معناه: ما وَجَدْنا لأَكْثَرهِمْ عَهْداً . « واذ قُلنا للملائكةِ » (°) معناه: وقُلْنَا للملائكةِ .

⁽۱) هذا السطر ساقط من الأصل ، والسياق يقتضي إثباته على هذا الوجه ، واستناداً إلى مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٥/١ .

⁽٥) الاعراف : ١٠٢ . (٦) البقرة : ٣٤ .

وكذلك قولُهُ « وإِذ قال موسىٰ لقومه » (١) معناه: وقال مُوسى لقومهِ .

وقولُهُ « أَن ينزلَ عليكم من خِيرٍ من ربِّكُمْ » (٢) معناه خَيْر ربِّكم .

وقولُهُ « واذ أَوْحَيْتُ إِلَى الحوارِّييْن» (٣) (وقوله) « إِذ قال الله يا عيسى ابن مريم... وإذ عَلَّمْتُكَ ... وإذ أوحيت ». وقولُهُ « أَأَنت قُلْتَ للناس» (١) تقريرُ لا استفهامٌ على جَهْلٍ ليعلَمه ، كقول الرجُل لعبدِه : أفعلْت كذا وكذا ؛ يُريد تَحْذِيرَهُ . وقالَ جَرير (٥) :

أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايِدا وأَنْدَى العَالِمَيْنَ بُطُونَ رَاح

ولو كان استفهاماً ما أعطاهُ عبدُ المَلِك على ذلك ماية ناقةٍ بِرُعاتِها .

⁽١) البقرة : ١٥٥ . (٢) البقرة : ١٠٥ . (٣) المائدة : ١١١ . (١) المائدة : ١١٦ .

⁽ه) جرير بن عطية بن الخطفى (– ه ۹ ه) . قال عمر بن شبة : اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ... وكان جرير أكثر الثلاثة فنون شعر ، وأسهلهم ألفاظاً ، وأقلهم تكلفاً ، وأرقهم نسيباً . وكان ديناً ، عفيفاً : الأغاني ٢٧٤٩ – ٢٨٣٥ . والبيت من قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان ، مطلعها :

أتصحــو أم فـــؤادك غير صــــاح عشية هــم صحبــك بالرواح والخبر الذيأشار إليه المحاسبي ورد في الأغاني ٢٨١٤/٧ : فأمر له بمائة لقحة و ثمانية من الرعاء.

" إِلَهَيْنِ " اثنين ، إِذَا أُشْرِكَ فَعَلُ الذَكْرِ مَعَ فِعْلَ اللَّانْثَى غُلِّبَ فِعْلُ الذَكْرِ . وقال جَلَّ ذِكْرُهُ " وامْسَحُوا بِرَوَّوسِكُم وأَرْجُلَكُم " (۱) مجرورٌ بالباءِ وهي مشتركةٌ ببرووُوسِكُم الأَوّلِ من المَعْسُول والعربُ تَفْعَلُ ذَك ، ما بالكلام الأَوّلِ من المَعْسُول والعربُ تَفْعَلُ ذَك ، ما بالجوارِ للمَعْنَى على الأَوّل فكان موضعه : واغْسِلُوا أَرْجلكُم .

و كقولِهِ « يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ في رحمتِهِ والظَّالِمِيْن » (") على موضع المَنْصُوب الذي قَبْلَهُ ، والظالِمِين لا يُدْخِلُهُمْ في رَحْمَتِهِ .

قولُهُ « وإِن كُنتُمْ جُنُباً فاطَّهَروا » (٣) واللفظُ الواحِدُ والجميعُ عنه : هو جُنُبُ وهُمْ جُنُبُ . وأَمَرَ بالقِسطِ والمَعْدَلَةِ (٤) .

وقولُهُ «مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ » (°) « لا » حَرْفٌ زَائِدٌ ، إِنَّمَا معناهُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ .

« وكُمْ مِنْ قَرْيَة أَهْلَكْنَاها » (أ) ، « وما أَهلَكْنا (من

 ⁽۱) الماثدة : ۲ .
 (۲) الأنعام : ۳۱ .

⁽٤) يشير إلى قوله تعالى بعد آية الطهارة « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، و لا يجرمنكم شنان قوم على ألا تعدلوا . إعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » يجرمنكم شنان قوم على ألا تعدلوا . إعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »

⁽ه) الاعراف : ١٢ : سبق للمحاسبي أن أو رد هذه الآية وما فيها من حروف زائدة صفحة ١٦ ه .

⁽٦) الأعراف : ٤ .

قرية) إِلاَّ وَلَهَا كِتَابُّ مَعْلُوم » (١) » (وإِنْ من قريةٍ إِلاَّ نحن مُهْلِكُوها . مُهْلِكُوها .

المفصل والموصول :

وأُمَّا المُفَصَّلُ والمَوْصُولُ فإِنَّ الله عَزِّ وجَلَّ يقولُ « وَأَمَّا المُفَصَّلُ القَوْلَ لعلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون » (٣) .

فَفَصْلُ الكَلِمَةِ من الكلمةِ إِذَا انفَرَدَتْ كُلُّ واحدةٍ منهما بمعنى هو المعنى الذي في الأُخرى ، وكان لا يَتِمُّ المعنى الا بِتَوَاصُلِهما جميعاً ؛

فهو مُوَصَّلُ ومُفَصَّلُ من هذه الجِهة ؟

وهو كُلُّه مُفَصَّلُ منْ معنىً آخَرَ ؛ إِنَّ الله جَلَّ ذِكْرُهُ ، بَيَّنَهُ كُلَّهُ ، وهو قولُهُ تعالى « وفَصَّلْناهُ تَفْصيلا » (١) .

وقال عَزَّ مِنْ قائل « أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُن حَكيم خَبير » (٥).

وقال « وقد فَصَّلَ اكم ما حَرَّمَ عليكم » (٦) « وكُلُّ تَهِيْءٍ فَصَّلْناه تَفْصيلا » (٢) . وقال عَزِّ وجَلَّ « وكذلك

⁽١) الحجر : ٤ . (٢) الإسراء : ٥٨ . (٣) القصص : ٥١ . (٤) الاسراء : ١٢ .

⁽ه) دود : ۱ . (۲) الانعام : ۱۱۹ . (۷) الإسراء : ۱۲ .

نُفَصِّلُ الآيات لَعَلَّهم يَتَذَكَّرون » (") ، « وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمِ الآياتِ لِقَوْمِ الآياتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُون » (") ، « قد فصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُون » (") ، « وكَذَلِكَ نُفُصِّلُ الآباتِ وليَستبينَ سَبيلُ يَفْقَهُون » (") ، « وكَذَلِكَ نُفُصِّلُ الآباتِ وليَستبينَ سَبيلُ المُجْرِمِين »(١)

فأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاوُهُ كِتَابَهُ بِلْسَانِ الْعَرَبِ ، لِيَفْهَمُوا معانِيَ ما أَرادَ فيما أَمَرَ بِهِ ، ونَهَى عنه ، ووَصَفَ به معانِيَ ما أَرادَ فيما أَمَرَ بِهِ ، ونَهَى عنه ، ووَصَفَ به نَفْسَهُ ، وَوَعْدَهُ ووعيدَهُ ، وجميع ما نَزَّلَهُ ، فقال عَزّ مِنْ قائلِ « بِلسان عربي مبين » (٥) . وكلامُ العَرَبِ له فصولُ ، ووصولُ ، ليبين به المعاني ، ويُفْصِحَ به عن المُراد ، فَيصِلَ الكلمة بالكلمة إذا كانت الكلمة الأولى لا تُبِينُ عن المعنى وَحْدَها ، (١٣١) حَتَّى تَصِلَ بها الكلمة الأُخرى .

لو قال قائل « مِنْ » لم يَدْرِ سامِعُهُ ما يُريدُ حَتَّى يَصِلَها « مِنْ أَين جِئْتَ ؟ ». ولو قال « قُلْتُ » لم يُدْرَ مَا قَال ، حَتَّى يَقولَ كَذَا وكذا ؛ ولو قال « أَحمد » لم يَدْرِ مَنْ حَتَّى يَقولَ كذا وكذا ؛ ولو قال « أَحمد » لم يَدْرِ مَنْ

⁽⁾ الأعراف : ٣٢ . (٢) الأعراف : ٣٢ (٣) الأنعام : ٩٨ .

⁽٤) الأنعام : ٥٥ . (٥) الشعراء : ١٩٥ .

يُريد ، حتى يقول : النبيُّ عليه السّلامُ ، وإني فلان ، ولو قال « سَمِعْتُ » ما دَرَى سامِعُهُ ما سَمِعَ حتَّى يقول كذا وكذا .

ومنه مفصل يَتم المعنى بالكلمة ، والكلمتين ، والثلاث ، فصاعداً فيتم المعنى ، ثُم يُريدُ المتكلِّم أن يستأنف كلاما آخر يبين عن معنى ثان ، فيقطع الكلام الأول عند تمام المعنى ثم يستأنف كلاما آخر ثانيا يتبين عن معنى معنى ثم الأول.

لو قال قائلُ : أَحمدُ كريمٌ ، ثُمَّ أَراد أَن يَذُمَّ إِسحاقَ ولا يُدْخِلَه في المَدْحِ بِالكَرَم ؛ فقال : أَحمدُ كريمٌ وإِسْحَاقُ ، لم يَدَعْهُ حَتَّى يَصِلَهُ .

ولو قال: لي على فُلاَنِ أَلفُ درهم ، ثم أرادَ أَنْ يخبرَ أَنَّ فلاناً قد أوفاهُ فقال: لي على فلان ألف درهم وفُلان . فلو سَكَتَ على قولِهِ « وفُلان » كان ادِّعاءً عليهما جميعاً أَلف درهم ، فإن قال : وفلانٌ قد أوفاني كان فصل ما بَيْنَهما ؛

وان ادَّعي على إلأُوَّل أَلْفاً ، وفَصَلَ الآخرَ منه بالبَرَاءَةِ

له مما كان له ، وإِنَّما يُفْصَلُ الثاني من الأُوَّل بأَنْ فَصَلَ الكَلاَمَ بكلام ثان تبيَّنَ به مَعْنَى الثَّاني من الأُوَّل ، كقوله : ذهبتُ أَنا وفُلان ، فلو سكت عليه كان قد أخبر أنهما ذهبت أنا جميعاً ، فإِنْ فَصَلَهُ بِكلام مُسْتَقْبَلٍ أَبَانَ أَن قَدْ فَصَلَ الأُوّل .

ذهبتُ أنا وفُلان لَمْ يَذْهَبْ معي ، فلم يَقِفْ على فُلان . فيكون قد أخبر أنه قد ذَهَبَ معه ، ولكي يُبيِّن أنه عطف اسمَهُ (ليُبيِّن) ما قطعه عن الذَّهاب بكلام يُدْخِلُه بقوله : وفُلان ... يُخَبِّرُ أنه لم يذهب مَعَهُ ، وأنه هو ذَهَبَ وَحْدَهُ ...

ولو قال قائِلٌ إِنَّ الذين آمَنُوا وهادُوا كان قَدْ فَصَلَ بينَهُما .

وكذلك قولُهُ: السماءُ والأَرضُ، والذَّكَرُ والأَنْثَى،

⁽١) البقرة : ٦٢ .

ولا يجوزُ السماءُ الأرضُ، الذكرُ الأَنْشي، فيكون مَعْنَاهُما (واحداً).

وكذلك فَصَّلَ اللهُ فقال « هو اللهُ الذي لا إِله إِلا هو عالمُ الغيب والشَّهادةِ هو الرِّحمَنُ الرحيم ، » (۱) وكذلك « بسم الله الرحمنِ الرحيم » ولا جَائِز : بسم الله الرَّحمن الرحيم ، فَيُوهِم أَنهما اثْنَان .

وكذلك قولُهُ « محمَّدُ رسولُ الله » ولا جائِزَ محمد ، ورسولُ الله فَيكُونا اثنَيْن ً.

ولا يجوزُ الفَصْلُ فيما لا يَتِمُّ إِلاَّ بِالوَصْل ،ولا يجوزُ الوَصْل ، فيمن لم الوَصْل ، فيمن لم الوَصْل ، فيمن لم يَتمُّ معناهُ ، إِلاَّ بِالفَصْل ، فيمن لم يَجْهَرْ بِذَلِك ؛

فَمِنَ الفَصْلِ والوَصْلِ ما لو وُصِلَ المَفْصُولُ كَانَ في ظاهِرِ تِلاوتِه كُفْراً ، وكذلك إِن فُصِلَ المَوصولُ كان في ظاهِرِ تِلاوتِه من كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ كُفْراً ، فهُو المَوْصولُ الذي لا يَجُوزُ قَطْعُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهُ كان كافِراً ، كقولهِ الذي لا يَجُوزُ قَطْعُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهُ كان كافِراً ، كقولهِ الذي لا يَجُوزُ قَطْعُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهُ وتعالى . ولو لم يَقِفْ

⁽۱) الحشر : ۲۲ .

واستأنف كلاماً ليس بِمُوصلِ ، كان كَافِراً أَيضاً ، لو قال: لا إِله ، واستغْفِرْ لِذَنْبِكَ ، كان قد جَحَدَ الله جَلَّ وعَزّ . وكذلك قولُهُ يأمرُ (فاعلم أنَّه لا إِلَه ، () ولم يَصِلْها (إِلاَ الله) ، فيهي كَلمة أوّلها نَهْيُ لِكُلِّ إِله ، فاد ، وصلها بقوله (إلا الله) ، كان توحيداً لله وَحْدَهُ بِنَهْي وصلها بقوله (إلا الله) ، كان توحيداً لله وَحْدَهُ بِنَهْي كُلِّ مَعْبُودٍ دُونَهُ .

وكذلك قولُهُ تَعَالَى « قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السمواتِ وَلَا رَضِ الغَيْبَ إِلاَ الله » (٢) كان عِلْمُ الغيب منتفياً عن سوى الله ، موصوفاً به وَحْدَهُ .

وكذلك قولُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلِ " وعندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ اللهُ لا يَسْتَحيي » حَتَّى الأَي للهُ يَسْتَحيي » حَتَّى اللهُ لا يَسْتَحيي » حَتَّى يَصِلُها بقولِهِ : " أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً » (³⁾ .

وكذلك قرَلُه « واللهُ لا يَسْتَحيي » (° حَتَّى يَصِلَها « مِنَ الحَقِّ » (°) .

وكذلِك قولُهُ ﴿ إِنَّمَا قُولُنَا لِشِّي ۚ إِذَا أَرِدْنَاهُ أَن نَقُولَ

 ⁽۱) محمد : ۱۹ . (۲) النمل : ۳۰ . (۳) الانجام : ۹۰ : لا يعلمها إلا هو.

 ⁽٤) البقرة : ٢٦ . (٥) الأحزاب : ٥٣ . (٦) تتمة الآية السابقة .

له » (() لم يَجُزُ أَيضاً قَطَعُهُ إِذَا لَم يُبَيِّنُ مَا يَقُولُ لَلشيءِ فَقَالَ « فَيكُونَ » . ثم استأنف فقال « فيكون » . ثم استأنف فقال : « والذين هَاجَرُوا » .

وأَمَّا مَا قَطَعَ اللهُ تَبَارَكَ وتعالى المعْنَى بِالقَوْل فلم يَصِلْهُ بِمَعْنَى ثَانِ ، فيكونُ مَعْنَاهما واحداً مما قَطَعَ الأُوّل (١٣٢) ، وإِنَّ وَصَلَه بغيره بتمام مَعْنى الأُوِّل ، واستأنَفَ قولَه ثَانياً وَصَلَهُ بمعنى ثانِ مُسْتَقْبَلِ لِيُفَرِّقَ به بين المعنَيَيْنِ فيه ما يكونُ كُفْراً لأَنْ يُذَمَّ به حتى يَقْطَعَهُ ولا يُصلَهُ ، كقوله تعالى « للذينَ لاَ يُؤمنونَ بالآخرة مَثَل السوءِ » (٢) فهذا كلامُّ تامُّ معناهُ لو وَصَلَه فقال « ولله » ، ثُمَّ قَطَعَ كَانَ كَافِراً حَدَّى يَصِلَهُ بقوله « ولله المَثَلُ الأَعْلَى » ولكن يتلُوه مستأنفاً فَيُفْردَهُم عن اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بالمَثَل السُوء ، ويُفردَ الله جَلَّ وعَزَّ عنهم بالمَثَل الأُعلى . وقولُهُ " إِنما يستجيبُ الذين يَسْمَعُون » (٣) فقطع

⁽١) النحل : ٠٠ .

⁽۲) النحل : ۲۰

⁽٣) الأنعام : ٣٦ .

المستمعِينَ من المَوْتى ، ثُمَّ قال « يبعَثُهُم اللهُ » فَوَصَلَ المَعْنى بذكْرِ البَعْث لهم .

وقوله « سيماهُم في وجوهِهِم منْ أَثرَ السُجود ذلك مَثَلُهُم في التوراة » ثم استأنف « ومثلهم في الجيل كزرع » (۱) (الاية) .

وقولُهُ تعالى « فأولى لهم » (١) ثُمَّ استأنَفَ « طاعةٌ وقولُ معروف (فإذا عَزَمَ الأَمرُ فلو صَدَقُوا اللهَ لكان)خيراً لهم »(١).

وكذلك قولُهُ تعالى « ويجعلُون لله البَنَات سُبْحانَهُ ولهم » (ن) فلو وَقَفَ على قولِهِم « لَهُمْ » فوصَلَهُ ولم يَقْطَعُهُ منه بمستأنَف بقولهِ « ما يَشْتَهُون » (ن) لكانَ قد أُخبر أنّهم قد جَعلُوا لله البنات ولهم جَميعاً ما يشتهون ، فأخبر أنهم وصَفُوا الله جَلّ ذِكْرُهُ بأنّ له البناتِ ، ولم يَصِفُوه بما يشتهون من الذّكران ، وَجَلّ عنهما جميعاً وانما ذَمَّ اللهُ المشركين حيث يَجْعلُون له ما يكرَهُون لأَنْفُسِهِمْ اللهُ المشركين حيث يَجْعلُون له ما يكرَهُون لأَنْفُسِهِمْ

⁽١) الفتح : ٢٩ .

⁽۲) محمد : ۱۹ .

⁽۲) محمد : ۲۰ .

⁽٤) النحل : ٥٧ .

⁽٥) النحل : ٧٥ .

من البَنَاتِ ، ويجعلُونَ لأَنهُسِهِم الذُكْرَانَ ، فيجعلُون أَنفُسَهُم فوقَ الله جَلُّ وعز ؛ لتوكيدِ الحُجّةِ عليهم بعد إِقرارِهم أَنَّ اللهَ خالِقُهُم ، ثم يَجْعَلُون له ما يَكْرَهُون لأَنْفُسِهِمْ ، وكذلِك قولُهُ « إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَحَاتِ جَنَّاتِ تَجْرِي مِنْ تحتِهَا الْأَنْهَارِ » (١) ثم الكلامُ لِتَمَامِ المَعْنَى ، لِثوابِ الذين آمَنُوا ، ثُمَّ استأنَفَ فقال « والذين كَفَرُوا يَتَمَتَّعُون ويأَكُلُون كما تَأَكُلُ الأنْعامُ والنارُ مَثْوىً لهم » (٢) فلو وصلها واصل ، ولم يقطعها باستثناء فقال « والذين كَفَرُوا » (٣) لكان قد وَصَفَهُم بِدُخُولَ الجَنَّاتِ مِعِ الذينِ آمَنُوا .

وكذلك « يا نُوحُ اهبِطْ بِسَلام منا وبَرَكاتِ عليكَ وعلى أُمَم مِمَّنْ مَعَك » (ن) فَتَمَّ الكلامُ بِتَمَام المَعْنى ، بإيجاز الله لنوح ومَنْ معه البركاتِ والسَلام ، ثُمَّ استأنف الأَمْمَ مِنْ بعده بالمتاع والعَذَاب ، ولم يَصِل الكَلام فيشترك الأَمْمُ مِنْ بعده بالمَتَاع والعَذَاب ، ولم يَصِل الكَلام فيشترك الأَمْمُ بعده في السلام والبركاتِ ، وكذلك « إن

⁽۱) محمد : ۱۶ .

⁽۲) محمد : ۱۲ .

[.] ۱۲ : مد (۳)

⁽٤) هود : ۱۸ .

مَذَلَ عِيْسَى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ » (١) إلى قولِهِ « ثُمَّ قالَ له كُنْ فيكُون » (٢) ثُمَّ قَطَعَ واستأَنَفَ فقال « الحَقُّ من ربِّك » (٣) مستأنِفاً فوقَعَ الحقُّ مستأَنفاً ، وكذلك « فَريقاً هدَى وفريقاً حَقّ عليهم الضَّلالة » (1) والمبتدأ في أكثر الأُخبار مرفوعٌ ، ولكنَّ هذا الموضعَ نَصَبَ الثانيَ المقطوعَ من الأُوّل ، فجعلَهُما جميعاً في مَعْني المفعول بهما ، يُخَالِفُ. بين مَعْنَاهُما ، ثُمَّ اتبع آخِرَ الفريقَيْن بما حَقّ عليهم من الضَّلالَةِ ، بِخِلافِ الفِرقةِ الأُولى التي هَدَاها فقال « فريقاً هَدَى » ثُمَّ استأنكف فقال « وفريقاً حَقَّ عليهم الضلالةُ » . وقولُهُ « مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مرقَدِنا » (٥) فَقَطَع ثم استأنف،

« هذا ما وعَدَ الرحمنُ » (١) ، قالت الملائكةُ هذا ما وَعَدَ.

وقولُهُ ﴿ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قِرِيةً أَفْسدوها ، وجَعَلُوا أَعزَّةَ أَهلها أَذِلَّةً » (٧) فَقَطَعَ ثُمَّ قال « وكذلكَ يَفْعَلُون » (١٠٠٠ ...

⁽٢) آل عمران : ٩٥ . (١) آل عمران : ٥٩ .

⁽٤) الاعراف : ٣٠ . (٣) آل عمران : ٦٠ .

⁽ه) يس : ۲ه . (۱) یس : ۵۳.

⁽٨) النمل : ٣٤ .. (v) النمل : ٣٤ .

وقولُهُ « قُلْ لا تُقسموا (١) » ، لا تَحْلفُوا ، ثم ابتدأ . فقال « طاعةٌ معروفةٌ » معناه:أو طاعةٌ معروفةٌ .

وقولُهُ « فَإِنَّه يَحْمَلُ يومَ القيامة وزرِاً خالدِين فيه ، وساءَ لَهُم يومَ القيامةِ حَمْلاً » (٢) معناهُ وساءَ ذلك الوزرُ يومَ القِيامةِ حَمْلاً .

والمفصل الذي ابتدأة باستئناف ما بعدة بتمام الكلام ، ولو لَمْ يَصلْهُ بكلام ثانٍ فليس مفصولاً بالأوَّلَ فالمُفَصَّلُ لا يَخْلُو من أن يُوْصَلَ بكلام مستأنف إلاّ أنه لا يُوْصَلُ بالأول وإنما يُوْصَل بالثالث. وكذلك قولُهُ: « ما المسيحُ بنُ مريم إلاَّ رسولٌ خَلَتْ من قبلهِ الرُّسُل » (٣).

(هو آخِرُ الكتاب) (ال

٠ (١) النور : ٣٥ .

⁽۲) طه : ۱۰۰

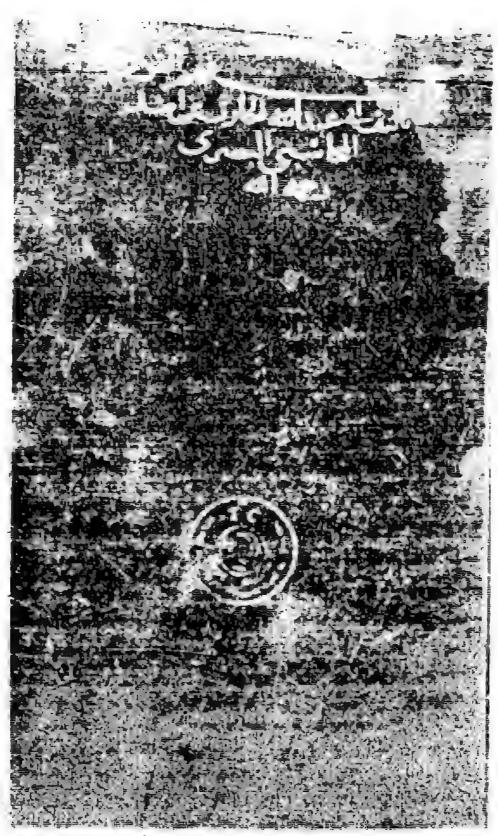
٠ (٣) المائدة : ٥٥ .

⁽٤) تتبع هذه العبارة سطور تتضمن تفصيلات نحوية في إعراب فاتحة الكتاب ، تذكر فيها آراء للفارسي والزمخشري وابن جني . و لاشك ان في آخر المخطوطة سقطاً قد يبلغ الصفحة أو يزيد ، يحتوي على بقية حديث المحاسبي عن « المفصل » في القرآن ، ثم خاتمة الكتاب .

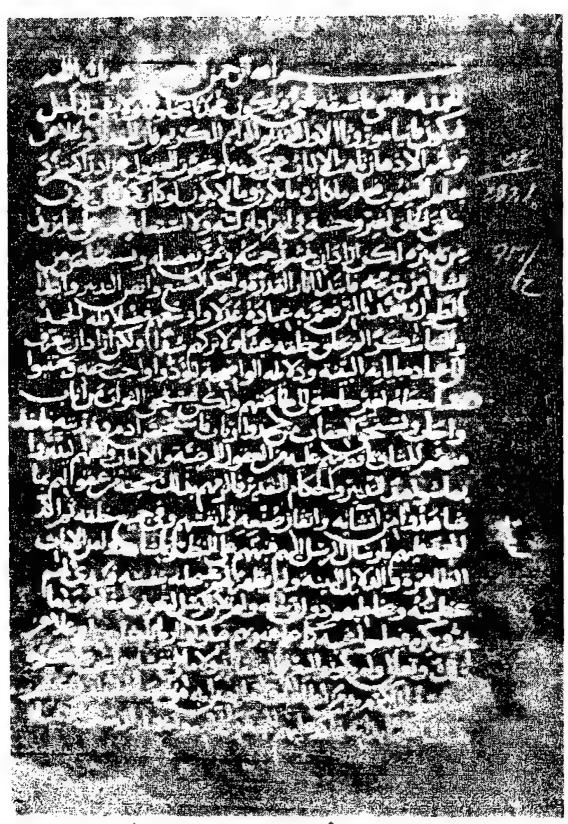
توثيق نسبة « فهم القرآن » الى المحاسبي

مجموع الفتاوى لابن تيمية هم المرياض مطابع الرياض

وكذلك ذكرها (يعني مقالات الفرق ، والرد على الجهمية والمعتزلة) الحارث المحاسبي في كتاب « فهم القرآن » وغيره ؛ بيّن فيه من علو الله واستوائه على عرشه ما بيّن به فساد قول النُفاة ؛ وفرح الكثير من النظار الذين فهموا أصل قول المتكلمين ، وعلموا ثبوت الصفات لله ؟ وأنكروا القول بأن كلامه مخلوق ؛ فرحوا بهذه الطريقة التي سلكها ابن كلاب: كأبي العباس القلانسي؛ وأبي الحسن الأشعري ، والثقفي ؛ ومن تبعهم : كأبي عبد الله بن مجاهد ، وأصحابه ، والقاضي أبي بكر ، وأبي إسحاق الاسفرائيني ، وأبي بكر بن فورك ، وغير هؤلاء .



صورة غلاف مخطوطة فهم القرآن



صورة الصفحة الأولى من مخطوطة فهم القرآن

الفهارس العامة

لكتاب (العقل وفهم القرآن)

- ١) فهرس المصادر والمراجع.
 - ٢) فهرس الأعلام.
 - ٣) فهرس الموضوعات.

فهرس المسادر والمراجع

- ١ المحاسي : الحارث بن أسد (١٦٥ ٢٤٣هـ)
- الرعاية لحقوق الله: تحقيق: د. عبد الحليم محمود. ط: دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٦م.
- ب المسائل في أعمال القلوب والجوارج والمكاسب والعقل: تحقيق عبد القادر أحمد عطا. ط: عالم الكتب بمصر ١٩٦٦م.
- ج الوصايا أو النصائح: تحقيق عبد القادر عطا. ط: عمد علي صبيح بمصر ١٩٦٤.
- د رسالة المسترشدين : تحقيق : عبد الفتاح ابو غده . ط : حلب المادين : تحقيق : عبد الفتاح ابو غده . ط : حلب المادين : المادين : حلب المادين : حل
- ه التوهم : بعير تحقيق : ط : مصر ، بلا تاريخ ، ونشرة أ.ج. آربري.
 - و آداب النفوس: (مخطوط) جار الله .
 - ز الحلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين ــ مجلة المشرق ١٩٥٥

القشيري: عبد الكريم بن هوازن (٣٧٦ – ٢٥٥ه)

الرسالة القشيرية: تحقيق د. عبد الحليم، محمود بن الشريف، ط: دار الكتب الحديثة ١٩٦٦م.

السلمي : محمد بن الحسين (٣٢٥ – ٤١٢هـ)

طبقات الصوفية : تحقيق نور الدين شريبة . ط : الخانجي بالقاهرة . ط . ١٩٦٩م .

السراج الطوسي : ابو نصر عبدالله بن علي (– ٣٧٨هـ) .

اللمع في التصوف : تحقيق : د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور .. دار الكتب الحديثة ١٩٦٠م .

الكلاباذي: أبو بكر محمد (- ٣٨٠هـ)

التعرف لمذهب اهل التصوف: تحقيق محمود امين النوادي. ط: مكتبة الكليات الازهرية ١٩٦٩م.

الاصفهاني ابو نعيم: احمد بن عبدالله (ـ ٤٣٠هـ)

حلية الأولياء: بغير تحقيق. ط: الخانجي والسعادة ١٩٣١ه/ ١٩٣٢م.

العطار : فريد الدين .

تذكرة الأولياء. ط: ليدن

ابو طالب المكي : محمد بن علي بن عطية (– ٣٥٨)

قوت القلوب: بغير تحقيق. ط: مكتبة القاهرة ١٩٦٤.

الغزالي : ابو حامد محمد بن محمد (٥٠٠ – ٥٠٠٥)

أ إحياء علوم الدين: ط: لجنة نشر الثقافة الاسلامية بمصر ١٣٥٦هـ

- ب المنقذ من الضلال: تحقيق د. صليبا وعياد. ط: مكتب النشر العربي بدمشق ١٩٣٤م.
- ج مشكاة الأنوار: تحقيق د. ابو العلا عفيفي . ط: الدار القومية بمصر ١٩٦٤م.
 - ۱۰ ابن خلدون : عبد الرحمن (۷۳۲ ۸۰۸ه)

شفاء السائل بتهذيب المسائل: تحقيق اغناطيوس خليفة. ط: المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

١١ _ الشعراني : عبد الوهاب بن أحمد

الطبقات الكبرى: ط: محمد على صبيح بالقاهرة ، بغير تاريخ . (بهامشه كتاب الأنوار القدسية للشعراني)

١٢ _ المناوي:

الكواكب الدرية . مطبعة الأزهر ١٩٣٨

١٣ – اليافعي المكي:

مرآة الجنان ــ تصوير ايران ١٩٦٥م.

۱٤ – عفيفي : ابو العلا (– ۱۳۸۵)

التصوف : الثورة الروحية في الاسلام ، ط : دار المعارف ١٩٦٤م.

١٥ - محمود (د. عبد الحليم)

أ التفكير الفلسفي في الاسلام ، ط: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨م. ب الاسلام والعقل ، ط: دار الكتب الحديثة ١٩٦٦م .

١٦ _ بدوي : عبد الرحمن :

أ السهروردي المقتول (هنري كوربان ، ضمن مجموعة مترجمة بعنوان: شخصيات قلقة) ط: دار النهضة ١٩٦٤م.

- ب بحوث في المعتزلة (لكارلو نللينو ، ضمن مجموعة مترجمة بعنوان : التراث اليوناني) ط : دار النهضة ١٩٥٩م .
 - ١٧ ــ النشار : علي سامي :
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (الجزء الاول والثالث) ط: دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٦ ، ١٩٦٩ .
 - ١٨ الخطيب البغدادي : ابو بكر أحمد بن علي (٤٦٣ هـ)
 تاريخ بغداد : ط : القاهرة ١٣٥٧ه/ ١٩٣٩م .
- ١٩ ـ الذهبي : الحافظ ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ١٩ ـ ١٩ .
 - أ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : تحقيق علي محمد البجاوي . ط : دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٣م .
 - ب العلو للعلي الغنار: ط: مصر، على نفقة محمد نصيف، بغير تاريخ.
 - ج العبر في خبر من غبر : ط : وزارة الإرشاد بالكويت . ١٩٦ م .
 - د تذكرة الحفاظ . ط : الهند ١٣٧٧ ه
 - ه: تاريخ الاسلام. ط: القدسي ١٣٤٦ه.
 - ٠٠ البلقيني : سراج الدين :
 - حاشية على الام للشافعي : ط : بولاق ١٣٢١ه.
 - ۲۱ السبكي: تاج ابو نصر عبد الوهاب بن علي (۷۲۷ ۷۷۱ه)
 طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود الطناحي ، عبد الفتاح الحلو .
 ط : دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٤م .
 - ۲۲ المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (۳٤٦ه)
 مروج الذهب ومعادن الجوهر : ط : المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦ هـ

- ٢٣ العسملاني : احمد بن على بن حجر (١٥٨٥)
- أ تهذيب التهذيب : ط : حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥هـ -١٣٣٧ه.
 - ب لسان الميزان: ط: حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٩ه.
 - حالإصابة في تمييز الصحابة ط: مصر.
- أ تلبيس إبليس : تعليق ونشر محمد منير الدمشقي . ط : الثانية المستمي . ط : الثانية المستميد منير الدمشقي . ط : الثانية
- ب ذم الهرى : تحقيق د. مصطفى عبد الواحد . ط : دار الكتب الحديثة ١٩٤٢م .
- ج مناقب الامام أحمد بن حنبل ط: الخانجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ .
- ۲۵ ــ ابن الأثير : مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (۶۶۵ ــ ۲۰۹هـ) الكامل في التاريخ : ط : مصر ۱۹۵۶م .
 - ٢٦ عمر بن الوردي:
 - تتمة المختصر ط: القاهرة ١٢٨٥ ه.
 - ۲۷ ابن النديم : (۳۷۷ه)
 الفهرست : ط : المكتبة التجارية بالقاهرة ۱۳٤۸ه
- ٢٨ ابن خلكان: (محمد بن أحمد)
 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
 ط: الاولى ، القاهرة ١٣٦٧ه.

- ٢٩ ابن العماد : الحنبلي :
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ط : القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ه.
 - ٣٠ _ الدار قطني : علي بن عمر (٣٠هـ)
- أخبار عمرو بن عبيد ، تحقيق د. يوسف فان إس ، ط: المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٧.
 - ٣١ _ البغدادي : عبد القاهر بن طاهر (٤٢٩ ه)
 - أ أصول الدين ، ط: مطبعة الدولة باستانبول ١٩٢٨م.
- ب الفرق بين الفرق تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: محمد محمد علي صبيح ، بغير تاريخ .
- ٣٢ ـ الشهرستاني : الإمام محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ ـ ٨٥٥ه) . الملل والنحل ، ط : محمد علي صبيح ، بغير تاريخ (على هامش الفصل لابن حزم) .
 - ٣٣ ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (٦٦١ ٧٧٨ه)
- أ منهاج السنة النبوية : تحقيق د. محمد رشاد سالم ، ط : مكتبة خياط ببيروت ١٩٦٢م .
- ب الرد على المنطقيين : تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، ط : مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٩م.
- ح الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان : تحقيق : ابو الوفاء محمد درويش ، ط : مطابع الرياض ١٩٥٦م .
 - ٣٤ الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحق (١٨٥ ٢٥٢ هـ)
- الرسائل الفلسفية : تحقيق د. محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط : دار الفكر العربي ١٩٥٠م .

- ٣٥ ــ ابن أبي الدنيا (ــ ٢٨١ ه) .
- العقل وفضله ، تحقيق وطبع عزت العطار الحسيني ١٣٦٥ه ، ١٩٤٦م .
- ٣٦ الايجي : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (٧٥٦ هـ) المواقف العضدية (مع الشرح للشريف الجرجاني ٨١٦) ه ، ط : الساسي ١٣٢٥ ه .
- ٣٧ ــ النسفي : نجم الدين عمر (ــ ٣٧ه ه)
 العقائد النسفية (مع الشرح للتفتازاني ــ ٧٩١ه) ط : المطبعة الأزهرية
- ٣٨ الإسفرايني : ابو المظفر (٤٧١ ه)

 التبصير في الدين : تحقيق الشيخ زاهد الكو ثري ، ط : القاهرة ١٩٤٠م .
 ٣٩ ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء (٤٧٧ه)
- تفسير القرآن العظيم : ط : دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٧هـ ، ١٩٤٨م.
 - ٤٠ الرازي : فخر الدين ابو عبدالله محمد بن عمر (٤٤٥ ٢٠٦ه)
 مفاتيح الغيب ، ط : المطبعة البهية بميدان الأزهر ، بغير تاريخ .
 - ٤١ القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد (٢٧١ه)
 الجامع لأحكام القرآن ، ط : دار الكاتب العربي بمصر ١٩٦٧م .
 - ٤٢ حقي : اسماعيل (١١٣٧هـ)
 روح البيان مطبعة الجامعة استانبول ط ١٩٢٦
 - ٣٤ ابن جعفر : قدامة (ــ ٣٣٧ه)
 - نقد النثر: تقديم د. طه حسين ، ط: مطبعة الاعتماد ١٩٤٨م.

- ٤٤ _ ابن منظور:
- لسان العرب: ط: بولاق
- وع _ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (١٤٩ ـ ٩٩١١ م)
 الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (على هامش الفتاوى الحديثية
 للهيشمى) ط : المطبعة الميمنية ١٣٠٧ه .
 - ٢٤ _ أحمد امين (١٩٥٤م)

أ ضحى الاسلام ط. النهضة المصرية ١٩٦٢. ب ظهر الاسلام ط. النهضة المصرية ١٩٦٣.

٤٧ _ شوقي ضيف

الفن ومذاهبه في النثر العربي: ط: النهضة المصرية ١٩٤٦م.

٤٨ ــ رئيف خوري

التعريف في الأدب العربي : الطبعة الاولى ، بيروت .

29 - ابن رشد: ابو الوليد محمد بن أحمد (۲۰ - ۹۰ ه م

مناهج الأدلة في عقائد الملة : تقديم وتحقيق د. محمود قاسم . ط : الانجلى المصرية ١٩٥٥م .

٥٠ - ابن حبان (محمد - ٢٥٤ هـ)

مشاهير علماء الأمصار . ط : القاهرة ١٣٧٩ ه .

١٥ - الآمدي:

الإحكام. في أصول الأحكام. ط: القاهرة ١٣٨٧ ه

۲۰ – أبو عبيدة معمر بن المثنى (-۲۱۰ هـ)
 مجاز القرآن . تحقيق فؤاد سزكين . ط : القاهرة .

۳۰ _ اللكنوي :

الرفع والتكميل . ط : حلب .

٤٥ ـ ابن قيم الجوزية:

المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ط : حلب

٥٥ _ على القاري:

المصنوع في معرفة الحديث الموضوع .ط : حلب

٥٦ ـ المناوي :

الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية : ط : بيروت ١٩٧١

٧٥ _ ابن عبد البر:

الاستيعاب . ط : مصر ١٩٦٤.

٥٨ _ ابن سعد (محمد - ٢٣٠ ه)

الطبقات الكبرى ، ط : دار التحرير بمصر ١٩٦٧ – ١٩٧٠

٥٩ - الطبري (محمد بن جرير - ٣١٠ ه)

تفسير الطبري . ط : دار المعارف بمصر

٦٠ _ السيوطي (عبد الرحمن – ٩١١ ه)

الإتقان . ط : مصر ١٣٧٥ ه .

٦١ - أبو الفرج الأصفهاني (- ٣٥٦ ه)

الأغاني: ط: دار الشعب ١٩٦٨ م

فهرييس الأعشلام

(l)

ابن ابي حاتم ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٨٥ . ابن أبي الدنيا ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ١٢٥ . ابو اسحاق ٢٩١ ، ٢٩٢ . أبو أمامة الباهلي ١٢٥ . ابن الأثير (عز الدين) ٣٠ ، ٤٣ ،

ابن الأثير (عز الدين) ٣٠ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ١٠٧ ، ٥٩ ، ابن أبي ذئب ١٠٤ ، ٩٥ . ابن نوح (محمد) ٢٣ . ابراهيم بن أدهم ٢٥ ، ٨٢ . ابو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) ٢٥ ، ٣٢ .

ابوالعباس القلانسي ۳۰، ۱۹۰،۱۰۸. ابو الحسن التميمي ۳۳، ۶۹، ۸۵۱. ابوحمزة الصوفي ۳۵، ۵۲، ۸۵،۲۰. ابو يعقوب البويطي ۳۷. ابن طاهر (عبدالله) ۲٤۲، ۳۵۵،

ابن طاهر (عبدالله) ۲٤۲، ۳۵۰، ابن طاهر (طلحه) ۲٤۲.

ابن طاهر (محمد بن عبد الله) ۳۹. ابن الجوزي (عبد الرحمن) ٤١، ۱۹، ۹۱.

ابو بكر(رضي الله عنه)۲۹،۹۳،۹۳، ۴۹۳، ابن تيمية (تقي الدين) ۲۱ ، ۸۸ ، ۸۹ ، ۸۹ .

ابو تراب النخشي ٤٢ .

ابن کثیر ۱۲۱

ابن خفیف ٤٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١١٢ ، ٥٨ .

ابو العباس بن عطاء ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٤ ، ١١٢ . ابو عبد الرحمن السلمي (صاحب

و عبد الرحمن السلمي (صاحب الطبقات) ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١١٣ .

> أبو معاوية ٣٩٤، أبي بن كعب ٤٠١، ٤٠٥،

> > أبو حرب ٤٠٥ ، أبو الأسود الدؤلي ٤٠٥ ،

ابراهيم (عليه السلام) ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٩٥، ابراهيمُ النخعي ٢٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٣١ ، · ٤٧٢ ، ٤٤ · ، ٤٣٦ ابن سالم ۸۷ ، ۸۸ ، ۱۱۱ اسحاق بن راهویه ۱۶ ، ۱۰ ، ۳۸ ، . 179 (01 اسحاق بن يوسف ٤١٦ أبو مالك الأشجعي ١٧٤ ، الأزهر الحرازي ٤٤٨ ، ابن حزم ۸۹ . أبو الأحوص ٣٢٨ ابو هريرة ٩٢ ، ١٢٥ ، ٢١٤ ، ٤٤٢ ابن عمر (عبدالله) ٩٣ ابو اسحاق الفزاري ٣٩٩٩٥، ٤٤٠، أبو حفص الحداد ١٠٥ ، ١٨٥ . ابو علي الدقاق ١١١ . ابن الموفق ١١٣ . ابن سينا ١١٥. ابن عدي ۱۲۸. ابو رجاء العطاردي ۲۱۶ ، ۲۷۸ ابن رشد ۲۵۰. ابو مالك الأشجعي ٢٧٩ . أبو سفيان ، ١٦ ، ٢٧٩ ، ٣٩٨ ، ٨٠٤ ، ٢/٤ ، ٨٢٤ ، ٢٠٤ ، 4 200 6 229 6 22A 6 2TE 6 EV+ 6 E70 ابو مختار الطائي ٢٨٥

ابن لهيعة ٨٠٤ ، أشعث بن سعيد ٤٢١ ، أبو خباب ٤٣١ ، أبو صالح ٤٤ ، أبو حصين (عثمان بن عاصم) ٣٢٧، ابو نعيم الأصبهاني ٥٠ ، ٧٦ ، ابن العماد الأصفهاني ٥٠، ٦١ ابن خلدون (عبد الرحمن) ٥٠ ، ٦١، . A4 6 AV ابن شاذان ۱۰ ، ۲۱ ، ۷۰ . ابو يزيد البسامي ٥٤ . ابن خيران ٥٥ ، ٥٦ ابو محمد الرازي ٥٦ . ابو طالب المكى ٩٠،٨٨،٨٧،٣٤. ابن نصير ٥٦. ابن الكاتب ٥٦ ، ٥٨ الأجرى ٥٦ . ابن مجاهد ٥٧ . ابو الحسن الباهلي ٥٧ . ابو العلا عفيفي ٦١ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ابراهيم بن المهدي ٦٤. ابن طباطبا ٦٤ . ابو السرايا ٦٤. ابن ميمون الخواص ٧٥ أبو عثمان البلدي ٧٥ ابو بكر البغدادي ٧٦ ابن المقفع (عبدالله) ۷۷ ، ۸٥

ابن عيينه (سفيان) ١٥ ، ١٦ ، ١٢٦ 6 221 (107 ابو زرعة ١٥، ١٦، ٥٣. ابن طهمان ۱۵. ابن الماجشون (سبد العزيز) ١٥ ابو النصر ١٦ ، ٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢، · + · · ۲۹۹ · ۲۹۳ · ۲۹۳ ابن أبي مريم ١٦، ٤٠، ٥٢ ، ٤٠٣ ، ابو زيد الأنصاري ١٦ أبو عبيدة (معمر بن المثني) ١٦ ، ٠٢٢ ، ٢٣٠ ابن الأعرابي ١٦ ، ٥٦ . ابو عمرو الشيباني ١٦ ابو عمرو بن العلاء ۲۱۶ ابن النديم ١٦ ، ٤٩ ، ٦٠ ابو حاتم ١٦ ابن حجر العسقلاني ۳۰ ، ٤٣ ، 111 : 71 ابن الصلاح ١٧ ابن فورك ٥٧ ، ١١٣ أحمد بن حنبل ۱۳ ، ۱۶ ، ۱۰ ، اسماعیل بن سلیمان ۵۰۵ . اسماعيل بن ابراهيم ٤٢٧ ، ٤٤٧ . أيوب السخيتاني ٤٧٧ . اسماعيل بن أبي خالد ٢٩٤، ٣٣٣. أحمد بن حنبل ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، · ٣٨ · ٣٧ · ٢٣ · ١٧ · ١٦ . 27 . 27 . 21 . 2 . . 49

ابو سعید الحدری ۲۸۷ ، ۲۲۵ ، أبو الليث ١٢٠ . أبو أمامة الحمصي ٢٩٠ ابو سعيد الأشج ١٢١ . أبر أسامة ١٢١ . ابن قيم الجوزية ١٢٢. ابو عنبس ۲۹۶ آبي بن كعب ٢٩٤ ابو نجيح (يسار) ۲۹۲ . ابو عبد الرحمن السلمي (حبيب بن ثابت) ۲۹۷ ، ۳۲۷ ، ابو سلمة بن عبد الرحمن ٢٩٦٠. ابو حنيفة (النعمان بن ثابت) ١١ ، 27 ابن جریح ۱۶ ، ۱۲۹ ، ۱۵۲ ، · YAO . YV9 . YAV . YO. . £٣٧ , £٣٢ , £ • A , ٢٩A أبو أمامة الباهلي ٤٠٦ ، أبو بكر بن عبدّ الله بن أبي مريم ٤٤٨ ، ابن أبي نجيج ٤٤١ ، ابن أني مليكة ٤٠٣ ، ابن أني ليلي (الاب والابن) ١٤ ابو سُلمة بن عبد الرحمن ٢٩٩ . ابو عمر العيشي ٣٠٠ أبو بكر بن أبي شيبة ١٥، ١٧، ٥٢، ابو عوانه ١٥.

ابن سعد (محمد) ١٥ .

({A ({V ({T ({O ({ { {E}}} } (1.) (1.) (07 (07 (0) 17. 111 ° 111 ° 1. V . 118 : 184 : 18. : 144 أحمد مكي (الدكتور) ٥ . أحمد بن أبي دؤاد ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨ . أحمد بن نصر الخزاعي ٣٧. أحمد بن صالح المصري ٤٦. احمد بن نصر الفرائضي ٥٥. أحمدبن الحسن بن عبدالجبار ٥٦،٥٥ . أحمد امين (الدكتور) ٩٩. اسماعيل بن نجيد ٢٢ ، ٥٦ اسماعيل بن اسحق السراج ٤٣ ، ٥٦ اسحاق بن ابراهیم ۲۳ ، ۶۱ اسماعيل بن ابراهيم ٢٧٧. اسماعیل بن عیاش ۲۸۷ ، ۲۹۰ . اسحاق بن عيسي ١٦ ، ٢٨٩ أسباط بن نصر ۲۹۱ . إسرائيل بن يونس ۲۹۲ . اسماعیل بن علیه ١٦ اسماعيل حقي ١٢١ . أسامة بن زيد الليثي ٣٩٦ . الاسفراييني ٥٧ ، ١٢٦. الأفشين ٧٥ . الأنطاكي ٥٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ١٣٢ ، . 110

إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ٣٩٩

ام الدداء الصغرى ٢٩٤

اسد العنزي ١٢. اسطفان فيلد (الدكتور) ٦. ايوب السختياني ١٣ ، ٢١٤ . الأعمش١٥،١٤،١٣ ، ٢٩٩، ٣٩٧، الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو) ١٤، 03 , 74 , 897 , الأصمعي ١٦. الأموي ٢٥٨ . آنس بن مالك ۲۱۶ ، ۳۹۹، ۲۲٤، أيوب بن عون ٨٢ . افلاطون ١١٤. ارسطو ۱۱۶ آرېري (ارثر) ۲۵۰ . الأشعري (أبو الحسن) ٣٤ ، ٥٧ ، . 117 6 117 الأشعري (أبو موسى) ٥٠٤ ،

(ب)

البخاري (محمد بن اسماعيل) ١٤ ،

اغناطيوس اليسوعي ٥٥.

۱۰۸ ، ۲۰ البغدادي (عبد القاهر) ۱۰۸ ، ۱۰۸ . بشر المربسي ۲۲ ، ۶۰ . بشر الحافي ۲۵ ، ۳۵ ، ۳۵ ، ۹۰ . البوشنجي ۵۰ . البقري ۵۰ . بندار ۵۰ ، ۷۵ ، ۸۵ ، ۱۱۲ ، الباقلاني ۷۵ ، ۱۱۲ .

بابك الخرمي ٧٥ . البراء بن عازب ٤٠٢ ، بكار بن عبد الله الربذي ٤٠٦ ، ٤٤٦ الجريري ٥٦ ، ٥٩ ، بكر بن خنيس ٤٣١ . البيضاوي ١٩٢. بشر بن عبدالله ، ۲۹ .

(ث)

الثوري (سفيان) ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، < 98 . AY . EV . E7 . E0 (Yo. (14. (144 (1.) (£ £ Y (£ 1 Y (T9 Y (T9 o . 207 6 222 ثمامة بن أشرس ٢٣ . ثعلب ۱٤٠ .

(ج)

جبريل (عليه السلام) ٤٣٧. الجعد بن درهم ۱۱ ، الجهم بن صفوان ١٠، جوزف فان إس (الدكتور ، مستشرق) جرير بن عبد الحميد ١٥، جرير بن خزيمة بن حازم ١٦ ، الجنيد بن عبد الرحمن ١٩ ، ٣٤ ، الحكم بن عتيبة ١٣ ، ٤٥٤ ، ٩٤ ، ٥٠ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٦ ، حماد بن سلمة ١٤ ، ١٧ ، ٢٥٠ ،

() . 0 (9) () 0 الجاحظ (عمرو بن بحر) ۳۸، ۷۷ ، الجويني (إمام الحرمين) ٥٧ ، ١١٢، . 114 . 114

جعفر الحلدي ٧٥ ، ١٨٧ ، جندب بن عبدالله ۲۸۸ ، جرير الضي ٤٢١. جابر بن عبد الله ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٧

لم نذكر اسم المحاسبي لأنه يتكرر في كل صفحات الكتاب تقريباً. حسن خالد (مفتي الجمهوريــة اللبنانية) ٣. حسين القوتلي (المحقق) ١ ، ٣ ، ٧ الحسن بن علي ١٨٤.

الحسين بن علي (رضى الله عنهما) · ٣٨ · ١ ·

الحسن البصري ١٠ ، ١١ ، ٢١ ، . 120 , 170 , 07 , 70 · 227 · 273 · 733 · . 279 (229 (22) (220 حصين بن عبد الرحمن ١٣ ، ١٤ ، (2)

داود الطائي ٢٥ ، الداراني (ابو سليمان) ٥١ ، ٧٦ داود الأصفهاني ١٠٨ ، الدار قطني ١٢٧ ، ١٢٨ ، داود بن المحبر ١٢٧ ، ١٢٨ ،

(ذ)

الذهبي (الحافظ، المؤرخ) ٢٤، ٣٤، ٣٥، ٣٥، ٣٧ ، ٣٤، ٥٤ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٩١ ، ٢٥٠ ، ٩١ . ذو النون المصري ٢٥ ،

(८)

الرشيد (هارون) ۲۱ ، ۲۲ ، ۲۲ ، رويم ۹۹ ، ۰۰ ، ۹۸ ، رضوان السيد ۷ ، الرو ذباري ۵۰ ، ۵۰ ، ۵۰ ، رئيف خوري ۷۷ ، الراغب الاصفهاني ۱۹۲ ، الرازي (فخر الدين) ۱۹۲ ، (ز)

الزبير بن العوام ٢٨٨ زيد بن أرقم ٤٦٤ . ٤٣٦ ، ٤٠٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٦ زيد بن علي بن الحسين ١٠ ، الزهري (ابن شهاب) ١٣ ، حجين بن المثنى ١٥ ، ٢٩٢ ،
حمزة الزيات ٢٨٥ ،
الحسن بن صالح ١٥ ،
حجاج بن حماد بن سلمة ١٦ ،
١٧ ،
الحارث الأعور ٢٨٠ ،
لحسن بن موسى ١٩٤ ،
الحسن بن محمد ١٦ ، ٢٨١ ،
٢٩٥ ،
حكم بن يزيد ١٤٠ .
حكم بن عمرو الغفاري ٩٣ ،

الحكم بن محمد ٣٣٤ ، ٤٤٤ . حجاج ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣٩٨ ، ٥٠٥ ، ٢٠٤ ،

(خ)

الحطيب البغدادي (أحمد بن علي) ۱۳ ، ۱۲ ، ۳۰ ، ۳۶ ، ۸۶ ، ۱۹ ، ۱۰ ، ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۰ ، ۱۰ ، ۲۰ ، خصيف بن عبد الرحمن ۱۳ ، ۲۸۷ ، ۲۸۹ ، خلف بن هشام ۱۲ ، ۲۸۷ ، ۲۸۹ ، ۲۸۹ ،

خشيش بن أصرم ٣٨ ، خالد بن صفوان ٢٠٧ ، خالد القسري ٢٨١ ، خباب بن الأرث ٢٩٧ ، خزيمة بن ثابت ٤٣٤ ،

زهس بن حرب (أبو خيثمة) ١٣، سليمان بن بسار ٤٣٥. 794 . IV . 10 زیاد بن حسان ۲۸۸ ، زرارة بن أوفى ٢٩٢، زر بن حبیش ۲۹۳ ، ٤٠٥، زيد بن ثابت ٤٢٣ ، ٤٢٩ .

(w)

السدي ٤١٧ . سعد بن عبيدة ۲۹۸ سعد بن هشام ۲۹۲ ، السماك بن الوليد ٢٩١، سعید بن سلیمان الواسطی ۱۶ ، سليمان بن داود الطيالسي ١٥ ، ١٨ ، 247 سليمان التيمي ٣٠٠ سنید بن داود ۱۲ ،۱۷ ، ٤١ ، (£ + A (TA £ (TVV (TVO (O T . 244 , 24. , 244 السرخسي ١٧ ، سعيد بن عامر الضبعي ٤٤٧ . سعد بن ابراهیم ۲۳۶ سعيد بن جبير ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٣٩ ،

سعيد بن المسيب ٤١٨ ، ٤١٩ ، · 270 · 229 · 270 · 277 . ٤٦٨

سعید بن مرجانه ٤٣٦ .

سفيان بن حسين ٤٣٦. سالم بن عيد الله من عمر ٤٣٦ ، سالم المكي ٤٤١، ٤٤٩. سليان (عليه السلام ٤٨٠ ، ٤٨١ ، الساري ٤٤٤.

السبكي (تقي الدين) ١٩ ، ٤٦ ، () · A (T. (O) (£9 (£ A · 111 ، 111

السفاح (أبو العباس) ۲۱ 🕜 سعيد َبن أبي عروبة ٢٨٩ ، ٣٩٠٠ ، السري السقطي ٢٥ ، ٣٤ ، ٥٥ ، (1/0 (147 (0/1 سعید بن حمید ۳۸ ، سهل بن هارون ۷۷ ، ۸۵،

> سهل التستري ۸۸ ، سعد بن أبي وقاص ٩٤ ، ٤٢٥، سقراط ۱۱٤،

السيوطي ١٢٥ ، سليمان بن عيسى السجزي ١٢٧ ، 6 1YA

سیار ۲۹۵ ، ۶۶۶ ، سلمة بن نبيط ٣٩٧.

(ش)

الشافعي (محمد بن ادريس) ١١ ، · TV · TT · TO · 19 · 1V · 179 . 01 . 27 . 28 . 49

صالح الناجي ٣٠٠

(ض)

الضحاك بن مزاحم ۱۲۷ ، ۱۵۲ »

(d)

طاهر بن الحسين ٢٢ ، ٦٤ ، الطبري (محمد إبن جرير) ٤٨ . طاوس ۸۲ ، ٤٤١، طلحة بن عبيد الله ٢٨٨ ،

(2)

عروة بن الزبير ٣٩٤ ، ٤٢١ عمار بن ياسر ۲۹۱، العطار (فريد الدين) ١٩ ، ٥٠ ، 602

> عمر بن عبدالله بن معمر ١٦ عوف البصري ٤٢٢. عمر بن عبد العزيز ٨٤٨. عز در ۲۷۴

عبد الله بن عبيد الله ٤٦٧ عيد الله بن عمر ١٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥، . \$71 : \$77 : \$77 : \$70

عبدالله بن عمرو ۲۹۳، عبدالله بن بكر ١٥، ٣٩٥، ٣٩٦،

٠ ١٤٠ ، ١٣٣ ، ١٣٠ شعبة بن الحجاج ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، صفوان بن عمرو ٤٤٨ . · 197 · 197 · 191 · 112 CYAN CYAV

> شریح بن یونس ۱۶ ، ۱۹ ، ۱۸ ،

(\$17 (\$17 (\$.7 (\$.1

443 , 343 , 443 , 643 ,

(\$ \$ 0 (\$ \$ \$ (\$ \$ \) (\$ \$ \$ \)

(£0£ (££9 (££V (££7

. 277 (270 (207 (200

شريك بن عبدالله ١٥، شقيق البلخي ٢٥ ،

الشعراني (عبد الوهاب) ٤٤، ٥٠، ٥١، الشبلي ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ١١٢ ، شوقي ضيف (الدكتور) ٧٧ الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم) ١٠٨ الشعبي ١٢٦ ، ١٥٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، 222

شرقي بن القطامي ۲۱۶ ،

. 279

شيبان بن عبد الرحمن ٢٨١ ، ٢٩٥ ، شقيق بن عقمة ٢٠٤

(oo)

صقر بن جویریه ۷۷ ، ۲۱٤ ،

عبدالله بن مسعود ۲۸ ، ۲۹۲ ، ۲۹۹ . 271 6 241 عيد القادر أحمد عطا ٧ ، ٢٦ ، . 78 . 7Y عمر بن طلحة ۲۹۱، عبدالله بن يزيد ٣٥ عبدك ٢٥ ، ٨٢ ، عبدك ٢٥ ، ٨٢ ، عكرمة ٢٧٨ ، علي بن الجهم ٣٨ ، ١٨٤ عقيل بن مدرك ٢٨٧ ، عبد العزيز المكى ٣٨ ، عاصم بن بهدلة ۸۸۲ ، ۲۹۳، ۵۰۰ عمرو بن عثمان المكي ٤٩ ، ٥٠ ، 91 605 العراقي (الحافظ) ٧٠،٥١ ، عبد الحليم محمود (الدكتور) ٦٣ ، · 187 · 14. · 17. · 110 6 YE1 عبد الحميد الكاتب ٧٧ ، ٧٧ ، عطية السعدي ٨٢ ،

· ٤٦٣ · ٤٤٣ · ٤٢٩ · ٤٢٧

عبد الله بن صالح ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٤٠٦

على بن زيد بن جدعان ٤٠٥ .

عبد الله بن الزبعري ٤٧٤.

على بن موسى الرضا ٢٣ .

. ٤٧٧

عبد الملك بن مروان ١٠ ، عباد بن العوام ١٤، ٢٠، ٢١١، ٤٤٥، عشمان بن محمد ١٦ ، ٥٧ ، ٢٩٦ ، عطاء بن يسار ١٠، عفان البصري ١٧، ٤١ ، ٧٩ ، 6 Y12 عمرو بن عبيد ١١ ، عبدالله بن مسعود ۲۹۲، ۳۲۸، ۳۵۳، 24. C 214 C 21V علي بن عاصم ١٤ ، ٤٠ ، ٤٣٥ ، عائشة ۲۹۳ ، ۲۰۰ ، ۲۰۱ عائشة . 24. (277 (271 عبدالله بن عمر ۱۳، العوام بن حوشب ۱۳ ،۱۶، عمرو بن دینار ۱۳ ، ۴۰۸ ، عبدالله بن المبارك ١٣ ، ١٥ ، ٢١٤ ، عبد الرحمن بن مهدي ١٣ ، ١٤ ، 71 > 317 > YYY = على بن عطاء ١٤ ، على بن المديني ١٥ ، ١٧ ، عبدالله بن شبيب ١٥، عبد الغفار بن داود ١٦ ، العلاف (ابو الهذيل) ۲۳ ، ۳۸ ، عمر ابن الوردي ٢٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) (£ 40 , £ 1) (£ . Y , Y Y)

على القاري ١٢٤، عبدالله بن أحمد ١٢٥، عامر بن عبد القيس ١٢٦ ، ١٥٧، عمر الجيلي ١٢٦، ١٥٢، عزت العطار ١٢٧، عبد العزيز بن أبي رجاء ١٢٧، عمرو بن عبيد ١٣٠ ، عضد الدين الايجي ١٩١، ١٩٢، عمرو بن مالك ٢١٤، عيسي بن المسيب ٢٨٠، عمران بن حطان ۲۹٤، عطاء بن السائب ٢٩٦، 229 6 248 6 241 عقيل الايلي ٤٠٦. عقیل بن جابر ۲۹۲، علقمة بن مرثد ۲۹۸، ۳۹۷، عثمان بن عفان ۲۹۸ ، ۶۰۰ ، ۲۷۵ ، عتبة بن سليمان ٢٩٩، عبد الرحمن بن عوف ٤٠٣ ، ٤١٠ ، . 240 c 21A عبد الرحمن بن يزيد ٣٠٤ عبيده السلماني ٣٢٩. عمرو بن دینار ۴۰۸ . علقمة بن قيس ٤٣١ .

(غ)

غندر (محمد بن جعفر)۱۳ ، ۲۹۲ ، الغزالي (الإمام محمد بن محمد) ۲۷ ،

علی بن بکار ۸۲ ، عمرو بن مرة ۸۲ ، ۲۹۲ ، عبد اارخمن بدوي (الدكتور) ۸۸ ، عمران بن حصين ٩٣، عمر بن الخطاب ٩٥ ، ١٣ ، ١٤٢ ، . 271 (200 (22) (279 عبدالله بن سعيد بن كلاب ٣٠ ، · 111 · 11 · · 1 · 4 · 1 · 1 عضد الدولة البويهي ١١٢، عبد الغفار بن داود ٤٠٧ . عاصم بن عدي ١١٠ . عبد الله بن زيد ١٥٥. عكرمة ٤٤١ ، ٤٤٤ . ٢٦٨ . عتبة بن مسعود ٤٢٤ . عبد الله بن عبيد الله ٤٦٧ . عثمان بن عطاء ٤٥٣ . علي بن أبي طلحة ٣٢٦ ، ٣٢٧ . عبد المنعم خلاف ١١٨، عبد الله بن عباس ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، 1 AY , FYY , FYY , FYY , · 274 · 277 · 271 · 443 ·

۱ ۱۲۰ ، ۱۲۰ ، ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۱ ، ۲۸۱ ، ۲۸۱ ، ۲۸۱ ، ۲۸۱ ، ۲۸۱ ، ۲۸۱ ، ۲۸۱ ، ۲۳۰ ، ۲۳۰ ، ۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۱ ، ۲۳۱ ، ۲۳۱ ، ۲۳۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ ، ۲۰۱ .

عبد الوهاب الخفاف ۲۸۹ ، ۲۹۰ ، عوف ۱۲۱ ،

(ف)

فريد جبر (الدكتور) ٦،

الفلاس ۱۶، الفضل بن دكين (أبو نعيم) ۲۹، ۲۹۳، الفضيل بن عياض ۲۵، ۳۶، ۹۳، ۹۳، ۱۵، ۱۳۲، ۱۳۲، فضيل بن مرزوق ۲۰۲، الفرائضي ۵، ۱۱، ۱۱۵، الفرائضي ۵، ۱۱، ۱۱۵، الفرائي ۱۱، ۱۱، الفراقي ۲۹۰، وروة بن نوفل ۲۹۷،

(ق)

القاسم بن سلام (أبو عبيد) ١٣ ،

(17) (0) (2) (17)

القثم بن القثم ١٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٨ ، ١٩٨ ، ١٩٨ ، ١٩٨ ، ١٩٨ ، القشيري (عبد الكريم بن هوازن) ١١٨ ، ١٠٠ ، ١٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٣ ، ١١٣ ،

القصار ۱۰۵ ، القرطبي ۱۲۱ قدامة بن جعفر ۱۸٦ ، قتادة السدوسي ۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۲۸۲ ،

3AY) PAY) YPY) OPY)

PYY) OPY) APY) Y13)

A13) P13) AY3) PY3)

3Y3) PY3) V33) P33)

Y03) F03) OF3) PF3)

·(٤)

كمال الحاج (الدكتور) ٦، الكسائي (حمزة بن علي) ١٦، الكسائي (حمزة بن علي) ١٦، الكلاباذي (تاج الاسلام) ١٨، ، الكلاباذي (١١٠، ١١٠، الكتاني ٥، ، المالكندي ١١٠، ١٨٤، الكندي ١٨٤، ١٨٤، كعب ١٨٨٪، الكلبي (محمد بن السائب) ٣٢٩، الكلبي (محمد بن السائب) ٣٢٩،

(ل)

الليث بن سعد ١٥ ، ٤٢١ ، ٤٤٧ . اللكنوي (عبد الحي) ٤٦ ،

. EVT

(4)

۳۱۸ , ۹۶ , ۵۳ , ۲۱ بخاهد بن جبر ۲۱ , ۳۹۸ ، ۳۳۱ ، ۴۳۰ ، ۴۳۰ ، ۴۳۰ ، ۴۲۰ ، ۴۲۰ ، ۴۲۰ ، ۴۲۰ ، ۴۲۰ ،

· \$ \$ \ · \$ \$ \$ · \$ \$ \ · \$ \$ • 6 1 N T المنصور (أبو جعفر) ۲۱ ، ۲۲ ، . 277 6 229 المأمون ۲۱ ، ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۶ ، المناوي (شرف الدين) ۲۰ , ۰۰ (VY , 78 , YV (100 , 01 المسعودي (المؤرخ) ۲۷, ۲۲, ۳۷ المعتصم ۲۲ ، ۳۷ ، ۷۵ ، · 07 , 49 , 47 معروف الكرخي ٢٥ ، مالك بن أنس ۱۱ ، ۱۳ ، ۱۶ ، ۱۵ محمد (صلى الله عليه وسلم) ٢٦ ، 14. , 01 , 27 , 20 , 70 A. (11 (1. (TA (YV (90 (98 (98 (97 (A7 المبارك القرشي ٥٠٥. () YO () YE () YT (9V مروان بن محمد ١٠ · 147 · 14. · 147 · 147 مطرف بن الشخير ۲۹۸ · YYV · 1V0 · 109 · 149 معبد الجهني ١٠، . YOV . YOT . YOO . YTA مروان بن شجاع ۱۲ ، ۱۲ ، ۲۳۸ المهدي ١٤، ٢١، · 799 · 797 · 719 · 79• مسدد بن مسرهد ۱۶ ، ۳۸ ، (YOV , YOT , YOO , YYA مسعر بن کدام ۱۵، ۲۵۰، VOY , YAY , FAY , PAY , محمد بن جعفر ۱٦ ، ٤٠٥ ، . 799 . 797 . 791 . 79. المسيب بن شريك ٣٩٧. (£ . V (£ .) (£ . . (409 (44) مغيرة بن مقسم ٤٣١ ، ٤٤٠ . · ٤١١ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ مروان بن معاویه ٤٥٤. · £71 · £1£ · £1٣ · £17 مقسم بن بجرة ٤٥٤ . · 270 · 272 · 277 · 277 معاذ (؟) ١٦ ، · 244 · 24 · 244 · 247 . ET4 . ETV . ETO . ETE مبشر ۱۶ ، مسلم بن عبيد ١٦ ، 133 , 933 , 703 , 703 , مسلم بن الحجاج ١٦ ، ٥٢ ، (272 (207 (200 (200 محمد بن مسروق ۱۸ ، ۱۹ ، ۵۵ ، 10 , No , OV , TV , MI .. £90 (£A+ (£VA (£VV

· Yo.

المتوكل ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، المهلب بن أبي صفرة ١٢٧ ، ميسرة بن عبد ربه ۱۲۷ ، ۱۲۸ ، المستعين ٣٨ ، محمد بن یحبی ۲۷۰ ، محمد بن عبد الوهاب ٤١ ، محمد بن اسحاق ۲۶ ، معمر بن ایحبی ۲۸۲،۲۷۹،۲۷۹،۲۸۲ معاوية المهلبي ٣٩٩ . 0 PT , APT , A+3 , A73 , موسى بن عبيدة ٧٠٧ ، ٤٤٦ . 6 224 . JEA : ETS : EY9 معتب بن قشیر ۲۱۰ . . 24 . 270 . 200 محمد بن الحنفيه ٤٤١ . مروان الكلاعي ۲۸۷ ، محمد بن أبي بكر ٤٤٣ . معتب ۲۸۸ ، محمد بن كعب ٤٤٦ . محمد بن طلحة ٢٨٩ ، مبشر الحلبي ٤٤٨ . معن بن عبد الرحمن ۲۸۹ ، ماسینیون (لویس) ۴۷ ، ۹۸ ، ۱۰۲ ملحان بن المخارق ۲۹۱، موسى الفراء ٢٩٤، (11V , 111 معاوية بن صالح ٣٢٦ ، ٣٢٧ . محمد بن الحسن الشيباني ٥١ ، المسور بن مخرمة ٣٠٤ . محمد بن كعب ٤٠٧ . منصور اليشكري ٤٢٢ ، ٤٣٩ . معروف الكرخي ٥٤ ، منصور بن زاذان ٤٤٤ . المرتعش ٥٦ ، ٥٨ ، المزين ٥٦ ، (Ú) المغربي ٥٦ ، محمد بن على القصاب ٥٨ ، نللينو (كارلو) ١٣، النسائي (أحمد بن شعيب) ١٤ ، محمد بن يوسف ٨٢ ، مخلد بن الحسين ٨٢ ، 6 27 النوري (أبو الحسين) ٥٦ ، ٥٨ ، محمد بن سیرین ۸۲ ، ۱۲۱ ، محمود عرنوس ۸۸، 67.609 محمد رشاد سالم (الدكتور) ۱۰۹ ، النيسابوري ٥٦ ، ١٣٢ ، مجاهدین جبر ۱۲۱ ، ۱۳۷ ، ۲۷۸ ، النهر جوری٥٦ ، النصر اباذي ٥٦ ، · YAO نظام الملك (الوزير) ١١٣ ، معاویة بن قرة ۱۲٦ ، ۹۵۲ ،

النسفي ۱۹۱ ، ۱۹۲ ، نافع بن عمر ٤٠٣ .

(4)

هشام الدستوائي ١٤ ، هنري كوربان ٨٨ ، هلال بن يساف ٢٩٧ ، الهيثم بن جماز ٢٩٩ ،

واصل بن عطاء ۱۱ ، ۱۳۰ ، الوليد بن عبد الملك ۱۰ وكيع بن الجراح ۱۳ ، ۱۶ ، ۱۵ ، ۱۵ ۲۷ ، ۲۰ ، ۹۰ ، ۱۲۲ ، ۲۷۹ لائم ، ۲۷ ، ۹۵ ، ۲۲۱ ، ۲۷۹ الوليد بن شجاع ۲۲۱ .

الوليد بن شجاع ٢٦١ . الوليد بن شجاع ٢٦١ . الوليد بن مسلم ١٥ ، وهب بن منبه ٢١ ، ٥٣ ، ٢٢٦، الواثق ٣٦ ، ٣٧ ، وهيب بن الورد ٨٢ ، واصل (مولى ابن عيينه) ٨٥ ،

واصل (مولیابن عیینه) ۸۵ ، ورقاء بن عمر ۲۹ ، ۲۲ ، ۲۲۲ .

یحیی بن سعید القطان ۱۳ ، ۱۹، ۲۱۶ یحیی بن زید ۱۰ ، یحیی بن سعید الأنصاری ۳٤۷.

۔ یزید بن معاویة ۱۰ ،

یزید بن هارون ۱۳ ، ۱۹ ، ۱۷ ، ۱۷ ، ۱۸ ، ۱۸ ، ۱۹ ، ۱۹ ، ۲۹۱ ، ۲۹۶ ، ۲۹۶ ، ۲۹۶ ،

یحیی بن بکیر ۱۵ ، ۲۹۷ ، یوسف علیه السلام ۶۸۲ . یوسف (؟) ۱٦ ، یونس بن محمد ۱٦ ،

اليزيدي ١٦ ، اليزيدي ١٦ ، يحيى بن أكثم ٣٨ ، اليافعي ٥٠ ، ٥١ ، يونس بن عبيد ٨٢ ،

یحیی بن کثیر ۱۲۷ ، ۲۹۹ ، یوسف بن الحسین الرازی ۸٦ ، یحیی بن زکریا ۲۱۷ ، ۲۳۳ .

يمان ٥٣٥ .

یحیی بن یعمر ۴۳۹ . یعقوب بن ابراهیم بن عبد الله ۲۹۸ . یونس بن بشر ۶۶۹ .

فهرس الموضوعات

110	العقلفي الكتاب والحديث	٣	الإهداء
			-
144	العقل في الفلسفة الاسلامية	٥	مقدمة
144	العقل في مذهب الحارث		الفصل الآول :
	الفصل الثاني:		الحارث المحاسبي ، حياته
	" C	٩	و مذهبهالعقلي
	كتاب الحارث (مائية العقل)	17	نشأته ودراسته
18.	كلمة عقل في اللغة	۲.	منعطف الطريق
181	مائية العقل وقيمته		- • -
124	تحليل كتاب العقل	44	الصوفي المتميز
, • •		41	مع المعتزلة
	أثر مذهبه العقلي في الفكر	47	مع الشيعة
١٨٣	الإسلامي		
	الفصل الثالث:	44	مع الفقهاء
	نص كتاب مائية العقل ومعناه	44	مع الصوفية
		47	مع محدثي الحنابلة
194	واختلاف الناس فيه	٤٩	مکانته مکانته
	الفصل الرابع :	٥٤	ه.در سته
U 4 1			
137	كتاب فهم القرآن	٦.	كتبه
137	تمهيد	٨٦	أثر المحاسبي في الفكر الاسلامي
720	شرح وتحليل	97	فکره · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
177	نص كتاب فهم القرآن ومعانيه	112	الحارث والعقل في مذهبه
0.7	الفهارس العامة ا	۱۱٤	العقل في الفلسفة القومية